أعلام وأقزام

في ميزان الإسلام

جمع وترتيب

الدكتور سيد بن حسين العفاني

الجزء الثاني

الناشر

دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع

السعودية - جدة - هاتف ٦٦٣١٤٠٣ فاكس ٦٦٥٧٥٢٩ جوال ٠٥٤٣٤٦١١٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلام وأقزام

في ميزان الإسلام

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

الطبعة الأولى

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

رقم الإيداع	٢٠٠٣/١٧٨٨١

* **الدكتور نصر أبو زيد يقول عن القرآن أنه نص بشري.. ومُنتَج ثقافي لا قداسة له:**

«ونموذج ثان، لحداثي آخر، من الذين اتخذوا الدراسات الإسلامية ميدانًا لهذا التأويل العبثي.. يقول ـ عن القرآن الكريم ـ الذي يؤمن المؤمنون ـ كل المؤمنين ـ أنه وحي سماوي، وتنزيل إلهي معجز وخالد.. يقول هذا الحداثي ـ عن القرآن ـ: إنه نص بشري، ومُنْتَج ثقافي.. لا قداسة له! وأن بينه وبين الشعر الجاهلي ـ وخاصة شعر الصعاليك ـ شبهًا كبيرًا! وبنص عباراته ـ التي لا تحتاج إلى تعليق ـ يقول:

«من الواقع تكوَّن النص [القرآن]، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه، فالواقع هو الذي أنتج النص.. الواقع أولاً، والواقع ثانيًا، والواقع أخيرًا.

لقد تشكل القرآن من خلال ثقافة شفاهية.. وهذه الثقافة هي الفاعل، والنص منفعل ومفعول.. فالنص القرآني في حقيقته وجوهره مُنْتَج ثقافي. والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة فترة تزيد على العشرين عامًا... فهو ديالكتيك صاعد وليس ديالكتيكا هابطًا.. والإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يطمس هذه الحقيقة.. والفكر الرجعي في تيار الثقافة العربية هو الذي يحوّل النص من نص لغوي إلى شيء له قداسته.

والنص القرآني منظومة من مجموعة من النصوص، وهو يتشابه في تركيبته تلك مع النص الشعري، كما هو واضح من المعلقات الجاهلية مثلاً، والفارق بين القرآن وبين المعلقة من هذه الزاوية المحددة يتمثل في المدى الزمني الذي استغرقه تكوّن النص القرآني.. فهناك عناصر تشابه بين النص القرآني ونصوص الثقافة عامة، وبينه وبين النص الشعري بصفة خاصة.. وسياق مخاطبة النساء في القرآن، المغاير لسياق مخاطبة الرجال، هو انحياز منه لنصوص الصعاليك»!.

هذا عن القرآن.. أما عن «النبوة والرسالة» و«الوحي».. فإنها ـ عند

هذا الحداثي الماركسي ـ: ظواهر إنسانية، وثمرة «لقوة المخيلة» الإنسانية، وليس فيها إعجاز ولا مفارقة للواقع وقوانينه.. فالأنبياء مثل الشعراء والمتصوفة، مع فارق في درجة «المخيلة»، فقط لا غير.. وبنص عباراته:

«إن الأنبياء والشعراء والعارفين قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية «المخيلة» في اليقظة والنوم على السواء.. ومن حيث قدرة «المخيلة» وفاعليتها، فالنبي يأتي على رأس قمة الترتيب، يليه الصوفي العارف، ثم يأتي الشاعر في نهاية الترتيب.

وتفسير النبوة اعتماداً على مفهوم «الخيال» معناه أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقال يتم من خلال فاعلية «المخيلة» الإنسانية، التي تكون في «الأنبياء» أقوى منها عند سواهم من البشر.. إنها حالة من حالات الفاعلية الخلاقة، فالنبوة، في ظل هذا التصور، لا تكون ظاهرة مفارقة.. وهذا كله يؤكد أن ظاهرة الوحي لم تكن ظاهرة مفارقة للواقع، أو تمثل وثبًا عليه وتجاوزًا لقوانينه، بل كانت جزءاً من مفاهيم الثقافة ونابعة من مواضعاتها»![1].

وبعد تحويل القرآن إلى نص بشري.. والوحي والنبوة إلى قوة في «المخيلة» الإنسانية.. يذهب هذا الحداثي الماركسي إلى تطبيق «التاريخية والتاريخانية» على معانٍ ومضامين وأحكام القرآن ـ كل معانيه ومضامينه وأحكامه ـ من العقائد إلى الأحكام وحتى القيم والأخلاق والقصص ـ الأمر الذي يعني نسخ كل مضامين القرآن وتجاوزها.. فيقول:

«.. فالقرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقًا جوهريًا ثابتًا.. وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص.. فالقرآن قد تحوّل من لحظة نزوله من كونه [نصًا إلهيًّا] وصار فهمًا [نصًّا إنسانيًّا]؛ لأنه تحول من التنزيل إلى التأويل.

---

(١) «مفهوم النص» لنصر حامد أبو زيد (ص٥٦، ٣٨) ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.

وهذه التاريخية تنطبق على النصوص التشريعية، وعلى نصوص العقائد والقصص.. وهي تحرك دلالة النصوص وتنقلها في الغالب من الحقيقة إلى المجاز..»[1] !!.

هكذا، تم العبث الحداثي بالثوابت والمقدسات - القرآن.. والنبوة والرسالة.. والوحي - على هذا النحو اللامعقول!»[2].

* قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٠-٧٢].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٤-٢٥].

* أحمد عبدالمعطي حجازي من شياطين الإنس:

❑ هو أولى الناس بقول الشاعر:

وكنتُ امرأً من جند إبليس فارتقى ... بي الدهر حتى صار إبليس من جندي

فلو مات قبلي كنت أحسنُ بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

(١) «نقد الخطاب الديني» لنصر حامد أبو زيد (ص٨٣، ٩٤، ٨٢ - ٨٤) - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

(٢) «مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية» (ص٣٠ - ٣١) للدكتور محمد عمارة.

❑ يقول الدكتور محمد عمارة عنه في كتابه «مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية» (ص٣١ ـ ٣٣):

ونموذج ثالث، لشاعر حداثي ـ يسمونه «الشاعر الكبير» ـ بدأ عروبيًا، وانتهى فرنكفونيًا، في بلد ليس لها تاريخ في الفرنكفونية! أي أنه فرنكفوني بالهواية والهوى! ولقد احترف ـ في كتاباته الصحفية.. التي غلبت شعره ـ الدعوة إلى:

ـ تعبير الأنثى بالجسد.. أي: جعل الجسد الأنثوي العاري «الموديل» هو الملهم للرسامين والنحاتين والمصورين والأدباء.. ففصاحة الجسد الأنثوي العاري ـ عنده ـ لا تعادلها فصاحة أخرى!! وهو يسحب هذه الدعوة حتى على جسد آدم وحواء عليهما السلام!!.

ـ والدعوة إلى احتقار العربية ـ لغة القرآن الكريم ـ وذلك عندما يدافع عن وصف لويس عوض لهذه اللغة الوطنية والقومية بأنها: «لغة ميتة.. ودخيلة»!!.

ـ والدعوة إلى الاحتفاء والاحتفال بالإسكندر الأكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٤ق م) بتزيين ميادينا بتماثيله ـ وهو الذي افتتح مرحلة غزو الغرب للشرق، والقهر الحضاري لثقافات الشرق ولغاته ودياناته، عشرة قرون، لم تنقشع ظلماتها إلا بالفتوحات التحريرية التي قادها الإسلام والمسلمون.

ـ والمشاركة في الاحتفال ـ عامين كاملين ـ بالاحتلال، بدلاً من الاستقلال ـ الاحتفال بمرور قرنين على غزوة بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) لمصر (١٢١٣ ـ ١٢١٦هـ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) وإحراقه مئات القرى المصرية، وإبادته لسُبْع تعداد الشعب المصري، وتحويله الأزهر الشريف إلى إصطبل للخيول! مزق الفرنسيون فيه القرآن الكريم، وتراث العلوم الإسلامية.. بل

وبالوا وتغوطوا فيه!

ـ والتحدي لمشاعر الأمة الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية، عندما غضبت كل الأمة من الوحشية الصهيونية التي استخدمت كل أسلحة الدمار الثقيلة، والمحرمة دوليًّا، ضد أطفال وشباب ونساء وشيوخ انتفاضة الأقصى المبارك والقدس الشريف والاستقلال الفلسطيني ـ التي تفجرت في ٢٨ سبتمبر سنة ٢٠٠٠م ـ فكتب هذا الشاعر الحداثي داعيًا إلى حب الجنود الصهاينة الذي أطلقوا الرصاص على الطفل الفلسطيني الأعزل ـ محمد الدرة ـ لمدة خمس وأربعين دقيقة!!.

فالكراهية ـ في عرف هذا الشاعر الحداثي ـ يجب أن تقف عند «القتل» ولا تتعداه إلى القاتل»[1] !!..

ولست أدري ـ ولا المنجم يدري ـ هل يمكن كراهة الزنا، مع حب الزناة؟! وكراهة السرقة، مع حب اللصوص؟! وكراهة «الشيطنة» مع حب الشياطين؟!..

وهل يمكن أن نقيم العدالة والقصاص على الجريمة، مع الحب وإطلاق السراح للمجرمين؟!.

ـ ولقد توّج هذا الشاعر الحداثي مسلسل القطيعة مع ثوابت الأمة، عندما سُئل عن رأيه فيما:

«لو اصطدم المبدع الشاعر بما هو مقدس؟».

فإذا به ـ بعد أن أعلن «تقديسه لقيمة العقل وقيمة الحرية» يعلن رفضه لوجود «المقدس الديني» من الأصل والأساس!.. فهذا الذي يسمونه «مقدسًا

---

(١) مقال لأحمد عبدالمعطي حجازي بعنوان «سوف أكون صريحًا مع الجميع» ـ الأهرام (ص٢٨) في ١١ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٠م.

دينيًّا»، ليس أكثر من اختراع نخترعه نحن، وادعاء ندعيه.. ونص عبارته - في الإجابة على هذا السؤال - يقول:

«إن المقدس ليس كائنًا خارج الشعر، أو خارج الإنسان.. المقدس هو مقدس لأننا نقدسه.. والشاعر يفترض أنه قد غلبته النشوة، أو روح السخرية، أو الجحود، كل هذه المشاعر وكل هذه الحالات تصادف الإنسان، وتصادف الشاعر، ماذا يصنع في هذه الحالة؟ نحن نتوقع دائمًا من الشاعر أن يكتب بلغة تؤدي ما يريد أن يؤديه، لكن تظل محافظة على ما يجب لها من جمال»[1]!.

فالمقدس - بإطلاق - عند هذا الشاعر الحداثي الفرنكفوني - هو «العقل» و«الحرية».. أما المقدس الديني فهو اختراع يخترعه من يؤمن به، ولا وجود له في الواقع والحقيقة.. والسخرية من هذا المقدس الديني، والجحود له، في لحظات «النشوة» و«الإبداع» أمر مطلوب، طالما كانت العبارة التي نعبر بها عن هذه السخرية وهذا الجحود، جميلة.. فقط لا غير!!.

هكذا تعاملت وتتعامل حداثة القطيعة المعرفية مع الموروث، مع المقدس الديني، وثوابت القيم، وما أجمعت واجتمعت عليه الفطر السليمة من مشاعر وحقائق تتعلق بالتراث وبالتاريخ!.

*** الدين عند أحمد عبدالمعطي حجازي علاقة بين العبد وربه:**

بلغ التطرف بهذا العلماني أحمد عبدالمعطي أن طلب من المسئولين حرمان الدكتور السيد أحمد فرج من التدريس بالجامعة؛ لأنه أخطر على الطلاب من كتابه - «أدب نجيب محفوظ» - الأهرام ٧/٧/١٩٩٩. وكان من

---

(١) أحمد عبدالمعطي حجازي من حوار معه «أخبار الكتاب» العدد ٣٧ - سبتمبر سنة ٢٠٠٠م.

حيثيات هذه الدعوة ما قرأه حجازي للدكتور فرج في بعض كتبه من أن «الدين هو الرابطة المقدمة على أية رابطة أخرى، فالدين في نظر السيد فرج ليس مجرد اعتقاد، أو علاقة بين الإنسان وخالقه، وإنما هو أيضًا قومية وجنسية»(١).

* **حجازي والموديلات العارية:**

بكى حجازي بكاءً مرًّا وهاج هياجًا شديدًا للنكبة التي نزلت بالفن؛ لأن وزيرًا مسئولاً حرّم «الموديلات العارية» في كليات الفنون. والموديلات العارية نساء يُستأجَرْن ويجلسن ويقفن أو يضطجعن ـ تبعًا للوضع المطلوب ـ عاريات تمامًا ليرسمهن الطلاب والأساتذة.

ووصف حجازي الوزير الذي أصدر القرار بالاستبداد وضيق الأفق وقال بالحرف الواحد: «نريد أن نحرر عقولنا من الخرافة، ونعالج نفوسنا من الخوف، ونعامل أجسامنا بما هي جديرة به من اعتزاز واحترام» (الأهرام ١٦/ ٦/ ١٩٩٩).

وهل لا يكون الاعتزاز بالجسد من وجهة نظره إلا بالتعرية.

ولقد رد عليه فهمي هويدي في الأهرام ٦/ ٧/ ١٩٩٩ تحت عنوان «لكي نتجنب مصير الهنود الحمر» قائلاً: «إنها فكرة غير إنسانية تبتذل جسد المرأة وتهينه.. بالمناسبة هل يقبل المدافعون عن رسم الجسد العاري أن تقف أمهاتهم أو زوجاتهم أو بناتهم هذا الموقف أمام الطلاب وغيرهم من هواة الفن؟.. وهؤلاء المشغولون بالدفاع عن رسم الجسد العاري لم نجد لهم دورًا ولا باعًا في الدفاع عن الأمة العارية المكشوفة حضاريًّا، والتي لا تكاد تجد ما

(١) انظر مقال الدكتور جابر قميحة ـ مجلة آفاق عربية ـ العدد (٦١٠) ـ ٥ من ربيع الآخر ١٤٢٤هـ ـ ٥ من يونيه ٢٠٠٣م.

يستر عوراتها في سباق التقدم».

☐ وأحمد عبدالمعطي حجازي الشاعر وأقواله طوام، ويكفيك ما قاله في جريدة الأهرام يوم الأربعاء ١٠/٧/٢٠٠٢ في مقاله الأسبوعي بعنوان «الإزار والرداء» وعرّج على قول اللَّه تعالى: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ وهو يرى كالعشماوي أن ألفاظ الآية ليس فيها ما يدل على أن تغطية المرأة شعرها واجب ديني؛ لأن الخمار هو الغطاء دون تحديد.

☐ ونصر أبو زيد الذي يريد الناس أن يتعاملوا مع القرآن كنص أدبي وليس وحيًا إلهيًّا بل يقول في آخر كتابه: «وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر، لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورًا، قبل أن يجرفنا الطوفان»(١) .

وهو يريد زحزحة القرآن عن موكب حياة المسلمين، ويقول: «إن الاحتكام إلى كتاب اللَّه عز وجل لم يكن موجودًا إلا عندما ظهر الخوارج»(٢).

* **أدونيس**: واسمه الحقيقي علي أحمد سعيد، قزمٌ تعملق، كان على النحلة النُصيرية المارقة، ثم تاب على يد إبليس منها، والتحق بالشيوعية وتسمَّى بأحد أسماء آلهة الفينيقيين (أدونيس) وانضم في مقتبل عمره إلى الحزب القومي السوري، وتأثر برئيس الحزب النصراني «أنطوان سعادة»، ثم مال إلى اليهودية بعد عمالة طويلة للماسونية.

ومن نماذج شعره الكفري العفن قوله:

---

(١) «الإمام الشافعي، وتأسيس الأيدلوجية الوسطية» لنصر أبو زيد (ص١١٠).
(٢) المصدر السابق (ص٢١).

كاهنة الأجيال قولي لنا شيئًا عن اللَّه الذي يولد..

قولي أفي عينيه ما يُعبد..

وقوله: مات إلهٌ، كان من هناك يهبط من جمجمة السماء.

وقوله: لا اللَّه أختار.. ولا الشيطان.. كلاهما جدار..

كلاهما يغلق لي عيني، هل أبدِّل الجدار بالجدار..

وقوله: اعبر اعبر.. فوق اللَّه والشيطان..

وقوله: يا أرضنا يا زوجة الإله والطغاة..

وقوله: نمضي ولا نصغي لذلك الإله.. تُقنا إلى ربٍّ جديدٍ سواه..

* **وعبدالعزيز المقالح:**

كاتب وشاعر يمني عَفِن، كان مديرًا لجامعة صنعاء وهو ذو فكر يساري.

ومن نماذج شعره الملحد قوله:

صار اللَّه رمادًا، صمتًا، رعبًا في كف الجلادين..

حقلاً ينبت سبحات وعمائم.. بين الرب.. الأغنية..

الثروة.. والرب القادم من هوليود..

كان اللَّه قديمًا حُبًّا.. كان سحابةً..

كان نهارًا.. في الليل أغنيةٌ..

* **عبدالوهاب البَياتي:**

وعبدالوهاب البياتي شاعر عراقي ماركسي ومن شعره الكفري قوله:

اللَّه في مدينتي يبيعه اليهود..

اللَّه في مدينتي مشردٌ طريد..

أراده الغزاة أن يكون لهم أجيرًا شاعرًا قواد..

يخدع في قيثاره المذهب العباد..

لكنه أصيب بالجنون..

لأنه أراد أن يصون زنابق الحقول من جرادهم..

أراد أن يكون..

*** محمود درويش:**

وهو عضو الحزب الشيوعي الفلسطيني والمستشار الثقافي السابق لياسر عرفات.. وهذا الذي يُشار إليه بالبنان في المعارض الثقافية الكبيرة.. ويُمثل فلسطين!! أي واللّه.

❑ ومن شعره الكفري:

كل قاضٍ كان جزّارًا تدرّج في النبوءة والخطيئة..

وقوله: نامي فعين اللّه نائمة.. عنا وأسراب الشحارير.

ويقول في قصيدته «مديح الظلّ العالي»:

يا خالقي في هذه الساعات من عدمٍ تجلّ... لعلّ لي ربًّا لأعبده لعلّ

❑ ويقول في قصيدته «المطر الأول»:

في رذاذ المطر الناعم كانت شفتاها

وردة تنمو على جلدي.. وكانت مقلتاها

أفقًا يمتد من أمسي إلى مستقبلي

كانت الحلوة لي

كانت الحلوة تعويضًا عن القبر الذي ضم إلهًا

وأنا جئت إليها من وميض المنجل

---

(١) من قصيدته «الموت في الغابة».

والأهازيج التي تطلع من لحم أبي نارًا وآها

❑ ويقول في قصيدة (أهديها غزالاً):

وفي ليل رمادي رأينا الكوكب الفضي
ينقط ضوءه العسلي فوق نوافذ البيت
وقالت وهي حين تقول تدفعني إلى الصمت
تعال غدًا لنزرعه مكان الشوك في الأرض
أبي من أجلها صلى وصام
وجاب أرض الهند والإغريق
إلها راكعًا لغبار رجليها
وجاع لأجلها في البيد
أجيالاً يشدّ النوق
وأقسم تحت عينيها يمين قناعة الخالق بالمخلوق
فدائي الربيع أنا
وعبدُ نعاسِ عينيها
وصُوفيٌّ الحصى والرمل والحجر
سأعبدهم لتلعب كالملاكِ
وظلّ رجليها على الدنيا
صلاة الأرض للمطرِ

* صلاح عبدالصبور:

يقول هذا الهالك التالف الحائز على جائزة الدولة التقديرية!! في شعره الكفري العفِن:

.. وفي الجحيم دحرجت روح فلان..

يا أيها الإله كم أنت قاسٍ مُوحش..

وقوله: والشيطان خالقنا ليجرح قدرة اللَّه العظيم..

وقوله: ملاحنا ينتف شعر الذقن في جنون..

يدعو إله النقمة المجنون..

أن يلين قلبه، ولا يلين..

وقوله: كان لي يومًا إله وملاذي كان بيته..

قال لي إن طريق الورد وعرٌ فارتقيته..

وقوله: حين أبصرت إلهي أسمر الجبهة وردي..

ورقصنا وإلهي للضحى خداً لخد..

ثم نمنا وإلهي بين أمواج وورد..

وقوله: وإلهي كان طفلاً.. وأنا طفلاً عبدته..

*** أمل دنقل:**

القائل في شعره الكفري:

المجد للشيطان معبود الرياح..

مَن قال لا في وجه من قالوا نعم..

*** فدوى طوقان:**

وهي شاعرة فلسطينية يبرأ منها الحجر والشجر في أرض الإسراء، ومن شعرها قولها في حق ربها وخالقها تقول في قصيدة لها بعنوان «مرثاة إلى نمر»:

وأنت يا من قيل عنه إنه هناك..

حانٍ لطيفٌ بالعباد..

أين أنت لا أراك..

دعني أراك.. كي أقول إنه هناك..

* وقال راشـد حسين في قصيدة له عن مصادرة اليهود لبعض أملاك العرب:

اللَّه أصبح غائبًا يا سـيدي صادر إذن حتى بسـاط المسجدِ

□ نوال السعداوي:

المحادة للَّه ورسوله القائلة: كون الإله ذكرًا انحياز إلى الرجال ضد النساء.. هل بعد هذا ردة وزندقة.. هذه الطاعنة في كل ثوابت ديننا.

* وشيخة الإسلام إقبال بركة!!

التي تنكر فريضة الحجاب وتشن عليه الحرب الشعواء وتقول: إنه يرمز لعصر الرق والإماء ولا حاجة إليه في عصرنا!! وتكذب أساطين العلم وسادات المحدثين والمفسرين عاملها اللَّه بما تستحق وأخزاها في الدنيا قبل الآخرة..

* يقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي عن أهل الإلحاد:

«فأهل هذا المذهب أعظم الخلق مكابرة وإنكارًا لأظهر الأشياء وأوضحها، فمن أنكر اللَّه فبأي شيء يعترف ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦]، وهؤلاء أبعد الناس عن عبودية اللَّه والإنابة إليه، وعن التخلق بالأخلاق الفاضلة التي تدعو إليها الشرائع، وتخضع لها العقول الصحيحة، ومع خلوّ قلوبهم من توحيد اللَّه والإيمان به وتوابع ذلك، فهم أجهل الناس وأقلهم بصيرة، ومعرفة بشريعة الإسلام وأصول الدين وفروعه، فتجدهم يكتبون ويتكلّمون ويدّعون لأنفسهم من العلم والمعرفة والثقافة واليقين ما لا يصل إليه أكابر العلماء، ولو طُلب من أحدهم أن يتكلم عن أصل من أصول الدين العظيمة التي لا يسع أحدًا جهله، أو على حكم من

الأحكام في العبادات والمعاملات والأنكحة لظهر عجزه، ولم يصل إلى ما وصل إليه كثير من صغار طلبة العلم الشرعي، فكيف يثق العاقل فضلاً عن المؤمن بأقوالهم عن الدين، فأقوالهم في مسائل الدين لا قيمة لها أصلاً، ولو سبرت حاصل ما عليه رؤساؤهم لرأيتهم قد اشتغلوا بشيء يسير من علوم العربية، وترددوا في قراءة الصحف التي على مشربهم، وتمرّنوا على الكلام الذي من جنس أساليب كثير من هذه الصحف الرديئة الساقطة، فظنوا بأنفسهم وظن بهم أتباعهم الاضطلاع بالمعارف والعلوم، فهذا أسمى ما يصلون إليه في العلم»[١].

هذا النبت الشيطاني النكد لا يُسكت عليه أبدًا فهم جنود الشياطين الذين فاقوا مكرًا ودهاء وكيدًا للإسلام وشعائره وعوام المسلمين الذين لا يفطنون لشبههم لقلة علمهم وضعفهم.

«أليس ضعف المسلمين في هذه الأوقات يوجب لأهل البصائر والنجدة منهم أن يكون جدّهم ونشاطهم وجهادهم الأكبر متضاعفًا ويقوموا بكل ما في وسعهم لينالوا المقامات الشامخة ولينجوا من الهوّة العميقة التي وقعوا فيها؟ أليس هذا من أفرض الفرائض وألزم اللازمات في هذه الحال؟»[٢].

* **وفرج فودة**: هذا الذي سمّاه الزعيم «عادل إمام»: بالشهيد وبصديقه العزيز هذا الذي سال قلمه بالسم الزعاف على الإسلام والشريعة ثم ذهب إلى مزابل التاريخ.

* حسن سليمان حُداثيِّ العُرْي والموديلات العارية:

□ أما النموذج لحداثة القطيعة مع قيم الأمة ومعايير الحلال والحرام التي

---

(١) «انتصار الحق» للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص١٤ ـ ١٥) المكتبة السلفية.
(٢) المصدر السابق (ص٧).

جاء بها دينها، وتجسدت عادات وأعرافًا في حياتها.. فهو «فنان كبير»، احترف رسم الجسد العاري للنساء.. وللنساء المعدمات، اللائي يكتسبن من حرفة «الموديل»، واللائي يخجلن من هذه الحرفة، فيكتمن ممارستهن لها حتى عن زميلاتهن فيها.. لأنها - حتى في عرفهن - «نخاسة حداثية»، يبعن فيها الحشمة والكرامة والكبرياء والخصوصية لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء!

وفي حديث صحفي مع هذا «الفنان الكبير» نشرته مجلة أدبية شهيرة - كجزء من كتاب تحت الطبع - يصدر عن هذا «الفنان»، تحدث عن واحدة من النساء «الموديل».. تلك التي رسم لجسدها العاري ثلاثمائة لوحة، وهي ترقص - بعد أن «سَطَلَها» بالحشيش، وأسكرها بزجاجة «البولانكي» الرخيص!.. يتحدث هذا «الفنان» الكبير عن «تجربته الفنية» مع الجسد الأنثوي العاري، فيقول - عن «صفية»، التي «جُنَّ بجسدها العاري، حين شاهده، إلى حد تخصيص معرض كامل لها هو معرض [الراقصة] أوائل الثمانينيات.. وكيف أحضر لها «قرش الحشيش» وزجاجة «البولانكي» الرخيص، لتسكر حتى الصباح بينما يدير أسطوانة [يا مسهّرني] لسيد مكاوي، لترقص على إيقاعها طول الليل»!.

ثم يستطرد في الحديث عن «تجربته الفنية» هذه، فيقول:

«كانت جميلة، أطرافها طويلة، وجسمها طويل. لقد أضافت إلى خطوطي الكثير.. منحتني معرض [الراقصة]، ومنحتني القدرة على رسم «الإسكتش» السريع [٣٠٠ سكتش] كنت أرسم بسرعة جنونية على أوراق «الكلك» حتى ألاحق حركة جسدها مع إيقاع الموسيقى.. ومنحتني حساسية خاصة في التعامل مع الإيقاع، ومنحتني أيضًا صدقًا وإخلاصًا نادرًا.. وأظن أن هذا التجاوب شرط مهم لمستوى اللوحة، وحتى لا أضطر إلى المزيد من الإغراءات من فلوس وتودد وغواية»!!

وحتى لا يظن أحد أن هذا «الفنان الكبير» قد صنع ويصنع ذلك من باب «الضرورات التي تبيح المحظورات» ـ مع التنبيه على أننا لسنا هنا بإزاء «ضرورة». ولا «حاجة» بل ولا حتى أمرًا من «التحسينات» ـ إذ الكارثة أن هذا الفنان الحداثي الكبير يمارس هذه «النخاسة الفنية» باعتبارها الأمر الطبيعي. . ويتحدث عن حقبة السبعينيات ـ من القرن العشرين ـ تلك التي ضغطت فيها موجة التدين والصحوة الإسلامية على كليات الفنون الجميلة حتى ألغت نظام «الموديل العاري» في تلك الكليات. . يتحدث عن هذه الحقبة باعتبارها (الزمن الأهبل)! لأن الجسد الأنثوي العاري ـ بنظر هذه الحداثة ـ ليس فقط كلأً مباحًا ومستباحًا، وإنما هو ـ كما يقول ـ أقدم معبود عبده الإنسان. . وأطول المعبودات التي عبدها هذا الإنسان في العمر والتاريخ!.

نعم، يعلن هذا «الفنان» عن هذه «العقائد الحداثية» لهذا «الدين الحداثي» فيقول:

«لقد خلقنا اللَّه في أحسن تكوين، ولهذا تكون النسب الصحيحة عارية بالضرورة. . بل ولا تكون صحيحة إلا عارية، ولا يمكن أن يتم تجريد سليم دون عري.

تلك حقيقة أساسية في الفن، لكن الشرط الاجتماعي القائم لا يسمح بعرض اللوحات العارية (زمن أهبل)!. . إن جسد المرأة هو أقدم عبادة عرفها الإنسان، وأعظم ديانة منذ عرفت الأديان. إن «أفروديت»[1] الطالعة من زبد

---

(١)أفروديت هي إلهة الجمال والحب في الأساطير الوثنية الإغريقية. . ولقد كذب هذا الدّجال عندما عمم عبادة أفروديت على الإنسانية زاعمًا أن ذلك قد استمر عشرين ألف سنة. . وكأن تاريخ الإنسانية هو هذه اللحظة الأسطورية الإغريقية.

البحر، عبدت ٢٠ ألف سنة، أكثر من كل الديانات السماوية..!![1].

وهكذا.. فلا اعتبار لما تقرره الأديان - كل الأديان - من أن البشرية - التي بدأت بآدم، عليه السلام - قد بدأت - قبل الانحرافات الوثنية - بعبادة اللّه، سبحانه وتعالى؛ لأن «الحداثة» - التي أصبحت «دينًا» للحداثيين - قد جعلت الجسد الأنثوي العاري أقدم المعبودات، لأقدم الديانات.. وأطول الديانات عمرًا في التاريخ!.

تلك نماذج - مجرد نماذج - للأفكار والآداب والفنون الحداثية، التي أقامت قطيعة معرفية كبرى مع موروث الأمة.. ومع موروثها الديني - عقيدة وشريعة وقيمًا - على وجه الخصوص.

* أدونيس الكاره للعروبة والإسلام وإحياء الوثنيات البابلية والآشورية:

□ يقول الأستاذ أنور الجندي:

«على طريق الصحافة العربية في خدمة أهداف التغريب والشعوبية والغزو الثقافي كان احتفالها بالشعر الحر واهتمامها بدراسته وإفساح الطريق أمام كتابه، وقد تبينت خلفية ذلك كله حين كشف دعاة القومية السورية والفينيقية والرموز المسيحية من المدارس اللبنانية عن غايتهم وأهدافهم من حيث اتخاذهم الشعر الحر وسيلة لضرب عامود الشعر الأصيل ومهاجمة اللغة العربية في أعظم ميادينها على أساس أن حرب الفصحى تتركز في إذاعة العامية والحروف اللاتينية والشعر الحر.

ولم يقف الأمر عند هذا بل إنه اتصل بالتراث فعُني كتابه على ابتعاث أبي نواس وبشار بن برد والفلسفات المستترة خلف الباطنية والمجوسية في

---

(١) من حديث أجرته عبلة الرويني مع «حسن سليمان» - مجلة «أخبار الأدب» القاهرة - العدد ٣٦٦ في ١٦ - ٧ - سنة ٢٠٠٠م.

شعر دعاة التصوف الفلسفي فجرى إحياء الحلاج إلى جوار عشتروت وفينق وتموز وأدونيس، وظهر أدب الهزيمة والإباحية في شعر نزار قباني والرفض لكل قيم المجتمع الإسلامي في شعر سميح القاسم ومحمود درويش، وفي هذا الجو المسموم ظهر أمثال صلاح عبدالصبور الذي نصبه الكاهن الأكبر لويس عوض أميرًا لشعراء الشعوبيين، وقد نمت هذه الحركة بتأييد الاستشراق ودعم أمثال جاك بيرك وسعيد عقل ويوسف الخال لها حتى تقدمت رسالة دكتوراه في الجامعة اللبنانية عن تطور مفهوم الحب والمرأة في شعر نزار قباني وإشاعة مفاهيم الإباحية الجنسية في الدراسات الجامعية فضلاً عن رسالة أدونيس عن الشعوبية العربية خدمة لمذهب القوميين السوريين الذي جند العشرات، ومنهم القصاصة غادة السمان التي جرى على نسقها الكثيرات في أسلوب الكشف الجريء من أمثال جاذبية صدقي وغيرها.

❏ هذا هو التيار الذي احتضنته الصحافة العربية وجندت له الكثيرين باعتباره عاملاً هامًا في حركة الهدم الضخمة التي تقوم بها لحساب النفوذ الأجنبي.

ولقد عمدت حركة اليسار أول ما عمدت لتثبت هذا التيار أن قامت بضرب الاتجاه الصحيح الذي قامت عليه حركة الشعر العربي الممتدة منذ فجر الإسلام إلى اليوم بتحطيم الإطار الأصيل ومهاجمة عامود الشعر والدعاة إليه، وإتاحة الفرصة لأمرين: للشعر الحر الذي يقوم على غير أساس صحيح والشعر العامي والزجل والفلكلور والبحث عن كل التفاهات التي قالها السكارى والمخرفون على مدى العصور على أساس أنها تراث للفلكلور ترمى كلها إلى التحرر من قيود اللغة العربية والنحو في محاولة هروبية للخروج من مأزق الجهل إلى كبرياء الادعاء بأن الفصحى شاقة وعسيرة.

وتولى أمثال السياب والبياتي وأدونيس الدعوة إلى تمسيح الشعر

وصعلكته وابتعاث الأساطير القديمة وإحيائها في عداء شديد للفصحى وما وراءها من قيم الإسلام والقرآن.

وجاء غالي شكري ليغمز كل ما له اتصال بالتراث أو الدين أو الوطنية من الشعر، ووصفه بالعقم مع تأكيده للخطة التغريبية التي يعمل عليها شعراء الرفض وشعراء العامية.

وهكذا دافعت الصحافة عن هذه المفاهيم المسمومة وأفسحت لها ومكنت لهؤلاء الذين ظهروا في ذلك الاتجاه من أن يتفتحوا في رحابها وأن تلمع أسماؤهم، والهدف هو ضرب اللغة العربية، وضرب القيم والأخلاق من خلال ما تحمل هذه الكتابات من مفاهيم مضللة زائفة منحرفة وإحلال ظلام الوجودية والمادية والإباحية والماركسية المعقدة ومفاهيمها الضالة محل روح الأصالة والرحمة والعدل والتوحيد الخالص التي يمثلها الأدب العربي الأصيل»[1].

□يقول الأستاذ أنور الجندي ـ رحمه اللَّه ـ:

«استهدفت حركة الالتفاف حول الأصالة العربية الإسلامية خلق مثل أعلى مغاير للمثل العربي الإسلامي يقوم على مفاهيم وثنية مضللة قوامها بعث الحضارة الفينيقية التي ظهرت في سوريا ثم في شمال أفريقيا قبل الميلاد بثلاثمائة عام تقريبًا، باعتبار أن الدعوة إلى سوريا الكبرى هي إعادة لمجد الفينيقيين وحضارتهم وبعث للعظمة الفينيقية والسيادة الحقيقية على البحر المتوسط، وسوريا الكبرى أو فينيقيا المجيدة التي هي الفردوس المفقود والحلم الضائع وهي الأمل الكبير بالنسبة لكل أعداء الوحدة العربية وعلى هذه المفاهيم وفي إطار هذا المعنى يدور الأدب الذي قام عليه أدونيس ويوسف

---

(١) «الصحافة والأقلام المسمومة» لأنور الجندي (ص١٦١ ـ ١٦٢) دار الاعتصام.

الخال وجريدة النهار وآزره لويس عوض وصلاح عبدالصبور. كذلك فقد ركزت هذه المحاولة على رمز تاريخي هو القائد الفينيقي السوري القديم هانيبال الذي دخل حروبًا طويلة مع الرومان خلال الفترة الممتدة من ٢٦٤ ـ ٢٠٤ قبل الميلاد وقد وصلت جيوش هانيبال إلى أبواب روما واستولت تحت راية الفينيقيين على كل شمال إيطاليا، وفي هذا الإطار جاءت محاولة السياب والبياتي وأدونيس إلى إحياء الأساطير القديمة التي تساعد هذه الدعوة وترمز إليها. ولما لم يجدوا للفينيقيين القدماء أساطير معروفة لجأوا إلى الأساطير البابلية والآشورية لإحيائها وبعثها والعمل على استخدامها في الأدب الجديد، وأهم هذه الأساطير التي وقف عندها القوميون السوريون: تموز وعشتار وأدونيس.

هذه هي الأفكار التي احتضنتها الصحافة العربية لتغرسها في نفوس الشباب العربي المسلم والتي جندت لها عشرات من شعراء الرفض الذين يرفضون الحضارة العربية الإسلامية أساسًا ويصمونها بكل نقيصة.

ويعتقد أصحاب هذه الأفكار أنهم يعيشون في الأرض الخراب التي هي العالم العربي الإسلامي، فهم لكل هذه القيم كارهون ولها محاربون.

في سبيل انبعاث الأساطير البابلية القائمة على الوثنية والإباحية والتي تتكامل مع الدعوة الى الفرعونية أيضًا، وقد وصفها أحد الكتاب بأنها مغالطات مقصودة تهدف في النهاية إلى خلق فكرة مغرية يمكن لصغار النفوس وصغار العقول أن يلتفوا حولها بحماسة، وحتى تكون هذه الفكرة مدرسة قوية لتخريج عملاء يحاربون الفكرة العربية والدعوة الإسلامية داخل الوطن العربي، وأن هذه المغالطات تهدف إلى المساعدة على بعث الأقليات الفكرية والدينية والعنصرية الأخرى.

□ وهكذا استطاعت الصحافة العربية أن تحشد حشدًا هائلاً من دعاة

الشعر الحر الذين انطووا في هذه المفاهيم عارفين لها أو جاهلين، تحت اسم فينيقيا القبلة الروحية التي يعود المجد الغابر إلى هذه المنطقة من خلالها، ويعتبر (علي أحمد سعيد) الذي غير ملته واسمه فأطلق عليه زعيم القوميين السوريين أنطون سعادة قبل أن يشنق اسم الإله البابلي القديم وجعله أمير شعرائهم وكان قد خرج من بلاده هاربًا منذ سنوات وعاش في لبنان وباريس وهيئت له كل الأسباب التي تجعله في مركز الصدارة، أسندت إليه رئاسة تحرير مجلة شعر ثم مجلة مواقف.

وقد حمل أدونيس كل مفاهيم أنطون سعادة في كراهية العروبة والإسلام واحتقار الواقع المعاصر، والدعوة إلى تغييره وإحياء تراث الفينيقية القديم باعتبار فينيقيا هي الفردوس المفقود عند القوميين السوريين.

❑ يقول رجاء النقاش: «وقد أدرك الاستعمار قيمة هذه الفكرة فوقف وراءها وساندها فهي في حقيقتها جزء من الثورة المضادة للعروبة؛ لأنها تحاول أن تثير الشك في سلامة الفكرة العربية والإسلامية».

«والاستعمار هو راعي الفكرة ومغذيها إلى أبعد مدى، يريد أن يستفيد منها في خلق جيل مشبع بوهم الروح الفينيقية كاره للوحدة العربية. كل هذا انتهى بأدونيس إلى كره العرب والعروبة كراهة عميقة، لذلك فهو يتبنى كل ما يوحي بابتعاده عن العروبة وسخطه عليها، بالإضافة إلى غنائه النائح حول فينيقيا وإلى تسمية نفسه باسم أدونيس كرمز من الرموز التي يدعو القوميون السوريون إلى إحيائها، بالإضافة إلى هذا كله فقد سمى نفسه في قصيدة أخرى: مهيار الدمشقي. ويشبه أدونيس نفسه بمهيار على اعتبار أن مهيار لا ينتمي إلى العرب؛ لأنه من أصل فارسي، وبذلك يتبرأ أدونيس من عروبته ويعلن أنه مثل مهيار من أصل غير عربي، مهيار الدمشقي فينيقي وهو يقول: المصريون فراعنة والسوريون فينيقيون، ويقول رجاء النقاش: لقد أصبح

واضحًا بعد مرور أكثر من ربع قرن أن قيادات حزب القوميين السوريين كانت متصلة من ناحية التمويل والتوجيه بالسلطات الاستعمارية الأجنبية. وكان الهدف من قيام الحزب أن يكون عنصرًا من العناصر المساعدة على تمزيق الأمة العربية وإعاقة أي تطور مادي أو فكري لها، وهكذا نجد الإجابة على السؤال الحائر: لماذا يعملون على زحزحة الناس عن القيم الأصيلة وينقلون الناس من مفاهيمهم التي صنعها الإسلام أربعة عشر قرنًا؟!.

وما يقال عن أدونيس، يقال عن بدر شاكر السياب الذي كان مضطرب المواقف الفكرية السياسية بين الوطنية المحلية والشيوعية، وبين الارتباط بالقوميين ثم بجماعة مجلة شعر، والقوميين السوريين، يقول رجاء النقاش: «وكان الذين يهاجمون السياب يرون فيه منافقًا عريقًا وانتهازيًا كبيرًا، وكانوا يعتبرونه باحثًا عن مصالحه لا عن مبادئه، وما يقال عن السياب يقال عن البياتي»[1].

* رائد الحداثة أدونيس وأقواله العفنة:

أدونيس رائد الحداثة الذي وُضع في واجهة الأدب الحداثي، وصارت له شهرة داوية في المحافل الأدبية والفكرية على صعيد العالم العربي، ودوائر الاستشراق الأوروبي وبخاصة الفرنسي. تصدى له في الستينات عبر مجلة الرسالة في إصدارها الثاني عدد من الأدباء والشعراء، منهم الدكتور عبده بدوي، والدكتور أحمد كمال زكي، والأستاذ عباس خضر، والدكتور عبدالكريم الخطيب ـ يرحمهم الله ـ وغيرهم من الكتاب في تلك الفترة الذين رأوا في «حركة الرفض» التي يقودها أدونيس ـ كما كانت تُسمَّى الحداثة آنئذ خطرًا على العروبة والإسلام والشعر أيضًا.

---

(١) المصدر السابق (ص١٦٣ ـ ١٦٥).

ومن تصدي له وفضح زوره ودجله الدكتور حلمي القاعود في كتابه «الحداثة العربية المصطلح ـ المفهوم».

* الدكتور حلمي القاعود يرد دجل الكذّاب الأشر أدونيس:

❑ يقول الدكتور حلمي محمد القاعود مبينًا حقيقة أفكار أدونيس وأقواله:

«لا حاجة لي إلى استدعاء شعر أدونيس وتقديم النماذج التي تحمل رموزًا وأفكارًا تعبّر وتُشير إلى طبيعة حداثته ومنهجه.. لأني سأكتفي بقراءة عابرة لمجلته «مواقف» التي أصدرها في بيروت أواخر عام ١٩٦٨ عقب هزيمة ١٩٦٧، ففيها من فكره الواضح وسلوكه الصريح ما يكفينا عناء تفسير شعره أو تأويله.. إنها «المانيفستو» الحقيقي الذي يعبّر عن الرجل ومنهج الحداثة في أرضيته الفكرية وطلائه الأدبي.. وأقول أيضًا لا حاجة بي إلى ترديد ما قيل عن الرجل ونشأته وتكوينه الثقافي وانتماءاته الطائفية وولائه لمن رعوه علميًا وأدبيًا، فهذه أيضًا قد تدخل في سياق التأويل الذي يثير من الجدل أكثر مما يثير من الاتفاق.. إننا سنقرأ ما كتبه (أدونيس) في مجلته «مواقف» مذيلاً بتوقيعه وبخط يده.

في أول عدد من «مواقف» يفتتحه (أدونيس) بمقدمة قصيرة، منها:

«نلتقي في «مواقف»، كوكبة من أصدقاء، تحتضن أصواتنا وأصوات الخلاقين جميعًا. تُقاسمنا، لكي تنمو وتستمر، خبزنا اليوميّ. إنها تعبير عنا، وجزء منا، وتكملة لنا. إنها لذلك، حقيقة ورمز: تفجر جيل عربي اختبر ما في الحياة العربية من تصدّع وخلل، وقرّر أن يبحث من جديد، وأن يكتشف ويبني من جديد».

إلى هنا يبدو كلام (أدونيس) مقبولاً؛ لأنه يتحدث عن موقف ويرصد

حالة، ويعبّر عن غاية، ولكنه بعدئذ يبدأ في كشف أوراقه تدريجيًا، حين يتكلم عن التدمير والرفض: «هكذا تطمح «مواقف» إلى أن تكون استباقًا، كل استباق إبداع الإبداع: هجوم ما نرفضه وإقامة ما نريده، الحضارة إبداع: ليست استخدام الأدوات بقدر ما هي ابتكار الأدوات، كذلك الثقافة: ليست استعمال اللغة بقدر ما هي تجديد اللغة وخلقها المستمران».

ثم يستمر في حديثه الذي يكشف عن غايته الرافضة المدمّرة: «المعرفة، إذن، هجوم، هي ما لم نعرفه بعد، وليست الحرية، إذن، حقّ التحرك ضمن المعلوم المقنَّن وحسب؛ إنها، إلى ذلك وقبله، حق البحث والخلق والرفض والتجاوز؛ إنها ممارسة ما لم نمارسه بعد: تلك هي مواقف».

* **هالة القداسة!**

ويكشف عن الجذر الحقيقي لمنهجه الهادف إلى نسف الثوابت نسفًا كاملاً؛ فيصف «مواقف» قائلاً:

«إنها مناخ للمجابهة. إنها فعل المجابهة، تزول في هذا الفعل هالة القداسة. لن تكون هناك موضوعات مقدسة لا يجوز بحثها. لن تكون هناك حقائق ينبغي إخفاؤها أو تجاهلها أو التغاضي عنها. هذا الفعل يتخطّى كلّ تكريس، كلّ نهائية، كل سلطوية، إنه النقد الدائم، وإعادة النظر الدائمة. إنه الطوفان المتلاحق الذي يغسل ويضيء كل شيء».

[«مواقف»، العدد الأول، تشرين الثاني ١٩٦٨].

* **يزيل اللبس!**

□ وإذا كانت افتتاحيات (أدونيس) التالية لأعداد مواقف تدور في إطار الرفض وعدم القبول للثوابت والمقدسات من خلال أسلوب أقرب إلى المراوغة، وإثارة الالتباس فإنه في العدد السادس يزيل اللبس، ويصرّح برؤيته

وغايته، ويؤكد مرجعيته الشيوعية الخالصة، يقول:

«ما نطمح إليه ونعمل له كثوريين عرب هو تأسيس عصر عربي جديد. نعرف أن تأسيس عصر جديد يفترض، بادئ بدء، الانفصال كليًّا عن الماضي.

نعرف كذلك أن نقطة البداية في هذا الانفصال ـ التأسيس ـ هي النقد: نقد الموروث ونقد ما هو سائد شائع، لا يقتصر دور النقد هنا على كشف أو تعرية ما يحول دون تأسيس العصر الجديد، وإنما يتجاوز إلى إزالته تمامًا.

إن ماضينا عالم من الضياع في مختلف الأشكال الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية؛ إنه مملكة من الوهم والغيب تتطاول وتستمر. وهي مملكة لا تمنع الإنسان العربي من أن يجد نفسه وحسب، وإنما تمنعه كذلك من أن يصنعها».

* **الدين.. الجوهر!**

كتب ماركس يقول سنة ١٨٤٣: «إن مهمتنا هي أن نعرّي العالم القديم تعرية تامة، وأن نعطي للعالم الجديد معنى إيجابيًّا (في رسالته إلى صديقه روجيه). ويتابع في الرسالة نفسها:

«نريد أن نجدّد العالم الجديد بنقد العالم القديم... إننا نعلم علم اليقين ما يجب علينا أن نحققه في الحاضر وهو: نقد النظام القائم كله نقدًا لا هوادة فيه.. نقدًا لا يخشى نتائجه ولا صراعه مع القوى القائمة».

□ ولما كانت بنية الثقافة والحياة العربيتين السائدتين تقوم في جوهرها، بالدين، فإننا نفهم أبعاد ماركس من أن (نقد الدين شرط لكل نقد) «مشاركة في نقد فلسفة الحق عند هيغل، الآثار الكاملة، مجلدًا، ٨٣)، وإذا فهمنا بالتالي أن النقد عند ماركس ليس عقليًّا تجريديًّا، بل عملي..، نستطيع أن

نقول: إن النقد الثوري للموروثات العربية شروط لكل عمل ثوري عربي».

[«مواقف»، العدد ٦، ١٩٦٩، الافتتاحية].

وواضح من هذا الاقتباس الذي طال بعض الشيء أن الحداثة في وعي (أدونيس) ومن سار على نهجه من أهل الحداثة المعاصرين، ترتبط بالموقف من الدين، أو قل بنفي الدين من واقع الأمة وتصوّرها، مهما كانت نتائج هذا النفي. ولنتذكّر أن الدين هنا يُقصد به الإسلام وحده؛ لأن الأمة العربية لا تملك إلا دينًا رئيسيًّا تؤمن به الأغلبية الساحقة التي تمثل ٩٥٪ من أبنائها تقريبًا، ولا يقصد به النصرانية أو اليهودية؛ لأن (أدونيس) في مجلته «مواقف» قد تعاطف مع النصرانية وحدها دون الإسلام، ولم يهاجم اليهودية أبدًا، وأتاح لعدد من النصارى ورجال الدين المسيحي أن يعبروا بكل حرية - بل يبشِّروا بمعنى أدق - بعقيدة التثليث أو النصرانية المنحرفة (انظر مثلاً مقالة: الثورة بين ديانة الأب وديانة الابن، مواقف، العدد ٣، ص١٤٩)، المقصود إذًا هو الإسلام وليس غيره!

* الانفصال كليًّا:

إن نفي الدين، أو إسقاطه من معادلة الوجود العربي - إن صحّ التعبير - تبدو الهدف الأوحد للحداثة العربية المعاصرة، ويستتبع ذلك إسقاط كل ما يتعلق بالإسلام من مقومات حضارية ولغوية وتصوريّة، وهو ما عبّر عنه (أدونيس) - بالانفصال كليًّا عن الماضي - بكل ما يرمز إليه هذا الماضي من معتقدات وأفكار وإنجازات وإخفاقات. وبالطبع فإن هذا الماضي العربي الذي صنعه الإسلام يمثل العقبة الكئود التي لا يكفي الانفصال عنها، بل لا بد من إزالتها تمامًا؛ لأنها تحول دون تأسيس العصر الجديد كما يرى (أدونيس).

وإذا عرفنا أن هذا الكلام قد قيل عقب هزيمة ١٩٦٧ التي أكّدت وجود

الدولة اليهودية على أرض فلسطين المقدسة، بكل ما ترمز إليه هذه الدولة من بعثٍ للماضي (لا الانفصال عنه)، واستدعاءٍ له لغة وتصورًا وآثارًا (ليس إزالته تمامًا)، وتأسيس عصر يهودي جديد، أدركنا مدى المفارقة التي تريدنا أن نزيل ماضينا بينما يُوجد غيرنا ماضيه!

* مملكة الوهم والغيب:

إن أدونيس، لا يتورّع عن وصف ماضينا بالضياع في مختلف المجالات أو ما يسميه (الأشكال) ويبدأها بالشكل (الديني) أي الإسلامي، ولا ندري ما المقصود بالضياع تمامًا؟ ولكنه حين يصف ماضينا بمملكة الوهم والغيب التي تتطاول وتستمر، ندري جيدًا أنه يرفض الإسلام جملة وتفصيلاً، ويلقي عليه تبعة أن يجد (العربي) نفسه، أو يصنعها!

إلى هذا الحدّ وصلت أفكار الحداثة عند (أدونيس) بحيث صار إلغاء الماضي، وإلقاء تبعة الحاضر عليه مدخلاً ضروريًا لتأسيس العصر الجديد الذي يريده. إنه عصر بلا إسلام، ولم يقل لنا: لماذا يرفض الماضي، ولماذا عدّه (مملكة من الوهم والغيب تتطاول وتستمر)؟!

إنه مقتنع تمامًا أن (الحداثة) لا بد أن تزيل الإسلام دون تقديم أسباب منطقية أو جوهرية، ومرجعه في ذلك ما يقوله (لينين)، و(هيغل).. أي إن مرجعيته العقدية والفكرية هي (الماركسية) كما يراها صنّاعها وعشّاقها.. ولما كانت (الماركسية) نقدًا لما هو سائد وهدم له، فلا بد أن ننقد ـ كما يريد أدونيس ـ ما هو سائد عندنا ونهدمه لنبني (العالم الجديد) على أنقاض العالم القديم الذي يقوم في جوهره ـ ثقافةً وحياةً ـ على الدين؛ ولذا يستشهد (أدونيس) بمقولة ماركس: (نقد الدين شرط لكل نقد) وهذا النقد أساس بناء العصر الجديد.. أي العصر الماركسي!.

* استيعاب الدّرس!

ولا ريب أن هزيمة الماركسية في بلادها مع انهيار الإمبراطورية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وأوروبة الشرقية والتوابع الإفريقية والآسيوية واللاتينية، ثم التنديد بقادة ومفكري الماركسية وحلّ الأحزاب الشيوعية في العالم أو تغيير أسمائها، قد كشفت زيف (الحداثة) العربية التي هي الماركسية أو الشيوعية كما قدمها (أدونيس).

وإذا كان العالم كله قد استوعب درس سقوط الماركسية، فإن (الحداثيين) أو الماركسيين العرب هم الاستثناء الذي لم يستوعب الدرس حتى الآن، وظل على ولائه (للحداثة)، ليس من أجل الفقراء أو الكادحين، ولكن من أجل إزالة (مملكة الوهم والغيب) التي يقصدون بها الإسلام!

* نسق الدين!

ولما كان (أدونيس) عرّاب (الحداثة) في بلادنا العربية صريحًا في أطروحاته، واضحًا في مقولاته بنفي (الإسلام) وحده، فإنه كان صادقًا مع نفسه حين طبّق تصوّره الحداثي على دراساته الأدبية والنقدية، وكذلك إنتاجه الأدبي.

لقد نشر (أدونيس) في مجلته «مواقف» موضوعات عديدة تتعرض بالنقد للدين والوحي من منظورات مختلفة تحمل عناوين من قبيل: هل للدين منطقه الخاص؟ ـ الثورة والوحي ـ هل الدين قابل للنقد الفلسفي؟ ـ معنى موت اللَّه عند نيتشه ـ التناقض في الوحي الإلهي.. إلخ، مما يعني أن الرجل يجعل هدف (الحداثة) الأول هو نسف الدين، أو إزالته تمامًا وفق تعبيره!؛ لأن هذه الموضوعات تصبّ في بحر هذا الهدف، ولجّته العنيفة.

* صورة الإله عند بلند الحيدري السائر على درب عرّاب الحداثة «أدونيس»:

بل إنه ينشر قصائد تخدم هذه الغاية، وتتحدث صراحة عن (الإله) بصورة غير لائقة، بل مقزّزة، ومنها قصيدة (بلند الحيدري) التي عنوانها (لو مرّة نمت معي)، وقد جاء فيها:

« يا سيدي..
لن نوقد الشموع كي تعودْ
لن نغسل الدروب بالدموع كي تعودْ
ولن نحبّ ربك المسلول مثل الجوع.. كي تعودْ
عد مثلما نريدْ
ككل شيءكاذب يضحك ملء دارنا
ككذبة الصباح في تحيّةٍ لجارنا
لأننا نريد أن نعرف في الخطيئة الإنسانْ
لأننا نريد أن نعبد فيك اللّه والشيطانْ»

ثم يقول في مقطع آخر أكثر جرأة:

«لو مرّة عرفت يا إلهي الكسيح
كيف الزنا يصيرْ
كيف تصير ليلة بهولها
كيف أنا أصير
دمّلة في أضلعي
وكيف، كيف، سيدي أصيرْ

بجرحي الصغير
بليلي المصلوب عبر مخدعي
أكبر من صليبك المرميّ خلف الشمس، خلف الريح
أكبر منك يا إلهي الكسيح
عد مرّة كوجهي القبيح
كجسمي القبيح.. إلخ».

[«مواقف»، العدد ٤، أيار - حزيران، ١٩٦٩، ص٧٣].

وإذا كان الشاعر (بلند الحيدري) يتعامل مع لفظ الجلالة بهذه الصورة الجريئة والمقززّة، فإنه كان حريصًا أيضًا على استخدام المصطلحات النصرانية بغزارة مثل: الخطيئة، والصليب، وهو الحرص الذي حافظ عليه كذلك شعراء آخرون نشروا في مواقف مثل: مظفّر النواب، وأدونيس نفسه.

(راجع: العدد السابق ص٨٤، ٨٩، وما بعدهما).

* الظواهر النافرة!

لقد تابع أدونيس في دراساته، بل وترجماته، مسيرته الحداثية التي تقوم على الإزالة الكاملة للماضي.. ولعل أول دراساته ما كتبه حول الشعر العربي عبر عصوره المختلفة (مقدمة للشعر العربي، دار العوة، ط٢، بيروت، ١٩٧٥)، الذي نشره مسلسلاً في مجلة «المجلة» المصرية أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات. لم تعجبه في الشعر العربي إلا الظواهر النافرة والمتمردة، طرفة بن العبد، بشار بن برد، أبو نواس، ابن بابك.. إلخ.. ولم يرض إلا بالنماذج التي خالفت القيم الدينية والفنية.. وتوقف عندما يسمى قصيدة النثر مبشرًا ومباركًا!

لقد توالت دراسات أدونيس وأشعاره، وهي تنبئ عن استمرار منهجه

في الرفض والإزالة، وفي كتابه «الثابت والمتحول» الذي حصل به على درجة الدكتوراه من جامعة القديس يوسف في بيروت؛ خلاصة واضحة لإيمانه الماركسي، وموقفه من أدبائنا الذي تشكّل وفقًا لمدى قربهم أو ابتعادهم عن الدين: أي الإسلام!

* شيوخ ومريدون!

ويمكن القول: إن (أدونيس) استطاع أن يحقق نجاحًا ملحوظًا على مدى عقود ثلاثة، واستطاع مع آخرين، أن يجذب الأتباع والأشياع والدراويش إلى عالم الحداثة الأدبية والفكرية جميعًا، بل إن بعض (الماركسيين) تَخلَّوا عن (الواقعية الاشتراكية) لحساب (الحداثة) الأدونيسية وبوجه خاص في مجال الإنتاج الأدبي؛ بغموضها وسيرياليتها وهذيانها وانخلاعها عن القيم الفنية والتقاليد الأدبية الموروثة، وبصفة عامة فقد صار للحداثة على مستوى (العالم العربي) شيوخ ومريدون يسيطرون على الساحة الأدبية، ويملكون مفاتيح الشهرة والتعتيم، ويا ويل من تحدثه نفسه بالوقوف في وجه الحداثة بالمنطق والعلم والحجة!!ا. هـ[1] .

ولكن المستقبل كل المستقبل للإسلام وسيذهب أدونيس ومن معه إلى مزابل التاريخ.

لا تُهيئ كفني يا عاذلي فأنا لي مع الفجر مواثيق وعهدُ

* وقفة أخيرة مع أدونيس وكتابه «مقدمة في الشعر العربي»:

يتحدث أدونيس عن أبي نواس في جمل عائمة هائمة، ضائعة المعالم والمعاني، كلمات تفوح برائحة الخمرة، وتدور دوار الثمل، وتترنّح ترنح

---

(١) «الحداثة العربية.. المصطلح ـ المفهوم» للدكتور حلمي محمد القاعود (ص٣٨٢٥) ـ دار الاعتصام.

السكران، وتشتط في أكثر من سبيل معوّجة تائهة ويرى في سلوك أبي نواس ثورة وتجديداً وحداثة، يقول عن أبي نواس إنه بودلير العرب»(١) .

«فما بال كاتبنا مغرم بتشبيه شعرائنا بالساقطين في ديار الغرب.. ولو بُعِث أبو نواس وسمع هذا التشبيه وعرف من هو «بودلير» لقذف الكلام في وجه صاحبه ولتاب وأناب»(٢) .

❑ يقول الكاتب عن أبي نواس وهو يمجد سقوطه في الخمر: «شعر أبي نواس مصابيح.. لذلك لا يخاف العقاب بل يفعل ما يؤدي فعله إلى العقاب»(٣) .

❑ ويقول: «أبو نواس شاعر الخطيئة لأنه شاعر الحرية»(٤) .

❑ ويتحدث عن قتل ديك الجن لزوجه، وندم ديك الجن نفسه على جريمته، ولكن أدونيس لا يحب له أن يندم أو يبكي.. إن الكاتب يريد أن يجعل أقبح جريمة في حياة الإنسان.. جريمة القتل الظالم.. القتل المجنون حرية ممجّدة. إنه يقول:

«هذه الخطيئة الممجّدة تنقلب عند ديك الجن إلى جريمة ممجدة وضرورية كتوكيد أعلى ومطلق للحرية والشرف، جوهر الشخص الإنساني»(٥) .

وهكذا تصبح أحطّ الجرائم وأبشعها مجداً وحرية وشرفًا عند كاتبنا.. أي شرف هذا الذي تنعم الوحوش والذئاب في حرية دامية مظلمة مفزعة.

---

(١) «مقدمة في الشعر العربي» لأدونيس (ص٤٧).
(٢) «الحداثة في منظور إيماني» للدكتور عدنان النحوي (ص٢٧) ـ دار النحوي.
(٣) «مقدمة في الشعر العربي» (ص٤٩).
(٤) المصدر السابق (ص٥٢).
(٥) المصدر السابق (ص٥٢).

أي شرف هذا الذي تنعم الوحوش والذئاب في حرية دامية مظلمة مفزعة.

□ ويسفّ الكاتب غاية الإسفاف وهو يقول عن أبي نواس أنه «يواجه اللَّه» «هكذا أبو نواس فصل الشعر عن الأخلاق والدين. إنه الإنسان الذي لا يواجه اللَّه بدين الجماعة، وإنما يواجهه بدينه هو»(١).

وهكذا تسفّ التعابير، وتسف المعاني، وتسف الغاية.

□ ويحارب اللغة ويشتد في حربه وفي خدره وفي غيبوبته فيقول: «إن تحرير اللغة من مقاييس نظامها البراني، والاستسلام لمدها الجواني، يتضمنان الاستسلام بلا حدود إلى العالم»(٢).

إنه تحطيم كامل للغة، وإلغاء لقواعدها كلها: نحوها وصرفها وبلاغتها وبيانها.. فيقول: «وهذا يؤدي إلى القضاء على علم المعاني»(٣).

*** أدونيس شيطان من شياطين الإنس:**

أدونيس شيطان من شياطين الإنس السكارى الغاوين الأفّاكين يمضي في عالم التيه والسراب والظلمات والوادي السحيق ينتقل بعد ذلك إلى أخطر جريمة، وأسوأ كلمة، وأقبح تصور، وأوقح تعبير، ينتقل بشكل واضح سافر ليهدم العقيدة والإيمان بهجوم سافر مباشر.. إنه يقول:

«اللَّه في التصور الإسلامي التقليدي نقطة ثابتة متعالية، منفصلة عن الإنسان. التصوف ذوّب ثبات الألوهية، جعل حركة النفس في أغوارها، أزال الحاجز بينه وبين الإنسان.. وبهذا المعنى قتله (أي اللَّه)، وأعطى الإنسان طاقاته. المتصوف يحيا في سكر يسكر بدوره العالم، وهذا السكر نابع من

---

(١) المصدر السابق (ص٥٣).

(٢) المصدر السابق (ص١٣٨).

(٣) المصدر السابق (ص١٣٨).

قدرته الكامنة على أن يكون هو واللّه واحدًا. صارت المعجزة تتحرك بين يديه»[١].

✍ وهكذا يسف أدونيس ويهوي في واد سحيق، يهوي في وحول، ويسقط في رجس. ونستحي أن نعيد ألفاظه فهي أقبح من كل تعليق، يقول الدكتور عدنان النحوي:

«هذا كاتب واحد من كُتّاب الحداثة. فما بالك بغيره من الكتاب، وإني أُؤمن أن استعراض كتاباتهم جميعها ضرورية حتى نعرف الخط الذي يُرسم، والحرب التي تُشَنّ. ولكن مثل هذه الدراسة أوسع من مجال هذا الكتاب، ولقد تحدث الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة في محاضرته القيّمة في مؤسسة الملك فيصل الخيرية في ١٧/٦/١٤٠٦هـ عن الحداثة، ولقد كان عنوان المحاضرة «الحداثة والتراث» استعرض في مقدمتها أهمية هذا الموضوع وخطورته، وكان من جملة ما قاله:

«والحقيقة هي أن الحداثة أخطر من ذلك بكثير، فهي اتجاه فكري أشد خطورة من الليبرالية والعلمانية والماركسية وكل ما عرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدّامة؛ ذلك أنها تتضمّن كل هذه المذاهب والاتجاهات، وهي لا تخصّ مجالات الإبداع الفني أو النقد الأدبي ولكنها تعمّ الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على السواء»[٢] اهـ.

❑ يقول الدكتور عدنان النحوي:

«كتبتُ قصيدة في (أدونيس) على أثر إعلانه في جريدة الشرق الأوسط أنه يبحث عن مهندس يصمم له قبره. قلتُ القصيدةَ لأُبين له ثلاث نقاط:

---

(١) المرجع السابق (ص١٣١).
(٢) «الحداثة في منظور إيماني» (ص٤٠).

ـ إذا مات على كفره المعلن الصريح هلك، وكان من أهل النار.

ـ وما أدراه كيف يموت وأين يموت؟

ـ وأخيرًا أدعوه إلى الإسلام عسى اللَّه أن يغفر له إذا أسلم. وبعثت بالقصيدة إلى مجلة إسلامية معروفة، عسى أن تبلّغه هذه الرسالة وتبلغه دعوتي له إلى الإسلام عن طريق نشر هذه القصيدة.

وكنت أرى أن القصيدة قوية فنيًا ومعنى، بعد أن سمعها عدد من الأصحاب والأدباء وأثنوا عليها. وبعد فترة ليست بالقصيرة وجدت أن المجلة لم تنشرها.

فاتصلت هاتفيًا برئيس التحرير المسلم، أو الداعية المسلم، فماذا أجاب؟

قال: «القصيدة شديدة عليه». قلت له: الذي تحدّى اللَّه وسبّه وسبّ رسوله ﷺ وأنكر الإيمان وحارب الإسلام، ولم يُبال بالعالم الإسلامي كله، وتحدّاهم جميعًا، أفأنت ترى القصيدة شديدة عليه؟! وقلت: مع ضعفنا هذا حُقَّ لأدونيس وغيره أن يستخفّوا بالمسلمين ويتحدوهم»[1].

الشعرُ بابان باب من أبالسةٍ	يوحون بالشعر آثامًا وأوزارا
وزخرفًا لم تزل ترضاه أفئدة	تلقى به النار أو تلقى به العارا
وشاعر من هدى الرحمن خفقته	معنى ولفظًا وأشواقًا وإيثارا
يطوف في الكون يلقى من عجائبه	آيًا تفتّح للألباب أسفارا[2]

---

(١) «الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة وخطره» للدكتور عدنان النحوي (ص١١٦) ـ دار النحوي.

(٢) من قصيدة «لآلئ الشعر أوزان وقافية» للدكتور عدنان النحوي من المصدر السابق (ص٥٥).

* نزار قباني.. الزنديق شاعر الإباحية:

إلى الأمة الغافلة النائمة نرسم بالصدق حقيقة هذا الزنديق الذي تباكى عليه المرتزقة الفرحون بقتل كل فضيلة وعفة ونشر كل رذيلة وخسيسة، وهمّهم الوحيد خفض دين اللَّه بكل وسيلة والصد عن سبيله ويأبى اللَّه إلا أن يتم نوره.

إلى أصحاب الأقلام الداعرة المستأجرين على حطام من الدنيا قليل، وهم عند ربهم من المجرمين الفاجرين، الذين سال مدادهم حزنًا على شهيد الشعراء!!، وشاعر الأمة العربية، وشاعر المرأة نزار.

أين أنتم من جراح أمتنا؟ أين أدبكم وشعركم لماذا لم يتغنّ على أطلال الأندلس المسلوبة؟ وعلى جبال كشمير المغصوبة؟ وعلى أشجار الفلبين الخضراء؟! وتلال أرتريا وبورما وسهولها؟ وأرض البوسنة وجراحها؟! أين كتاباتكم أيها الأدباء والكُتَّاب عن أرض الملاحم وأرض الأنبياء، أرض الإسراء التي ترزح تحت أيدي أحفاد القردة والخنازير يهود الغدر والخيانة؟ أين مداد أقلامكم؟ ما لي أراها قد جَفّت وأقلامكم قد تكسَّرت، عن كشف ما حلّ في أمتنا من منكرات وبدع في الدين قُدِّمت على دين اللَّه تعالى وشرعه، وانقاد إليها الناس أفواجًا إثر أفواج، وأسرابًا تتبعها أسراب!!!»(١).

سنفضحكم ونفضح نزاركم الذي تولّى كبره.. نزار وما أدراك ما نزار التكبر على الخالق.. نزار الاستهزاء بكل فضيلة وعفّة وبؤرة كل فساد وعفونة.. نزار الزندقة والإلحاد، ووجه الحداثة الكالح، ومستنقع الوثنية الآسن(٢).

---

(١) «السيف البتار في نحر الشيطان نزار» لممدوح السهلي الحربي ص(٨٥) ـ دار المآثر بالمدينة.

(٢) مثله مثل عبداللَّه العروي المغربي، ومحمد الجابري المغربي، وعبدالعزيز المقالح وعبدالوهاب البياتي، وغيرهم وغيرهم.

خنزير طبع في خليقة ناطق مستوف بالكذب والبهتان

. أيها الجبناء قولوا للناس ما تعلمون من شعر نزار.. قولوا لمن كان عنده مثقال ذرة من إيمان.. ماذا تقول في نزار القائل:

«من أين يأتي الشعر يا قرطاجة..

واللَّه مات وعادت الأنصاب»[1] .

❑ والقائل:

(ماذا تشعرين الآن؟ هل ضيّعت إيمانك مثلي، بجميع الآلهة)[2] .

❑ والقائل: «بلادي ترفض الحُبّا

بلادي تقتلُ الرب الذي أهدى لها الخصبا

بلادي لم يزرها الرب منذ اغتالت الرّبا[3] .

❑ ويقول في «دفاتر فلسطينية» (ص١١٩):

«حين رأيت اللَّه.. في عمّان مذبوحًا

على أيدي رجال البادية».

❑ ويقول في مجموعة «لا» في «خطاب شخصي إلى شهر حزيران» (ص١٢٤):

«أطلق على الماضي الرصاص

كن المسدس والجريمة..

من بعد موت اللَّه، مشنوقًا على باب المدينة

لم تبق للصلوات قيمة

(١) «الأعمال الشعرية الكاملة» لنزار (٣/ ٦٣٧).

(٢) «الأعمال الكاملة» لنزار (٢/ ٣٣٨).

(٣) «يوميات امرأة لا مبالية» لنزار (ص٦٢٠).

لم يبق للإيمان أو للكفر قيمة».

❑ ويقول في مدح الكفر:

«يا طعم الثلج وطعم النار
ونكهة كفري ويقيني»[١].

❑ ويقول:

«أريد البحث عن وطن..
جديد غير مسكون
ورب لا يطاردني
وأرض لا تعاديني»[٢].

❑ ويقول هذا الزنديق:

(لأنني أحبك، يحدث شيء غير عادي، في تقاليد السماء، يصبح الملائكة أحراراً في ممارسة الحب، ويتزوَّج اللَّه حبيبته في السماء)[٢].

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾.

❑ ويقول هذا الملحد:

«إله في معابدنا نصلّيه ونبتهلُ
يغازلنا وحين يجوع يأكلنا
إله لا نقاومه يعذبنا ونحتمل
إله ما له عمر إله اسمه الرجل»[٣].

❑ ويقول: (اللَّه يفتش في خارطة الجنة عن لبنان)[٤].

---

(١) «الأعمال الشعرية الكاملة» (٢/ ٣٩).
(٢) «يوميات امرأة لا مبالية» (ص٥٩٧).
(٣) «الأعمال الشعرية الكاملة» (٢/ ٤٤٢).
(٤) المصدر السابق (١/ ٦٣١).

❑ ويقول: «القلب الإنساني قمقم رماه اللَّه على شاطئ هذه الأرض، وأعتقد أن اللَّه نفسه لا يعرف محتوى هذا القمقم، ولا جنسية العفاريت التي ستنطلق منه، والشعر واحد من هذه العفاريت»(١) .

❑ ويقول: «كل كلمة شعرية تتحوّل في النهاية إلى طقس من طقوس العبادة والكشف والتجلي . .

كل شيء يتحول إلى ديانة

حتى يصير الجنس دينا . .

والغريب أنني أنظر دائمًا إلى شعري الجنسي بعين كاهن، وأفترش وجه حبيبتي كما يفترش المؤمن سجادة صلاة، أشعر كلما سافرت في جسد حبيبتي أني أشف وأتطهر وأدخل مملكة الخير والحق والوضوء.

وماذا يكون الشعر الصوفي سوى محاولة لإعطاء اللَّه مدلولاً جنسيًّا؟»(٢) .

❑ ويقول: «يكون اللَّه سعيدًا في حجرته القمرية».

❑ ويقول: (حين وزّع اللَّه النساء على الرجال

وأعطاني إياك

شعرت أنه انحاز بصورة مكشوفة إليّ

وخالف كل الكتب السماوية التي ألّفها

فأعطاني النبيذ وأعطاهم الحنطة

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٢٣).
(٢) «أسئلة الشعر» لمنير العكش في مقابلة له مع نزار (ص١٩٥).
(٣) المصدر السابق (ص١٩٦).
(٤) «مجموعة الأعمال الشعرية» (٢/ ١٨٨).

حين عرّفني اللّه عليك ذهب إلى بيته
فاللّه كما قالوا لي لا يستلم إلا رسائل الحب[١] .

- ويقول: (عمر حزني، مثل عمر اللّه، أو عمر البحور)[٢] .

- ويقول: (فلا تسافري مرة أخرى
لأن اللّه منذ رحلت دخل في نوبة بكاء عصبية
وأضرب عن الطعام)[٣] .

- ويقول: (لا اللّه يأتينا ولا موزع البريد
منذ سنة العشرين حتى سنة السبعين)[٤] .

- ويقول: (ولماذا نكتب الشعر وقد نسى اللّه الكلام العربي)[٥] .

- ويقول: (حين يصير الدمع في مدينة..
أكبر من مساحة الأجفان
يسقط كل شيء
الشمس والنجوم والجبال والوديان..
والليل والنهار والشطآن
واللّه والإنسان)[٦] .

- ويقول: (لا تخجلي مني فهذي فرصتي

---

(١) «الأعمال الشعرية» (٢/ ٤٠٢).
(٢) «الأعمال الشعرية الكاملة» (١/ ٧٧٥).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٦٢).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٦٤٨).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٦٤٨).
(٦) «الأعمال السياسية» لنزار (٣/ ١٠٥).

لأكون ربًّا أو أكون رسولاً)[١] .

□ويقول: (وشجّعت نهديك.. فاستكبرا على اللَّه.. حتى فلم يسجدا)[٢] .

□ويقول: (في شكل وجهك أقرأ شكل الإله الجميل)[٣] .

□ويقول عن فم حبيبته:

وكيف فكّرت بهذا الفم..

كم سنة ضيّعت في نحته

قل لي: ألم تتعب..؟ ألم تسأم؟»[٤] .

□ويقول: (وطن بدون نوافذ..

هربت شوارعه.. مآذنه.. كنائسه..

وفرّ اللَّه مذعورًا..

وفّر جميع الأنبياء)[٥] .

□وإلهه هواه فيقول:

(هو الهوى.. هو الهوى

الملك القدوس والآخرين القادر)[٦] .

* * *

(١)«المجموعة الكاملة» (٢/ ٧٦١).

(٢)ديوان «قالت لي السمراء» لنزار (ص٤٥).

(٣)نفس المصدر (ص٥٥).

(٤)نفس المصدر ـ قصيدة «فم» (ص١٠٧).

(٥)قصيدة «هل تسمعين صهيل أحزاني» (ص١٨٨).

(٦)القصيدة السابقة (ص٦٣).

❑ويقول:

(شكرًا من الأعماق..

يا من جئت من كتب العبادة والصلاة)[١].

❑ويقول: (يا إلهي: إن كنت ربًّا حقيقيًّا.. فدعنا عاشقينا)[٢].

❑ويقول: «شكرًا لحبك.. فهو مروحة.. وغمامة وردية..

وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياء)[٣].

❑ويقول: (وكتبت شعرًا.. لا يشابه سحره..

إلا كلام اللَّه في التوراة)[٤].

❑ويقول: (أنا أرفض الإحسان من يدي خالقي)[٥].

❑ويقول: (قد كان ثغرك مرة ربي، فأصبح خادمي[٦].

❑ويقول: (مارست ألف عبادة وعبادةٍ

فوجدت أفضلها عبادة ذاتي)[٧].

❑(أين غرور اللَّه من غروري)[٨].

* * *

(١) «أشعار خارجة على القانون» (ص٢٥).
(٢) المصدر السابق (ص٦٥).
(٣) المصدر السابق (ص٢٧).
(٤) ديوانه «الرسم بالكلمات» (ص١٤).
(٥) المصدر السابق (ص٩٤).
(٦) المصدر السابق ص(١٣٥).
(٧) المصدر السابق (ص١٧).
(٨) «خطاب من حبيبتي» لنزار (ص٤٢٦).

* نزار قباني.. الزنديق شاعر الإباحية:

أسهبنا القول فيما مضى في ذكر كفرياته وزندقته من خلال الأعمال الكاملة له، يقول الأستاذ أنور الجندي:

«أما شعر نزار قباني الذي أوسعت له الصحافة العربية الصفحات فيكفيني في التعريف به ما كتبه محمد سالم غيث في كتابه «الحب والجنس في شعر نزار قباني» يقول: لقد خلع نزار ثياب الرجل كثيرًا ولبس ثياب المرأة وتقمص شخصيتها وتحدث بلسانها فهل صحيح أنه يفعل ذلك «دفاعًا عن المرأة التي حكم عليها هذا الشرق الغبي بالإعدام حتى يقدم كتاب يوميات امرأة لا مبالية إلى طالبات الجامعة الأمريكية ويقول: إنه كتابكن، كتاب كل امرأة حكم عليها هذا الشرق الغبي الجاهل بالإعدام، ونفذ حكمه فيها قبل أن تفتح فمها؛ ولأن هذا الشرق غبي وجاهل ومعقد يضطر رجل مثلي أن يلبس ثياب امرأة ويستعير كحلها وأساورها ليكتب عنها. أليس من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية».

□ ما سر نيابته عن المرأة في الحديث عن الإحساسات التي لا يحاسب المجتمع عليها المرأة إذا هي كتبتها. لماذا لم يكتب هذه المعاني بصوت الرجل، وإحساساته، ما سر تدخل الشاعر في أشياء لا تشعر بها إلا امرأة. إننا نرى أن شاعرنا من الفئة التي تعرف إحساسات المرأة وطبائعها لاتفاقه معها في الطبع والشعور. إن إسراف نزار في استخدام الأسلوب النسائي ليصرخ نيابة عن المرأة: هل عبر عن المرأة الشرقية؟ نقول: لا».

وتكشف الدراسات كثيرًا من جوانب حياة نزار قباني، وأبرزها أنه لم يجب أبدًا على السؤال الذي وجه إليه: لماذا فصل من السلك السياسي السوري؟ وقد تحداه أن يجيب عن ذلك كثيرون في الصحف علنًا. يقول

صالح جودت: «لو عرفتم الجواب لأدركتم لماذا هرب نزار قباني من سوريا ولماذا تلبنن» لا رحم اللَّه نزار، لقد مات كسوري، ومات كعربي ومات كشاعر ومات كإنسان».

❑ ومن الأحاديث التي أجريت معه أجاب هذه الإجابات التي تكشف خبيئته:

«لو كنت حاكمًا لألغيت مؤسسة الزواج وختمت أبوابها بالشمع الأحمر».

«العري أكثر حشمة من التستر».

«مع حبيبتي لا أخرج من الغرفة ومع زوجتي لا أدخل الغرفة أساسًا».

❑ هذه هي المفاهيم التي يقدمها نزار قباني في شعره الذي تحتفل به الصحافة العربية، ولعل من أبرز سيئات نزار قباني قصيدته «أفتح صندوق أبي»:

تلك التي أعلن فيها الرفض لكل ما هو عربي وإسلامي، وقد سمى سيف الدولة «مغرورًا» وهو الذي قضى حياته مجاهدًا في سبيل اللَّه حتى جمع من غبار ثيابه في معاركه مع الروم ما جعل منه وسادة أوصى بوضعها تحت خده بعد موته»[1].

* صلاح عبدالصبور ينصبه الكاهن الأكبر لويس عوض أميرًا للشعراء!!

من شعراء الرفض «صلاح عبدالصبور» الذي تبناه لويس عوض وحمل لواء الكلمات المسيحية في الشعر الحديث.

ويُعنى صلاح عبدالصبور بتطويع مفاهيم الفلسفات المادية والمفاهيم

---

(١) «الصحافة والأقلام المسمومة» لأنور الجندي (ص١٦٧ ـ ١٦٨).

الباطنية التي يرددها أمثال الحلاج وغيره ليقدمها مرة أخرى في أسلوب فني جديد، وهو يشير في ذكرياته أنه كان على اتصال بالدين في أول عمره ثم مرق مروقًا شديدًا بعد أن التقي بالفيلسوف الهدام الذي مات مصروعًا، نيتشه، وقد تأثر بمفاهيمه المضللة.

وهو يشير إلى تجربته الإيمانية بعد الخروج عنها فيقول: «لم تمنحني هذه التجربة السكينة بل لعلها زادت قلقي. إن يكن ذلك عطاء من اللَّه فلم لا يعطيه لي دون جهد وقد عشت في بلبالها عامًا كاملاً، ويقول: ربما كانت قراءة بسائط الدارونية تلخيص سلامة موسى وقراءة نيتشه في صيحته المرعبة (إن اللَّه قد مات) هي التي دفعتني إلى الطرف الآخر من الموضوع وأصبحت أتزين بالأفكار وأجمع القرائن عليه من كل الفلسفات والأفكار كما يجمع المدعي أدلة الاتهام» هذا الاعتراف ولا حول ولا قوة إلا باللَّه يكشف عن فساد تجربة صلاح عبدالصبور أساسًا وأنها كانت شيطانية ولم تكن ربانية، ذلك لأن من يتجه إلى اللَّه تبارك وتعالى فإن اللَّه يهديه إلى طريقه، أما فكرة نيتشه فإنها فاسدة ولو أنه قرأ ما كتبه المسيحيون الغربيون أنفسهم عنه لصحح له مفاهيمه، وأما مفاهيم دارون فهي باطلة ولو أنه قرأ كتاب الدكتور موريس بوكاي برغبة الوصول إلى الحقيقة لانتفع به.

❑ يقول: «ساعدتني الفلسفة المادية التي كنت قد اقتربت منها اقترابًا كبيرًا وخاصة بعد تخرجي من الجامعة عام ١٩٥١ على أن أجد في الأفكار لونًا من الموقف الفكري الموحد التماسك وأن ديواني (الناس في بلادي) معبر عن هذا الإحساس».

والواقع أن كتابات الشكوك والانحراف التي قدمها صلاح عبدالصبور وأنيس منصور قد كشفت عن فساد الخط الثقافي الذي نشأ فيه جيل كامل وكان طه حسين وسلامة موسى على رأس الدعوة إليه.

والواقع أن شعراء الرفض قد تتلمذوا على الملاحدة والإباحيين من شعراء الغرب وكتابه أمثال هايدجرد وسارتر وكامي وشعرهم يقوم على رفض القيم والإغراق في اليأس والتحلل والتمزق النفسي.

☐ وحين يشتد بهم الانحراف يصل الواحد منهم إلى حالة التشبع بالأفكار وهو ما يسمى «الطبع» على القلب فقد طبع اللَّه على قلوبهم فهم لا يهتدون»[١].

* سعيد عقل ودعوته إلى الحروف اللاتينية وكرهه العميق للحرف العربي:

أفسحت الصحافة المجال الكبير «لدعوة سعيد عقل إلى الحروف اللاتينية فقد ابتكر سعيد عقل واحدًا وثلاثين حرفًا وبها أنشأ ديوانه الشعري «يارا» يقول: إن الحرف العربي ليس إلا مؤسسة من مؤسسات الإنسان العربي وأنا أهاجم الحرف العربي ولا أهاجم الإنسان العربي، ويدعي أن الحروف اللاتينية قادرة على إلغاء الأمية.

ودعوى سعيد عقل باطلة أصلاً، ولكن الصحافة العربية لم تفسح المجال لمن ينقضها»[٢].

☐ إن دعوة سعيد عقل إلى خلق لغة جديدة يسميها اللغة اللبنانية لإحلالها محل العربية تعتمد على عنصرين:

اللهجة العامية مكتوبة بالحرف اللاتيني بدلاً من العربية، وقد تفضّل فقدّم رموزها وشيئًا من نماذجها التي كان قد وصفها عدد من المستشرقين والمبشرين لغايات علمية ومآرب سياسية معروفة.

---

(١) المصدر السابق (١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) المصدر السابق (ص١٧٩).

وقد أصدر أول كتاب لبناني بالحرف اللاتيني عام ١٩٦١ باسم «ياره ـ شعر» وهذا الكتاب مطبوع بأحرف الأبجدية اللاتينية مضافًا إليها سبعة رموز جديدة وأحد عشر حرفًا لاتينيًّا زيد عليها إشارات خاصة حتى تؤدي أصواتًا مكان الحرفين اللذين يؤديان في اللهجة اللاتينية صوتًا واحدًا.

ويتابع سعيد عقل الدعوة المضطردة التي حمل لواءها: ميشال الفعالي وجبور عبدالنور وأنيس فريحة.

وتجري هذه الدعوة في نطاق عزل لبنان عن الأمة العربية ـ وإحياء الإقليمية وضمن المخطط التبشيري الاستشراقي المرسوم الذي سار فيه كثيرون من قبل مستهدفة قطع الماضي عن الحاضر وتحطيم الوحدة اللغوية في الأمة العربية.

وقد لخص سعيد عقل دعوته في عبارات موجزة حين قال: «علينا أن نترك لغة الكتب لنأخذ لغة الحياة، وعلينا أن نترك فرع الهجاء الفينيقي بالحرف العربي، ونعتمد فرعًا آخر منه كاللاتيني أو ما أشبه لا تعوزه تلك الحروف. إن بقينا على لغة الكتب نكون قد استنكفنا عن مجاراة الناموس العام: الأخذ بما هو شاب وترك ما قد شاخ».

وقد ردّ عليه الدكتور عمر فروخ فأفحمه.

* الشعر الحر والقراءة التوراتية والتراث الصليبي:

«إن أخطر الظواهر التي نراها في الشعر الحر وخاصة في كتابات:

صلاح عبدالصبور، معين بسيسو، بدر شاكر السياب، نزار قباني. هي ظاهرة مشتركة مستمدة من القراءات التوراتية والفكر الوثني والتلمودي والتراث المسيحي حتى أن لويس عوض احتفل بها واحتفل خاصة بكتابات صلاح عبدالصبور وأطلق عليه من أجلها لقب أمير الشعراء في هذا العصر. بعد أن قال: أن صلاح عبدالصبور يقرأ الإنجيل بحماسة وأنه داخل دائرة

الخلاص المسيحية. وأنت حين تقرأ كتابات صلاح عبدالصبور تجده يكتب ما يشبه فكرة الصلب التي ينكرها الإسلام.

ومن هذا قصيدة حكاية قديمة: «الذين أسلموه للجنود لقاء حفنة من النقود» إلخ ومنهم من يتعمد نظم أبيات شبيهة بنشيد الأنشاد:

المجـــد للذين بالرغيف يقنعون   المجد للذين في العذاب يبسمون

نجد هذا في بكائيات هؤلاء، ونجد عند نزار قباني عبارات «مصلوبة الشفتين» و«الصليب الذهبي» ونجد عند عبدالوهاب البياتي «صليب الألم» والظاهرة التي لا يشك فيها أحد أن أغلب قصائد الشعر الحر هي التي تحتضن هذا الاتجاه.

وهذا الاتجاه يعني التبعية لتيار لبناني مسيحي منحرف عن الفكر الإسلامي ومعاداة للقصيدة العمودية وللتراث العربي.

ووراء هذا يوسف الخال ولويس عوض وأدونيس»[١].

* سعيد عقل:

❑ قال الأستاذ أنور الجندي في كتابه «مقدمات العلوم والمناهج» (٤/ ٥٧٥ ـ ٥٧٧):

«عملان خطيران قام عليهما سعيد عقل في سبيل بناء الواجهة الشعوبية هما:

١ ـ الدعوة إلى العامية اللبنانية المكتوبة بالحروف اللاتينية.

٢ ـ الشعر الحر وهدم عامود الشعر.

وكلا الدعوتين تهدفان إلى هدم البيان القرآني العربي؛ وعزل أساليب

---

(١) المصدر السابق (ص١٧٣).

الكتابة والأداء عن بلاغة القرآن؛ والقضاء على الفصحى التي صمدت في وجه الغزو والتي توحد بين العرب سياسيًّا واجتماعيًّا وبين العرب والمسلمين ثقافيًّا وعقائديًّا؛ ويجري سعيد عقل في هذا مع مخططات الشعوبية التغريبية التي تهدف إلى قطع الحاضر العربي عن الماضي الإسلامي، وتحطم الوحدة اللغوية في الأقطار العربية، ومن أهداف سعيد عقل والمخطط الذي يعمل له: عزل لبنان عن العروبة، وإقامة فينيقية لبنانية مستقلة عن الوجه العربي وقد أصدر أول كتاب باللهجة اللبنانية بالحرف اللاتيني سنة ١٩٦١ أسماه (ياره ـ شعر) هذا الكتاب مطبوع بأحرف الأبجدية اللاتينية؛ مضافًا إليه سبعة رموز جديدة وأحد عشر حرفًا لاتينيًّا زيدت عليها إشارات خاصة حتى تؤدي أصواتًا مكان الحرفين اللذين يؤديان في اللهجة اللاتينية صوتًا واحدًا. والدعوة إلى (اللهجة العامية مكتوبة بالحروف اللاتينية) دعوة قديمة وقد وضع رموزها وشيئًا من نماذجها مستشرقون كثيرون، لغايات علمية أو مآرب سياسية. وفي لبنان مؤسسة تستهدف تحقيق أهداف الشعوبية يحمل لواءها أنيس فريحة وسعيد عقل. ووجه الخلاف بينهما أن كلاًّ منهما يريد إحلال لهجة قريته رأس المتن أنيس فريحة، وزحلة سعيد عقل.

🕮 ويقول الدكتور عمر فروخ: إن من يقرأ شعر سعيد عقل باللغة الفصحى والحرف العربي يجده أحاجي وألغازًا، فما قولك ونحن نقرأ شعره العامي بالحرف اللاتيني، إن غير اللبناني لن يقرأ هذا الكتاب، إذ ليس في مكنته ولو كان يعرف الأحرف اللاتينية الخمسة والعشرون، ثم حفظ الرموز العشرين التي زادها سعيد عقل على الأبجدية اللاتينية؛ أن يصل إلى تلك الرموز المطموسة، إن الكتاب موضوع بلهجة لا تهز حماسة اللبناني العامي ولا تدخل على قلوبهم متعة؛ فالمتعة الأدبية كالمتعة الفنية جو اجتماعي قبل أن تكون حروفًا ورموزًا.

إنني أدرك أن جهات خاصة ستصفق لصدور هذا الكتاب لا على أنه إنتاج أدبي جديد، بل على أنه محاولة من المحاولات التي يحيونها في ميدان النشاط الذي يقومون به، إن الدعوة إلى اللغة العامية بالحرف اللاتيني جاءت أولاً من الخارج؛ وسيمر هذا الكتاب أمام عيون أناس لا يرون فيه أكثر من محاولة لا تذهب إلى أبعد من الكتاب الذي وضعت فيه؛ ولكن هذا الكتاب امتحان قاس لأنصار العامية ولأنصار الأدب العالمي، لقد جاءوا بمزحة فطبعوها بالحبر الأسود على ورق نفيس.

ويقول حليم كنعان: يريد سعيد عقل أن يتحدث اللبنانيون بالعامية اللبنانية؛ كأن الفصحى ليست لغة لبنانية عريقة الأمجاد، وفي لبنان وفي كل مكان احتله لبناني فيه ترعرعت وفيه كانت منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. منه انتشرت أو بالأحرى ثبتت دعائمها وركائزها من أطراف فارس إلى أطراف غاليًا، مرورًا بشمال أفريقيا والأندلس، إن (السعقلية) يريد التخلي عن دروب الفصحى المبلطة والسير في المتعرجات العامية المسدودة؛ أي عامية، في كل متعرج عامية لبنانية بل في كل مسرب من المتعرجات لهجة عامية مختلفة عنها في المسرب الآخر؛ هذه عامية كسروانية وعامية زحلية بقاعية وعامية جنوبية، أي عامية تنتقي، إن عاميتنا اليوم اقتربت من درب الفصحى المبلط، يصح هنا القول على لبنان وعلى سورية كما يصح على كل بلد تثقفت نسبة عالية من سكانه. إن العاميات في العالم ليست وَقْفًا على البلاد الغربية، ففي كل بلد عامية: عاميات إنجلترا وفرنسا وألمانيا، غير أن عاميات هذه البلدان لا تجرؤ على البروز ليس لأنها تختبئ أمام وهج الفصحى بل لأن نور العلم فيها مقدم على حلك الجهل، وليست هذه العاميات سوى أغراض مرضية تحركها بعض الأيدي الخفية لغاية ما في نفس يعقوب وكم من غايات يعقوب؛ ثم من قال إن اللغة هي ملك صرف غير منازع للأدباء أو الشعراء. ولماذا إذًا لا

نتكلم الفصحى: إن اللحن دخيل على العربية وليس كهيًا فيها أصيلاً، غير أن العربية دون أي شك كانت لغة المنطقة التي عرفت باسم فينيقيا عند نهاية الألف الأول قبل الميلاد، ولنا على ذلك الشواهد ولم يبق من عربية فينيقيا سوى صلة القربى بينها وبين عربية الصحراء عندما وصلت الدفعة العربية الكبيرة، ولم يبق لنا من عربية فينيقيا شيء قبل الألف الأول للميلاد لأسباب نجهلها، غير أنه بإمكاننا الإثبات أن ما قبل الفينيقية كانت العربية لغة اللبنانيين أصل الفينيقيين، وبالجملة فإن الفينيقية لهجة عربية منقرضة». ولقد كانت لدعوة سعيد عقل صدى في كل واجهات الشعوبية، فقد اهتم بها كمال الملاخ في الأهرام «فكتب عنه وعن دعوته صفحة كاملة (١٣/ ٤/ ١٩٧٤) الأبجدية الجديدة اللاتينية: الشكل، العربية، المنطلق، قال: ويحاول سعيد عقل أن يضع نفسه في صورة (ديكتاتور) القومية اللبنانية تشبهًا بأتاتورك الذي عزل تركيا عن ماضيها عبر استخدام الحرف اللاتيني مؤكدًا الانفصال نهائيًا، وسعيد عقل لا يقبل أن يُسَمَّى لبنان بالعربي وهو في قصائده يستعمل لغة شعرية حديثة تختلف اختلافًا كاملاً على كل تركيب شعري سابق»اهـ.

*** ومن شعراء الحداثة الزنادقة من شعراء المراحيض والشبق الجنسي والتطاول على الذات الإلهية: حسن طلب صاحب «آية جيم»:**

شعراء الهالوك وشعرهم لون من الباطنية أشُد نكْرًا من الباطنية القديمة، وكتاباتهم زندقة مظلمة، سقيمة في لغتها. يقول حداثي عنهم: «إنهم نسفوا أدونيس».. ما ظنك بحثالات من البشر تفوّقوا على شيطانهم وعرّاب حداثتهم.

قال (شكري عياد) عن أحدهم: إنه شاعر زخرفي ولاجدوى من قراءته، وكل ما يفعله مجرد ألاعيب لفظية كان يفعلها من قبل شعراء العصر

المملوكي، وليست الكتابه بالحروف والتشكيل بها دليلاً على عبقرية الشاعر، ويشير عياد بذلك إلى ديوان حسن طلب الذي صدر مؤخرًا بعنوان «آية جيم» والذي يعتمد على حرف الجيم في مفرداته ومعانيه[١].

والاعتماد على حرف من حروف المعجم هو تقليعة «مملوكية» بعثها «الهالوك» مرة أخرى، وزعموا «حداثيتها» حيث كان الشعراء في أواخر العصر المملوكي يأخذون من أحد الحروف، أو أكثر من حرف، وسيلة في نظمهم للتدليل على قدرتهم اللغوية، والعروضية، وقدرتهم أيضًا في مجال القافية، وأبرز الأمثلة على ذلك ما عرف بالبديعيات والألغاز والتواريخ، وقد ازدهرت جميعًا في العصر العثماني، وجاءالهالوك، ليخدعوا الناس بقدرتهم على التجديد والإتيان بما لم تأت به الأوائل، وما دروا أنهم قدموا «تقليعة» رديئة كانت مظهرًا من مظاهر الضعف والخواء في العصرين المملوكي والعثماني.

صاحب «آية جيم» لم يقدم فيها أكثر من نظم لمعاني «حرف الجيم» الموجودة في المعاجم، وهو نظم بارد وركيك، يدل على أن صاحبه يهزأ بالعقول والأفئدة، فضلاً عن جراءته على المفهوم القرآني لمعنى كلمة «آية» حيث اتخذ منها عنوانًا لمنظومته الرديئة فضلاً عن ادعائه وافترائه بأن القرآن قد ظلم حرف الجيم بعدم استخدام ألفاظ تعتمد عليه.. ترى ماذا في هذا النص من قيم شعرية عالية؟ يقول:

«جيمٌ جمزتْ أم جيمٌ بَجمَتْ؟
جيمٌ من يأجوج ومأجوجَ تَجُخٌّ وتجأر
جيمٌ كالجلوْاز الأعْجَرْ

---

(١) انظر جريدة «الرياض» (٢٧/ ٥/ ١٩٩٢).

وجُهَاداها: إجهاض الجيم المسجونة
بين الجامع والمتجرْ
أم جيم تتهجَّى وتجاهِرُ:
جيمٌ تتفجَّرْ؟!».

☐ ترى بماذا نخرج من هذا الكلام؟ وما هي القيم الجمالية التي يمثِّلها ويؤديها؟! ثم لنقرأ قوله:

«جيم حجناء وجيم جبَّاء وجيم بجراء وجيم عجراء وجيم جيميه.
من جعل الجيم مفاجأةً وأهازيج جزافيه؟»(١).
هل زاد المذكور على رص معاني الجيم المعجمية؟
هل أضاف جديداً بتساؤله عن الجيم المفاجأة والأهازيج الجزافية؟
ألا يذكِّرنا ذلك بمن كان يقول: الأرض أرضٌ والسماء سماء..؟

☐ وإليك مقطعًا آخر يقول فيه صاحب الجيم العجراء:

«الجيم الجعرانية جابهت الجيم السنجانيه
فانبعجت جيم الأيديولوجيه
وتوجست الجيم الجيماء
فما جدوى جيمين هما جيم الشجب
أو الجيم الجلاتينيه؟»(٢).

* * *

(١) حسن طلب، مجلة «إبداع»، عدد ١٢، ديسمبر ١٩٩١، (ص٥١)، والمنشور في «إبداع» جزء مما نشر بالديوان.

(٢) انظر «آية جيم» لحسن طلب ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢، و«الورد والهالوك شعراء السبعينات في مصر» لحلمي القاعود (ص١٩٨ ـ ٢٠٠) ـ دار الاعتصام.

* الهيئة المصرية للكتاب تطبع قرآن مسيلمة الكذّاب:

تحت هذا العنوان كتب الشيخ صفوت الشوادفي - رحمه اللَّه - في مجلة أنصار السنة المحمدية:

«في هذه السنة ظهرت كتب وأقلام كثيرة تحارب الإسلام وتنال منه في بلده، ولكن العجيب والغريب أن يظهر كتاب يضاهي القرآن، يقسمه مؤلفه إلى سور ويسميه: «آية جيم»!!!.

والأعجب والأغرب أن تقوم الهيئة المصرية للكتاب التابعة لوزارة الثقافة بطبعه ونشره.

ومؤلف الكتاب يستعيذ بالشعب بدلاً من اللَّه، فيقول: «أعوذ بالشعب من السلطان الغشيم، باسم الجيم».

ولا ندري من هو السلطان الغشيم الذي يقصده.

ثم يقسم الكتاب إلى خمس سور، وكل سورة لها اسم يختص بها وكل السور تتحدث عن حرف الجيم إلا السورة الخامسة ففيها قرآن الشيطان أو قرآن مسيلمة الكذاب، فهو بعد الاستعاذة بالشعب يقول: «باسم الجيم، والجنة والجحيم، ومجتمع النجوم، إنكم ستفجأون، كم وددتم لو ترجأون، إلى يوم لاجيم ولا جيوم، فإذا جد الهجوم، فأجهشت الجسوم، فسجرت الجيم، ومن أدراك ما الجيم، فإذا مزجنا الأجيام مزجًا، ثم مخجنا جُرْجَهُنَّ مخجًا، ثم مججناهن مجًا، قل يا أيها المجرمون إنكم يؤمئذ لفي وجوم، تستنجدون فلا تُنجدون، وقل يا أيها الراجون، إنكم يومئذ الناجون، جاءتكم الجيم بما كنتم تستعجلون، ما لكم كيف لا تبتهجون، ولآية الجيم لا تسجدون. وبإعجازها لا تلهجون».

إلى أن قال في نهاية السورة: «الجيم جل جلالها.. صدق الحرف الرجيم».

□ ومع هذا فليس العجب في طبع هذا الكتاب، بل العجب الذي لا ينقضي أن تطبع وزارة الثقافة هذا الكتاب ضمن كتب الهيئة في الوقت الذي يتفق فيه الجميع على وجوب الدعوة إلى استقرار المجتمع.

□ ومن المسئول عن علامة الاستفهام التي كتب قبلها: كيف يطبع مثل هذا الكتاب في دولة مسلمة يعلن فيها أننا لسنا ضد الشريعة، ولماذا يظهر الكتاب في هذا الوقت بالذات ومن الذي وراء مخطط الإثارة والتخريب في هذا البلد؟؟ أليس هذا الكتاب وغيره من مطبوعات الهيئة يحقق أحد أهداف الصهيونية العالمية الذي ينص على ضرورة إثارة الحكومة ضد الشعب، وإثارة الشعب ضد الحكومة؟!!

□ وهل تغلغلت الماسونية العالمية إلى هذا الحد الذي تسيطر فيه على وزارة الثقافة المصرية وتوجه مسيرتها داخل الهيئة وخارج الهيئة، وإذا لم يكن هذا تطرف فماذا يكون التطرف؟!!

□ وآخر سؤال: من المسئول عن حماية الشباب المسلم من هذه الأخطار الفكرية التي تؤدي به إلى عواقب لا يخفى على أحد خطرها؟ إن الاستقرار الذي ننشده لهذا البلد له طريق واحد يعرفه من يعرف جواب الأسئلة السابقة ويجهله من يجهلها!!.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه»[1].

□ شعراء الهالوك:

لقد نسفوا القصيدة العربية نسفًا، وعمل عرّاب الحداثة أحمد عبدالمعطي حجازي جاهدًا لتسويق كتاباتهم الرديئة في أوسع الصحف انتشارًا. «ويلعب

---

(١) «مصابيح أضاءت لنا الطريق» لصفوت الشوادفي.

شعراء الهالوك على وتر «اللغة الدينية» لتشويه كل ما هو مرتبط بالإسلام. والسخرية منه، ومزجه بلغة «الشبق الجنسي» التي تسيطر على كثير من مفرداتهم وتركيباتهم.

وفي البداية، فإننا نستشعر موقفًا عدائيًّا من «الانتماء الإسلامي» يتمثّل في صورتين:

الأولى: تتمثل في المصادر التي ينتمون إليها على المستوى العقدي، فهم كما رأينا متأثرون بمجموعة شعراء مجلة «شعر» اللبنانية (أدونيس، أنسي الحاج، توفيق صايغ)، وهؤلاء عمليًّا، معادون للفكرة الإسلامية، مناهضون لها، وقد ظهر التأثير واضحًا في المصطلح الديني الذي يستخدمونه (المسيح المصلوب، النبي المصلوب، الراهب، الكاتدارئية) في الوقت الذي يكثرون فيه من الحديث عن الحركات السّريّة والباطنية في الإسلام (وهي حركات معادية بالضرورة)، وفضلاً عن ذلك فإن اسم الرسول الكريم (محمد) ﷺ، لم يرد أصلاً في كتابتهم. أما لفظ الجلالة، فقد جاء في مجال غير لائق، سواء عبروا عنه بلفظ الإله أو اللّه، ثم جاءت بعض الرموز الإسلامية لديهم في صورة ساخرة أو شائهة، كما سنرى بعد قليل إن شاء اللّه.

ثانيًا: سعيهم لتدمير النموذج اللغوي القرآني كما يسمونه، واحتفاؤهم بالنموذج التوراتي وقد مر بنا قول أحدهم عندما تحدث عن الخروج على النسق الثقافي الشامل، وقال: «إن تغيير النسق يحتاج إلى عمل على مستويات عدّة، كتجديد النحو، وخلق مفردات مغايرة، والخروج على النموذج اللغوي القرآني، إذا حدث هذا، يصبح ممكنًا الخروج على نسق الخليل..»[1].

---

(١) أحمد طه ـ مجلة الكرمل (ع٤/ ١٩٨٤ ص٣٠٣) ـ قبرص.

كما خصص أحدهم ما سماه قصيدة مأخوذة عن سفر الجامعة، بعنوان «الجامعة» استوحي فيها سيرة النبي (سليمان) عليه السلام[١] .

ولعل قراءة بعض النماذج القليلة تغني عن قراءة الكثير من غثاء الهالوك، وبخاصة في مجال التناول للذات الإلهية، دون أن نرتب على ذلك حكمًا شرعيًّا[٢] ، كما قد يتبادر إلى أذهان البعض، دون أن يستدعي ذلك اتهامنا بتكفير أحد أو تبرئته، سنقرأ النماذج، وعلى القارئ أن يتخذ ما يراه..

☐ يقول **الزنديق أحمد زرزور** في مقطع من نص بعنوان «تدخلات في شئون القلب»:

«تخلصوا من بيعكم
يأيها الملوثو أروقة الهياكل،
واستشعروا شيئًا من النخيل يلقى رُطَبًا جنيًّا،
فاللَّه لا يماطل
إلا الذين يوجعون القلب بالصدى المفرّغ المخاتل»[٣] .

ومع سخف البناء والتصوير، وإظلام المعنى، فإن وصف الذات الإلهية بالمماطلة، نوع من التطاول الذي لا يقره أحد. حتى غير المؤمنين باللَّه ـ والذين لا يدينون بالإسلام ـ لا يقبلون إقحام الذات الإلهية في هذا الهذيان المحموم. إن لفظ الجلالة (اللَّه) يخصّ بالضرورة الدين الإسلامي، لماذا الإصرار على النيل منه، ولماذا التركيز على جرح المشاعر الإسلامية؟.

(١) محمد سليمان ـ مجلة الكرمل (ع٤/ ٣٤٤).
(٢) ولم لا يترتب عليها حكم، والسخرية والتطاول على الذات الإلهية كفر أكبرمُخرج من الملة؟!
(٣) أحمد زرزور ـ مجلة الكرمل (ع٤/ ٣١٤).

❑ ويقول صاحب النص في مقطع آخر منه، متخذًا من لفظة العرش التي هي من خصائص الذات الإلهية في المفهوم الإسلامي علامة على هلاكها، مع الإلحاح على مفردات قرآنية وعقدية توحي بالسخرية والتهكم:

«لك الذي ما ليس لكْ
لك الفصول أينعتْ
لك السماء.. انفطرتْ،
والأغنيات انفرطتْ
فخذ عصاك وابتعْد،
يا من بعرشه هلكْ»(١) .

❑ وعلى فرض أنه يخاطب كيانًا آخر، فهل يجوز لصاحبنا أن يضعه في دائرة الألوهية والملك والسماء والانفطار والعرش؟ وهل صارت خصائص الذات الإلهية نهبًا مشاعًا للهالوك يفعلون بها ما يشاءون وفقًا لمفهوم الحرية القاصر عندهم، وكسر المعتاد والثوابت؟.

*** الرفيق أحمد طه قاتله اللَّه من زنديق:**

أما الرفيق الهالوكي الآخر، فيضع نفسه في مقام الذات الإلهية مباشرة، ليسبّح نفسه، ويقدّس نفسه؛ يقول في نصٍّ بعنوان «ثنائية»:

«جيمي جحيم وجيمكمو جنّةٌ
وأنا واحد في الجحيم
أسبّحني.. وأقدّسني.
أستجير بكم: أشعلوا الماءَ في جسدي»(٢) .

(١) المصدر نفسه (ص٣١٥).
(٢) أحمد طه ـ الكرمل ـ العدد ٤/ ١٩٨٤ (ص٣١٦)، وانظر «الورد والهالوك» (ص٣١٩).

وبعيداً عن لعبة الحروف السخيفة المتهافتة في كلام الهالوك، فهل يجوز أن يكون التسبيح والتقديس لغير اللَّه؟ لقد ذكر القرآن الكريم ذكر التسبيح والتقديس للَّه وحده، كما أن الملائكة خُلقت لتسبيحه وتقديسه وحده، فكيف يتأتى لشخص - يفترض أنه مسلم، ويحمل اسمًا إسلاميًّا - أن يضع نفسه بمحاذاة الذات الإلهية؟

* **وزنديق آخر «عبدالمنعم رمضان» قاتله اللَّه:**

ثم ها هو رفيق ثالث يعبث بالذات الإلهية بطريقة لا تحتمل التأويل أو الدفاع عنها يقول:

«سمعت صرخة

عرفت أن اللَّه كان ها هنا

وإنني بإذنه

أنحل كالغمام

إنني بإذنه أسرق بعض الريش»(١) .

يتعامل صاحبنا مع الذات الإلهية كأنه يتعامل مع رفاقه الذين يأتون إليه ويذهبون، ثم يسخر من اللَّه - تعالى اللَّه عما يقول علوًا كبيرًا - حين يجعل من إرادته ومشيئته وإذنه وسيلة لينحلّ صاحبنا كالغمام أو يسرق بعض الريش! ما معنى هذا التطاول الرخيص؟

☐ يشير (حامد أبو أحمد) إلى نص آخر للمذكور يقول فيه: «وهأنذا واقف كالإله المريض» ويعلق قائلاً:

«إن هذا الكلام متهافت ومعنى ملفق، والفرق بين التعبيرين واضح،

---

(١) عبدالمنعم رمضان «دمي صوب كل الجهات» البيان الكويتية، عدد ٢٣٣، أغسطس ١٩٨٥.

والبون بينهما شاسع. فعندما يشبِّه الشاعر نفسه هنا بأنه واقف كالإله المريض، أو واقف كالإله يكون في مجال التعميم. ولعله يشبه نفسه بآلهة الأساطير أو آلهة الوثنية. ولكنه عندما يحدد اللفظ بكلمة اللَّه ندخل من مجال التعميم إلى التخصيص وتصبح المسألة كلها تلفيقًا لا معنى، وخيالاً مريضًا و«عنجهية» كاذبة، خاصة إذا كانت القصيدة في حد ذاتها متهافتة لا قيمة لها»[١].

ويبدو أن الكاتب يحاول أن يلتمس - بالرغم من كل شيء - عذرًا للرفيق الهالوكي، ويحاول أن يفرّق بالتعميم والتخصيص في مسألة إساءة الأدب إلى الذات الإلهية، وأعتقد أن حكاية آلهة اليونان أو آلهة الأساطير، بوصفها مخرجًا لشخص يتعامل مع الذات الإلهية بهذا الأسلوب الرخيص، لا مسوّغ لها، لأن كاتب النص لا تعنيه تلك التبريرات الساذجة من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنني أسأل (حامد أبو أحمد) وهو الأزهري الذي يعرف حدود الحلال والحرام في التوحيد والفقه والتفسير: ما رأيه في الاستهانة بالذات الإلهية على هذا النحو الذي طالعناه في النصوص السابقة؟

لقد حاول (حامد أبو أحمد) أن يتملّق (الهالوك) عندما قال في مقالته: «وإني سمعت بأذني من يتهم الشعراء المحدثين (يعني الهالوك) بالكفر! أي واللَّه بالكفر!! وكأنهم مارقون يريدون هدم الدين والأصول والمعتقدات. وأظن أن القارئ في غنى عن أن أضرب له بعض الأمثلة من هذا القبيل مما ظهر في صحفنا خلال العامين الأخيرين»[٢].

والآن يجوز لنا أن نسأله: ما رأيك الآن؟ ثم إننا نقدم المزيد، عندما نرى صاحبه يصف الإله بأنه ذو عضوين!

---

(١) انظر مقاله، أدب ونقد، العدد ٢٢، (ص١٤٠).
(٢) أدب ونقد، عدد ٢٢، يونيو ١٩٨٦، (ص١٢٦).

«أدخلونا حجرةً بها عبدتان تحتكمان للإله ذي العضوين»[١] .

إنه نوع من الإسفاف الذي لا يحتاج إلى تعليق، وأيضًا لا يحتاج إلى تملّق!

إن هناك نصوصًا أخرى لهذا الزنديق الماجن، تمزج بين الذات الإلهية والشبق الجنسي بصورة أشد وقاحة، وتطاولاً واستهتارًا بالقيم والأخلاق والعقيدة والذوق العام، ولا يمكن أن يأتي نشرها عفويًّا أو اعتباطيًّا في مجلة رسمية تصدرها الدولة، وينفق عليها شعب مسلم له مفاهيمه وتصوّراته التي تنكر هذا الإجرام وتلك الفجاجة، التي توجب أن تكون شرطة المحافظة على الآداب العامة هي الشاهد الأول عليها أمام القضاء. إني أستغفر اللَّه، وليعذرني القارئ إذا نقلت له جزءًا من هذا النصّ القبيح الآثم، الذي يدافع عنه البعض باسم الحرية!

«العاشق: حين نصير عجائز نصبح ممحوّين

العاشقة: ومتزنين

العاشق: سوف يقيم اللَّه بناءً رحبًا

تحت المقبرة البحرية

العاشقة: وينفخ في أجداث الموتَى

ينبعثون رجالاً في صفٍّ

ونساءً في صفين

العاشق: وينادي يا أبناء اللَّه

يجيب الجمعُ: نعم

العاشقة: ينادي يا فتياتِ اللَّه

(١)عبدالمنعم رمضان، الكرمل، عدد ٤/ ١٩٨٤، ٣٣٩.

يجبن: نعم
العاشق: وإذا نادى يا رمضان
يكون الجَمعُ حليفًا للنسيان».

إلى هنا، والمسألة فيما يبدو مجرد ثرثرة بين عاشقين يسخران من أحداث يوم القيامة، وبخاصة البعث والحساب، ويتلاعبان بلفظ الجلالة (اللَّه)، دون مبرّر واضح للسخرية أو الاستهزاء به، وهما في حالة شبق ومطارحة يفصح عنها الكلام الذي يأتي بعدئذ على النحو التالي:

«تكون الأنثى حافيةً
ذكرٌ حاف يومئُ
أن كوني من شئْت
فكيف أظنك قادمةً من تيه
كيف أسمّي هيأتك البرية
أنت امرأةٌ
وأنا رجلٌ
كنت صنعتُك من خمسة أضلاعٍ
ثم اسّاقط عنها العرقُ
ورائحةُ الإبطين
وجوعٌ
فالتحمت
واتكأ عليها كوعُ اللَّه
وأحدث ثقبًا (يقصد الفرج)
يكفي أن يدخله الرجلُ
فتحمل عنه الوحدانيةُ كلَّ شظايا الكونِ

وتجمعها في بطن
يقدرُ لو يتكوّرُ
لو ينسابُ سلالاتٍ
ويفيضُ
كأن الوحدانية آفلةٌ
وكأن اللَّه سيعمل منذ اختفت الأرض جميعًا
تحت رءوس الناسِ
جليسًا للأطفال
إيها
أوهًا
تشبه ما لا نقدر أن نكتبهُ
امرأةٌ لا تنحلُّ فننظر في عرجون عناصرها

❑ ويقول:

«العضو الناشز تحت فضاء البطن جميلٌ
هذا ما سوَّاه الأب اللَّه. . .»[١] .

❑ ونحن لا ندري ماذا نقول الآن، وقد رأينا «اللَّه ـ تعالى اللَّه عما

(١) عبدالمنعم رمضان، مجلة إبداع، الصادرة عن وزارة الثقافة المصرية، هيئة الكتاب، أكتوبر ١٩٩٢، (ص٦٠) وما بعدها. والمفارقة أن اتحاد الكتاب في مصر قد أصدر بعد نشر هذه القصيدة استنكارًا ندد فيه بالقصيدة وقائلها وناشرها، وللأسف فقد جاءت النتيجة على عكس ما يتوقع الناس إذ تم التمكين لهذا الشخص وأمثاله، في أجهزة والإعلام ووزارة الثقافة! وكأن هناك موافقة ضمنية من الجهات الرسمية على ما يقولون! (انظر نص الاستنكار في ملاحق الكتاب).

يقولون ـ سيعمل جليسًا للأطفال» كما يقول الهالوكي، ورأينا له كوعًا يحدث ثقبًا ـ أي فرجًا ـ ويسوّي العضو الناشز الجميل تحت فضاء البطن، ورأينا «الوحدانية» الصفة الإلهية المرتبطة بالعقيدة تأفل وتدخل في متاهة الشبق الجنسي الفجّ الذي يعبِّرُ عن نفسه بجرأة ووقاحة وسوقية غير مسبوقة «إيها.. أوهًا» عند مضاجعة العاشقين؟

والسؤال الساذج البسيط الذي يطرح نفسه هنا: هل يستطيع صاحب هذا الكلام الوقح أن يتلاعب باسم حاكم من الحكام المعاصرين في هذا السياق الجنسي الرخيص؟، وهل يمكن لكل من امتهنوا لفظ الجلالة من الهالوكيين وغيرهم أن يمتهنوا اسم وزير أو مدير في هذا المجال الشبقي الآسن؟ وأسأل الذين يدافعون عنهم، ويتهموننا بأن أجدادنا كانوا أكثر وعيًا وتسامحًا، هل يمكن لكم الدفاع عن الهالوك لو أنهم استخدموا أسماء مسئولين معاصرين في حمأة التعبير عن شبقهم المستعر؟

لقد عُرف الذين جدّفوا في حق الذات الإلهية قديمًا بالزنادقة، وهم، على كل حال، لم يكونوا بهذا الفجور الهالوكي الذي نعايشه الآن، وكان المجتمع المسلم آنئذ يقتصّ منهم بالنبذ أو الرفض أو التعزير الذي يراه الحاكم، أما في أيامنا، فإن الإسلام، دين الأغلبية الساحقة لا يملك حق التعبير عن نفسه؛ لأنه مطاردٌ «ومحاصر» ومتهم، أمام بعض المنتسبين إليه والمتحكمين في مقدّراته، فضلاً عن الدول الصليبية العظمى وأتباعها في العالم العربي!

إن فقه الحرية لدى المثقفين والمبدعين في أبسط معانيه هو الدفاع عن حقوق الشعوب المضطهدة والمستباحة ضد الطغاة والمستبدين، واللصوص الكبار ومصاصي الدماء، وليس من الحرية في شيء أن يقتصر معناها على العبث بالعقيدة والتعبير الفج عن الشبق الجنسي الشاذ، وإذا كان فهم الهالوك للحرية قاصرًا على هذين المجالين، فبئست الحرية وبئس الأحرار.

إن الواضح حتى الآن من كتاباتهم التافهة هو الوقوف في هاتين الدائرتين، الدين والجنس، بالمفهوم المعيب والمرفوض، إنه الابتذال والسفالة والخداع والتسلق والإجرام، باسم الحداثة والحرية والشعر؟

* **الزنديق الحداثي محمد فريد أبو سعدة:**

انظر إلى ما قال بعنوان «باب مكة» كتبه صاحبه عن امرأة تسمى (التكرونية)، والتكارنة أو التكرونيات، نساء سود فقيرات قدمن عبر البحر للاستيطان في الحجاز، ويعتمدن غالبًا علي التسوّل، أو بيع الحبوب للحجاج والمعتمرين ليأكل منها حمام الحرم، أو المتاجرة في بعض الأشياء البسيطة التي يحتاجها العابرون. يعبّر المذكور عن أفكار التكرونية بطريقة يمكن تأويلها، ولكنه كان يستطيع ـ لو أخلص للَّه ـ أن يتفاداها أو يحترز في تصويره لأفكارها بما يتسق مع جلال اللَّه وقدره، ولكنه لم يفعل، بل قال متحدِّثًا عن التكرونية:

«وتهمس في أذنيها الأمواج
هناك بمكة بئر اللَّه
وحجر اللَّه
وأن اللَّه هنالك يجلس وسط ملائكة سوداء
يوزّع بين المقهورين الخبز
ويمسح بالجلباب دموع المنكسرين..»

وبعد تشخيص الذات الإلهية بالجلوس والتوزيع والمسح، ينتقل إلى مقطع آخر يسخر فيه من رمز من الرموز المحسوبة على الإسلام، وهو «المطوّع» الذي يمثل فردًا في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقوم عادة بدور المحتسب المتطوع في الشريعة الإسلامية، ولكنه في المملكة العربية السعودية يأخذ وضعًا رسميًّا يمنحه محاسبة المخالفين للشريعة في الأسواق

والشوارع، ويدعو إلى الصلاة في مواقيتها، ولكن صاحبنا السبعيني يحرص على أن يصوِّرَ «المطوّع» في صورة عكسية تزري به وبانتمائه الديني، من خلال ازدواجية يتناقض فيها الإيمان مع السلوك:

«كان المطوّع
ينشب في السرّة عينيه كخطافين
ويلمس بعصاه مؤخرة المرأة
محشوًّا بطيور هائجة
ويقول: صلاة» (١).

فالمطوع الذي يدعو إلى الصلاة مشغول بهمومه الجنسية كما رأينا في هذا النص الهالوكي.

📖 يقول الدكتور حلمي القاعود:

«ومرة أخرى أسأل (حامد أبو أحمد) ـ وهو الأزهري الدارس للفقه والتوحيد والعقيدة والتفسير ـ ما رأيه فيما يقوله الهالوكي عن كوع اللَّه الذي أحدث ثقبًا، وعن اللَّه الذي سيعمل جليسًا للأطفال؟ وهل يصرّ على أن ما يقوله الهالوكي مجرد تلفيق وتهافت، أم أنه شيء آخر أكبر من ذلك؟.

حبذا لو كنا صرحاء مع العابثين بديننا وأخلاقنا. وأقول «ديننا»؛ لأنهم لا يجرءون أبدًا على المسّ بأية شريعة أخرى، ولا رمز من رموزها حتى لو كان هذا الرمز مجرد (شماس) في كنيسة، أو خادم في كنيسة!

ولا شك أن «اللغة الجنسية» تأخذ مجالاً أوسع ومدى أبعد، فقد صارت جزءًا من معجمهم وخيالاتهم وهذيانهم، ولعلنا لاحظنا في النص السابق الذي مزج فيه صاحبه التجديف في حق الذات الإلهية بالشبق الجنسي وفعل المضاجعة، وهو ما يدلنا على مدى السيطرة الشبقية على أذهان

---

(١) محمد فريد أبو سعدة ـ مجلة الثقافة الجديدة ـ عدد ٤٩، أكتوبر ١٩٩٢ (ص٦٢) وما بعدها وانظر «الورد والهالوك» (ص٢٢٢) وما بعدها.

الهالوك، لدرجة أن يشعر المرء أن هؤلاء القوم لا عمل لهم ولا اهتمام لديهم إلا الجنس والشبق مستبيحين في سبيل ذلك كل مقدس وثابت ولو كان الذات الإلهية!»(١) .

واللَّه ما يكتبه هؤلاء الزنادقة المارقون يعف عنه أبو نواس وبشار بن برد ولو قام شعراء الزندقة قديمًا من قبورهم وسمعوه ربما ماتوا من هول ما يسمعون.. لقد رفعوا برقع الحياء مطلقًا.. إنه تسافل رخيص فاق ما عرفه الناس من كتابات جنسية رخيصة، وهي ليست قاصرة على واحد منهم بل هي قاسم مشترك بينهم جميعًا:

انظر إلى ما يقوله حلمي سالم في مجلة الشعر.. أكتوبر ١٩٩١ (ص٤٨). والمقطع في (ص٥١) في قصيدته «غزال تحت طاغية»(٢) وجرأته الغريبة على القرآن الكريم وتناوله النص القرآني وكلمة «كن» في سياق رخيص يتناول علاقة جنسية بين رجل وامرأة وإلى ما كتبه محمد فريد أبو سعدة في مجلة «الرافعي» ـ مديرية الشباب والرياضة بطنطا ـ العدد ٢٢ يوليو ١٩٩٢ (ص١١)، ومقال السمطي في الشرق الأوسط ١٩٩٢/١١/٨ ونصوص أحمد زرزور، وأحمد طه، وجمال القصاص، وحسن طلب، وعبدالمنعم رمضان وحلمي سالم المنشورة في مجلة الكرمل ع٤/ ١٩٨٤ لتعرف أي لغة شبقية بذيئة لدى شعراء الهالوك الزنادقة(٣) .

□ ولقد كان شعراء الهالوك عونًا للطغاة والديكتاتورية، وعملوا في خدمة الأنظمة المستبدة والدعاية لها، ولعل موقفهم من «صدّام حسين» وحزب البعث أبرز دليل على ذلك، فقد عملوا في صحفه، ونشروا في مؤسساته الثقافية، ونشر أحدهم ديوانًا يتغزل في بطولته. ثم إنهم الآن

---

(١) «الورد والهالوك» لحلمي القاعود (ص٢٢٦).

(٢) انظر «الورد والهالوك» (ص٢٢٨، ٢٢٩).

(٣) انظر إلى نماذج من شعرهم المنحط الشبقي في «الورد والهالوك» (ص٢٢٨ ـ ٢٣٢).

صاروا يتحكّمون في المؤسسة الثقافية المصرية ومجلاّتها وهيئة كتابها وندواتها ومعارضها، ودخلوا مجلسها الأعلى للثقافة، كما صارت لهم سيطرة واضحة على معظم الصفحات الثقافية في الصحف المصرية التي تسيطر عليها الدولة، فأين هو التناقض المزعوم بينهم وبين السلطة؟

إن سيطرتهم على المرافق الثقافية الرسمية الآن، حولتهم إلى مستبدّين من نوع لا يعرف التسامح، فقد حرّموا هذه المرافق على غيرهم من مخالفيهم في الفكر والاتجاه، وبأموال الأمة راحوا ينشرون غثاءهم وبذاءتهم، دون مراعاة لشعور الأمة وأخلاقها وذوقها، وهو ما يؤكد في النهاية أن موقفهم من السلطة موقف انتهازي رخيص لا يليق بمثقف حقيقي، فضلاً عن شاعر أصيل.

ويدخل في هذا الموقف الانتهازي أن أحدهم تقدّم لجائزة الدولة التشجيعية واستطاع بمعونة العرّاب الأكبر الذي يتبنى الهالوك (أحمد عبدالمعطي حجازي) أن يحصل على نصف الجائزة، ولكنه بعد إعلان الفوز راح يلعن الجائزة ويسبّ المؤسسة الثقافية، ويشتم أعضاء اللجنة المحكمة وغيرهم، ثم قَبِل الجائزة بعد أن رُفعت قيمتها!! فهل هذا ينبئ عن أصحاب مبادئ ومواقف؟

إن جيل شعراء الحداثة ـ شعراء الهالوك ـ ينبغي استئصاله لتتفتّح كل الورود والأزهار.

نستغفر اللّه عن إيرادنا النماذج التي تناولت الذات الإلهية بصورة مارقة غير لائقة، وأسرفت في الفحش والبذاءة وإن كان عذرنا أن ذكرناهم وذكرنا شعرهم لنري الناس إلى أي حد بلغ هؤلاء الزنادقة، ولقد ذكر اللّه مقالة الكافرين في قرآنه مما تطاولوا على اللّه وأنبيائه ورسله تحذيراً للناس من السير على دربهم الكفري..

وفي النهاية سينبثق نور الفجر بعد أحلك الظلمات، ويعم نور الوحي والإسلام كل البسيطة.. ونقول لكل مارق ماجن:

لا تُهيئ كفني يا عاذلي فأنا لي مع الفجر مواثيقٌ وعهدُ

* **الدكتور صادق العظم صاحب «نقد الفكر الديني» من كبار المجرمين:**

☐ يقول هذا القزم في كتابه (نقد الفكر الديني):

«إن الملائكة والجن وإبليس كائنات أسطورية، وإن الإسلام نقيض العلم، وإن قصة آدم وحواء في القرآن أسطورة:

يقول: «هل يفترض في المسلم في هذا العصر أن يعتقد بوجود كائنات مثل الجن والملائكة وإبليس، وهاروت وماروت، ويأجوج ومأجوج، وجودًا حقيقيًّا غير مرئي باعتبارها مذكورة كلها في القرآن. أم يحق له أن يعتبرها كائنات أسطورية، مثلها مثل آلهة اليونان وعروس البحر والغول والعنقاء؟ يا حبذا لو عالج الموفقون بين الإسلام والعلم مثل هذه القضايا المحددة وأعطونا رأيهم فيها بصراحة ووضوح بدلاً من الخطابة حول الانسجام الكامل بين العلم والإسلام».

☐ ويقول في كتابه الشيطاني (ص٣٦):

«يشدد القائلون بالتوافق التام بين الإسلام والعلم على أن الإسلام دين خال من الخرافات والأساطير: باعتبار أنه هو والعلم واحد في النهاية. لنمحص هذا الادعاء التوفيقي بشيء من الدقة بإحالته إلى مسألة محددة تمامًا. جاء في القرآن مثلاً: أن اللَّه خلق آدم من طين. ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس: مما دعا اللَّه إلى طرده من الجنة. هل تشكل هذه القصة أسطورة أم لا؟ نريد جوابًا محددًا وحاسمًا من الموفقين وليس خطابة. هل يفترض في المسلم أن يعتقد في النصف الثاني من القرن العشرين

بأن مثل هذه الحادثة وقعت فعلاً في تاريخ الكون؟ إن كانت هذه القصة القرآنية صادقة صدقًا تامًّا وتنطبق على واقع الكون وتاريخه فلا بد من القول: أنها تتناقض تناقضًا صريحًا مع كل معارضنا العلمية ولا مهرب عندئذ من الاستنتاج بأن العلم الحديث على ضلال في هذه القضية. وإن لم تنطبق القصة القرآنية على الواقع فماذا تكون إذن (في نظر الموفقين) إن لم تكن أسطورة جميلة؟»[١].

* وا إسلاماه.. وا إسلاماه:

ولقد نشرت مجلة العلم العربي قصيدة لشاعر ملحد أعلن فيها إلحاده وإباحيته الفاجرة ومبادئة الضاله، فمما جاء في هذه القصيدة:

جاءت تسير بلا درب ولا قدم ... هذي فلسطين يحلى ذكرها نغمي
تسائل القوم هل صلوا وهل عبدوا ... إني كفرت بهم حقداً وبالقيم
وما صلاة لهم تسمو بموكبها ... واللَّه مات مع الأوثان من قدم
إذا ألم بهم ضيم فأرقهم ... توجهوا لانتجاع الغيب والحكم
يلوذ بالغيب من هانت شمائله ... ويركب الهول قلب لاذ بالشيم

❑ ثم يقول هذا القزم قبحه اللَّه:

تكشف الجمع عن صبر ومعذرة ... إني كفرت برب الصبر من حَكَمِ

❑ وهذه إذاعة في بلاد إسلامية (العراق) تعلن على المستمعين:

آمنت بالبعث ربًا لا شريك له ... وبالعروبة دينًا ما له ثان

❑ وقالوا هاتفين:

البعث ديني والعروبة مذهبي

---

(١) «كلهم سلمان رشدي» (ص٢٣ ـ ٢٤).

☐ وتقتحم السلطة الشيطانية كتائب الحاقدين في مدينة حماه عام ١٩٦٤ وهم يرددون هذه الأبيات:

هات سلاح وخذ سلاح ... دين محمد ولى وراح

* **الشيطان اليساري عباس صالح:**

☐ وقال عباس صالح وهو شيطان شيوعي مصري في مجلة الطليعة المصرية (ص١٥٦):

«هذا العصر طابعه الأساسي أنه علماني عقلي وبالتالي لا بد أن تكون منطلقات ثقافتنا علمانية وعقلانية ومن النادر إن لم يكن من المعدوم تمامًا في العالم المتحضر اليوم من يبحث في الثقافة أو ينتجها من زاوية الخرافة والتعميمات والغيبيات وغير ذلك من المنطلقات التي انتهت من عالم اليوم والتي تقدمت الأمم منذ تخلف عنها بصرف النظر عما إذا كانت اشتراكية أو رأسمالية»(١).

* **الشيطان إبراهيم خلاص:**

☐ الضابط إبراهيم خلاص الشيطان الذي نشرت له جريدة «جيش الشعب»(٢) مقال فيه:

«إن اللَّه والأنبياء والكتب المقدسة ليست سوى محنطات يجب أن تأخذ مكانها في متحف المخلفات الأثرية».

* **الكذّاب الأشر المرتد سلمان رشدي صاحب «آيات شيطانية»:**

إن باطل إبليس وأعوانه له جولات ومن جولاته خروج كتاب يحمل

---

(١) «كلهم سلمان رشدي» (ص٢٥ ـ ٢٦).

(٢) نقلاً عن مجلة الدعوة المصرية «مقال» في ٢٦ غرة محرم ١٣٩٧ ـ عمارة نجيب عدد ٧.

اسم «آيات شيطانية» باللغة الإنجليزية، تأليف سلمان رشدي بريطاني الجنسية، مسلم بالولادة من مسلمي الهند، عدد صفحات الكتاب خمسمائة وخمسون ويحتوي هذا الكتاب الشيطاني على هجوم سافر على الإسلام ونبي الإسلام وحتى تكون الصورة واضحة لهذا الكتاب فهذه فقرات من الكتاب الشيطاني:

١ ـ أن الشيطان استطاع أن يلقي على لسان النبي ﷺ بآيات تمتدح الأصنام وتعظم من شأنها.

٢ ـ أن الأصنام تشفع للناس يوم القيامة.

٣ ـ ذم الرسول ﷺ بكلمة (مهوند) ومعناها أي الشرير أو المخادع أو النبي المزيف.

٤ ـ لقّب إبراهيم ﷺ بأنه ابن زانية.

٥ ـ وصف زوجات الرسول ﷺ بأنهن مومسات وأنهن يعملن في بيوت الدعارة ويحملن الحجاب.

٦ ـ شن هجومًا على السيدة عائشة رضي الله عنها وكيف تم زواجها من الرسول الرسول ﷺ.

٧ ـ جعل مكة المكرمة مدينة الجاهلية والأوثان.

٨ ـ وصف جبريل عليه السلام بأنه من المنادين والمؤيدين للواط.

٩ ـ وصف أيضًا جبريل عليه السلام بأن لسانه لا يعرف إلا الشتم واللعان.

١٠ ـ وصف الصحابة رضي الله عنهم بأنهم رجال همجية لا يعرفون إلا الفوضوية.

١١ ـ وصف سلمان الفارسي بأنه مخادع غشاش.

١٢ ـ وصف القرآن الكريم بأنه أسطورة خرافية.

١٣ ـ شكك في نزول الوحي على الرسول ﷺ

١٤ ـ وصف المسلمين بأنهم متوحشين وقاعدتهم الأصلية في الحياة هي تعذيب الآخرين.

إلى آخره من الهذيان والافتراء والكفر الصريح، وقد طبلت وزمرت المحافل الماسونية لهذا الكتاب فأخذت دار النشر البريطانية (لبيفوين) المعروفة. بحقدها وكراهيتها للإسلام فنشرت هذا الكتاب والعجب أنه طبع أربع مرات وبيع منه أكثر من (٨٥) ألف نسخة ولكن المسلمين في غفلة عن أمر دينهم ـ وقد قام أحد الإخوة أصحاب الغيرة في بريطانيا وبعث إلى دار النشر البريطانية (لبيفوين) يحذرهم من طباعة هذا الكتاب والنتائج التي تترتب من طباعته.

وقد أعلن السيد خواتوانت سنغ في دلهي أن دار النشر (لبيفوين) هذه قد طلبت منه قراءة مخطوطة الكتاب «آيات شيطانية» في الصيف الماضي، وأنه بعد اطلاعه عليها ودراستها بإمعان لفت نظر الشركة إلى أن المخطوطة تحتوي على مواضيع تحط من قدر الرسول ﷺ والقرآن الكريم وبالتالي فإنها ستثير موجة من المتاعب ولكنها لم تصغ إليه؛ لأنها كانت قد وضعت نصب عينيها الأرباح الناشئة عن رواج وانتشار هذا الكتاب.

(انظر جريدة الوطن في عددها (٥٠٣٧) ٢٦ فبراير ١٩٨٩).

ولكن هذه الشركة طبعت هذا الكتاب فتفجر الغضب من المسلمين، وقامت المظاهرات وحرقت بعض نسخه في ميادين لندن أمام أنظار المجتمع البريطاني وانهالت البرقيات والاحتجاجات تستنكر هذا الكفر والاستهتار بدين الإسلام. وقد صرح وزير الداخلية البريطاني (دوغلاس هيرو) قائلاً: «إن المسلمين البريطانيين لهم حق الدفاع عن إيمانهم والاحتجاج على كتاب يشتم ويحقر النبي».

وفي باكستان هاجم متظاهرون مركز المعلومات الأمريكية في إسلام أباد وسقط ستة قتلى وأكثر من مائة جريح من المتظاهرين.

وفي الهند قامت مظاهرات وقتل عدة أشخاص وجرح سبعون وقد هدد المسلمون في الخطوط الجوية البريطانية بتفجير طائراتها إذا لم تحاكم بريطانيا سلمان رشدي.

وقام المسلمون في مدينة برادفور البريطانية بتقديم عرائض احتجاج موقعة من آلاف الأشخاص إلى النواب المحليين ووزير الداخلية البريطاني ورئيسة الوزراء مارجريت تاتشر ولكن لم يتسلموا ردًّا إيجابيًا ضد هذا الكتاب(١).

□ وصدق الأخ أحمد يسري حين قال في أبيات صاغها ضد هذا المرتد اللئيم وسماها (سلمان والشيطان)، وهي رد على هذا الشيطان، يقول:

تبت يــداك أبا لــهب ... قتل الكتاب ومن كتب
يــوحــي لك الشـيطان ... بالأفكـار في صـور الأدب
يضــع الكمــامة فــوق ... عينيك يا لسوء المنقلب
ويقــود خطـوك باعوجاج ... كـي تشـاركه اللـهب
قــدح الشــرار بعينه ... ورمــى خيالك بالشهب
طـاف البــلاد فلم يجـد ... إلاك مختــل العصب
لا شــك أنـك عنــده ... في الخــلق أدنى الرتب
ســلمان: لا سـلمت يداك ... ولا سـلمت من العـطب

---

(١) انظر جريدة الأنباء في عددها ٤٧٤٥ بتاريخ ٩ شعبان ١٤٠٩هـ - ١٦ مارس ١٩٨٩م.

وخلعت دينك ضلة ... وخنست ترقب عن كثب
وهجرت أرضك مفلسًا ... تسعى فيلبك الجرب
أيقنت أن محمدًا ... يفدي بأم أو بأب
ورأيت فيه نموذجًا ... للخير في كل الحقب
وإلى ديانة أحمد ... قد كنت يومًا تنتسب
فتمكن الشيطان منك ... من الدماغ إلى الذنب
وتطاول القلم اللعين ... وراح يسكب ما سكب
أتراك تعلو بالسباب ... إذن فإبليس السبب
قد خاض قلبك عصبه ... وعليهم حق وجب
مت كل يوم مرة ... وذق العذاب المرتقب
فكتابك المنشور يبعث ... يوم نشرك بالغضب
ويسوء وجهك لا الصراخ ... يقيك منه ولا النصب
لا تشتري حرسًا هنالك ... أو تساوم بالذهب
فبكل حرف في الكتاب ... عذاب دهر تكتسب
وبقدر ما انتسخوه يسلخ ... جلد وجهك باللهب
ورفيقك الشيطان يرمي ... تحت رجليك بالحطب
يتبرأ الشيطان منك ... ومن عذابك لم تجب
ذق ما جنت كفاك، لا ... تجني من الشوك العنب
سلمان والشيطان ضلا ... واستشاطا في الغضب
تعيس الرفاق ومن يناصرهم ... ويجمل في الطلب

❑ وازداد الغضب من المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي ضد هذا الكتاب الشيطاني. ولكن أعداء الإسلام يسعون في الأرض فسادًا لما رأوا هذا

الغضب الإيماني ضد هذا الكتاب قاموا بترديد النغمة الشيطانية بل هي حرية الفكر والرأي.. ومن هذا المنطلق أصدرت منظمة الكتاب الأمريكية P.E.N. بيانًا أدانت فيه التهديد ودافعت عن حرية التعبير والنشر ووصفت الكتاب بأنه عمل أدبي رائع.

وأرسل كتاب بريطانيون رسالة احتجاج إلى مارجريت تاتشر عبروا فيها عن أسفهم وغضبهم من التهديد والقتل وأبدوا تضامنهم مع مؤلف الكتاب وشجبوا جميع أشكال التخويف والإرهاب.

بل وصل الأمر من بعض الحاقدين على الإسلام في بريطانيا أن ألقى قنبلة على المركز الإسلامي في لندن ردًا على غضب المسلمين لهذا الكتاب.

والعجب العجاب أن هؤلاء الثائرين على المسلمين والمدافعين عن كتاب آيات شيطانية بدعوى حرية الرأي والكلمة كانوا غافلين حين قامت مظاهرات احتجاج في أنحاء البلدان المسيحية حين عرضت سينما ميشيل في فرنسا فيلمًا بعنوان «الإغراء الأخير للمسيح» الذي يصور المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في مشاهد جنسية فأحرقوا السينما مع محتوياتها واختنق كثير من الحاضرين حتى البوليس الذي نسي نفسه تعاطف مع هذه الفئة الغاضبة.

وحين صادرت إنجلترا كتاب «صائد الجواسيس» كان ذلك لأنهم رأوا فيه أنه يمس مصالح عليا، لم يكن ذلك مصادرة لحرية الرأي، ولم يكن حريق السينما صادر عن همجية وبربرية لا، وإنما اقتناع كامل أن ذلك يمس نبي اللَّه عيسى ويصوره بطريقة شائنة ويحط من قدره وجعله كأي فرد عادي يسير وراء شهواته وملذاته لا كنبي مرسل.

ويتضح مما سبق أن هناك بعض الدول الأوربية تساند هذا المرتد المأجور وتحميه وتمهد له ولأمثاله الطرق لحرب الإسلام والمسلمين.

وحين قام المسلمون يعلنون غضبهم ضد هذا الكتاب الشيطاني قامت

الدنيا، ولم يقعدوها لأن المسلمين دافعوا عن دينهم وعقيدتهم بل يريدوا قومًا بكمًا فهل حلال عليكم هدم الإسلام وقيمه وحرام على غيركم إنكاره والوقوف ضده»[١] .

*** رسالة إلي سلمان رشدي:**

□ كتب الشاعر فاروق جويدة هذه القصيدة الطيبة، وكتب في مقدمتها «سلمان رشدي كاتب مسلم، ارتد عن الإسلام، ولم يكتف بذلك بل وجّه في كتابه «آيات شيطانية» أكبر إساءة يوجهها كاتب في التاريخ إلى رسول اللَّه ﷺ:

فِي زَمنِ الردَّةِ والبُهْتَانْ
اكتبْ مَا شئْتَ ولاَ تَخْجَلْ
الكفرُ مباحٌ.. يَا سَلْمَانْ
ضَعْ أَلفَ صليبٍ.. وصَليبٍ
فَوقَ القُرآن
وارجُمْ آياتِ اللَّه ومزِّقْهَا
فِي كلِّ لسانْ
لاَ تَخْشَ اللَّه ولا تَطْلبْ
صَفْحَ الرَّحمَن
فَزَمَانُ الردَّة نَعرفُهُ
زمنُ المَعْصيةِ..

(١) «كلهم سلمان رشدي الشيطان.. نجيب محفوظ ـ طه حسين ـ عبدالعزيز المقالح ـ توفيق الحكيم ـ صادق جلال العظم» تأليف أحمد الدوسري النجدي (ص٨ ـ ١٣).

بِلاَ غُفْــرَانْ
إنْ ضَلَّ القَلْبُ فَلا تَعْجَبْ
أَنْ يَسْكُنَ فِيه الشَّيْطَانْ
لاَ تَخْشَ خُيُولَ أَبِي بَكْرٍ
أجهضَهَا جبنُ الفرْسَانْ
وبـــلالُ الصَّــامتُ
فَوقَ المَسْجِــد
أَسْكَتَهُ سَيْفُ السَّجَّانْ
أتـــراه يُؤذنُ
بَينَ النَّاس بِلا استئذانْ؟
أَتْراهُ يرتَلُ باسمِ اللَّه
وَلا يَخْشَى بَطْشَ الكُهَّانْ؟
فاكْتبْ مَا شِئْتَ ولاَ تَخْجَلْ..
فالكُلُّ مهَـــانْ
واكفُرْ مَا شِئْتَ ولاَ تَسأَلْ
فالكُلُّ جبَـــانْ

* * *

فالأَزهَرُ يَبْكِي أَمْجَـــادًا
ويُعــــيدُ حكَــايا..
مَا قَدْ كَـان
والكَعْبَةُ تَصرُخُ فِي صَمْتٍ

بَينَ القُضْبَانْ
والشَّعْبُ القَابِعُ فِي خَوْفٍ
يَنْتَظِرُ العفْوَ منَ السُّلطَانْ
والنَّاسُ تُهَرولُ فِي الطُّرقاتِ
يُطَارِدُهَا عَبثُ الفئرَانْ
والبَابُ العَالي يَحْرُسُه
بَطْشُ الطُّغْيَانْ
أيَّــامُ الأُنْسِ وبَهجَتُهَا
والكَأسُ الراقِصُ والغلمَانْ
والمَالُ الضَّائعُ فِي الحَانَاتِ
يَسيلُ عَلَى أَيْدِي النُّدْمَانْ
فَالبَابُ العَالِي مَاخُورٌ
يَسْكُنُهُ السَّفْلَةُ والصِّبْيَانْ
يَحْمِيه السَّارِقُ والمَأْجورُ
ويَحْكُمُهُ سِرْبُ الغِرْبَانْ
جَــــلادٌ يَعْبثُ بالأَديانْ
وآخَــرُ يمْتَهِنُ الإنْسَانْ
وَالكُلُّ يُصَلِّي للطُّغْيَانْ

* * *

ومحمدُ نُــــورٌ مسْجُونٌ
بَينَ الجُدْرَانْ
وخَدِيجةُ تَبْكِي فِي شَجَنٍ

أَيَّامَ النَّخْوةِ.. والفُرْسَانْ
عَائِشَةُ تُحدِّقُ فِي صَمْتٍ
تَسْأَلُ عَنْ عُمَرٍ..
أَوْ عُثْمَانْ
فَاطمَةُ تُنَادي سَيفَ اللَّه
فَلاَ تَسْمَعُ غَيرَ الأَحْزَانْ

* * *

اسأَلُكَ بربِّكَ يَا سَلْمَانْ
هَلْ تَجْرُؤ أَنْ تكسرَ يومًا
أَحـــدَ الصُّلْبــانْ؟
أَنْ تَسْخَر يَوْمًا منْ عيسَى
أَوْ تُلقِي مَريمَ فِي النِّيرَانْ
مَا بَيْنَ صَليبٍ.. وصَلِيبٍ
أحْرَقْتَ جَميعَ الأَدْيَانْ
فاكْتُبْ مَا شئْتَ ولاَ تَخْجلْ
فَالكُلُّ مُهَانٌ.. وجَبَـــانْ

* * *

خَبِّرني يَوْمًا..
حينَ تُفيقُ منَ الهَذَيَانْ
هَلْ هذَا حَقُّ الفنَّانْ..؟
أَن تُشْعِلَ حقْدَكَ فِي الإنجِيلِ

وتَغْرسَ سُمَّكَ فِي القُرآنْ
أَنْ تَرجُمَ مُوسَى أَوْ عِيسَى
أَوْ تَسْجُنَ مَرْيمَ فِي القُضْبَانْ
أَنْ يَغْدو المَعْبَدُ والقدَّاسُ
وبَيتُ اللَّه
مجَالسَ لَهو للرهْبــانْ
أَنْ يَسْكرَ عيسَى فِي البَارَاتِ
ويَرقُصَ مُوسَى للغلْمَانْ
هَلْ هَذَا حَقُّ الفَنَّانْ؟
أَنْ تَحْرقَ دِينًا فِي الحَانَاتِ
لتبْنِيَ مَجْدَكَ بالبُهْتَانْ
أَنْ تَجْعَلَ ماءَ النَّهرِ
سُمُومًا تَسْرِي
فِي الأَبــدَانْ..
لَنْ يُشْرِقَ ضَوءٌ مِنْ قَلْبٍ
لاَ يَعْرفُ طَعمَ الإيمَانْ
لَنْ يَبْقَى شَيءٌ مِنْ قلمٍ
يَسْفكُ حُرُمَات الإنسَانْ
فاكفُرْ مَا شئْت
ولاَ تَخْجَلْ
ميعَادُكَ آت يَا سَلْمَانْ
دَعْ بَابَ المَسْجِدِ

يَا زِنْدِيـــقُ
وقُمْ واسكرْ بينَ الأَوثَانْ
سَيَجِيئُكَ صَوتُ أَبِي بكرٍ
ويصيحُ بخالد:
قُمْ واقْطَعْ رأْسَ الشَّيْطَانْ
فمحمَّدُ بَاق
مَا بَقيتْ دُنْيا الرَّحْمَنْ
وسيَعْلُو صَوْتُ اللَّه..
ولَوْ كَرِهُــوا
فِي كُلِّ زَمَـــانٍ..
وَمكَــانْ[1].

❑بيان الدفاع عن سلمان رشدي:

«وقع البيان خمسة من المصريين في مقدمتهم الأستاذ أنيس منصور الذي يهاجم سلمان رشدي في الصحف المصرية بينما يقول ضاحكًا: إنه وقّع البيان العالمي بالدفاع عنه بالفاكسميلي وهو في المدينة ـ المنورة ـ في ضيافة الحرس الوطني السعودي[2] !!! ما وقّع البيان كل من: أمينة السعيد، ونوال السعداوي التي موّلت مؤسسة فورد مؤتمرها لتحرير المرأة.. وأحمد عثمان مرسى سعد الدين شقيق بليغ حمدي ولا فخر»[3].

---

(١) قصيدة «إلى سلمان رشدي» من ديوان «زمان القهر علّمني» للشاعر فاروق جويدة (ص٦٣ ـ ٧٢) مكتبة غريب.

(٢) عاملك اللَّه بما تستحق يا أنيس أليست هذه خيانة للمضيف الذي أكرمك ولا يعرف شيئًا عما تفعله وأنت في ضيافته.

(٣) «أولاد حارتنا فيها قولان» لمحمد جلال كشك (ص٣٤) ـ الزهراء للإعلام العربي.

* أقزام مرّ ذكرهم:

- عبدالعزيز المقالح.

- محمود درويش:

الذي سب اللَّه ورسوله والإسلام.

- بدر شاكر السياب والبياتي:

تولى بدر شاكر السيّاب والبياتي وأدونيس الدعوة إلى تمسيح الشعر وصعلكته، وابتعاث الأساطير القديمة وإحيائها في عداء شديد للفصحى وما وراءها من قيم الإسلام والقرآن[1].

- وبدر شاكر السيّاب مثله مثل أدونيس كان مضطرب المواقف الفكرية السياسية بين الوطنية المحلية والشيوعية، وبين الارتباط بالقوميين ثم بجماعة مجلة شعر، القوميين السوريين، يقول رجاء النقّاش:

«وكان الذين يهاجمون السيّاب يرون فيه منافقًا عريقًا وانتهازيًا كبيرًا. وكانوا يعتبرونه باحثًا عن مصالحه لا عن مبادئه، وما يُقال عن السيّاب يُقال عن البياتي»[2].

- سيد القمني.

- خليل عبدالكريم: الوالغ في عرض الصحابة.. القزم المتطاول على سادات الأرض، من ملأوا الدنيا طيبًا ونورًا وعُلُوّا.

* حسين مؤنس الداعي إلى القومية المصرية:

- حسين مؤنس الداعي إلى القومية المصرية؛ واحتقار الماضي الإسلامي

---

(١) انظر «الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة وخطره» للنحوي (ص١٣٦).

(٢) «الصحافة والأقلام المسمومة» (ص١٦٢).

وتربية الأجيال تربية لا دينية.

☐ قال د. حسين مؤنس في كتابه «مصر ورسالتها»:

«عندما فتح العرب مصر عام ٦٤٠ كانت ولاية بيزنطية تُحكم من القسطنطينية وعندما غزا الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨ وجدوها ولاية عثمانية تحكم من نفس القسطنطينية التي حملت اسمًا جديدًا هو استامبول أو الأستانة، ولم يكن حالها عام ١٧٩٨ بأحسن من حالها عام ٦٤٠، كان الناس في بؤس وذل وكان البلد في خراب».

«فكأن اثني عشر قرنًا من تاريخ هذا البلد ضاعت سدى، كأن هذه السنوات الكثيرة قد انقضت ونحن نيام بعيدين (كذا) عن الوجود».

«شيء لم يحدث في تاريخ بلد مثل مصر أبدًا، تصور اثني عشر قرنًا ونصف تذهب سدى! قد يُقال قد قامت خلالها دول وأمجاد.. ولكنها تلاشت كأن لم تغن بالأمس وعاد المصري.. وهو مدار هذا التاريخ ومقياسه.. بالضبط كما كان في أواخر عصر الرومان».

«ما الذي حدث؟»

«الذي حدث أننا تخلّينا عن رسالتنا (!) واتجهنا بكليتنا نحو الشرق، فاختل ميزان تاريخنا وكان ذلك الانكسار العظيم»[(١)] .

☐ ويعد حسين مؤنس الحجاب الإسلامي هو العائق الأكبر في سبيل انتماء مصر للغرب ذلك أنه ربطها بالمجتمعات الشرقية المتخلفة في حين أن المرأة المصرية القديمة كالمرأة الأوروبية الحديثة سواء بسواء، وحضارتها واحدة، يقول:

«وقد انهارت المجتمعات الشرقية كلها بسبب ظلمها للمرأة وحرمانها

---

(١) «مصر ورسالتها» للدكتور حسين مؤنس (ص٨١ ـ ٨٢).

إياها من مكانها وحقها الطبيعيين، وهذه حقيقة لم ينتبه لها معظم من يدرسون تواريخ هذه الدول الشرقية من المشارقة ولكنها معروفة للدارسين من أهل الغرب؛ لأن مجتمعهم «يقوم على المرأة والرجل مجتمعين، ومن ثم فهم يعرفون أهمية المرأة في المجتمع الإنساني، ويشيرون إلى ذلك ويقررون أنه أساس تقدم مجتمعهم على غيره من المجتمعات، وهذه الحقيقة ـ على ما يبدو من بساطتها ـ تفرّق بين مجتمع ومجتمع وحضارة وحضارة، بل هي الحد الفاصل بين الحضارات التي أينعت وعاشت والحضارات التي ذبلت وماتت».

والحضارة المصرية القديمة من الطراز الذي أعطى المرأة حقها واعترف بها ومنحها حقًّا كاملاً في البيت وفي ميدان العمل والحياة، بل إن عينك لا تقع على رسم مصري قديم إلا وجدت المرأة فيه إلى جانب الرجل ورأيتها رافعة الرأس تسير معه وتعمل معه..

«وحضارة مصر مشتركة من هذه الناحية الأساسية مع حضارتنا الراهنة وأنا أقول: «حضارتنا» لأنك سترى أن ما نسميه اليوم بحضارة الغرب إن هو إلا الحضارة المصرية القديمة متطورة في اتجاه مستقيم»[1].

*** الأديبة السورية «نظيرة زين الدين» القائلة: أن أول درجة في سلم الرقي هو السفور؟!**

قبّحها اللَّه من أدية تلك الأديبة السورية (نظيرة زين الدين) التي تقول في كتابها «السفور والحجاب»: «أن أول درجة في سُلّم الرقي هو السفور»؟! وتضيف موضحة: «إن الأمم التي نبذت الحجاب أمم راقية في العقل والمادة، رقيًّا ليس للأمم المتحجبة مثله، فالأمم السافرة هي التي اكتشفت بالبحث

(١) المصدر السابق (ص٥١ ـ ٥٢).

والتنقيب أسرار الطبيعة» (١). فهذا أمر دبر بليل وهذه نهاية المطاف.

ولا تعجب يا أخي فهذه شنشنة نعرفها من أخزم فقديمًا قال رفاعة الطهطاوي «إن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة»، إذن فالحجاب ليس ضروريًا لعفة المرأة، ثم جاء من بعد رفاعة أناس وأناس حتى أتت نظيرة زين الدين».

*** جابر عصفور مقالاته تقطر سماً:**

انظر ما كتبه في الأهرام ١٣/ ٩/ ١٩٩٠ في تأبين لويس عوض فإنه يرى أن حياة لويس كانت كلها جهدًا متصلاً وكفاحًا دائمًا لتغيير الواقع الذي ظل يرفض ما فيه من تقاليد جامدة وظلم اجتماعي وغياب للحرية.

*** ما هكذا يا عصفور تورد الإبل!!!**

أمين عام المجلس الأعلى للثقافة جابر عصفور من أشد الناس دفاعًا عن فصل الدين عن الدولة يقول عن ظاهرة الإرهاب:

«تبرز هذه الظاهرة على نحو دال في العصر الحديث، وفي المرحلة المعاصرة على وجه التحديد، وتفرض نفسها على منطق المساءلة، خصوصًا في سياق تاريخي، تزايدت فيه ـ منذ مطلع السبعينيات الساداتية في مصر، وفي غيرها من الأقطار العربية ـ مجموعات الضغط الديني الأصولية التي سعت إلى أن تستبدل بالدولة المدنية القائمة على احترام الأديان والمعتقدات والمذاهب دولة دينية تقوم على مذهب واحد، تتعصّب له في علاقتها بغيرها من المخالفين الموصومين بالتهم العديدة التي تجمع ما بين الضلالة والكفر.

وكان من نتيجة انتشار هذه المجموعات الأصولية، وتزايد عنف

(١) «أسس التقدم عند مفكري الإسلام» للدكتور فهمي جدعان ـ ط دار الشروق عمان ١٩٨٨ و«جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث» لجمال سلطان (ص٨٧) ـ دار الاعتصام.

ممارساتها، تصاعد نتائج تعصبها الذي انفجر في جرائم إرهابية أودت بحياة الكثيرين من الأبرياء، وأودت بحياة مبدعين ومفكرين، كان اغتيالهم تأديبًا لغيرهم، وأمثولة على ما يمكن أن يصل إليه قمع المخالفين، خصوصًا الكتّاب الذين تنوعت أشكال الإرهاب التي تعرّضوا لها ما بين الإرهاب المادي والمعنوي. وقد سبق أن كتبت في مواجهة مخاطر إرهاب هذه الجماعات كتابي «ضد التعصب» (سنة ٢٠٠٠) الذي كان كشفًا وإدانة لما حدث لأمثال نصر حامد أبي زيد وحسن حنفي وسيد القمني ومارسيل خليفة وأحمد البغدادي وغيرهم من المفكرين والمبدعين الذين امتدت إليهم حراب الإرهاب الديني، وحاولت القصاص منهم ومن أمثالهم»[(١)] .

وقال: «ولم يكن من المصادفة أن يتم اغتيال الكاتب فرج فودة في صيف ١٩٩٢، بعد أن كتب ما كتب عن التطرف والتعصب، وكشف عن الأسباب التي تؤدي إلى الإرهاب نتيجة تأويلات دينية أصولية، أبعد ما تكون عن سماحة الإسلام ودعوته إلى المجادلة بالتي هي أحسن»[(٢)] .

❑ جابر عصفور هو القائل:

«طه حسين مسئول عن أجزاء كبيرة من هذا الكائن جابر عصفور. . طه حسين موجود في نفسي وأنا موجود به»[(٣)] .

❑ ويقول عن دعوته وإيمانه بالفصل بين الدين والدولة ودعوته إلى الدولة المدنية «العلمانية»: «أنا شخصيًّا (على الرغم من أنني معروف بكثرة

(١) «مواجهة الإرهاب قراءات في الأدب المعاصر» للدكتور جابر عصفور (ص٢٤ ـ ٢٥) ـ مكتبة الأسرة.

(٢) المصدر السابق (ص٢٧).

(٣) «على ضفاف الثقافة. . حوارات حول المستقبل» للدكتور عمرو عبدالسميع (ص١١٦) ـ مكتبة الأسرة.

كتاباتي عن التنوير، لم أعد أميل - كثيراً إلى هذه الثنائية (تنويري/ إظلامي)؛ لأنها في حالات كثيرة لا تدل على شيء.

الثنائية الحقيقية التي تدور حولها معركة فعلية، ولكنها تأخذ أشكالاً مختلفة هي:

(دولة مدنية) و(دولة دينية).

أنصار هذه الدولة الدينية يعتمدون على تأويل بعينه للدين، ويترتب على هذا مجموعة من النتائج المعروفة. .

وفي المقابل هناك مجموعة تريد أن تقيم دولة مدنية، يحكمها مبدأ الفصل بين السلطات، ودستور مدني يحقق المصالح المشتركة لمجموع المواطنين، من دون تمييز على أساس من الدين أو الجنس أو العرق.

في داخل هذا المربع المتحمس للدولة المدنية، هناك من يُدافعون عن دولة شبه مدنية، وهناك من يريد دولة مدنية ليبرالية على الطراز الأمريكي، وهناك من يريد إقامة دولة اشتراكية ديمقراطية على الطراز السويدي مثلاً، ولكن في التحليل النهائي مطالبتهم - جميعًا - تكون بدولة مدنية.

الذين لا يصطدمون بالدولة المدنية هم العقلاء؛ لأن الدولة المدنية هي التي تحمي التوجهات الدينية، لسبب غاية في البساطة، وهو أن هذه الدولة - بطبيعتها - قائمة على احترام كل الأديان من ناحية، وعلى احترام التأويلات المختلفة في كل دين من ناحية ثانية، وعلى هذا الأساس فإن الدولة المدنية ستسمح للمسلم بالوجود المشترك مع المسيحي، واليهودي، وستسمح بالوجود المشترك بين المسلم الشيعي والسني والمعتزلي، لسبب بسيط، وهو أن هذه الدولة هي - بطبيعتها - قائمة على عدم التعصب لتيار ديني، وهذا ما لم يحدث في أي دولة دينية في تاريخنا الإسلامي»[1] اهـ.

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٦ - ١٣٧).

▫ وانظر إلى قوله عن رواية «وليمة لأعشاب البحر» ودفاعه المستميت عنها وأنها إبداع»[١] .

وقوله: «درس أزمة الوليمة أنه لا يوجد فارق جوهري بين من نسميهم المتأسلمين (المعتدلين) والمتأسلمين المتطرفين»[٢] .

ويقول: «مثقفو الدولة العثمانية هم خط الدفاع الأول عن الدولة المدنية وصدامهم مع التطرف حتمي»[٣] ، وهو يصرح بدون حياء أنه يقف ضد (الاتباع) بمعناه الفكري[٤] .

* ثقافة الضرار وتحطيم ثوابت الإسلام:

روّاد الثقافة المتولون لأمرها في مصرنا هم عصبة الشك، ودعاة الشبهة، التنويريون التقدميون، أذناب الغرب، أو أذناب الماركسية، روّاد الضلالة يتخذون ما يسمى بالفكر والثقافة لإفساد الناس وتحليل عقدهم الوثيقة، وتوهين أخلاقهم الصالحة، ويزعمون للعلم معنى إن يكن بعضه في العلم فأكثره في الجهل.. روّاد ثقافة مصر المتربعون على كراسي الريادة يمموا وجوههم إلى موسكو أو شطر البيت الأبيض، عقولهم ضيقة معتلة، غلب عليها الكيد، وأفسدتها إرادة الحياة الدنيا، ونزع بها لؤم الطبع شر منزع، حتى استهلكها ما أوبقهم من فساد الخلق، وما يستهويهم من غوايات المدنية، فجاءونا في أسماء المثقفين، ولكن بأفعال أهل الجهل، وكانوا في الثقافة والفكر كالنبات الذي خبث لا يخرج إلا نكداً أو خبثًا.

وإنك لن تجد سيماهم إلا في أخلاقهم فتعرفهم بهذه الأخلاق

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٠ ـ ١٣١).
(٢) المصدر السابق (ص١٢٣).
(٣) المصدر السابق (ص١٢٣).
(٤) المصدر السابق (ص١٢٩).

فستنكرهم جميعًا، ولتعلمنّ عليهم كل سوء، ولترينهم حشو أجسامهم طينًا وحمأة، في زعم كذب يُسمّى لك الطين طيبًا، والحمأة مسكًا، ولتجدن أحدهم وما في السفلة أسفل منه شهوات ونزغات.

خذ منهم الوقاحة والزندقة في زعم الحرية، والإلحاد في حجة العلم. يُقال تنويريون ومصلحون والناس يعنون ما شاءوا إلا حقيقة التنوير والإصلاح.

□ أيتها الحصاة، ما يسخر منك الساخر بأكثر من أن يجلوك على الناس في علبة جوهرة.

□ لا يصلحون إلا على إفساد الحياة، يذهبون أين ذهبوا وشعلة الجحيم الثقافية تدور من رءوسهم تهفو من هاهنا وهنا.. لا يعيشون إلا على غذاء من الموت، كأنهم كانوا من قبل دودًا في قبور ثم نفخهم اللَّه أناسيّ يجعلهم فيما يبلو به الخلق، ويضرب الحياة بهم ضربة انحلال وبلى تعفّن.

□ ينفث الواحد منهم دخان قلبه الأسود، ويعمل كما تعمل الأعاصير على إهداء الوجوه والأعين والأنفاس صحفًا منشرة من غبار الأرض، إن لم تكن مرضًا فأذى، وإن لم تكن أذىً فضيق، وإن لم تكن ضيقًا فلن تكون شيئًا مما يُساغُ أو يُقبل أو يُحَبّ.

□ على أنك لا ترى هؤلاء الأقزام لا يتحاملون على شيء ما يتحاملون على الإسلام والقرآن الكريم والسنة المطهرة، فهم يخصونهم بالمكاره كلها، ويجفون عنهم أشد جفاء ويتطاولون بل ويطعنون في ثوابت ديننا الكريم أشد طعن.

*** هُمُ العدو فاحذرهم:**

□ «عشرات الإصدارات تهاجم الدين وتتطاول على المقدسات»:

«ليست «وليمة لأعشاب البحر» هي الرواية الوحيدة التي أصدرتها وزارة الثقافة للتطاول على الأديان وإهانة الذات الإلهية والاستهزاء بالقرآن، فهناك عشرات الكتب والروايات والدواوين التي صدرت مؤخرًا وخاصة منذ بداية العام الحالي، وحتى هذا الأسبوع كلها تتطاول على الذات الإلهية وتسخر من عقيدة المسلمين في جرأة غير مسبوقة في مصر الإسلامية بلد الأزهر.

وصدور هذه الكتب بالجملة في توقيت واحد ليس مصادفة، وإنما يدل على أن هناك عقلاً مخططًا وتدبيرًا شيطانيًا ماكرًا.

وإذا كان نشر رواية حيدر حيدر على نفقة وزارة الثقافة قد فجر موجة الغضب داخل مصر وفي كل أنحاء الوطن العربي والعالم الإسلامي لما فيها من تطاول على المقدسات، فإن الكتب الأخرى التي ما زالت تملأ الأسواق بها تجاوزات وتطاول لا يقل فداحة عما جاء في رواية حيدر، وهذا التطاول الموجه يدل على حالة الانحطاط التي وصلت إليها الثقافة في مصر.

واختيار هذه الكتب المسيئة للمعتقدات تم بواسطة لجان تم تشكيلها خصيصًا من ذوي الاتجاهات المعادية للدين، حيث تفانوا في سهر الليالي لاختيار كتب بعينها لإفساد المجتمع وإشاعة أفكار الكفر والإباحية بين الأجيال الشابة.

والغريب أن هؤلاء المعادين للدين لم يبالوا بأحد وانطلقوا يضخون هذه الإصدارات في الأسواق بأموال الدولة، حتى بعد أن كشفت «الشعب» هذه المؤامرة منذ أسبوعين لم يتوقف هذا الضخ الملعون وواصلوا إصدار الكتب إياها وكأن شيئًا لم يكن.

□ هؤلاء معركتهم مع اللَّه سبحانه وتعالى تقدست أسماؤه الذي تطاولوا عليه، معركتهم مع القرآن الذي سبوه وما زالوا يبررون ويدافعون عن هذا السب.. معركتهم مع الرسول ﷺ الذي لم يحترموه ويقولون: إن

سبه هو الإبداع.

هذا الجحود والطغيان مقدمات الدمار الذي لا شك نازل. فعلى كل منا أن يبرئ نفسه ويدافع عن نفسه أمام اللَّه بأن يرفض هذا العدوان على المقدسات.

ولنعلم أن اللَّه ليس في حاجة لكي ندافع عن ذاته ولا عن دينه، فهو قادر على أن يخسف الأرض بكل المتطاولين ومؤيديهم، فهو الجبار القهار، ولكن ما يفعله كل منا إنما كي ندافع به عن أنفسنا يوم القيامة عندما يسألنا ربنا ماذا فعلتم عندما سبوني؟ ماذا فعلتم عندما شتموا رسولي وكتابي؟

الموقف الآن واضح ليس به لبس، إما مع اللَّه وإما مع الشيطان ولا وسط بينهما.

دين اللَّه يهان ورب العزة يسب علانية وعلى الحكومة أن تحدد موقفها؟»[١].

□انظر إلى قيئهم وزندقتهم:

يُكلمُ الناس من عَلى جبلٍ
ويأوي للتخوم
ويُشعلُ الأحجارَ ناراً تَغسِلُ النَفْسَ
وَيَبقَى رمادٌ من عُروبته
تذروه ريحٌ مِنَ الغرب
مَن ذَا الذي يَتَكَسبُ الآنَ من دَمِنا؟
مَنْ يحملُ الرأسَ

---

(١) من مقال لعامر عبدالمنعم بجريدة الشعب يوم ١٦/ ٥/ ٢٠٠٠ ـ الصفحة السادسة.

مَنْ يبكي على وجعِ الرسولُ
مَنْ يُخبرُ الآن فاطمة
سمك، ملائكةٌ، وحوشٌ
تملأ الدنيا مياها من مدامعِها
فَمُ الرسولِ على فمِك
ما أَقدَسَك[1] .

❑ ويقول:

وَالليل إذا سَجَى
صحا الوقتُ مِن نومِهِ
وَحكى لي قِصة
ودوَّخَني
ونَام[2] .

❑ ويقول:

الربُّ الجديد جماجمٌ . .
وَحَارِقَةٌ نُجومه
دَمُنَا بِدَايَاتٌ لماء مَوَاتِهِ
وَخُروجُنا هُو موتُنَا
أَشجَارُنَا بَعثٌ
وأُمي وَدَّعَتني عندما رَحَلَتْ

(١) «الأحاديث» لأحمد الشهاوي (ص١٩٠ ـ ١٩١) نقلاً عن جريدة الشعب ـ الصفحة السادسة ـ ١٦/ ٥/ ٢٠٠٠.
(٢) «الأحاديث» (ص٣٥).

وَقَالَتْ:
لا تَلُمْني(١)

□ ويقول:

وانتصبتْ مآذنُهُ
وفي لمحة
تنامُ عيونُ الأهلةِ
تنفضُّ الصلاةُ
يبقى مسجدي ذكرى
وينعسُ ربُّ اللذةِ الكبرى(٢).

□ ويقول فاجر متطاول آخر تحت عنوان «دعوة إلى الرقص»:

أرغبُ أن يخرج من هذه القصيدة كلب
أتملَّقه بعظم، بحلمة راقصة
أغريه بحرف ناعم، بواء كذَنَب كلبة تستعدُّ للمضاجعة
بصور أكثر الكلبات شبقًا في التاريخ
كلب أو أية تسلية أخرى حتى نهاية القصيدة
ماذا يمكن أن أفعل غير هذا؟
أجذب الرب من رقبته وأدعوه إلى الرقص؟
أَحيك زوجاتِ السفراء ملابسَ داخلية؟
أبني مصنعًا لدعم الاقتصاد الوطني؟

(١) «الأحاديث» (ص٢٠٣).
(٢) المصدر السابق (ص٤٤).

مطبعة مستندات سرية لخدمة الحكومة؟
أم أطلّق زوجتي؟
اسمع، أيمكن أن يطلّق الرجل امرأته إذا كتب قصيدةً
وخرج منها كلب؟[١].

* * *

❑ يقول هذا الزنديق:
نظرت منبثقةٌ من العورات
وتصرخ معًا: وصل الباص الإلهي، وصلت حقائبنا
حقائب حقائب، حقائبنا ضائعة بينها فلندخل المقهى
تجلس معنا على الطاولة وبر أجسادنا، تجلس لحانا،
معاركنا استمناءاتنا غلة نهارنا من بيع قطع مغشوشة من التخيلات
ممالك بيضاء تغني على النوافذ
أيدية في المشي أيدية مربوطة بخيط
ونُرجع الكرسي قليلاً ليمرّ الهواء
وداعًا
وداعًا أيها اللَّه
بالهواء الذي يمرُّ بيننا، بالماء الذي دلقته عليَّ، وداعًا
بعينيك اللتين ترصدانني من وراء الباب، بفمك الأزرق،
بنظارتيك المصنوعتين عند «نظارات الحكيم الطبية»[٢].

---

(١) «مختارات» (ص٤٧).
(٢) «مختارات» (ص١٢٦).

❑ يقول هذا الزنديق تحت عنوان «أذهب هادئًا إلى المرآة»:

عملٌ ناعم أن تنظر إليّ
وتبتسم إذا ابتسمت
وأرجوك لا تقرع الباب
إني واقف على النافذة أتأمل الجسر
العملُ الشريف، أنا فعلته اليوم:
نظرتُ إلى البحر.
رأيتُ في الشارع ناسًا معطَّلين
ثم دخلتُ الحانة
شربتُ قنينة بيرة، وخرجتُ برأس سكّير
متصورًا أن اللَّه كان في الأصل عصفورًا
يزقزق للشعوب[1].

❑ ويقول قاتله اللَّه:

بين عرق الرجال والمومسات
فلوريسانات ٌ أوتوماتيكية من أقدام العبيد
فوق مكاتب الرؤساء
سماواتٌ بأعضاء تناسلية
وآلهة
تنتف شعرها بسكَّر رخيص
على الجبال؟
أي جبال؟[2].

---

(١) «مختارات» (ص٦١).

(٢) المصدر السابق (ص١١).

❑ وفاجرٌ آخر يقول:

أيها القمرُ المنهوك القوى

أيها الإلهُ المسافرُ كنهدٍ قديم

يقولون إنك في كل مكان

على عتبة المبغي: وفي صراخ الخيول

بين الأنهار الجميلة

وتحت ورقِ الصفصاف الحزين

كن معنا في هذه العيون المهشمه

والأصابع الجرباء

أعطنا امرأة شهية في ضوء القمر

لنبكي

لنسمع رحيل الأظافر وأنين الجبال

لنسمع صليل البنادق من ثدي امرأة

ما من أمةٍ في التاريخ

لها هذه العجيزةُ الضاحكة

والعيون المليئة بالأجراس

لعشرين ساقطة سمراء، نحملُ القمصان واللفائف[١].

❑ ويقول الزنديق الحداثي الذي تكلمنا عنه من قبل:

أنا من آخر نسل الرهبانِ

وأولِ نسل الماء

(١) «حزن في ضوء القمر» (ص١٠٥).

كنا نتلوى بالعشق
وكان اللَّه يزيح الغيم قليلاً
ويرانا
يبتسمُ ويهمسُ لملائكة العرشِ:
أنا أصطنعُ العشقُ
وأختمُ فوق قلوب المعشوقينْ
فلماذا تصعد أغنيةٌ
من قلب امرأةٍ:
آه
لو امتلكتني فقدتني
وإن هجرتني
قتلتني
الحجر المكسُّو بسجادٍ من ريمِ البحرِ
قديم[1].

❏ويقول (ص١٢٧):
وأن البحر تكوم مثل الخاطئةِ
ومثل الدمعةِ

❏قال ابن أبي سعدة:
إن المرأة فخذان ونهدانِ
وعقدتهن السّرةُ

(١) «وردة القيظ» (ص١٢٣).

أما العينانِ فجوهرتانِ
تضيئانِ سبيلَ العاشق
سوف أسميكِ نعيمي
نعماي ونعمًا ونعيمًا متصلاً
كتهجدِ سبعين نبيًا في الليلِ
وسوف أقول لكتاب الوحي انتبهوا
فإذا أملت البحر فخطُّوا الصحراء
وإذا أمليتُ الرجل فخطو الساقينْ
وإذا أمليت المرأةَ خطو السّرةَ والعينينْ
فإذا أخطأتُ[1] .

□ ويقول (ص١٣٩):

في الجو المهتاجِ كأنفاسِ العشاق
تضفرُ شعر ابنتها المستنفر كالشوكِ
وتنظر للفترينات
«ادفع»
النسوة يدخلن ويخرجن بهيجات
يتركن العطر طيورًا عالقةً في الجو
وشعر البنتِ يصيرُ سنابل من قمحٍ محترقٍ
كان «المطوع» ينشب في السّرةِ عينيه كخطافينْ
ويلمس بعصاهُ مؤخرة المرأةِ

---

(١) «وردة القيظ» (ص١٢٧).

محشوًّا بطيورٍ هائجةٍ
ويقولُ: صلاة
تبتسم المرأةُ
حتى يلمع ذهبُ السّنةِ
تضرب يدها الناحلة كغصنِ الفحم(١) .

◻ويقول زنديق آخر:

«وماذا نفعل في حال عدم تنفيذ طلبنا؟».

«نرفع عريضة ثانية نطلب فيها الموافقة على إعفائنا من الصلوات الخمس».

«وإذا لم يوافق؟».

«بل سيوافق أيضًا على إعفائنا من الصوم. أنه رءوف رحيم»(٢) .

◻ وانظر إلى صفحة من كتاب «المرأة والعنوسة في الإسلام»:

«إن الرأي الذي يتبناه بعض الباحثين الإسلاميين وقولهم بأن تحريم الإسلام وأد البنات يؤكد موقف الإسلام من تحسين وضع النساء في كافة المجالات، هو رأي يبدو على درجة من التبسيط وعدم الدقة. حيث يتضح لنا أن مكانة النساء كانت تختلف تبعًا لاختلاف المجتمعات في المنطقة العربية، وإضافة إلى ذلك نجد أنه على الرغم من أن ممارسات الزواج الجاهلية لا تعني بالضرورة تزايد سلطة النساء أو غياب التحيز ضد المرأة، إلا أنها في نفس الوقت تتناسب مع تمتع المرأة بقدر أكبر من الاستقلال الجنسي عما كان متاحًا في ظل الإسلام، كما تتناسب أيضًا مع اتساع نطاق الأنشطة المتاحة

---

(١) «وردة القيظ» (ص١٣٩).
(٢) «أف» (ص١٢٥).

للمرأة من خلال قيام النساء بالمساهمة الفعالة وأدوار الزعامة والقيادة في المجتمع بما في ذلك المجالين الحربي والديني، وقد تقلص هذا الاستقلال وتلك المساهمات مع نشأة الإسلام وخاصة بفعل مؤسسة الزواج الأبوي بوصفه الزواج الشرعي الوحيد، وما تبع ذلك من تحولات اجتماعية لاحقة.

إن حياة وقصة زواج اثنتين من زوجات محمد وهما خديجة وعائشة، تحمل معالم التغيرات التي سرعان ما لحقت أوضاع النساء في المنطقة العربية الإسلامية، فقد كانت خديجة ـ زوجة محمد الأولى ـ أرملة ثرية استعانت بمحمد قبل زواجهما لرعاية قافلتها التجارية في رحلاتها بين مكة وبلاد الشام، وقد عرضت عليه الزواج وتزوجته بالفعل وهي في الأربعين من عمرها بينما كان هو في الخامسة والعشرين، وظلت زوجته الوحيدة حتى وفاتها في الخامسة والستين من عمرها. وتحتل خديجة مكانة بارزة في الإسلام لما احتلته من مكانة في حياة محمد. فقد وفر ثراؤها على محمد ضرورة التفرغ لكسب الرزق ومكنه من التفرغ لحياة التأمل التي جاءت تمهيداً لنبوته، كما كانت مساندتها له وثقتها في نبوته ذات أهمية بالغة في تشجيعه على الإجهار بالدعوة إلى الإسلام. وقد كانت خديجة قد تعدت الخمسين من عمرها حين نزل على محمد الوحي وبدأت الدعوة. وهكذا نجد أن طبيعة المجتمع الجاهلي وعاداته ـ وليس الإسلام ـ هي التي وجهت تصرفات خديجة وحددت معالم حياتها، واستقلالها الاقتصادي وعرضها الزواج على محمد دون وصي من الرجال يقوم بدور الوساطة، وزواجها برجل يصغرها بسنوات عديدة، وبقاؤها الزوجة الأولى والوحيدة لزوجها في حياتها، إنما تعكس كلها معًا ممارسات مجتمع الجاهلية لا الإسلام.

وعلى العكس من ذلك، غابت استقلالية النساء وأحادية الزواج في حياة النساء اللاتي تزوجهن محمد بعدما أصبح نبي الإسلام وزعيم الأمة.

وأصبحت بعدها النساء تحت سيطرة الأوصياء عليهن من الرجال، وحصل الرجال على حق تعدد الزوجات، لتمثل تلك الظاهرة خصائص مقننة من خصائص الزواج الإسلامي، وقد كانت حياة عائشة نموذجًا مبكرًا للحياة التي فرضت بعدها على النساء المسلمات»[1] .

*** سيد محمود القمني مؤلف كتاب «رب الزمان» يدّعي أن الأنبياء زاروا مصر وتعلّموا فيها التوحيد ثم عادوا يعلمونه في بلادهم:**

جاء تقرير مجمع البحوث الإسلامية حول كتاب سيد القمني «رب الزمان ودراسات أخرى» والذي يطالب بمنع الكتاب دامغًا لمؤلفه الذي يتهكم ويسخر ويستهين بالأمة الإسلامية والتراث الإسلامي:

وجاء بالصفحة ٦٦ من الكتاب أن الفراعنة هم بناة الكعبة.. وبالصفحة ٦٧ أن الأنبياء زاروا مصر وتعلّموا فيها التوحيد ثم عادوا يعلّمونه في بلادهم. وجاء بالصفحة ٧٧ أن التوحيد ليس هو المجد الوحيد الذي يجب أن تكون مصر قد اكتشفته. وذكر بالصفحة ٨٠ قصة زنوبيا والجن معرّضًا بذلك بالنبي سليمان عليه السلام.

وذكر بالصفحتين ١٠٧، ١٠٩ بعض الوقائع التي نسبها إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه لا تليق به.

وفي صفحة ١٥٤ نسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ما لم يقله وهو أنه حرّم ما كان حلالاً في عهد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من متعتي النساء والحج.

---

(١) «المرأة والعنوسة في الإسلام» (ص٤٦).

*** آهٍ وآهٍ منك يا زمن العساكر: اللواء متقاعد محمد شبل يقترح أن يُوزّع الحج على الأشهر الحرم، ولا يشترط أن يكون في التاسع من ذي الحجة:**

ومما أتحفنا به إعلام الضرار وثقافة الضرار ما خرج به علينا اللواء متقاعد محمد شبل أن الحج جائز خلال الأشهر الحرم، وأنه ليس بشرط أن يكون في التاسع من ذي الحجة. ويعترض اللواء شبل على أن يجتمع الحجيج يوم عرفة على جبل عرفة ويذهب إلى أن يوزّع الحج على أشهر يسميها أحيانًا أشهرًا معلومات وأحيانًا الأشهر الحرم(١). قال هذا في شهر ربيع الآخر سنة ١٤٢٠هـ الموافق أبريل ١٩٩٩م وقد ردّ عليه الشيخ الدكتور عبدالمهدي عبدالقادر في كتيب خاص بمجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤٢٠هـ.

*** التطاول على ثوابت الإسلام في مؤتمر الثقافة العربية في ٣/٧/٢٠٠٣:**

في هذا المؤتمر الذي ختم أعماله يوم الخميس الموافق ٣/٧/٢٠٠٣م تطاول الأقزام ممن يُسمَّون المثقفين على إسلامنا العظيم.

❏ فها هو فيصل دراج الفلسطيني يزعم أن مفهوم أسلمة العلوم شيء غير منطقي، ووصفها بأنها صورة من الأيديولوجية للعلم(٢).

*** الدعوة لتدخل الغرب في ندوة تجديد الخطاب الديني:**

جاءت ندوة «تجديد الخطاب الديني» التي عقدت على هامش فاعليات

---

(١) انظر مجلة عقيدتي العدد ٣٣٢ الصادر في ٦ أبريل ٩٩، وانظر كتاب «الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة، وعلى اللواء محمد شبل في إنكار يوم عرفة» للدكتور عبدالمهدي عبدالقادر ـ هدية مجلة الأزهر ربيع الآخر ١٤٢٠هـ.

(٢) جريدة الأسبوع ـ العدد ٣٣١ ـ يوم الإثنين ٧/٧/٢٠٠٣م ـ ٧ من جمادى الأولى ١٤٢٤هـ (ص٣) تحت عنوان «مصيبة».

مؤتمر الثقافة العربية بمثابة محاكمة عاجلة للدين والنصوص القرآنية حيث اقتصرت الندوة على بعض الشخصيات التي تدعو دائمًا إلى عولمة الدين وفصله نهائيًّا عن الدولة، الأمر الذي أصاب بعض الحضور بحالة استياء شديد.. بالإضافة إلى تعليق أحد الحضور بأن المتحدثين أغفلوا عن عمد توجيه أي نقد للسلطة والأنظمة الحاكمة وصبوا جام غضبهم على الدين والقرآن.

* جمال البنا وطوامه:

☐ ففي بداية الندوة حاول الدكتور والمفكر الإسلامي جمال البنا وضع خطوط تجديد الخطاب الإسلامي بالعناية باللغة العربية وتدريس النحو العربي، وقسّم البنا مشروعه إلى جزءين طرح جزءًا يتعلق بمدى التزام المسلمين بثلاثة أشياء أهمها ضرورة استلهام النصوص الصحيحة من القرآن الكريم التي تواكب العصر والحياة والعمل بها.. ثم استلهام الحكمة من أفعال الرسول ﷺ والعمل بالحجج الثابتة والمذكورة في القرآن.

أما الثلاثة الأخرى التي اقترحها الدكتور جمال البنا في مشروعه «تجديد الخطاب الديني» فهي تقوم على عدم الاعتماد على تفسير بعض المفسرين للقرآن الكريم باعتبارها تفاسير إسقاط بشري وجدت في أزمنة وأوقات مختلفة عن الحاضر واعتبر البنا أن بعض التفسيرات هذه هي إسقاط بشري عن النص المعجز يكاد أن يكون شركًا.

أما الاقتراح الثاني فهو الصورة غير الشرعية التي يقدمها بعض المستحدثين عن السلف الصالح واعتبر الاعتراف الكامل بالسلف الصالح أمرًا ليس ضروريًّا.

أما الاقتراح الأخير الذي طرحه البنا ويتعلق بعدم الالتزام بآراء الفقهاء الذين وضعوا هذه الآراء على أساس المذاهب السنية الأربعة وباعتبار أن هؤلاء الفقهاء رغم عبقريتهم فإنهم بشر معرضون للخطأ والصواب، ولأن

معدات وأدوات الثقافة كانت في عصرهم محدودة، فإنه يفترض ألا نساير ما يقولونه بالنص.

❑ وليست هذه بأُولى طوام جمال البنا ابن محدث مصر الشيخ الساعاتي وشقيق الداعية الكبير الشيخ حسن البنا، وجمال البنا له كتاب عن الحجاب يذهب فيه إلى عدم فرضيته وقد رد عليه الدكتور أحمد عمر هاشم في مجلة صباح الخير العدد ٢٤٨٠ (ص٥٤).

*** الدكتور حيدر إبراهيم يقول: إن الإحساس بالاستعلاء سبب تخلف هذه الأمة!!!**

❑ أما الدكتور حيدر إبراهيم أستاذ الفلسفة بجامعة الخرطوم بالسودان فقد قدم ورقة بحث عن وجود لاهوت تحرير إسلامي جديد يعمل على تجديد الخطاب الديني واعتبر الدكتور حيدر أن هذا اللاهوت هو البداية الكاملة لمجتمع عصري حديث يكون الإنسان هو العامل الأساسي فيه.

واعتبر أن تأخر المسلمين إلى الآن قائم على أساس التوتر الحاد بينهم حول ثبات النص أو التحول للحياة. وأكد أن هناك فجوة عميقة بين تحقيق الآمال والطموحات من جهة وبين التفكير في الموت من ناحية أخرى، وهذا يكرس فكرة أن المسلمين يفكرون دائمًا في الآخرة أكثر من التفكير في الحياة ويعتبرون أنفسهم فوق الكمال وهو الأمر الذي طرح العديد من التساؤلات حول تأخر المسلمين وتخلفهم حتى الآن.

الدكتور حيدر إبراهيم ذهب - من وجهة نظره - إلى ضرورة عدم تمسك المسلمين بمقولة: «إننا خير أمة للناس» واعتبر هذا المصطلح هو استعلاء غير موجود. وأشار إلى أن الآية التي تقول: ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون**﴾ تشكل عمق الأزمة التي يعيشها المسلمون باعتبار أن الإحساس

بالاستعلاء سبب تخلف هذه الأمة.

كما وجه الدكتور حيدر النقد للحركات التجديدية واعتبرها حركات سلفية جامدة من أمثال محمد عبده حيث وصفه أنه وقف في منتصف الطريق ولم يستطع استكمال طريقه حتى النهاية.. بالإضافة إلى أن أصحاب الحساسية الدينية عندما يتعاملون مع الدين في الحياة اليومية فإن العقيدة تبدأ في الضعف والتآكل. وأن كثيراً من المسلمين اعتبر الحياة هي متاع الفرد وبالتالي فهي ليست مجالاً للتعمير والتقدم وهو سبب تأخر المسلمين حتى الآن.

* الدكتور العفيف الأخضر يدعو إلى حذف كلمة «الكفار» من الفقه الإسلامي وتحرير الوعي الإسلامي من قيمة الحلال والحرام!!!:

«أما الدكتور العفيف الأخضر صاحب مدرسة التغيير الديني في تونس فقد حاول منذ بداية حديثه وضع أسس ونظريات لتعميم التجربة التونسية على جميع العواصم العربية حيث تباهي أنه كان وراء إغلاق جامعة الزيتونة في تونس في عام ١٩٥٦ والتي كانت تغسل عقول طلبتها بالفقه القديم واعتمادها على تفسيرات بعض الفقهاء.

وأشار إلى أنه لا يدين وجود تعليم ديني تنويري قائم على ضرورة استئناف حركة الإصلاح الديني وفلسفة الأنوار الفرنسية وتعليم الأجيال الصاعدة قراءة النص الديني قراءة تاريخية وإثراء مخيلتها بالقيم الإنسانية التي جاءت بها فلسفة الأنوار في القرن الثامن عشر وذلك للانتهاء من تطبيق أحكام الفقه القديم التي باتت كالدواء الذي انتهت مدة صلاحيته.

من ناحية أخرى ونظر لعدم وجود أي من المعارضين لما يقوله الدكتور العفيف الأخضر تباهي بأنه تغمره سعادة بالغة بدعوته للغرب بالتدخل

لمساعدتنا على إصلاح التعليم الديني لأن الغرب من وجهة نظره أصبح صاحب مصلحة في ذلك بعد أن امتد إليه خطر الإرهاب الديني، وأن السبب فيما يعيشه العالم الإسلامي الآن من إرهاب يعود إلى اعتماد المسلمين على فقه القرون الوسطى الذي صاغ شعورنا بتجريم وتجريد تقليد غير المسلمين وأن نرجسيتنا الدينية اعتبرت جميع الأديان الأخرى منسوخة بالإسلام.

من ناحية أخرى اعتبر الدكتور الأخضر عجز كثير من الإعلاميين والمثقفين عن التحليل الموضوعي للأطروحات الغربية لتحديد مراميها والبحث عن تقاطع المصالح فيها هو أحد أسباب انتشار الإرهاب الإسلامي.

الدكتور العفيف الأخضر وجه نقدًا لاذعًا للتعليم الإسلامي في السعودية واعتبره منبع الإرهاب حيث يقوم التعليم هناك على غسل أدمغة التلاميذ بعداء غير المسلمين وبتكفير الشيعة واعتبر أن التعليم الذي تقوم عليه بعض الأنظمة العربية تعليم ديني ظلامي يقوم على التطويع النفسي للتلميذ ليتصرف وفق ما يطلبه معلمه كما يقوم أيضًا على الاغتصاب النفسي وتحفيظ النصوص الدينية التي تعوق العقل عن التفكير فيها حيث يعتمد الحفظ لهذه النصوص على البعد عن الفحص النقدي لحساب التسليم الإيماني واليقين الأعمى.

كما ربط الدكتور الأخضر بين انتشار فتاوى التكفير وإهدار الدماء وبين انتشار هذا التعليم الإرهابي والذي تخصص في تخريج فقهاء الإرهاب ويقوم على محاربة العقل بالنقل وينقل كل الغرائز والعدوانية من غريزة الموت إلي الخوف من الجديد لتكفير الحداثة وقيمها وغرائز الحياة التي حررتها.

من جانبه طرح الأخضر مشروع تعليم تنويري على حد قوله قائمًا على تعميم التجربة التونسية في جميع الدول العربية، وأن هذا التعليم قائم على تحرير العلم من الوصاية والنصوص الدينية والاعتراف الكامل بحقوق المرأة

في كل شيء، كما طالب برد الاعتبار لغير المسلمين في العالم العربي بتدريس تاريخ مشاركتهم في صنع الحضارة العربية الإسلامية بالترجمة.

كما ذكر العفيف بالعمل على ضرورة إقصاء كلمة «الكفار» من الفقه الإسلامي واعتبر هذه التسمية هي تفرقة عنصرية وطالب بضرورة تدريس مادة حقوق الإنسان في كافة مناحي الحياة بجميع الدول العربية كما هو الحال في تونس لتحرير الوعي الإسلامي من قيمة الحلال والحرام!!»ا.هـ[١].

هذا ما أفرزه عقل التقدمي المستنير العفيف الأخضر التونسي الذي يعيش في فرنسا عامله الله بما يستحق.

ويرد د. جابر عصفور على أمين عام المجلس الأعلى للثقافة دفاعًا عن هؤلاء الذين يطعنون في الثوابت ويتهم الجريدة التي كشفت المستور «بالبلاغ التحريضي - التقرير التكفيري - التربص، الكذب، الافتراء، التدليس، الابتسار، سوء النية، التغافل، التجاهل - التشويه، التحريف، الفهم المغلوط، الخلط، الترهات، الافتراءات، القذف، القمع والتخوين والتعميم».

ولم يستطع الدكتور أن يكذب حرفًا مما نُشر وجمع من هؤلاء المثقفين من غلاة الداعين للتطبيع مع الصهاينة. ولا يستطيع أن ينكر ما قاله أدونيس عن إعادة النظر في الدين، ولا ما قاله أحمد عبدالمعطي حجازي عن فصل الدين عن الدولة، ولا ما قاله العفيف الأخضر عن تحرير الوعي من قاعدة الحلال والحرام.

□ وقضايا «تجديد الخطاب الديني» المطروحة في الأجندة الأمريكية منذ أكثر من نصف قرن (انظر كتاب «الحرب الثقافية الباردة» طبع المجلس الأعلى للثقافة)، وقد أُعيد طرحها في العقد الماضي في سياق مشروعي «هينتنجتون»

---

(١) مقال «مصيبة» لسيد يونس، وعمر عبدالعلي ومنتصر الشطبي - بجريدة الشعب - العدد ٣٣١ - (ص٣).

و«فوكوياما»، وأخيرًا أصبحت قضية تنفيذ بمبادرة كولين باول في ديسمبر ٢٠٠٢م.

* ترحيل الإسلام:

□ تحت عنوان «ترحيل الإسلام عن مصر» كتب الدكتور عبدالعظيم المطعني يقول:

«في واقعة لم يحدث لها مثيل، انعقد في مصر مؤتمر بدعوة من وزارة الثقافة، أو بالأصح من الفنان فاروق حسني وزير الثقافة من الأول إلى الثالث من يوليو الحالي، ووجهت الدعوة إلى أناس من مصر ومن خارج مصر تجمعهم صفة واحدة، هي كراهية الإسلام والحقد عليه، ما عدا الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصرية، وكان عنوان المؤتمر «نحو خطاب ثقافي جديد» لكن وقائع المؤتمر كانت غير ما يدل عليه العنوان؛ إذ تحولت إلى نقد عنيف للإسلام، وليس للثقافة بمعناها المعروف.

كان هذا المؤتمر حربًا ضروسًا على الإسلام أصوله وفروعه، تمهيدًا لترحيله من مصر معقل الإسلام منذ أكثر من ألف سنة!!

والتوصيات أو القرارات التي تولدت عنه لا تدل إلا على ترحيل الإسلام وطرده من مصر حقيقة لا خيالاً، ونشير مجرد إشارات إلى بعض هذه القرارات أمام ناظري القراء، ليدركوا إلى أي مدى وصل عداء المجلس الأعلى للثقافة للإسلام ولكل ما له صلة بالإسلام، بتخطيط من وزيرها ومن الدكتور جابر عصفور أمينها العام.

□ القرآن لم يعد صالحًا لإدارة شئون الحياة؛ لأنه «منته» أي ضيق محدود ووقائع الحياة غير منتهية فكيف يصلح المنتهي «القرآنٌ» لحكم غير المنتهي؟

□ الأحاديث النبوية كلها مكذوبة على رسول اللَّه ﷺ إلا عشرة أحاديث، فلا يجوز العمل بهذه الأحاديث المكذوبة.

□ لا يجوز الاقتداء بأصحاب رسول اللَّه ﷺ ؛ لأنهم هم الذين زوروا الأحاديث النبوية.

□ حرق كتب التفسير؛ لأنها تفاسير تدعو إلى الشرك!

□ حذف المادة التي تجعل الإسلام هو دين الدولة الرسمية لتصبح مصر دولة لا دين لها!

□ إلغاء التعليم الديني الإسلامي؛ لأنه يولد الإرهاب.

□ إلغاء الحرام والحلال، ولكل إنسان أن يفعل ما يشاء في حرية تامة.

□ إلغاء المؤسسات الدينية كالأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكذلك الجمعيات الخيرية!!

□ إلغاء اللغة العربية وكتابة لغة أخرى تحل محلها.

□ إلغاء الفقه الإسلامي كله؛ لأنه فقه «ظلامي» متخلف لا يصلح للعصر الحديث!

هذه هي التوصيات التي دعا إليها المؤتمرون برياسة وزيرهم.

أليست هذه خطوات لترحيل الإسلام عن مصر؟ وما الذي يبقى من الدين بعد تنفيذ هذه الحماقات والسياسة الفاروقية العصفورية؟!»[1].

* استباحة الإسلام:

□ تحت هذا العنوان كتب الدكتور حلمي محمد القاعود يقول في

---

(١) جريدة آفاق عربية العدد (٦١٦) ـ الخميس الموافق ١٧ من جمادى من يوليو ٢٠٠٣م.

جريدة آفاق عربية:

يبدو أن استباحة الإسلام عَبَرَتْ مرحلة الخداع والمداراة إلى مرحلة المباشرة والفجور، فما عادت الألفاظ المراوغة هي المعجم الذي تستخدمه الصليبية الاستعمارية المتوحشة وخدامها من الناطقين بالضاد، لكن تقدمت الألفاظ الصريحة الواضحة إلى المعجم الصليبي الاستعماري الذي يردده الأتباع والأشياع، ولم يعد التطرف والتشدد والأصولية والإرهاب شفرة الحديث المتعارف عليها عند الحديث عن الإسلام وحسب، ولكنها صارت التعريف الأوضح لمفاهيم الإسلام من حياة المسلمين، وتغيير معتقداتهم الإسلامية وتعديل قرآنهم، فضلاً عن السخرية من آياته ومفاهيمه، وعدّ الإسلام أو دخوله إلى مصر غزواً استعماريًّا يهدف إلى نهبها لحساب الخلافة في يثرب ودمشق وبغداد!

في الأيام الماضية شهدت القاهرة حدثًا ثقافيًّا احتشدت له أجهزة الدعاية المصرية والعربية، وفي الوقت ذاته أخذت تتبلور في الأفق الثقافي ظاهرة طائفية خطيرة ومريبة!

الحدث الثقافي الذي احتشدت له أجهزة الدعاية المصرية والعربية كان مؤتمر «نحو خطاب ثقافي عربي - من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل» الذي عقدته وزارة الثقافة المصرية بمقر المجلس الأعلى للثقافة، وحشدت له نحو سبعين ومائة من المثقفين العرب والمصريين، معظمهم من الشيوعيين وبعض الليبراليين، وحشرت بينهم اثنين من المحسوبين على التيار الإسلامي لم يحضرا المؤتمر، على مدى ثلاثة أيام من الأول إلى الثالث من يولية ٢٠٠٣، تبارى المتحدثون في المؤتمر في الحديث عن الخطاب الثقافي الجديد الذي يفترض أن تعتمده الأمة العربية لتحدي الحاضر ودخول آفاق المستقبل.

وتجرأ كثير من المتحدثين الشيوعيين، أو من كانوا كذلك وصاروا

متأمركين في الحديث عن العقبات التي تحول دون دخول العرب إلى آفاق المستقبل، واختزلوا هذه العقبات في الإسلام.

قال «أدونيس» الشاعر السوري المعروف:

«إن الإسلام هو خاتم الرسالات ومحمد ﷺ هو خاتم الرسل، وإن اللَّه قد قال ما عنده بالنسبة للدين الخاتم، ولم يعد لديه ما يقوله! ـ تعالى اللَّه عما يقول علوًّا كبيرًا ـ ورتب «أدونيس» على ذلك أن الإسلام أعطى اليقين والثبات، فلم تعد للمسلم حاجة إلى السؤال أو القلق الذي هو أساس الإبداع؛ لذا فالإسلام ضد الإبداع.

وقال (جابر عصفور): إن الإرهاب هو العقبة الأساسية في طريق التقدم والإبداع؛ لأن الإرهاب هو الذي يقتل المفكرين والمبدعين والمثقفين، ويهددهم ويعوق إبداعهم لذا فلا بد من القضاء على جذوره المتمثلة في الأصولية.

وقال «العفيف الأخضر»: يجب تغيير التربية الدينية الإسلامية؛ لأنها تنتج الإرهاب والظلام، ويجب القضاء على الإسلام (الوهابي) ـ كما يسميه ـ وتعميم التجربة التعليمية التونسية في البلاد العربية، وهي التجربة التي استأصلت الإسلام تمامًا من التعليم وحرَّمت ارتداء الحجاب على الطالبات، وحبذت «التغريب» في المجتمع التونسي، ثم فاخر «العفيف الأخضر» بأنه هو الذي أغلق جامعة الزيتونة (الإسلامية).. ورأى آخرون أن كلمة (الكفار) يجب أن تحذف من القرآن الكريم، وأن آية ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس..**﴾ تعبير عنصري، وأن المسلمين يجب أن ينخرطوا في سياق (العولمة) أي التبعية للعالم الصليبي المتوحش!

ثم جاءت توصيات المؤتمر لتصب في هذا السياق إلى حد كبير، مع أنها تحدثت برقة ولطف عن الاستبداد وحق الشعب الفلسطيني في دولته المستقلة

(دون إشارة إلى القدس واللاجئين) والتنديد بالاحتلال الأمريكي للعراق (دون الدعوة إلى المقاومة وانسحاب المحتلين)، فإنها دعت إلى ما أسمته الخطاب الديني المتطور المنفتح على العصر الذي يتجاوز الخطابات الدينية الركودية والمتزمتة (مثل ماذا؟ - لم تقل لنا التوصيات ما هي؟) ودعوة الحكومات إلى اتخاذ موقف محايد في صراع الأفكار والاجتهادات، دون توظيف ديني للسياسة أو توظيف سياسي للدين (يعني بالعربي الفصيح دعوا كل من يحارب الإسلام يعمل براحته دون أن يزعجه أحد أو يرد عليه أحد، فضلاً عن إقصاء الإسلام من الحياة الإسلامية، وفقًا لما دعا إليه أحدهم من ضرورة حذف المادة الثانية من الدستور التي تتحدث عن الشريعة الإسلامية بوصفها المصدر الأساسي للتشريع، وضرورة الفصل بين الدين والدولة!).

ورفضت التوصيات ما يسمى بدعوات الانعزال عن العالم أو مناصبته العداء. ولست أدري من الذي أوحى للمؤتمرين بهذه التوصية؟ يبدو أنهم لم يسمعوا عن الجيوش الجرارة المسلحة وغير المسلحة التي تأتي إلينا في عقر دارنا تستوطن بلادنا وتحتلها وتنهب ثرواتها، وتغزونا بمنصريها وسماسرتها ومخابراتها وعملائها - فهل نحن حقًّا معزولون عن العالم؟ لو أردنا الانعزال أيها المستنيرون لما استطعنا.. ثم من قال إننا ندعو إلى مناصبة العالم العداء؟! لقد انبطحنا - كما لم ينبطح أحد من قبل - واستسلمنا استسلامًا غير مسبوق للعالم كله، بكباره وصغاره، وسلّمنا عواصم الخلافة والقداسة والحضارة ليسوح فيها المحتلون الصليبيون المتوحشون الغزاة كيفما شاءوا، وأرادوا، فهل نحن الذين نناصب العالم العداء؟!.. عيب عليكم يا أهل التقدم والاستنارة والشطارة أن ترددوا مثل هذا الكلام!

ثم تتناول التوصيات ما تسميه بالوصايا المتعالية التي تحتكر المقدسات القومية والدينية وتنصب نفسها قيمًا منفردًا عليها، وتعلن رفض هذه الوصايا

بالطبع لم تقدم قيادة المؤتمر أو أمانته أي نموذج لهذه الوصايات المتعالية، وأغلب الظن أن المسألة في جوهرها هي رفض غير مباشر لمفاهيم الإسلام وقيمه، واستباحة صريحة لتعاليم الدين الإسلامي المحاصر واليتيم والمطارد في بلده وموطنه وكل مكان. تُرى هل يجرؤ أهل اليسار والعلمانيون الذين أقاموا مؤتمرًا ضخمًا بأموال الشعب المصري البائس أن يوجهوا مثل هذا الكلام إلى دين آخر أو شريعة أخرى غير دين الإسلام وشريعته؟! كلا؛ لأن أصحاب الديانات والشرائع الأخرى حتى شريعة عبادة البقر يملكون القوة للدفاع عنها وهؤلاء لا يستطيعون الاقتراب منها أو لمسها! ألم أقل لكم إن استباحة الإسلام تتم اليوم بمنتهى المباشرة والفجور؟ ولك اللَّه يا مصر»(١) ا.هـ.

*** أسامة أنور عكاشة:**

□ يقول الدكتور محمود جامع: «قد قرأنا ورأينا أسامة أنور عكاشة يسخر من الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود في رؤيته للرسول ﷺ أيام حرب أكتوبر ويسخر من الآية الكريمة في القرآن ﴿**جنودًا لم تروها**﴾ وذلك في جريدة الوفد، وقد ردت عليه بمقال في حينه»(٢).

*** وحيد حامد المحرّف لمعاني القرآن.. الكاره لمتبعي السنة عامله اللَّه بما يستحق:**

هذا الذي سوّد صحيفته بالهجوم على متبعي السنة ونعتهم بالإرهابيين و«بالذئاب الشرسة الموتورة والمصابة بسعار الجهل والتعصب فإنها تنهش كل ما يصادفها بكل القسوة.. وبكل حدة الأنياب والأظافر.. كان من المستحيل

---

(١) جريدة آفاق عربية العدد (٦١٦) ـ الصفحة الأخيرة (١٤).

(٢) من مقال «واجعلني لسان صدق في العالمين» ـ جريدة آفاق عربية ـ العدد ٦١٤ ـ (ص١٤) يوم ٣/ ٧/ ٢٠٠٣.

أن نترك لهم الدين ليفتروا عليه بالباطل.. ويخرّبوه علينا..»[1].

* رمتني بدائها وانسلت:

ونقول له: «رمتني بدائها وانسلت» وإلا فأنت المصاب بسعار الجهل والتعصب ولا نترك لك الإسلام لتفتري عليه بالباطل وتخرّبه علينا «بل وتحرف معاني كتاب اللَّه تحريفًا جليًّا تهدم به الثوابت من دين اللَّه ـ عز وجل ـ ولا يحوجنا الدليل فمقالاتك في روز اليوسف يعرفها الجميع.. ومن فمك وقلمك أدينك.. ففي كتابك «استيقظوا أو موتوا» تكلمت بالبهتان عن الشروط والضوابط الإسلامية لحفلات النكاح التي يقيمها المتشددون ومنها: «الشرط الثالث: المدعوون:.. لا بد أن يكونوا جميعهم من المسلمين والمسلمات.. ولا يجوز أن يحضر هذا العرس مسيحي أو مسيحية حتى لو كان هذا المسيحي صديقًا أو زميلاً في العمل أو حتى جارًا..

.. ولكن قبل أن نخرس هؤلاء الطغاة الآثمين لا بد لنا أن نوضح شر هذه البدعة اللعينة التي تبدأ هادئة ناعمة نعومة الأفعى حتى تتمكن من اللدغة القاتلة:..» ثم قال بالحرف الواحد: «باللَّه عليكم أي مصيبة هذه؟ وأي عقاب رادع يجب أن يكون.

أهو الحرق بالنار قبل أن تحرقنا نار الفتنة التي هي أشد من القتل.. انظروا قول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**إن الذين يكفرون باللَّه ورسله ويريدون أن يفرقوا بين اللَّه ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا * والذين آمنوا باللَّه ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان اللَّه غفورًا رحيمًا**﴾ هذا هو حكم اللَّه بالنسبة لشياطين الإنس الذين يخططون لدمار هذه

---

(١) «استيقظوا أو موتوا» لوحيد حامد (ص٧) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الأمة.. فما هو حكم البشر»[١] اهـ.

قاتلك اللَّه من جاهل.. تنعت المسلمين بأنهم شياطين الإنس بل وتكفرهم بسوقك لهذه الآية.. ونتحداك أيها الجاهل أن تفتح أي كتاب من كتب التفسير وتعلمنا من المقصود بالكافرين في هذه الآية شاه وجهك ووجوه أمثالك..

□ ثم هو يتكلم عمن يقترح قتال شياطين الإنس «أي متبعي السنة» فيقول:

«وهناك من يقرر القتال فورًا؛ لأن القتال من أجل سلامة الوطن والدين أمر حتمي وليس محل خلاف سواءً من الناحية الدينية البحتة أو الوطنية البحتة.. والقتال أيها السادة ليس بدعة.. الرسول ﷺ حارب البدع!!!. وكان يقضي على الفتن قبل أن تُولد.. وتبعه الخلفاء الأربعة.. أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.. وأي قارئ للتاريخ الإسلامي في استطاعته الوقوف على حقيقة هذه البدع ثم القضاء عليها بالسيف.. حرصًا على سلامة الدين والأمة ولكننا نعيش زمن الهوان وعدم القدرة على التصدي»[٢] .. وقد عرفناك أيها المتطاول من صريح قولك ولحنه.

* علي سالم الكاتب المسرحي حبيب الصهاينة المدافع بإخلاص عن التطبيع مع اليهود:

إنه المدافع عن فكرة تبدو أقرب إلى العنقاء منها إلى المنطق والواقع.. علي سالم المفصول من نقابته ومن اتحاد الكتاب.. المنبوذ في جلسات المثقفين.. الرافض للتوبة.

---

(١) «استيقظوا أو موتوا» (ص٥٦ ـ ٥٧).

(٢) المصدر السابق (ص٥٨).

يقول: «لعلمك، طول عمر المسلمين واليهود سمن على عسل حتى بداية القرن الماضي، وبالتحديد عندما أصبح لليهود دولة اسمها إسرائيل!!».

ويقول: «تم تديين الصراع العربي الإسرائيلي مع أنه في عزّ الستينيات لم يكن ذلك كذلك».

وقال: «إنهم يريدونني أن أكتب ورقة الاستتابة حتى تفتح لي الأبواب من جديد.. وأعلم أنني سأموت لو كتبت هذه الورقة كثمن لعودتي إلى النقابة واتحاد الكتاب فلن أكتبها».

وقال: «بعد توقيع إعلان أوسلو، وبعد أن قرأت عن دور المثقف الإسرائيلي في صنع السلام رأيت أن لحظة التنافس الإيجابي بين المثقفين المؤمنين بالسلام على الجانبين باتت حتمية... المثقفون وحدهم هم الذين يستطيعون لفت نظر الناس إلى أهمية السلام»[١].

* رائد التطبيع المصري الإسرائيلي مصطفى خليل رئيس وزراء مصر الأسبق:

سوف يذكر التاريخ الدور البارز الذي لعبه الدكتور مصطفى خليل في التطبيع بين مصر وإسرائيل.. وسيذهب كل من تآمر على القدس والأقصى إلى مزبلة التاريخ ويبقى القدس والأقصى وكل فلسطين للمسلمين.

* دكتور سمير سرحان عدو الإسلام الظلامي:

دكتور سمير سرحان الأمين العام للمشروع العربي للقراءة للجميع يقول عن كتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل:

«يقدم نموذجًا للإسلام المستنير، وسط هجمة شرسة من مؤلفات الإسلام الظلامي التي لا ترى في الإسلام سوى الجنس والعذاب والعقاب

---

(١) الأهرام العربي العدد ٣٢٩ ـ السبت ١٢ يوليو ٢٠٠٣م ـ حوار.. «علي سالم يرى أن صراعنا لم يعد مع إسرائيل» (ص٢٦ ـ ٢٨).

والثعبان الأقرع والجلباب القصير ولا تهتم سوى بالتفاصيل التافهة البعيدة من جوهر الإسلام وحقيقته»[١] ولا تعليق.

*** إقبال بركة على خطى هدى شعراوي وسيزا نبراوي ودرية شفيق:**

□ إقبال صاحبة «الحب في صدر الإسلام».

هي المناضلة بجلد ضد حجاب المرأة وعدم وجوبه.. وهي على خطا هدي شعراوي، وسيزا نبراوي ودرية شفيق وأمينه السعيد ونوال السعداوي، أورثهن اللَّه ذل الدنيا قبل ذل وعذاب الآخرة.

* قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ**﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

وآخر طوامها ما قاله الدكتور محمود جامع في «جريدة آفاق عربية» الصفحة الأخيرة العدد (٦١٤) ٣٠ من جمادى الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣/٧/٣.

يقول: «ورأيت أخيرًا برنامجًا في قناة دريم قامت فيه «إقبال بركة» بالسخرية والتهكم بطريقة مخزية - من علماء الأزهر وخطباء الجمعة بالمساجد بحضور الشيخ محمد عاشور والمحامي منتصر الزيات الذي استثارته هذه الألفاظ البذيئة النابية.. ولجأ إلى الشيخ عاشور للرد على هذه الإهانات، وكاد الأمر ينتهي بانسحاب الشيخ عاشور وليته انسحب، وليته ما حضر!!

والسيدة إقبال تحلّ العري في النساء بحجة أن ربنا رب قلوب، وأن هذه مظاهر فقط.. والمهم المخبر لا المظهر!! وتريد أن تتلاعب بثوابت الشريعة

---

(١) مجلة القاهرة العدد ١٦٩ (ص١٠) الثلاثاء ٨ يوليو ٢٠٠٣.

على مزاجها، وتسخر من الخطاب الديني» اهـ.

بل هي على رأس من يدعون إلى إشاعة الفاحشة بين المسلمين أليست هي صاحبة «الحب في صدر الإسلام» والإسلام عندها يقر الحب والاختلاط بين النساء والرجال، وتتقوّل على الإسلام ما ليس فيه، وتبث العفن والسم في مقالاتها وستذهب هي ومقالاتها وآراؤها الدنسة إلى مزابل التاريخ.

*** المستشار سعيد العشماوي الكاره لشرع الله، المحطِّم لثوابت الإسلام:**

إنه العشماوي الدال على الموت لفظًا ومعنى وهو يصرّح بعلمنة الإسلام باختزال البعد القانوني فيه وهو المتولي كبر هذه المقولة.

ولتحقيق هذا الهدف انبرى المستشار للتبشير بأن ما في القرآن الكريم من آيات الأحكام والتشريع هو من الضآلة بحيث ينفي عن الإسلام وشريعته الاهتمام بالتشريع والقانون.. وبنص عبارته قال العشماوي: «فإن بالقرآن الكريم ستة آلاف آية، وما يتضمن منها أحكامًا للشريعة، أو «تشريعات» في العبادات أو في المعاملات لا يصل إلى سبعمائة آية، منها حوالي مائتي آية فقط هي التي تقرر أحكامًا للأحوال الشخصية والمواريث أو للتعامل المدني أو الجزاء الجنائي، أي أن الآيات التي تُعد تشريعات (قانونية) للمعاملات هي مجرد جزء من ثلاثين جزءًا من آيات القرآن ٢٠٠/ ٦٠٠٠ بعضها منسوخ ولا يُعمل به، أي أن الأحكام السارية أقل من واحد على ثلاثين، وعلى وجه التحديد ٨٠ آية، أي ٨٠/ ٦٠٠٠ = ١/ ٧٥»[١].

❏ ويقول: «كانت شريعة موسى هي الحق، فهي تضع الحدود مع الواجبات، وتحدد الجزاء لكل إثم وشريعة عيسى هي الحب، وشريعة محمد

---

(١) «الإسلام السياسي» للعشماوي (ص٣٥)، وكذلك كتابه «معالم الإسلام» (ص١١٩، ١٦٨، ١٧٠).

هي الرحمة»[١]، ويقول: «فرسالة محمد ليست كرسالة موسى، رسالة تشريع، وإنما هي رسالة رحمة ورسالة أخلاق، بحيث يعد التشريع صفة تالية، ثانوية، غير أساسية.. وإن دفع رسالة محمد لتكون رسالة تشريع أصلاً وأساسًا ـ مع أنها ليست كذلك ـ هو اتجاه يجعل من الإسلام صيغة عربية لليهودية، أو اتجاه يفهم الإسلام بمنطق الإسرائيليات»[٢].

وهذا جهل منه ـ إن حسنت نياته وما أظنها تحسن ـ وإن كان قد استند إلى قول مقاتل بن سليمان الذي جعل آيات الأحكام خمسمائة، فإن مقاتل لم يدع أن هذه الآيات الخمسمائة هي كل آيات الأحكام، وإنما رآها الدالة دلالة ظاهرة على الأحكام، لا التي «تحصر الأحكام في القرآن الكريم».

وبعبارة الزركشي «ولعلهم قصدوا بذلك الآيات الدالة على الأحكام دلالة أولية بالذات، لا بطريق التضمن والالتزام».

أما عبارة ابن دقيق العيد فإنها تقول: «إن الأمر غير منحصر في هذا العدد، بل هو مختلف باختلاف القرائح والأذهان، وما يفتحه اللَّه على عباده من وجوه الاستنباط»[٣].

ولقد صيغ هذا المعنى صياغة واضحة وحاسمة، قالت عن القرآن الكريم: «إنه لا يخلو شيء منه عن حكم يُستنبط منه»..؛ ذلك لأن الذين ذكروا أن الآيات ـ التي تتعلق بالأحكام خمسمائة آية ـ كأنهم أرادوا ما هو مقصود به الأحكام بدلالة المطابقة، أم بدلالة الالتزام فغالب القرآن، بل كله؛

(١) «أصول الشريعة» للعشماوي (ص١٧٩، ١٨٠).
(٢) «الإسلام السياسي» (ص٤٥).
(٣) «البحر المحيط» للزركشي (٦/ ١٩٩) تحرير د. عبدالستار أبو غدة ـ طبع وزارة الأوقاف ـ الكويت.

لأنه لا يخلو شيء منه عن حكم يُستنبط منه»[١] .

هكذا سقطت وتسقط محاولات علمنة الإسلام باختزال البعد التشريعي في شريعته الإلهية وقرآنه الكريم»[٢] .

* **لا.. ليس الحجاب فريضة إسلامية!! هكذا يقول العشماوي:**

للعشماوي عدة مقالات عن الحجاب في مجلة روز اليوسف وهي الأعداد رقم ٣٤٤٤ بتاريخ ١٣ يونيو ١٩٩٤، ورد عليه شيخ الأزهر الدكتور طنطاوي بمقالة: «بل الحجاب فريضة إسلامية» العدد ٣٤٤٦ بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٩٤، ثم رد العشماوي: «لا ليس الحجاب فريضة إسلامية» في مجلة روز اليوسف العدد ٣٤٤٦ بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٩٤ ثم مقال: «فتوى الأزهر عن الحجاب غير شرعية» بمجلة روز اليوسف العدد ٣٤٥٤ بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٩٤ ثم جمعها في كتاب «حقيقة الحجاب وحجية الحديث» طبع مؤسسة روز اليوسف.

* **الحجاب دعوى سياسية:**

تحت هذا العنوان كتب العشماوي: «الحجاب ـ بالمفهوم الدارج حالياً ـ شعار سياسي وليس فرضًا دينيًا ورد على سبيل الجزم والقطع واليقين والدوام، في القرآن الكريم أو في السنة النبوية، لقد فرضته جماعات الإسلام السياسي ـ أصلاً ـ لتميز بعض السيدات والفتيات المنضويات تحت لوائهم عن غيرهن من المسلمات وغير المسلمات، ثم تمسكت هذه الجماعات به كشعار

---

(١) «شرح الكوكب المنير» لابن النجار (٤/ ٤٦٠) تحقيق د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد ـ طبع السعودية.

(٢) «الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية» للدكتور محمد عمارة (ص٥٧، ٥٨، ٥٩)، و«سقوط الغلو العلماني» للدكتور محمد عمارة ـ طبعة القاهرة.

لها، وأفرغت عليه صبغة دينية.. وهذه الجماعات - في واقع الأمر - تتمسك بالظواهر دون أن تتعلق بالجواهر، وتهتم بالتوافه من المسائل والهوامش من الأمور، ولا تنفذ إلى لب الحقائق وصميم الخُلُق وأصل الضمير، وقد سعت هذه الجماعات إلى فرض ما يُسمى بالحجاب - بالإكراه والإعنات - على نساء وفتيات المجتمع كشارة يظهرون بها انتشار نفوذهم وامتداد نشاطهم وازدياد أتباعهم، دون الاهتمام بأن يعبر المظهر عن الجوهر، وأن تكون هذه الشارة معنى حقيقيًّا للعفة والاحتشام وعدم التبرج.

وقد ساعدهم على انتشار ما يُسمّى بالحجاب بعض عوامل منها عامل اقتصادي وهو ارتفاع أسعار تجميل الشعر وتصفيفه ازديادها عن مستوى قدرة أغلب الناس!!! والدليل على أن للعامل الاقتصادي أثرًا في انتشار ما يُسمّى بالحجاب، أن هذا العامل ذاته هو الذي يدفع كثير من النساء والفتيات إلى العمل في الغالب - للحصول على موارد مالية أو لزيادة إيرادة الأسرة - في غالب الأحيان - هو الذي دفع المرأة إلى العمل على الزعم بتحريمة، وهو الذي دفع كثيرًا من النساء والفتيات إلى وضع غطاء للرأس، وإن كان مزركشًا وخليعًا، كأنما الشعر وحده هو العورة لا بد أن تستر ثم تكون بعد ذلك غطاء لأي تجاوز أو فجور»[(١)].

* شعر المرأة ليس عورة:

نشر هذا البحث في مجلة روز اليوسف العدد رقم ٣٤٥١ بتاريخ أول أغسطس ١٩٩٤ قال في نهايته: «وخلاصة الخلاصة أن شعر المرأة ليس عورة أبدًا، والذي يقول بغير ذلك يفرض من عنده ما لم يفرضه الدين، ويُلزم

(١) «حقيقة الحجاب وحجية السنة» (ص٣٠ - ٣١) لمحمد سعيد العشماوي - الكتاب الذهبي مؤسسة روزاليوسف.

الناس ما لا ينبغي أن يلتزموا به، ويغيّر ويبدل من أحكام الدين لجهل شخصي أو لمصلحة سياسية أو لأهداف نفطية»[1].

عاملك اللَّه يا عشماوي بما تستحق من الجرأة والتطاول على الثوابت من هذا الدين، وأرانا اللَّه فيك آية قبل موتك تقر بها عيون العابدين.

◻ ويقول العشماوي: «من ذلك أن الإسلام يفصل بين الدين والدنيا»[2].

* **حجيّة الحديث:**

◻قال العشماوي: «ومفاد ذلك أن أحاديث «سنة» الآحاد ليست فريضة دينية، ولا واجبًا دينيًا، وأن من ينكر استقلالها بإثبات الفروض أو الواجبات الدينية لا يكون قد أنكر شيئًا من الدين، ولا يكون آثمًا أو عاصيًا أو كافرًا..

ومن أنكر استقلال أحاديث «سنة» الآحاد في إثبات الفروض أو الوجوب أو التحريم لا يعد منكرًا لشيء من الدين «فلا هو آثم ولا هو عاص ولا هو كافر»[3].

والعشماوي لا يثبت إلا حديثًا واحدًا متواترًا من السنن القولية وهو حديث: «**من كذب علي متعمدًا**»[4].

فماذا بقي من دين اللَّه بعد ذلك.. وقول العشماوي هذا يأباه صبيان الكتاتيب فضلاً عن علماء المسلمين والعامة والدهماء.. وفقه العشماوي ومصطلحه في الحديث كاسمه.. معناه الموت وضياع الشرع.

---

(١) المصدر السابق (ص٨٠).

(٢) المصدر السابق (ص٨٥).

(٣) المصدر السابق (ص١١٠).

(٤) المصدر السابق (ص١٠٨).

*** الشريعة الإسلامية أصابها التحريف والتغيير؛ ولذا فهي لا تصلح للحكم في هذا العصر!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً:**

خصص العشماوي كتابه «أصول الشريعة» الذي خصّصه لاثبات أن الشريعة الإسلامية قد أصابها التحريف والتغيير، ولذلك فهي لا تصلح للحكم في هذا العصر.

ويتلخّص مضمون الكتاب فيما يأتي(١):

١ ـ في أن كلمة «الشريعة» غير واضحة في أذهان المسلمين، فهم يُطالبون بتطبيقها دون أن يفهموها، وقد وقع التغيير في مفهوم الشريعة بين أهل الإسلام، مثلما وقع في مفهوم التوراة لدى اليهود؟!!

٢ ـ الارتداد عن الإسلام يأتي ضمن حرية الاعتقاد، فلا يصح إقامة الحدّ على المرتد، كما أن رجم الزاني المحصن ليس من أحكام الدين الثابتة الباقية كحد شرعي.

٣ ـ الدين كامل منذ «أوزوريس» ومن قبل أن يبعث محمد ﷺ والمراد بالآية القرآنية بإكمال الدين(٢) إكمال شعائر الحج لا الدين نفسه، الشريعة تكتمل بتطورها، ومسايرتها للتطور الإنساني.

٤ ـ الخمر مأمور باجتنابها فقط دون التنصيص بتحريمها في القرآن.

٥ ـ قطع اليد وبتر الأعضاء في العقوبة لا يلائم روح الشريعة الإسلامية!!

ولا شك أن إطلاق هذه الأحكام كفر صريح.

(١) ينظر مجلة البلاغ في ٨ صفر/١٤٠٤هـ/ (ص٣٧ ـ ٣٨)، وانظر: «العصرانيون» (ص٢٨٢).

(٢) أي قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

* المخرج حسن الإمام والمخرجة إيناس الدغيدي وأفلام العري ومحبة إشاعة الفاحشة بين المؤمنين والمؤمنات:

الفطر السليمة تنفر من انكشاف السوءات الجسدية والنفسية وتحرص على سترها وموارتها.. والذين يحاولون تعرية الجسد من اللباس، وتعرية النفس من التقوى، ومن الحياء من اللَّه ومن الناس بالأفلام الشيطانية الخبيثة هم الذين يريدون سلب «الإنسان» خصائص فطرته، وخصائص إنسانيته التي بها صار إنسانًا وهم الذين يريدون إشاعة الانحلال في الأمة لا يميل الإنسان إلى العري إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان.. إن رؤية العري جمالاً هو انتكاس في الفطرة وفي الذوق البشري.

والعري النفسي من الحياء والتقوى هو ما تمهد له هذه الأفلام هو نكسة وردة إلى تبرج الجاهلية كما تريد هذه الأفلام الشيطانية المدرية والموجهة أن توسوس وسوسة الشياطين وصدق اللَّه إذ يقول: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٦].

فهناك تلازم بين شرع اللَّه واللباس الساتر للعورات والزينة، وبين التقوى كلاهما لباس، هذا يستر عورات القلب ويزينه، وذاك يستر عورات الجسم ويزينه، وهما متلازمان، فعن شعور التقوى للَّه والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح عري الجسد والحياء منه، ومن لا يستحي من اللَّه ولا يتقيه لا يهمه أن يتعرى وأن يدعو إلى العري.. العري من الحياء والتقوى، والعري من اللباس.

إن شياطين الإنس الذين يشيعون العري ويملأون الدنيا فسادًا وإفسادًا بعريهم فتطيعهم القطعان والبهائم العارية طاعة مزرية، وأصبحت الأفلام مادة

لسعار العري والتكشف وماخوراً متنقلاً للدعارة، ولسوف يسأل اللَّه حسن الإمام ومن على شاكلته وإيناس الدغيدي ومن على شاكلتها عن ما فعلوا بالأمة وشبابها من عري وتمجيد الراقصات والساقطات.

سجل بكفك في القرطاس ما كتبت   كلتــا يديــك به أمســيت مرهونا

ما فعلته أفلام «السكرية» و«زقاق المدق» و«قصر الشوق» و«خلي بالك من زوزو» و«أبي فوق الشجرة» و«الجسد» و«مذكرات مراهقة» و«الساحر» أكثر مما فعله فينا جيش اليهود وأقسم باللَّه على هذا.. ولسوف يُسأل هؤلاء الساقطون والساقطات عن انحلال المجتمع وترديه في الهاوية التي لا يعلم مداها إلا اللَّه.

* * *

العصرانيُّون العَقلانِيُّون

العصرانيُّون العَقْلانيُّون

* **العصرانيون:**

العصرانيون قوم قدّسوا العقل وقدموه على نصوص الكتاب والسنة، ودعوا إلى تطوير الشريعة، ومفاهيم الإسلام على طريقة العصرانيين عند الغرب، والعصرانيون يمثلون تياراً عامًا لم تكتمل ملامحه بعد، ولم تكن اجتهادات رجاله واحدة، وإنما يشتركون في ملامح عامة وخصائص مشتركة عمومًا.

والعصرانيون ليسوا سواء، في منطلقاتهم وأهدافهم، وقد يلتقي معهم - في بعض المسائل - من ليس منهم ولا يوافقهم على كثير من غلوهم وجموحهم - ومنهم من ينتسب إلى التيار الإسلامي (د. محمد عمارة - فهمي هويدي - عبدالعزيز كامل) والكل قد خاض في مسائل شائكة مثل تجديد أصول الفقه، وموقفهم من السنة النبوية - والدعوة إلى وحدة الأديان، والكثيرون منهم دعوا إلى فصل الدين عن الدولة، ودأبوا على تزوير التاريخ الإسلامي، ويرحم اللَّه شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال:

«الشرع يخبر بمحارات العقول لا بمحالات العقول» ويرحم اللَّه من قال: «العقل كالدابة يوصلك إلى باب الملك ثم تدخل عليه بمطلق التسليم»، ولكن العصرانيون لم يعوا هذا».

* **محمد عركون يُنكر أصول الإسلام ويتهم الأئمة ويدعو الماركسية أن تأخذ حظها في تقييم الإسلام والحكم عليه:**

الدكتور محمد عركون؛ جزائري، من مواليد ١٩٢٨. أتم دراسته

باريس ١٩٥٥، وحصل على الدكتوراه من السربون سنة ١٩٦٩ حول الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري، وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية، معظم مؤلفاته بالفرنسية.

وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام ـ والقرآن والسنة بالمقاييس الغربية، وبالاستفادة من المعطيات التي خلّفها ماركس ونيتشه وغيرهما.

ويعتبر الدين الذي ينتهجه الناس مجموعة من المعطيات البطريركية التي خلّفها الفقهاء وأسبغوا عليها صبغة القداسة. والرجل أمة وحده في منهجه وحربه الشرسة التي تحتاج إلى حنكة ومتابعة.

والتسليم بالدين ـ بل حتى التسليم بالله تعالى نفسه أمر يحتاج إلى دليل عند محمد عركون، لا يملكه «النصوصيون المتخلفون»!! كمالك وابن تيمية وابن عباس ﷺ، بل إن ذلك ينقصه الدليل الذي يحاول أن يأتي به اليساريون «المسلمون» ويقدمه لنا «المجدد» محمد عركون في كتابه «الإسلام ـ الأمس والغد: (ص١٤٠) وما بعدها».

«إن الفكر الإسلامي لا يمكنه أن يتهرب طويلاً (!!) إن فعل الإيمان «الأرثوذكسي»[١] المحتسب دومًا يقوم على التأكيد بأن الدين يرتكز على الوحي الذي أنزله الله للناس بواسطة الأنبياء لكن الواقع العلمي الحديث ينزع إلى فرض فكرة أن الدين كله من المجتمع، الله ـ سبحانه وتعالى ـ بذاته بحاجة إلى شهادة الإنسان له (!!)»[٢].

وهكذا فلا قرآن ولا أنبياء ولا مقدسات، بل محاولة تتمسّح بالمنهجية والعقل من أجل إلغاء الدين والقضاء عليه ﴿**والله متم نوره**﴾[٣].

(١) يقصد السني الملتزم بالنصوص القرآنية المقدس لها فيما أظن.

(٢) «الإسلام ـ الأمس والغد» لمحمد عركون (ص١٤٠) وما بعدها.

(٣) «اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام» (ص٣٨ ـ ٣٩).

* اتهامه للأئمة:

يقول «المجدد!!» محمد عركون [القدسي والثقافي والمتغير في مجلة الفكر العربي المعاصر العدد ٣٩]:

«إن أشكال الإسلام المدعوة مستقيمة أو أرثوذكسية (هكذا واللَّه) كالاتجاه السني والشيعي والخارجي (؟!) الذي يدّعي كل منها أنه يحتكر الإسلام الصحيح دون غيره، هي عبارة عن انتقاءات اعتباطية(!!) واستخدامات أيديولوجية لمجموعة من الأفكار والعقائد والممارسات المقدمة والمصورة على أساس أنها دينية محضة».

يقول الأستاذ عبدالسلام البسيوني معلقًا:

«فالمسألة عنده ليست اجتهاداً بل اعتباطًا وانتقاء لأيدلوجيات، ثم إضفاء الصبغة الدينية عليها، فأي أمة نحن (؟!!).

ويقول مسيلمة[١] السابق نفسه (الهدى المغربية ـ وقفات مع محمد عركون):

«أصبحنا من أجل التفكير في تاريخنا لا نجد في متناول أيدينا سوى (سيدي خليل) عندنا، وابن تيمية عند الحنبليين، وبعض المفكرين القانونيين عند الحنفيين، وبالتالي إطار إسلامي، وتقاليد إسلامية خضعت لعملية كبيرة من التفقير والتخسيس»[٢] . .

ويلمح عركون إلى أن الماركسية لم تأخذ حظها في تقييم الإسلام والحكم عليه!! وأنها ينبغي أن تكون منطلقًا لعلمنة الإسلام فيقول:

«نلاحظ أن الماركسية لم تُعرف بصورتها الإيجابية حتى الآن، لا في

---

(١) يعني محمد عركون.

(٢) «اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام» (ص٤٣).

الفكر العربي المعاصر، ولا في الفكر الإسلامي بشكل عام، نفس الشيء يمكن أن يقال بخصوص نقد القيم الذي قام به «نيتشه» تجاه المسيحية. وهذا النقد قابل للتطبيق على الإسلام (؟!) وإذا ما نظرنا للتاريخ بكليته ضمن هذا المنظور، فإنه يصبح ممكنًا تعبيد الطريق وتمهيده نحو ممارسة علمانية للإسلام. يمكن للعلمنة عندئذ أن تنتشر في المجتمعات التي اتخذت الإسلام دينًا»(١).

* **تصريحه بإنكار أصول الإسلام:**

□ يقول الأستاذ عبدالسلام البسيوني: «ومن اللافت للنظر أيضًا إيهامهم للقارئ أن الإسلام سلّم بكثير من التقاليد الجاهلية المتخلّفة وقبلها، لذلك فهم يرفضونها.. وهذا واضح في كلام حسين أحمد أمين وفي كلام محمد عركون في أكثر من موضع حين فسّر بعض القرآن الكريم بطريقته الخاصة، واعتبر وضع المرأة وقضايا الجنس والميراث من الجاهلية، ويطالب بإعادة النظر فيها بمعايير جديدة تخالف المعايير الجاهلية التي أقرّها القرآن (؟!!). يقول في حديث له بمجلة «لونوفيل أوبزرفاتور ٧/ ٢/ ١٩٨٦»:

«إن التفسير يبقى دائمًا جائزًا، على شرط أن يُعاد التفكير في مسألة التنزيل على ضوء التاريخانية (؟!) الحجاب مثلاً ـ ككل ما يمت إلى الجنس، وإلى وضع المرأة في الإسلام ـ ينتمي إلى قانون عرقي سابق على الإسلام، الإسلام صادَقَ على تقاليد قديمة متعلقة بأسس قبله، وأعطاها بُعدًا مقدسًا (؟!) ويتعلّق الأمراليوم بإعادة التفكير في هذه المفاهيم في ضوء التاريخ، وللأسف فإن هذا العمل في بداية الإسلام يحكم سيطرة الأيديولوجيا».

(١) «تاريخية الفكر العربي الإسلامي» لمحمد عركون ـ مركز الإنماء القومي ١٩٨٦.

*** محمد عركون وقراءة القرآن قراءة نقدية من خلال منظور نيتشه، وفرويد، وكارل ماركس:**

◻ يقول هذا الكذّاب الأشر:

«إن إعادة قراءة القرآن من جديد قراءة نقدية متخصصة، لا قراءة أيديولوجية تقليدية[1] هي الخطوة الأولى التي لا بد منها من أجل فهم المناخ الفكري والنفسي للشخصية العربية الإسلامية. إن هذه القراءة مضطرة لأن نأخذ في الاعتبار كل المسار الفلسفي والنقدي الذي قطعه الفكر الغربي، ابتداءً من نيتشه، وانتهاء بفرويد مروراً بطبيعة الحال بكارل ماركس»[2].

*** المفكر المستنير الطاعن في الثوابت الدينية الماركسي حسين أحمد أمين مؤلف كتاب «دليل المسلم الحزين»:**

◻ **الرسول ليس معصومًا عند حسين أحمد أمين:**

الرسول ﷺ في نظره ليس معصومًا إلا في نقله للقرآن فقط، وبهذا المفهوم يلغي السنة تمامًا.

◻ يقول هذا المستنير: «ومع أن رسول اللَّه ﷺ لم يدّع قط أنه معصوم من الخطأ إلا حين يملي أو يتلو آيات ربه (!!) بل ونبه القرآن إلى أخطاء بدرت منه؛ فقد افترض أنصار الالتزام بالسنة (يقصد جمهور أهل السنة والجماعة ابتداءً من الصحابة حتى أيامنا هذه) أن العناية الإلهية إنما كانت توجه كل عمل أتى به وكل كلمة صدرت عنه، منذ بعثه اللَّه رسولاً إلى قومه، إلى أن مات، ومن ثم فقد رأوا أن أحكام السنة ملزمة في الحالات

---

(١) «اليسار الإسلامي» (ص٣٩).

(٢) «اليسار الإسلامي» (ص٤١ ـ ٤٢).

التي لم يرد بصددها نص قرآني»[١] .

* اتهامه للأئمة :

«يقول هذا المستنير الماركسي (الدوحة ـ مارس ٨٣): «كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم (!!) ويُراعون في وضعهم الأحكام مراعاتها للظروف المتغيرة في مجتمعاتهم، غير أنهم سلكوا مسلكًا خاطئًا [لاحظ المصادرة الكاملة للنيات والحكم عليها بتعمد الخطيئة لا الخطأ] إذ صاغوا آراءهم المبتدعة في قالب أحاديث نسبوها إلى النبي ﷺ واختلقوا لها الأسانيد الكاملة حتى تلقى قبولاً من الأمة».

وهكذا بجرة قلم خاطئة تسقط المدارس الفقهية والحديثية، وعلوم الجرح والتعديل، بل وسائر العلوم التي قامت على أساس الإسناد كفقه اللغة العربية وغيره.

❑ ويقول المستنير نفسه في كتابه «دليل المسلم الحزين» (ص٤٥):

«لجأ الفقهاء والعلماء إلى تأييد كل رأي يرونه صالحًا، ومرغوبًا فيه؛ فهم يصنعون أو (يفبركون الأحكام ويختلقونها) بحديث يرفعونه إلى النبي ﷺ»[٢] .

* إنكار حسين أحمد أمين لكثير من الأحاديث الصحيحة في كتابه «دليل المسلم الحزين»:

[أنكر حسين أحمد أمين كثيراً من الأحاديث الصحيحة في كتابه «دليل

---

(١) يقصد قراءة المسلم المسلِّم بالنص ولزوم اتباعه على غرار من فسّر القرآن ابتداءً من رسول الله ﷺ وابن عباس وانتهاءً بالمسلم المؤمن بحجية القرآن الكريم.

(٢) انظر «جولة في فكر محمد عركون» (ص٢٦٦)، و«اليسار الإسلامي» (ص٣٣).

المسلم الحزين»، وراح يتهم الفقهاء بوضع الأحاديث النبوية، ويهاجم رواة الحديث بشدة، وما سلم من هجومه أحد حتى بعض الصحابة رضي الله عنهم[١] .

ومن أقواله في كتابه: «وكيف يمكن لنا انتقاء الصحيح من الحديث؟ إنه لمن السهل علينا تبين كذب الأحاديث التي اختلقها أتباع الفرق السياسية، كالشيعة والخوارج والأمويين. . . وكذلك من السهل اكتشاف كذب الأحاديث التي تتنبأ بوصف ليوم القيامة تأباه عقولنا، أو كل ما ناقض المنطق ومجّه التفكير السليم. . ». . وذهب يُنكر بعض الأحاديث الصحيحة، مردداً أقوال من سبقه من المبتدعة والحاقدين.

□ يقول ساخراً من حديث رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**». يسخر من الحديث؛ لأنه لا يخضع لعقله فيقول: «كان انتقاء البخاري للأحاديث الصحيحة على أساس صحة السند لا المتن، فالإسناد عنده وعند غيره هو «قوائم الحديث» إن سقط سقط، وإن صحّ السند وجب قبول الحديث مهما كان مضمون المتن»[٢]][٣] .

* «**البيان في تفسير القرآن تفسيراً ماركسياً**»:

يقوم المستنير حسين أحمد أمين بتفسير القرآن الكريم تفسيراً ماركسيًّا على حلقات في مجلة «العربي» تحت عنوان: «البيان في تفسير القرآن»، ومما جاء في العدد (٣٥١) في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨].

---

(١) انظر «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين (ص٤٣ ـ ٦٣).

(٢) «دليل المسلم الحزين» (ص٦٠، ٥٩).

(٣) «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب» (ص٢٢٦ ـ ٢٢٧).

يقرر أن الماركسية مع الإسلام، ويُسقط من روحها عليه ليثبت أنها لا تفارقه كما يهاجم ـ كعادة الشيوعيين ـ الرأسمالية فيقول: «لقد تنبأ كارل ماركس في القرن الماضي بأنه من شأن النظام الرأسمالي أن يزيد الفجوة بين مستوي معيشة الأغنياء ومستوى معيشة الفقراء»، إلى أن يقول: «ومع ذلك فإن نبوءة كارل ماركس بدأ يظهر صدقها، واحتمال تحققها في مجال آخر ما كان هو نفسه ليتوقعه أو يحلم به، ألا وهو اتساع الفجوة بين مستوى المعيشة في الدول الغنية والدول الفقيرة. .» إلى آخر التحليل الشيوعي الذي يريد أن يفسر به الآية (!!)[١] .

* إنكاره لأصول الإسلام:

□ «يقول حسين أحمد أمين، نابذًا الاعتقاد بالقدر ـ ويترتب عليه نبذ القرآن الكريم نفسه ـ ومحاولاً القول بأن الاعتقاد بالقدر عقيدة بدائية جاءت مع حركة التدرج الإنساني والنمو الحضاري (جريدة الشعب المصرية ـ ديسمبر ٨٧): «ثمة مواقف عقلية هي نتاج منطقي لطبيعة حياة البدوي، فرضت نفسها على أهل الحضر والريف من شعوب الأقطار التي فتحتها جيوش الإسلام، رغم مخالفتها للمواقف العقلية الأساسية لأفراد المجتمعات الزراعية وسكان المدن، خذ لذلك مثلاً: نزعة الإيمان بالقضاء والقدر. إنه لمن السهل علينا أن نتبيّن جذور هذه النزعة وأسبابها عند البدوي، فحياة البدوي تعتمد اعتمادًا يكاد يكون كليًّا على الماء والكلأ، يجد في الغيث نجاة، وفي الجفاف تهلكة، وكلاهما لا سلطان له عليه ولا حيلة له فيه».

«فهو يفسر نشأة عقيدة القدر ويردّها إلى أسباب اقتصادية على طريقة ماركس، فهي من نتاج البيئة الصحراوية في الحجاز، ثم هو يقرر أن هذه

---

(١) «اليسار الإسلامي» (٤٨).

العقيدة البدوية قد انتقلت إلى الإسلام (؟!) مع تغير طفيف، «إذ حلت فيه» ـ كما يقول ـ (فكرة اللَّه محل الدهر)»[(١)] .

□ ويقرر حسين أحمد أمين أن الحجاب «وهم صنعه الفرس والأتراك، وليس في القرآن نص يُحرِّم سفور المرأة أو يعاقب عليه»، و«أن الرجال يتمسّكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة فينفّسوا عن قهرهم سياسيًّا واجتماعيًّا».

□ ويؤول حسين أحمد أمين آية الحجاب تأويلاً بعيدًا عندما يقول: «بالنسبة للحجاب الذي فُرِض في المدينة حيث كان النساء يلقين من المتسكعين من شباب المدينة كل مضايقة وعبث كلما خرجن وحدهن إلى الخلاء فنزلت آية ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ**﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وذلك حتى يميز الشبان بين المحصنات وغير المحصنات»[(٢)] .

* **موقفه من الفقه والفقهاء:**

هاجم حسين أحمد أمين الفقهاء وأهل الحديث معًا فقال: «لقد شاءت المعارضة، التي بات لها الغلبة في الدولة أن ترجع كافة الأحكام الشرعية إلى سند من القرآن أو السنة، وأبت الأخذ بالرأي والاجتهاد»، وذلك في القرنين الثاني والثالث من الهجرة. ثم يقول: «وإذا كانت الأحاديث المتوفرة آنذاك قليلة ولا تكفي، لجأ القوم إلى الاختلاق، وقد عظم هذا الاختلاق للأحاديث كلما زاد إصرار العلماء على الاستناد إلى الحديث في بيان

---

(١) «اليسار الإسلامي» (ص٥١).

(٢) «موقف القرآن من حجاب المرأة» مقال لحسين أحمد أمين ـ جريدة الأهالي القاهرية ٢٨/ ١١/ ١٩٨٤م عن كتاب «غزو من الداخل» (ص٥٥)، و«العصرانيون» (ص٢٦٣).

الأحكام، أي أن العرض زاد بزيادة الطلب»[١].

❑ وقد اتهم حسين أحمد أمين بني أمية بتشجيع الفقهاء لوضع الأحاديث، ومنها حديث: «**لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد**» ليصرفوا الناس عن الحج أثناء سيطرة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه على الحجاز، وذلك بزيارة مسجد الصخرة الذي بناه عبدالملك بن مروان في القدس[٢].

والاتهامات ساقطة من أساسها، وتافهة لا تنم إلا عن ضحالة فكر وتبعية ذليلة لمستشرق حاقد وهذا الاتهام مسروق من أستاذه جولد زيهر»[٣].

مع أن الحديث رواه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة، ومسلم في كتاب الحج».

❑ ولحسين أحمد أمين فتوى عجيبة في حد السرقة، عندما يقول: «لقد كان الاعتداء على الساري في الصحراء بسرقة ناقته بما تحمل من ماء وغذاء وخيمة وسلاح في مصاف قتله؛ لذلك كان من المهم للغاية أن تقرر الشريعة عقوبة جازمة رادعة بالغة الشدة لجريمة السرقة في هذا المجتمع»[٤].

❑ يمجد الحجاج ويُجهِّل عمر بن عبدالعزيز.

❑ قال حسين أحمد أمين عن الحجاج: «إنه أعظم الإداريين في العالم»[٥].

ومع هذا فإنه يصب جام غضبه على إمام الهدى عمر بن عبدالعزيز،

---

(١) «دليل المسلم الحزين» (ص٦٢).
(٢) المصدر السابق (ص٢١ ـ ٢٢).
(٣) «العصرانيون» (ص٢٢٨ ـ ٢٢٩).
(٤) «دليل المسلم الحزين» (ص١٤١) ـ طبعة مدبولي/ نقلاً عن «إسلام آخر زمن» للأستاذ منذر الأسعد (ص٨٤) ـ دار المعراج.
(٥) «دليل المسلم الحزين» (ص٢٦٩).

فيرى أنه ساهم بجهله في الشئون السياسية في تدهور أحوال الدولة الأموية ثم سقوطها، ثم يقول: «ولم تجلب سياسته المالية والإدارية غير خراب الدولة»[(١)] اللَّهم إني أشهدك أني أبغض هذا الماركسي الزنديق.

*** حسين أحمد أمين يصف الفتوحات الإسلامية بأنها استعمار:**

يعتبر حسين أحمد أمين أن الفتوحات الإسلامية هي نوع من الاستعمار كالاستعمار الغربي لبلاد المسلمين فيقول:

«إن الدول الإسلامية، كانت في عصر من العصور على وشك التهام القارة الأوربية ـ بعد التهامها أقطار عدة في أفريقيا وآسيا.

«وقد يحتج بعض المسلمين بأن الاستعمار الإسلامي!!! لدولة أسبانيا كان بناءً وفي خدمة التمدين والعمران، ولم يتخذ شكل النهب والسلب، الذي اتخذه الاستعمار الأوربي لدول آسيوية وأفريقية.

غير أن الاستعمار الأوربي لأمريكا الشمالية وأستراليا كان هو الآخر بنّاء، وفي خدمة التمدين والعمران، في حين لم يجلب الاستعمار العثماني (!!!) للبلقان غير الخراب»[(٢)].

ولست أدري كيف يستوي ـ عند مسلم ـ نشر دين اللَّه وإقامة العدل بأروع صورة بين البشر مع غزو الأوربيين الذي قام على النهب والاستنزاف. ولذلك فهو يهاجم الكاتب «جوستاف لوبون» الذي قال: «لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب»[(٣)].

---

(١) «دليل المسلم الحزين» (ص٢٠٣)، و«إسلام آخر زمن» (ص٦٩ ـ ٧٠).

(٢) «دليل المسلم الحزين» (ص١٧٢).

(٣) «إسلام آخر زمن» لمنذر الأسعد (ص٦٦) ـ نظر مكتبة مدبولي (١٩٨٧)، نقلاً عن دليل المسلم الحزين.

*** محمد فتحي عثمان مؤلف كتاب «الفكر الإسلامي والتطور» يدعو إلى تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات وإباحة الاختلاط وترك الحجاب:**

كتاب «الفكر الإسلامي والتطور» كتاب للدكتور محمد فتحي عثمان. والكتاب كما يقول صاحبه: «محاولة لمناقشة قابلية الإسلام في أصوله للتطور، ورصيد المسلمين التاريخي في التطور، وللواقع المعاصر واحتياجنا للوعي بحقيقة التطور عندنا وعند غيرنا»(١).

وتظهر خلفية الكتاب الفكرية فيما يورده الكاتب من أمثلة لتطور الفكر الديمقراطي في الغرب، والفكر الاشتراكي، وتعدد مدارسه وآرائه.. ثم يتساءل: «لماذا يكتب على الفكر الإسلامي وحده الجمود؟!!»(٢).

ويرى الكاتب «أن التطور مسألة حتمية في كل شيء، وما دام الدين صالحًا لكل زمان ومكان، فهذا لا يعني أن يكون تطبيقًا واحدًا بعينه للدين، صالح لكل زمان ومكان.. ولا تصح التجربة المثالية للدين في عصر الخلفاء الراشدين.. إنها تجربة مثالية بالنسب لظروف الخلفاء الراشدين السائدة في وقتهم، بالنسبة لتفكيرهم وزمانهم وأقوامهم»، هكذا يدّعون!

ويرى الكاتب أيضًا: أنه يستلزم ترجمة جديدة، وإعادة تقدير للحقائق الأساسية للعقيدة، وإذا كان الدين يجب أن ينقح كل مائة سنة، ففتحي عثمان يقول: «إنه يجب أن نصحح منهجنا للدين كل سنة وكل شهر، وكل يوم وكل لحظة؛ لأن المعرفة لا نهاية لآفاقها، ولأن التقدم الإنساني لا توقف لسيره»(٣).

(١، ٢) «الفكر الإسلامي والتطور» للدكتور محمد فتحي عثمان (ص٧٥، ٣٩) ط٢ الكويت/ الدار الكويتية (١٩٦٩م).

(٣) السابق (ص٣٧) وقول فتحي عثمان يذكرنا بقول هولد هايم أحد أحبار اليهود، عندما يتحدث عن ضرورة تطور تعاليم التلمود حسب ما يجد من معارف عصره، وبفكرة النقد التأريخي للأناجيل عند العصرانيين من النصارى.

□ وقد تأثر مؤلف كتاب «الفكر الإسلامي وتطوره» بما كتبه المستشرقون، حيث تعرض لدراسة تطوير الشريعة الإسلامية وتحديد منزلة الفقه الإسلامي، وما ينبغي أن نفعله تجاه القوانين الوضعية[١] .

لقد بنى المؤلف كتابه على وجوب «الاعتماد على العقل الإنساني في الإقناع والاعتقاد، فالدين يمثل الحكمة الإلهية المحيطة بما فوق إمكان العقل.. ولكن كيف أفهم الدين وأميز ما يقال عنه بدون عقل؟! أنا لو خيرت بين ديني وعقلي لآثرت عقلي لأنني قد أصبح به متدينًا، لكني لو فقدته فسأفقد ديني معه؛ لأن الدين قد أسقط الخطاب عن المجانين»[٢] .

ويقول: «نحن متخلفون ولا شك عن الفكر العالمي وتجارب الأنظمة العالمية، نحن متخلفون في الفقه الدستوري مثلاً»[٣] .

*** وفي أقوال الدكتور فتحي عثمان مغالطات نتوقف عند بعضها:**

ـ فعمل العقل في الفهم والتلقي حسب الشروط التي أوجبها الشرع عليه، سواء اهتدى العقل بها أم تأثر بالثقافات المخالفة للدين فإن الدين لا يضره في كلا الحالين شيء.

ـ والعقل الإنساني هو الطريق إلى تلقي وفهم الدين وتطبيقه وهو مقيد بشروط مجمع عليها عند علماء الأمة، كالعلم بالعربية وبمقاصد الشريعة.

ـ وقوله: «أنا لو خيرت بين ديني وعقلي لآثرت عقلي؛ لأنني قد أصبح به متدينًا» والسؤال: «كيف يختار ترك دينه ثم يكون متدينًا؟! وأي طريق يمكن أن يصل به إلى الحق إذا ترك الدين؟!»[٤] .

---

(١) انظر: «المستشرقون» د. عابد السفياني (ص١٠٥) وما بعدها.

(٢، ٣) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٣٧ ـ ٣٨).

(٤) انظر مناقشة مفصلة له (ص١٠٩ ـ ١١٥) من كتاب «المستشرقون» للدكتور عابد السفياني.

□ ويدعو فتحي عثمان إلى تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات، وإلى الاختلاط وترك الحجاب، والضابط لذلك كله هو الظروف وواقع العصر والبيئة.

«ويعتبر أن قضية المرأة وأشباهها وثيقة الارتباط بواقع البيئة الاجتماعية، والمجتمع الواحد يختلف من زمن لآخر.. ولذلك يجب ألا يحمّل (الدين) عبء هذه الفوارق الطبيعية الحتمية، بل أولى للجميع أن ينسبوا هذه الأحكام الاجتهادية لواقع العصر والبيئة»[١].

وهذه آراء جريئة في تخطي النصوص القطعية في قضايا التعدد والطلاق، وللإسلام هديه فيما شرع.

ويرى محمد فتحي عثمان أن الخلافة الإسلامية كانت صورة تاريخية، ولم تعش طويلاً، فعلى المسلمين ألا يفكروا فيها مرة أخرى[٢].

ويقول: «واليسار المسلم يتمسك بالديمقراطية، إذ هي حكم اللّه في المصالح والعلاقات الإنسانية، حيث لا يكون النص الإلهي الملزم القاطع»[٣].

□ ويدعو الدكتور فتحي إلى ما يسميه الاختلاط المأمون؛ لأن المجتمع الذي يلتقي فيه الرجال والنساء في ظروف طبيعية هادئة محكمة، لن يغدو مثل هذا اللقاء قارعة تثير الأعصاب، إذ سيألف الرجل رؤية المرأة ومحادثة المرأة، وستألف المرأة بدورها الرجل.. فيضيق مجال الانحراف والشذوذ، وتتجمع لدى الجنسين خبرات وحصانات وتجارب»[٤].

---

(١) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٢٢٢).

(٢) «مجلة العرب» العدد (٢٦٧) (ص١٨) ـ محمد فتحي عثمان.

(٣) «مجلة المسلم المعاصر» ـ محمد فتحي عثمان ـ العدد الافتتاحي.

(٤) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٢٠٤).

□ وواقع الغرب المزري في الاختلاط ينقض هذا الرأي.

ويوافق محمد فتحي عثمان أستاذه عبدالرزاق السنهوري ومن قبله (جولد زيهر) فيقول: «الفقه الإسلامي هو من عمل الفقهاء، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدني، وقد صنعوه فقهًا صحيحًا، فالصياغة الفقهية وأساليب التفكير القانوني واضحة فيه وظاهرة»(١).

والغاية من كلام السنهوري وإقرار تلميذه له أن يخضع الفقه الإسلامي لإشراف القانون الوضعي ويكيف نفسه حسب ما يقتضيه ذلك الخضوع، وقد حكم عليه السنهوري حكمًا صارمًا بقوله: «وحيث يحتاج الفقه الإسلامي إلى التطور يتطور، وحيث يستطيع أن يجاري مدنية العصر يتبقى على حاله دون تغيير، وهو في الحالتين فقه إسلامي خالص لم تتداخله عوامل أجنبية فتخرجه من أصله»، و«حينئذ يتجدد شباب هذا الفقه وتدب فيه عوامل التطور فيعود كما كان فقهًا صالحًا للتطبيق المباشر مسايرًا لروح العصر»(٢).

وقول السنهوري وتلميذه غير صحيح فالفقه الإسلامي يخالف الفقه الروماني في طبيعته وفي أغراضه.

* **التبعية للغرب:**

التبعية للغرب واضحة في فكر فتحي عثمان فهو يرى تقدم القوانين الأجنبية منذ أقدم العصور.

□ يقول فتحي عثمان: «وعلينا ألا نتطرف في التنكر لأنظمة مرّت بمراحل تقدمية كبرى في الفكر والتطبيق، قبل أن نتطور بثروتنا الفقهية التي تكدس عليها غبار القرون من التعطيل والتجميد»(٣).

---

(١) المصدر السابق (ص٣٩). (٢) المصدر السابق (ص٣٠).

(٣) «الفكر الإسلامي والتطور».

ولنا أن نسأله عن هذا المراحل التقدمية.

يقرر البحث العلمي أن مراحل القانون الوضعي تبدأ بقانون «حمورابي» وقانون« مانو» وقانون «أثينا» والقانون «الروماني» والقانون «الكنسي الأوربي» مأخوذ من القانون الروماني، ومما شرعه الرهبان، ثم قانون نابليون، وهذه هي المراحل التقدمية الكبرى في الفكر والتطبيق عند المؤلف»[١] .

* محمد عابد الجابري وإنكار الوحي:

- «يرى الدكتور محمد عابد الجابري: أن الوحي سلطة مرجعية «تضايق الحاضر، وتنافس المستقبل والجديد». فهو ينكر أن يكون هنالك وحي، وإن آمن به، فهو يعتبره وليد زمانه، أي هو جزء من التاريخ أو تجربة تاريخية»[٢].

* محمود الشرقاوي مؤلف كتاب «التطور وروح الشريعة» يدعو إلى إباحة الفوائد وتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات:

❑ «محمود الشرقاوي: الذي جعل عنوان أحد كتبه «التطور وروح الشريعة الإسلامية» قرر فيه أن الإسلام دين لين واسع الأفق، نستطيع أن نوفق بين روحه، وبين كل مظهر من مظاهر الحضارة، ومن ثم يقترح بعض الإصلاحات في مجال المرأة من تقييد للطلاق، ومنع تعدد الزوجات. وفي مجال الاقتصاد يقترح إباحة الفائدة في البنوك..»[٣] .

---

(١) «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب» لمحمد حامد الناصر (ص٢٥٥) - مكتبة الكوثر.

(٢) «الخطاب العربي المعاصر» لمحمد عابد الجابري (ص٥٥ - ٥٦) نقلاً عن ظاهرة اليسار الإسلامي (ص١٣٢).

(٣) «التطور وروح الشريعة» لمحمود الشرقاوي (ص١٦٢، ٢٣٢، ٣٠٩) - بيروت - المكتبة العصرية ١٩٦٥.

*** الشيخ عبداللَّه العلايلي مفتي جبل لبنان سابقًا يعدد مجموعة من الأخطاء ـ بزعمه ـ مثل: الرجم، وحرمة التعامل المصرفي، وحرمة الزواج المختلط بين المسلمين والكتابيين رجالهم ونسائهم!!!:**

يقدم الشيخ عبداللَّه العلايلي مفتي جبل لبنان سابقًا في كتابه «أين الخطأ» مجموعة من الأخطاء يريد تصحيحها، مثل إباحة التعامل المصرفي، وأنه لا رجم في الإسلام، ولا قطع ولا جلد إلا بعد معاودة الجريمة وتكرارها، وأن الزواج المختلط بين المسلمين والكتابيين رجالهم ونسائهم حلال شرعًا»(١).

*** ومفتي!!! ألا قاتلك اللَّه من شيخ سوء:**

يرى الشيخ عبداللَّه العلايلي أن إقامة الحدود لا تتم إلا في حال الإصرار، أي المعاودة تكرارًا ومرارًا، إذ أن آخر الدواء الكي.. وبلغ من استهزائه بالحدود الشرعية أن قال: «إن إنزال الحد لا يتفق مع روح القرآن الذي جعل القصاص صيانة للحياة، وإشاعة للأمن العام، وليس لجعل المجتمع مجموعة مشوهين: هذا مقطوع اليد، والآخر مقطوع الرجل والآخر مفقوء العين، أو مصلوم الأذن، أو مجدوع الأنف»(٢).

أما الرجم: فيقول فيه بمذهب الخوارج: «لا رجم في الإسلام كما هو مذهب الخوارج عامة، ومنهم من يعتد بخلافه فقهيًا.. على أن ما شاع من قول بالرجم يعتمد على طائفة من الأحاديث لم ترتفع عن درجة الحسن، ومنها الحديث المتعلق بماعز بن مالك، والحديث المتعلق بالغامدية الأزدية(٣).

---

(١) «أين الخطأ» لعبداللَّه العلايلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت/ ١٩٧٨م.

(٢) المصدر السابق (ص٧٩ ـ ٨٠).

(٣) المصدر السابق (ص٨٧).

ثم يقول: «ولا يتسنى لزاعم متزمت اتهامي بأني أنكرت نصًا من القرآن؛ لأني جعلته أقسى العقوبات الزواجر، وأقصى الروادع، التي يلجأ إليها، وذلك على نحو من التأويل المقبول الذي لا يحمّل النص ما لا يحتمل»[(١)] .

ثم يقول: «ومهما يكن فالرأي عندي في الحدود مطلقًا أنها في الشريعة العملية ليست مقصودة بأعيانها، بل بغاياتها، ولا يلجأ إليها إلا عند اليأس مما عداها»[(٢)] .

*** فهمي هويدي: «الحق أحب إلينا منه»:**

«كتابه مواطنون لا ذميون»

مع أن له مواقف مشهورة في الذود عن الإسلام إلاّ أن له سقطات شنيعة لا يجوز بحال من الأحوال السكوت عنها.

فهو يعتبر أن الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة عبادة لهذه النصوص، ويصف أن العقول التي تتعلق بالنصوص قد تعطلت وأن هذه «وثنية جديدة» ذلك أن الوثنية ليست عبادة الأصنام فقط، ولكن وثنية هذا الزمان صارت تتمثل في عبادة القوالب والرموز، وفي عبادة النصوص والطقوس»[(٢)] .

لقد تجرأ على رفض النصوص الشرعية، واتهم من يرجع إليها بالجمود والوثنية، اللَّهم لطفك وغفرانك.

*** مواطنون لا ذميون:**

أكثر فهمي هويدي من الحديث حول أهل الذمة، وأظهر أن الأحكام المضروبة عليهم والمعروفة باسم «أحكام أهل الذمة» قد كانت لظروف خلت،

(١) المصدر السابق (ص٩١، ٨٩).

(٢) مجلة العدد (٢٣٥) كانون الثاني ١٩٧٨، و«العصرانيون» (ص١٧٨).

وأن تطور العصر يرفضها. وممن تصدّى لهذه المسألة وخصص لها كتابًا: فهمي هويدي بعنوان «مواطنون لا ذميون»[١] نقتطف منه بعض الفقرات.

❑ يقول في فصل «ذميون.. لا يزالون»؟:

«إن تعبير أهل الذمة وإن استخدم في أحاديث النبي وعهوده إلا أنه كان جزءًا من لغة الخطاب في تعامل القبائل العربية قبل الإسلام، إذ كانت عقود الذمّة والأمانة هي صيغة التعايش التي تعارف عليها عرب الجاهلية..».

«أي أننا نقف في حقيقة الأمر، في مواجهة صيغة لا تستند إلى نص قرآني، واستخدامها في السنّة النبوية كان من قبيل الوصف لا التعريف، الأمر الذي لا يصنفه في أي من درجات الحكم الشرعي الملزم، بالإضافة إلى ذلك فإن الوصف.. وإن لم يكن الوحيد الذي استخدم في خطاب الآخرين، إلا أنه كان تعبيرًا عن حالة «تعاهدية» تعارف عليها عرب الجاهلية في تنظيم علاقات القبائل والأفراد، استمر إلى ما بعد الإسلام ضمن ما أخذ به من تقاليد وأعراف»[٢].

❑ وتحت خضوع شديد لضغط الواقع يقول:

«وبعد هذا وذاك أليس غريبًا أن يجيز الفقهاء، أن يخوض المسلمون الحرب دفاعًا عن «أهل ذمتهم»[٣]، ثم يحجب البعض عن هؤلاء حق التصويت في انتخابات مجلس الشورى مثلاً؟!». ثم يقول: «أما تعبير أهل الذمة، فلا نرى وجهًا للالتزام به، إزاء متغيرات حدثت،.. وإذا كان التعبير قد استخدم في الأحاديث النبوية، فإن استخدامه كان من قبيل الوصف، وليس التعريف، فضلاً عن أنه كان بمثابة استخدام للغة ومفردات وصياغات

(١) «مواطنون لاذميون» لفهمي هويدي / دار الشروق ١٤٠٥هـ.
(٢) فصل «ذميون لا يزالون؟» (ص١١٠) وما بعدها.
(٣) السابق (ص١٢٤، ١٢٥).

سادت في جزيرة العرب، قبل الإسلام، ويبقى مع ذلك أن هذا الوصف «تاريخيًّا»، لا يشترط الإصرار عليه دائمًا»[١] .

❑ فالكاتب يحاول إلغاء الأحكام بلا دليل، إلا زعمه أن ذلك أمر تاريخي فقط، وكأن الاجتهاد في الإسلام تحول إلى لعب أطفال، أو خيال كتاب، وأوهام مبتدعة.

❑ وفي فصل «الجزية . . التي كانت» يقول:

«ومن غرائب ما قيل في هذا الصدد تعريف ابن القيم للجزية بأنها هي الخراج المضروب على رءوس الكفار إذلالاً وصغارًا، وأن هذا يتنافي مع روح الإسلام، ودعوته للمسامحة بين الناس جميعًا»[٢] - إن أكرمكم عند اللَّه أتقاكم -.

❑ وللأستاذ فهمي هويدي اجتهاد مبتكر في فهمه للأحاديث النبوية والنصوص الأخرى المتعلقة بمعاملة المسلمين لغير المسلمين. يقول الكاتب تحت عنوان «شبهات وأباطيل»:

يهمنا ذلك في محاولة لفهم وقراءة هذه النصوص وهي على وجه التحديد.

١ - حديث أبي هريرة ﷺ. قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقها**» متفق عليه.

---

(١) السابق (ص١٢٤، ١٢٥).

(٢) «مواطنون لاذميون» (ص١٢٨، ١٣١)، ولابن القيم كتاب قيم بعنوان «أحكام أهل الذمة»؛ بإمكان القارئ الكريم أن يرجع إليه ليرى عدل الإسلام مع هولاء الذميين الذين يتباكى عليهم عصرانيو آخر زمن!!.

٢ ـ ما أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»: «أن النبي ﷺ قال: «**لا يجتمع في جزيرة العرب دينان**».

٣ ـ عهد عمر رضي الله عنه في معاملة غير المسلمين. .[١].

▫ يقول فهمي هويدي: «لا يؤخذ من الأحاديث عادة إلا ما كان مقصوداً به التشريع العام والاقتداء».

«والأحاديث السابقة، كانت إجراءً استثنائيًّا في ظروف استثنائية، فالحديث الأول: يخالف نصوصًا أخرى تدعو إلى رد التحية بأحسن منها، ولكن اليهود كانوا يتظاهرون بالتحية للرسول وأصحابه بعبارة «السام عليكم» أي الموت. أما عهد عمر رضي الله عنه، فالكاتب يشكك في صحته تاريخيًّا من حيث السند!![٢].

▫ لقد حكمت الشريعة الإسلامية بضعة عشر قرنًا من عمرها، لم يعرف في التاريخ عدلاً وإنصافًا ورحمة بأقليات دينية كما عرفها في تلك القرون تحت مظلة الشريعة، بل كانت الطوائف تفر من بطش أبناء دينها لتنعم بالأمن والاستقرار في ظل عدل الإسلام وإنصاف المسلمين.

*** فهمي هويدي والقتال في سبيل الله والتعايش السلبي بين الشعوب:**

▫ ويكتب فهمي هويدي كثيراً عن هذا الموضوع ويردد آراء المستشرقين الحاقدين. ويعتبر أن القتال يعطل رسالة التبلغ، يقول: «ومنذ البداية سلح اللَّه المسلمين بالكلمة، وكان أول ما أنزل اللَّه على نبيه هو: (اقرأ وليس اضرب)، أو (ابطش)، فكان كتاب المسلمين هو «القرآن الكريم».

«لم يكن سلاح المسلمين سيفًا ولا سوطًا، ولم تكن شريعتهم قانون

(١) «مواطنون لا ذميون» (ص١٧٧).

(٢) السابق (ص١٨١).

حرب..».

«إن القتال في التصور الإسلامي ينبغي أن يظل منعطفًا يُكرَه إليه المسلمون، أو نوعًا من «الهبوط الاضطراري»، الذي يعترض المسار الطبيعي لرحلة التبليغ الإسلامية.

من هنا فإن الإسلام يظل ضرورة لازمة، كي يؤدي المسلمون رسالة التبليغ، ويظل القتال عنصرًا معطلاً لأداء هذا التكليف الإلهي»[(١)].

❑ وفي فصل: «عندما يشهر سيف الإسلام» يقول: «وهكذا تتابعت الفتوح بحكم الضرورات الحربية وحدها.. وجاهد المسلمون أنفسهم والناس جهادًا كبيرًا ليؤمنوا دولتهم»[(٢)].

وفي تأويله للحديث الشريف «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه**»[(٣)]. يقول: «وحقيقة الأمر أن المعنى بالناس هنا ليس كل البشر، وإنما هم جماعة من البشر»؟!!.

وحديث: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق**»[(٤)].

❑ يقول في هذا الحديث: «الحديث لا يدين كل مسلم لا يقاتل في سبيل اللَّه، الأمر الذي قد تشتم منه رائحة التحريض، التي يحاول البعض اصطيادها من السياق..

ولا نرى في الحديث وجهًا لاستثارة المسلمين على غيرهم، ذلك أن

---

(١) السابق (ص٢٣٦).
(٢) السابق (ص٢٤٩).
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.

الأمر كله كان على عهد رسول اللَّه ﷺ . .»[١] .

أي أن هذه الأحاديث كانت لمناسبات تاريخية انتهى زمنها.

* أخطر أقواله:

ومن أخطر أقواله قوله: «إنه ليس صحيحًا أن المسلمين صنف متميز ومتفوق لكونهم مسلمين، وليس صحيحًا أن الإسلام يعطي أفضلية لهم، ويخص غيرهم بالدونية لأنهم كفار»[٢] .

وفي ذلك دعوة لمبدأ الإنسانية الماسوني، وهو صورة واضحة من صور الولاء للكفار؛ لأنه يكسر التميز الذي يبنى عليه الولاء والبراء، والحب والبغض حسب المقياس الإسلامي الصحيح[٣] .

* د. أحمد كمال أبو المجد يدعو إلى الاجتهاد في الأصول:

يدعو الدكتور أحمد كمال أبو المجد إلى الاجتهاد في الأصول، إذ كتب يقول: «والاجتهاد الذي نحتاج إليه اليوم، ويحتاج إليه المسلمون، ليس اجتهادًا في الفروع وحدها، وإنما هو اجتهاد في الأصول. . ولا يعني امتناع الاجتهاد في الأصول، إلا التزامًا بما لا يلزم، وتقصيرًا في بذل الجهد بحثًا عما ينفع الناس»[٤] .

❑ ومن أخطر أقواله:

ـ ينعي الدكتور أحمد كمال أبو المجد على الذين يسرفون في القول

(١) «مواطنون لا ذميون» (ص٢٦١ ـ ٢٦٢).

(٢) مجلة العربي الكويتية ـ العدد (٢٦٧) ربيع الأول/ ١٤٠١هـ/ (ص٤٩) من مقال لفهمي هويدي بعنوان «المسلمون والآخرون».

(٣) «الولاء والبراء» للدكتور محمد سعيد القحطاني (ص٤٢١) الهامش ـ ط١ دار طيبة.

(٤) مجلة العربي ـ العدد (٢٢٢) ـ ١٩٧٧م ـ مقال «مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر» (ص٢٥٧).

بتميز الإسلام على غيره، كاليهود والنصارى، فذلك مخالف للقرآن الكريم ذاته ـ كما يزعم ـ.

يقول: «والذين يسرفون في الإلحاح على تميز الإسلام والمسلمين تميزاً شاملاً مطلقًا محجوجون بنصوص القرآن الكريم، التي تصف أنبياء اللَّه بوصف الإسلام: ﴿قال يقوم ليس بي سفاهةٌ ولكني رسولٌ من رب العالمين﴾ [آل عمران: ٦٧].

وهم محجوجون كذلك بحقيقة وحدة الإنسانية، ووحدة مصدر الأديان السماوية، وبأن العهد الذي أخذ بحمل الأمانة إنما أخذ على آدم أبي البشرية، وعلى بنيه مسلمين وغير مسلمين ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] (١).

* د. عبدالعزيز كامل وزير الأوقاف السابق والقول «بوحدة الأديان»:

لقد تحمّس العصرانيون الجدد إلى القول بوحدة الأديان، وتجاوزوا فيها كل حد.

◻ قال الدكتور عبدالعزيز كامل: «ونحن في منطقة الشرق الأوسط، نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى، وأقولها واضحة، يستوي في هذا: الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الإيمان بالأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يختم بإله واحد. هذه منطقة توحيد، والصور تختلف، وتفسيرها الفلسفي يختلف» (٢).

---

(١) «حوار لا مواجهة» لأحمد كمال أبو المجد (ص٢٠٧).

(٢) ينظر كتابه «الإسلام والعصر» (ص١٩٤) نقلاً عن «العصريون» ليوسف كمال.

* **الدكتور عبدالمنعم ماجد وتزوير التاريخ:**

يعجب الدكتور عبدالمنعم ماجد من توهم بعض المستشرقين الذين يرون أن العرب المسلمين فتحوا البلدان بدافع إسلامي ويقول: «لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم: إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني، فمن غير المعقول أن يخرج البدوي وهو الذي لا يهتم بالدين لينشر الإسلام»[1].

«فلمصلحة من هذا الافتراء؟! لقد أصبح الدكتور مستشرقًا أكثر من أساتذته، يغيّر ويزوّر لمصلحة أعداء أمته»[2].

* **الدكتور محمد جابر الأنصاري يتهم العثمانيين بأنهم همج متوحشون:**

يحرص الدكتور محمد جابر الأنصاري على تجريد العثمانيين من كل فضيلة حتى غدوا في نظره «جماعة من الهمج المتوحشين الذين دمروا الحضارة العربية الزاهية»[3].

❑ وهو ينزعج بشدة من تلك المحاولات العجيبة التي تحاول إعادة الاعتبار للتاريخ العثماني، ولتاريخ السلاطين الأتراك باعتبارهم رموز للجامعة الإسلامية، وللكيان الإسلامي الواحد»[4].

* **مالك بن نبي «الحق أحب إلينا منه»:**

❑ يقول الأستاذ محمد العبدة في مجلة البيان العدد ٢٣ (ص٢٩):

---

(١) «التاريخ الإسلامي للدولة العربية» لعبدالمنعم ماجد (١/ ١٦٣) ـ مطبعة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧١.

(٢) «العصرانيون» (ص٢٨٧ ـ ٢٨٨).

(٣) «الدوحة القطرية» العدد (١٠١) شهر رجب ١٤٠٤هـ مقال «نظرة في الجذور».

(٤) «الدوحة القطرية» العدد (٩٩) جمادى الأولى ١٤٠٤هـ.

«إن أفكار الأستاذ مالك بن نبي عن أمراض العالم الإسلامي وشروط النهضة هي أفكار تستحق الدراسة والتأمل، ونتمنى أن يستفيد منها المسلمون في كل مكان، فقد أصاب فيها المحز، ووضع الأصبع على الجرح، ورغم مرور سنين على طرحها، لكن مشكلة المسلمين لا زالت كما حللها وكتب عنها.

وكل يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

وللأستاذ مالك بن نبي أخطاء أحببنا أن ننبه عليها.

❑ يقول الأستاذ محمد العبدة في مجلة البيان:

«إن الأخطاء التي سنتكلم عنها ليست أخطاء عادية مما يقع لكل كاتب، فكان لا بد من ذكرها والتنبيه عليها.

* **النظرة السطحية للأحداث والشخصيات:**

كان مالك بن نبي عميقًا في فهم غور الاستعمار وأساليبه الخفية للتسلط على العالم الإسلامي، وعميقًا في معالجة (القابلية للاستعمار) عند المسلمين، ولكنه في عالم الواقع والسياسة فيه سذاجة أو طفولة سياسية، وهذا ليس غريبًا فقديمًا تعجب الإمام الجوزي من شخصية أبي حامد الغزالي، كيف يجمع بين الفقه والذكاء من جهة، وبين الصوفية وحكايات العجائب والخرافات من جهة أخرى.

١ ـ أعجب مالك بثورة ٢٣ يوليو في مصر، ومدحها ووضع آماله فيها من ناحية الإصلاح الزراعي والصناعة، وإنشاء وزارة الثقافة والإرشاد، والحياد الإيجابي، وكل الدجل والشعارات التي أطلقها مهرج هذه الثورة.

فثورة يوليو ١٩٥٢ عند مالك: «من أهم الحوادث بالنسبة للصراع الفكري، وكان لهذا الحدث تأثير شرارة كهربائية انطلقت في وعي البلاد

العربية والعالم الإسلامي»[١] «وكل عربي يعلم أن نظرة الرئيس جمال عبدالناصر خطت للنهضة العربية الاتجاه الصحيح الذي يحقق الشرط الأول للانسجام مع القانون العام. .»[٢] .

كيف يكون هذا الزعيم بهذه الصفات ونحن لا نعلم أن هناك زعيمًا آخر في العصر الحديث ترك بلاده خرابًا مثل جمال عبدالناصر؟ كيف لا يدري مالك بن نبي وهو من هو في فهم اللعبة الاستعمارية أن عبدالناصر كان ضمن (لعبة الأمم)، وأنهم ساعدوه على صنع هذه البطولة المزيفة، وحتى لو كانت هناك بعض الإصلاحات المادية ـ وهي لم تتحق فعلاً ـ فأين الحديث عن الاستبداد السياسي وكرامة الشعب المسحوقة؟ بل أين تطبيق الإسلام؟.

٢ ـ علق مالك بن نبي آمالاً كبيرة على مؤتمر باندونغ، واعتبره كتلة سلام للعالم، واعتبر هذا التنوع الذي يضم تسعًا وعشرين دولة، تضم تراثًا فكريًا متفاوتًا «يمكن بطبيعة الحال أن يقدم العناصر اللازمة لبناء قاعدة متينة للسلام. .»[٣] . هذه نظرته لهذا المؤتمر، والحقيقة أنه كان يحب التكتلات الكبيرة لمواجهة الغرب، وقد يكون معه بعض الحق في هذا، ولكن مثل هذا التكتل كان يحمل بذور فشله، وقضية الحياد التي يرفعها لم تكن صحيحة، فكل دولة منحازة، والهند التي كانت من أبرز أعضاء المؤتمر وتدعي السلام والروحانية كانت تحمل بين جوانحها الكره العميق للمسلمين، بل إن صورة الهند العدوانية كانت من البديهيات عند الشباب المسلم في الستينات، ولم ينخدعوا بكلام الدبلوماسي الهندي «ليس لدينا من الخشوع ما يكفينا ونحن

(١) «الصراع الفكري» (ص٢٢).

(٢) «تأملات» (ص١٧٨).

(٣) «فكرة الأفروآسيوية» (ص٩٨).

ذاهبون إلى باندونغ»[١] ، ويصدق مالك بن نبي أن نهرو حمل رسالة اللاعنف التي سلمه إياها غاندي، ونهرو هذا يكتب في (المجلة العصرية) مقالتين ينكر فيهما على الجمعيات المسلمة الحركة ضد القاديانية ويؤيد جانب القاديانية»[٢] ، وهند نهرو هي التي احتلت كشمير وأخذتها بالقوة، فأين السلم وأين الديمقراطية التي تدعيها؟ وما الفرق بين الهند وباكستان في (القابلية للاستعمار).

وقد أدرك مالك أخيرًا عدم جدوى أي محاولة تجمع ليست عناصره منسجمة[٣] ، كما كان يلمح في آخر حياته بأن ثورة ٢٣ يوليو لم تقم بالواجب، ولا شك أن الكبار من أمثال مالك بن نبي يتراجعون إذا عرفوا الحق.

٣ ـ كانت روسيا بعد الثورة الشيوعية تدعي أنها دولة صديقة للشعوب وللعالم الثالث، وأنها ليست دولة استعمارية، وقد صدق مالك بن نبي هذه المقولة، يقول: «فالمناخ الاستعماري الذي تكون في أوربا وأمريكا على حد سواء، وفي الاتحاد السوفييتي قبل الثورة أيضًا»، ولكن الحقيقة أن روسيا مستعمرة قبل الثورة وبعدها، ولم تتخل عن جشع الدول الكبرى، وهي وجه آخر للحضارة الغربية.

٤ ـ نقد مالك الانتخابات السياسية التي تطالب بالحقوق فقط وتنسى الواجبات، وتعتمد أسلوب المظاهرات والحفلات، وهو محق في هذا، ولكنه شارك في هذه الوسائل، وساعد (مصالي الحاج) في قيام الحزب الوطني، مع أنه ينتقده هو وحزبه، ولكنه حب الحركة ثم يكتشف الأخطاء بعدئذ.

---

(١) المصدر السابق (ص٧).
(٢) «تاريخ الحركة الإسلامية في الهند» (ص٢٢٠).
(٣) «فكرة كومنولث إسلامي» (ص٧).

* اللاعنف :

أعجب مالك بن نبي بقصة (اللاعنف) عند غاندي، فهو يذكرها دائمًا، بل يذكرها بخشوع، ويبني عليها أحلامه الفلسفية في السلام العالمي، واتجاه العالم نحو مناقشة قضاياه بالسلم والحوار والفكر، يقول عن منطقة جنوب شرقي آسيا: «هي مجال إشعاع الفكر الإسلامي وفكرة اللاعنف، أي مجال إشعاع حضارتين: الحضارة الإسلامية والحضارة الهندوكية، الحضارتان اللتان تختزنان أكبر ذخيرة روحية للإنسان اليوم»[١] .

ويحلق في الخيال والطوباوية عندما يقول: «فكذلك رفات غاندي التي ذروها فإن الأيام ستجمعها في أعماق ضمير الإنسان من حيث سينطلق يومًا انتصار اللاعنف ونشيد السلام العالمي»[٢] . «هذا الرجل (غاندي) كان يتقمص إلى درجة بليغة الضمير الإنساني في القرن العشرين»[٣] .

إن فكرة (السلم العالمي) بمعنى أن يحل السلام في العالم بشكل دائم، أو أن العالم يتجه نحو هذا الهدف، هذه الفكرة غير واقعية وغير شرعية، وهي فكرة خيالية محضة، فهي تنافي مبدأ الصراع الذي ذكره القرآن الكريم ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ** ﴾ [البقرة: ٢٥١]، كما تنافي مبدأ الجهاد في الإسلام، وهي غير واقعية لأن من طبيعة البشر التغالب والعدوان إن لم يردعهم رادع، والدول الكبيرة القوية تأكل الضعيفة إن لم يكن عسكريًّا فاقتصاديًّا. والبشرية لن تبلغ رشدها في عمرها الثالث فتصبح الفكرة ذات قيمة في حد ذاتها كما يتصور مالك بن نبي[٤] ، بل إنها كثيرًا ما

(١) «في مهب المعركة» (ص٨٧).
(٢) المصدر السابق (ص٢٠٨).
(٣) المصدر السابق (ص٢٠٧).
(٤) «إنتاج المستشرقين» (ص٣٥).

تتردى من الناحية الإنسانية، والبشرية لا تبلغ رشدها إلا إذا حكمها الإسلام.

إن فكرة (اللاعنف) و(الإنسانية) من الأفكار الخطيرة التي بدرها مالك ووسعها بعدئذ تلامذته، وحاولوا اللف والدوران كثيراً حول مبدأ الجهاد الإسلامي.

* **الإنسانية والعالمية:**

وقريب من مبدأ (السلام العالمي) كان مالك يحلم بأن تتوحد الإنسانية في مجتمع عالمي، ويظن بأن البشرية تسير بهذا الاتجاه، «فالعالم قد دخل إذن في مرحلة لا يمكن أن تحل فيها أغلبية مشكلاته إلا على أساس نظم الأفكار»[١]، «وحين اتجه العالم إلى إنشاء منظمة اليونسكو، كان يهدف إلى (تركيب) ثقافة إنسانية على المدى البعيد»[٢] «وما محكمة العدل في لاهاي والقانون الدولي، والقانون البحري إلا مظاهر خاصة لذلك الاتجاه العام الذي لا يفتأ يمهد الطريق لتوحيد العالم»[٣].

هذا المفهوم للإنسانية مفهوم وهمي يراد به محو الشخصية الثقافية الحقيقية لكل مجتمع ولكل أمة، وإذا كان العالم قد تقارب وانتشرت الأفكار في كل مكان، وقد يستفيد المسلمون من ذلك في نشر دينهم الذي يملك عناصر التأثير والقوة، ولكن أن يتوحد العالم في مجتمع واحد فهذا مفهوم ذهني مجرد، وإذا كان هو نفسه شعر بأن فكرة الأفروآسيوية صعبة التحقيق، ولذلك عاد وكتب عن (الكومنولث الإسلامي)؛ فكيف يظن أن العالم يسير نحو الوحدة؟!.

---

(١) «مشكلة الثقافة» (ص١٤).

(٢) المصدر السابق (ص٩٦).

(٣) «وجهة العالم الإسلامي» (ص١٥٤).

* ضعف ثقافته الشرعية:

لم يتصل مالك بن نبي بعلماء عصره ليستفيد منهم، ورغم اعترافه بأهمية جمعية العلماء في الجزائر التي كان على رأسها الشيخ عبدالحميد بن باديس؛ إلا أن علاقته بها كانت فاترة ويعترف هو بعد ذلك أنه كان مخطئًا في هذا[١]، ولذلك كانت دراسته للإسلام نابعة من قراءاته الشخصية وهي قليلة إذا قيست بقراءاته في الفكر الغربي، وهذا ما جعله يخطئ في أمور كثيرة سواء كانت في الفقه والأحكام أو في النظرة لبعض جوانب التاريخ الإسلامي، فمن رموز الثقافة عنده الفارابي، وابن سينا، وابن رشد[٢].. «والمجتمع الإسلامي في عصر الفارابي كان يخلق أفكارًا وفي عهد ابن رشد يبلغها إلى أوربا وبعد ابن خلدون لم يعد قادرًا على الخلق ولا على التبليغ»[٣].

وفي العصر الحديث فإن من رموز الثقافة عنده جمال الدين الأفغاني، وهو موقظ الشرق، وهو رجل الفطرة.. إلخ. وإطلاقه هذا القول جزافًا يدل على ضعف ثقافته الشرعية.

وفي التاريخ يلمز كثيرًا بني أمية دون وضع الضوابط للإنصاف والتقويم الصحيح. وبسبب عدم وضوح توحيد الألوهية ظن أنه من الممكن اتصال العالم الإسلامي بروحانية الهند «وليس بوسعنا أن نغض من قيمة الدور الذي يمكن أن يؤديه اتصال العالم الإسلامي بروحانية الهند»[٤].

ولم يشر في كتبه إلى موضوع تحكيم الشريعة الإسلامية، وكان معجبًا

---

(١) بقي له ملاحظات مهمة على جمعية العلماء سنذكرها في نهاية المقال.
(٢) «شروط النهضة» (ص٧١).
(٣) «مشكلة الثقافة» (ص٤٨).
(٤) «وجهة العالم الإسلامي».

بدولة الوحدة عام ١٩٥٨ مع أنها لا تطبق شرع اللَّه، وهناك أخطاء جزئية لا نريد التفصيل فيها ونعتقد أنه لو نبه عليها لتراجع.

❑ وقبل أن ننهي هذه القراءة لفكر مالك بن نبي لا بد من التنبه لأمور:

١ ـ هذه السلبيات والأخطاء يجب أن لا تمنعنا من الاستفادة من الإيجابيات، فهذا المفكر خبير في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر. وكأني أسمع بعض المسلمين يقولون: ما دامت هذه آراؤه فما الفائدة من قراءة كتبه؟ وهذا خطأ فادح منهم، فنحن نقرأ لأعداء الإسلام ونستفيد منهم؛ فكيف بمفكر كان يسعى ـ حسب جهده ـ لخير المسلمين، وإن أخطأ في مواضع.

٢ ـ إن مالك بن نبي شخصية كبيرة، فهو يتراجع عن الخطأ إذا تبين له، لقد نصح جمعية العلماء في الجزائر بصدق وقال كلامًا دقيقًا في هذا «لقد كان على الحركة الإسلامية أن تبقى متعالية على أوحال السياسة والمعامع الانتخابية»[١] «وبأي غنيمة أراد العلماء أن يرجعوا من هناك وهم يعلمون أن مفتاح القضية في روح الأمة لا في مكان آخر»[٢]، وهو يقصد سير العلماء في القافلة السياسية عام ١٩٣٦.

ويقول: «فيما يخصني لقد بذلت شطراً من حياتي في سبيل الحركة الإصلاحية، وشهدت في مناسبات مختلفة بالفضل لجمعية العلماء»[٣]، ويتأسف لأن الجمعية لم تدعه للمساهمة في شئونها الإدارية، ومع ذلك فقد تراجع واعترف أن موقفه من الجمعية لم يكن طبيعيًّا بسبب نظرته الخاصة للشيخ ابن باديس.

---

(١) «شروط النهضة» (ص٣٨).

(٢) «في مهب المعركة» (ص١٩٠).

(٣) «وجهة العالم الإسلامي» (ص١٢٧).

٣ ـ رغم معرفة مالك الدقيقة بالفكر الغربي، وتأثره به في بعض الأحيان إلا أن أمله في التغيير بقي معلقًا في الأصالة الإسلامية، وبالرجوع إلى المنبع الأساسي للمسلمين «فالعالم الإسلامي لا يستطيع أن يجد هداه خارج حدوده بل لا يمكنه في كل حال أن يلتمسه في العالم الغربي الذي اقتربت قيامته، ولكن لا يقطع علاقته بحضارة تمثل أحد التجارب الإنسانية الكبرى، بل المهم أن ينظم العلاقة معها»(١)، «والمسلم لا يزال يحتفظ بالقيمة الخلقية، وهو ما ينقص الفكر الحديث، فالعالم الإسلامي لديه قدر كبير من الشباب الضروري لحمل مسئولياته ماديًّا وروحيًّا».

فهل يتحمل الشباب هذه المسئوليات؟ نرجو ذلك(٢).

*** مالك بن نبي غفر اللَّه له وإعجابه بفكرة السلام العالمي الموهوم:**

«ممّن نفّر من العنف، وأعجب بفكرة السلام العالمي الموهوم، الكاتب الإسلامي: مالك بن نبي ـ رحمه اللَّه ـ.

وقد أبرز هذه الفكرة في عدد من كتبه، فهو يرى مثلاً: «أن الإسلام والهندوسية تنفيان سيف العقيدة»(٣).

ولا يخفي مالك بن نبي إعجابه بغاندي العظيم؟! ويخصه بمقال مملوء بالإكبار، فهو بطل السلام، قاوم الإنجليز مقاومة سلبية: «إذ رجعت الدبابات إلى الوراء، وتقهقرت عند تلك الأجسام التي انفرشت على الأرض أمامها، تقهقرت أمام أفواه ترتل بعض الأذكار المقدسة، وأمام أرواح منغمسة في

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٨).

(٢) مجلة البيان ـ العدد الثالث والعشرون جمادي الأولى ١٤١٠ مقال «قراءة في فكر مالك ابن نبي» (ص٢٩ ـ ٣٥).

(٣) كتاب «الفكرة الأفريقية الآسيوية» لمالك بن نبي (ص١٤٨).

صلوات صامتة؟! إن جهاز الاستعمار الضخم وقف عند حدوده وباء بالخسران أمام معزة غاندي وسرباله ومغزله، وصلواته وصيامه مع الجماهير وفي خلواته».

«إن رفات غاندي التي ذروها في مياه الغانج المقدسة، ستجمعها الأيام في أعماق ضمير الإنسانية، كيما ينطلق يومًا انتصار اللا عنف ونشيد السلم العالمي»[١].

وفي فصل آخر يتحدث عن إعجابه بنهرو وطاغور، لسبب نفسه ثم يتساءل: هل من بين هؤلاء الزراع لفكرة اللاعنف في القرن العشرين.. هل من بينهم مسلمون؟ (ويجيب)، ويؤسفنا أن لا نجد من بينهم..»[٢].

إن التعلق بالسلام أمر طيب، والتنفير من الحروب شعور نبيل، إلا أنه حلم مثالي شاعري بعيد عن الواقع وطبيعة البشر، وفكرة غير شرعية تنافي مبدأ الصراع الذي ذكره اللَّه في كتابه ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً** ﴾ [الحج: ٤٠].

□ والإعجاب بالوثنيين ومحبتهم، يناقض ما كان عليه السلف، ويناقض نصوص الشرع الحنيف ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وقد أثبتت الأيام أن الهنود دعاة السلام من أتباع غاندي قد داست دباباتهم جنود باكستان المسلمة، في اعتداء صارخ على ديار المسلمين، فضاعت الشعارات، وما نفع رفات غاندي الملقى في مياه الغانج المقدسة؟!.

---

(١) «في مهب المعركة» لمالك بن نبي (ص١٤٩ ـ ١٥٢)/ فصل تحية إلى دعاة اللاعنف/ طبع دار الفكر ١٩٨١م.

(٢) المرجع السابق فصل «رولان وسياسة الهند» (ص١٥٣ ـ ١٥٤).

□ إن ثقافة مالك الشرعية كانت ضعيفة، إذا قيست بقراءاته الغربية، وهذا ما جعله يخطئ في عدة أمور تتعلق بالأحكام الشرعية.

ورغم ذلك كله كان مالك ـ رحمه اللَّه ـ عميقًا في فهم غدر الاستعمار وأساليبه الخفية، وعميقًا في معالجة القابلية للاستعمار عند المسلمين.. فهو مفكر خبير في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر، إلا أن هذه الإيجابيات لا تمنعنا من ذكر بعض السلبيات، ولعل آلامه مما كان يعانيه الشعب الجزائري من الاستعمار الفرنسي، جعلته يحن إلى فكرة اللاعنف بهذا المنظور(١).

□ إلا أن أفكار الأستاذ مالك التي بذرها، وسّعها بعض تلامذته المتأثرين به، فانحرفوا بعيدًا عن جادة الصواب في مفهوم الجهاد في سبيل اللَّه.

من هؤلاء الشيخ جودت سعيد في كتابه: مذهب ابن آدم الأدل، فقد وقع في أخطاء واضطراب في عرضه لمفهوم الجهاد في سبيل اللَّه.

٭ الطبيب خالص جلبي وفكرة اللاعنف ومهاجمته لفتوحات بني أمية والفتوحات العثمانية:

□ وممن تعلق بفكرة اللاعنف، وشكك بمبدأ الجهاد، من أتباع هذه المدرسة الطبيب خالص جلبي: فقد هاجم خلافة بني أمية مرددًا في ذلك أحقاد المستشرقين، وفضل عليها خلافة بني العباس.

إذ أن خلفاء بني أمية حملوا راية الجهاد وفتحوا كثيرًا من البلدان، ودخلت كثير من الشعوب الإسلام على أيديهم وأيدي ولاتهم.

(١) انظر مجلة البيان، العدد (٢٣) «قراءة في فكر مالك بن نبي» مقال للأستاذ محمد العبدة.

❑ يقول خالص جلبي: «وبفعل الانحراف الأموي، فإن الملكية الاستبدادية نقلت وطعمت وألصقت إلى الجسم الغريب»[(١)] .

أما الفتوحات العثمانية: فقد هاجمها الكاتب هجومًا عنيفًا مرددًا أقوال المستشرقين من أساتذته، يقول في ذلك: «والعالم الإسلامي، بدأ بالثورة الروحية العقلية، منذ الوحي في غار حراء، وانتهى بالعسكرية التركية، التي أنهت كل دفعة حيوية في العالم الإسلامي.. والعسكرتارية بالبارود والنار دخلت شرق أوروبا، ولكن فرق كبير بين دخول الإسلام إلى الشرق الأوسط والهند مثلاً، وبين دخوله على يد الأتراك إلى شرق أوروبا ومَنْ يتأمل يدرك»!![(٢)] .

فالعثمانيون لهم أخطاؤهم ولا شك، ولكن الفتوحات تعتبر من مفاخرهم التي لا ينكرها إلا مَنْ حقد على اجتياح شرق أوروبا وسقوط استانبول على يد محمد الفاتح ـ رحمه اللَّه ـ.

لقد شارك الكاتب بقية رجال المدرسة العصرانية، عندما هاجموا الفتوحات العثمانية، متهمين إياها بالهمجية والتوحش.

❑ يقول الأستاذ محمد قطب: «ويكفي العثمانيين ـ في ميزان اللَّه ـ أنهم توغلوا في أوربا الصليبية، وفتحوا للإسلام ما فتحوا من أراض وقلوب.. ويكفيهم أنهم حموا العالم الإسلامي من غارات الصليبيين خمسة قرون متوالية، ويكفيهم أنهم منعوا قيام الدولة اليهودية على أرض الإسلام..»[(٣)] .

(١، ٢) «النقد الذاتي» لخالص جلبي (ص١١٢، ٢٣١).

(٣) «واقعنا المعاصر» للأستاذ محمد قطب (ص١٥٢، ٣١٦).

*** عبداللطيف غزالي يدعو إلى الانفتاح على حضارة الغرب بلا قيود ويعطل مفهوم الجهاد، ويتعجب من قول المسلمين بدخولهم الجنة دون غيرهم:**

□ يقول عبداللطيف غزالي مقارنًا تخلف علوم المسلمين، بتقدم علوم الإغريق، ويدعو إلى الانفتاح على حضارة الغرب بلا قيود. انظر إليه يقول:

« وما أبعد إحياء تراث الإغريق في العصور الوسطى عن إحياء تراث سلف المسلمين اليوم. إن علوم الإغريق حين أخذ الأوربيون يبعثونها كانت شيئًا متقدمًا غاية التقدم، بالنسبة لما كان لديهم من علوم كلها خرافات، أما علوم السلف اليوم، فهي شيء متخلف غاية التخلف بالنسبة لما لدينا، ولا أقول كما لدى الأوربيين من هذه العلوم، ومع ذلك فإن الآثار الدينية هذه تتضمن محاولة الرجوع للقهقرى إذا لم تتناول بفهم وذوق يضبطان النقل والرأي في ضوء الفكر العصري»[1].

*** أخطر أقواله:**

□ يقول عبداللطيف غزالي: «لمَ يعتقد أتباع كل دين أن اللَّه يختصهم بالجنة، ويذر غيرهم وأكثر الناس في النار؟ إن إلهًا هذا شأنه وإن صح ـ وحاشا أن يصح ـ لا يكون إله طائفة قليلة بالنسبة لسائر الناس؛ لأنه ليس ثمة دين يضم أكثر البشر.. إن العمل الصالح لهو اليوم أفضل جهاد في سبيل اللَّه»[2].

---

(١) «نظرات في الدين» لعبداللطيف غزالي (ص٨ ـ ٩)، و«العصرانيون» (ص١٧٩)، و«العصريون» ليوسف كمال (ص٢٨).

(٢) «العصرانيون» (ص٣٠٩ ـ ٣١٠)، و«العصريون معتزلة اليوم» ليوسف كمال ـ دار الوفاء المنصورة، و«نظرات في الدين» لعبداللطيف غزالي (ص٣٧).

ويقول: «إن العمل الصالح هو العمل المنتج مثل أن يكون هو العبادة»[١].

ويقول: «ولقد صار البديل عن الجهاد هو العمل، ولقد صار البديل عن الحرب هو التعايش السلمي»[٢].

* القذافي يطعن في السنَّة ويمدح أتاتورك:

يقول القذافي: «الصحابة كانوا باستمرار يقولون له يا نبي اللَّه، يا رسول اللَّه، وعمره ما قال لهم اتبعوا حديثي أو كلامي؟ أين هذه موجودة؟ هل فيه نص في القرآن كله، ستين حزب، هل فيه ما ينص على النبي قال لكم الكلام الذي أنا قلته لازم تتبعوه؟ طيب.. أربعين عامًا قبل البعثة، أين الكلام الذي كان يقول فيه؟ هل كان لا يتكلم؟ كان يتكلم وأين الكلام الذي قاله؟ لما جاء في إحدى الغزوات وقال لهم خلي نزلوا في هذا المكان، قالوا له هذا وحي واجتهاد أو كلامك أنت؟ قال لهم: كلامي أنا. قالوا له: لا إن الحرب مكيدة، ما ننزل في هذا المكان لكن هو باستمرار، باستمرار يؤكد التمسك بالقرآن فقط، لو كان هو قدّس حديثه، وجعل لحديثه أهمية مثل القرآن أو قريبة منها، معناه هو يخلق كتابًا آخر يحلّ محل القرآن.. الذي أتى لنا وقال حديث النبي هذا لا بد تمشوا به وتقدسوه مثل القرآن، هذا شرك طبعًا، لا تعد تقل لي البخاري ومسلم هو الصحيح؛ لأن البخاري ومسلم فيهما أشياء لا تتفق مع أصول القرآن. إذن لنجمع كل ما قيل أنه حديث، ونقارنه بالقرآن، والذي يتفق معه زين، نقبله، والذي لا يتفق معه نشطبه ولا نعد نقول البخاري ومسلم»[٣].

ويمدح القذافي أتاتورك قائلاً: «عندما جاء أتاتورك.. وكان على

---

(١) «نظرات في الدين» (ص٣٧).

(٢) المصدر السابق (ص٣٦)، و«العصريون معتزلة اليوم» (ص٧٧).

(٣) «وثائق خطابات وأحاديث القذافي» (ص١٠٤) نقلاً عن «العصريون معتزلة اليوم» ليوسف كمال (ص٥٦).

الأقل مش كيف هو حاصل الآن، قال واللّه ما نبقى نفصل الدين عن الدولة، هو مسلم، اسمه مصطفى كمال أتاتورك، اسمه مصطفى على اسم النبي، لم يقل أن تركيا يجب أن تكون ملحدة، قال: تركيا دولة إسلامية، وتبقوا مسلمين. ولكن قال: أنا عندي طلب واحد. قال لهم أريد أن أفصل الدين عن الدولة.. كيف؟ إن الدولة وهي دولة وضعية تعالج مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية وفقًا للعصر التي هي فيه، أما الدين خلّوا كل واحد، يصلي ويحج ويصوم.. يصلي بالمسجد، يبني مسجدًا.

جاء المتعصبون الذين سموا أنفسهم علماء في ذلك الوقت، وقالوا له مستحيل، هذا كفر إذا فصلت الدين عن الدولة هذا كفر، ناداهم وقال لهم: أرجوكم هاتوا لي فتوى، فقط فتوى تجعلني أعلن باسم الإسلام، وإن الإسلام يبيح لي فصل الحكومة عن الدين، اجعلوا الحكومة لوحدها، واتركونا مسلمين كما كنا، قالوا له مستحيل.. هذا كفر.. قال لهم طالما هوّ كفر، فأنا ذاهب إلى قمة الكفر. وهذا هو القرآن، وهذا هو الإسلام.. وأحضر لي السيف لأقطع رقابهم وهرب من الشبابيك علماء الإسلام كلهم.. ومن تلك اللحظة كانت نكبة على الإسلام، أعلن الإلحاد والكفر قال: هذا الدين الذي يكبلني ولم يتركني أتصرف في تركيا لكي تواجه أعداءها وتنهض من جديد. قال: أنا لا أريد هذا الدين وأتاتورك مظلوم»(١).

وفي هذا من الدجل والكذب وتزييف الحقائق ما فيه، وفي القذافي وأتاتورك يصدق قول القائل:

ومن جعل الغــراب له دليــلاً ... يمر بهم على جيــف الكــلاب

* محمد أسد: نسخة أوربية لرائد العصرانية سيد خان منكر السنة:

محمد أسد (أو ليوبولد فايس) مستشرق نمسوي الأصل، كان في أول

---

(١) المصدر السابق، ونقل عنه يوسف كمال في كتابه «العصريون معتزلة اليوم» (ص٥٧).

أمره مراسلاً للصحف الأوربية في الشرق الأوسط، وبعد تجوال في ربوعه وبخاصة في جزيرة العرب هداه اللَّه فأعلن إسلامه في عام ١٩٢٦م. وبعد فترة من العيش بالمملكة السعودية انتقل للهند، ومكث فيها مدة طويلة، وكانت له صلات قوية بالحركة الفكرية فيها، وبعد إنشاء حكومة باكستان عمل في خدمة حكومتها، حتى استقال من خدمتها عام ١٩٥٢م وكان يشغل منصب ممثلها في الأمم المتحدة(١).

وقد عرفه العالم العربي من خلال أول كتاب ترجم له إلى اللغة العربية بعنوان «الإسلام على مفترق الطرق»، وصدرت الترجمة عام ١٩٤٦، واشتهر وذاع صيته بسبب هذا الكتاب الذي لاقى انتشارًا واسعًا يتضح من تعدد طبعاته. ومن خلال الكتاب ـ يبدو فكر المؤلف ناصعًا ورؤيته واضحة، وبخاصة لمعايب الحضارة الغربية ولأخطار تقليدها على المسلمين، ولمزايا الإسلام عليها ولأهمية التمسك بأسسه وأصوله: الكتاب والسنّة. ولمّا كان المؤلف من أبناء الغرب وأهله أحدث نقده للحضارة الغربية، وشهادته للإسلام بغض النظر عن قيمة محتواه، تأثيرًا قويًا ولاقى رواجًا وإعجابًا.

ولكن كتب المؤلف الأخرى لا تعطي الانطباع الذي يعطيه كتابه السالف، وإذا استبعدنا كتابه «الطريق إلى مكة» الذي هو قصة أدبية رائعة عن الثلاثين سنة الأولى من حياته واعتناقه الإسلام، ولا يعد كتابًا فكريًا، فإن كتبه الأخرى(٢) تنضح بفكر عصراني خالص، حتى أن المرء لا يجانب الصواب كثيرًا إذا وصفه ـ وبخاصة في ترجمته لمعاني القرآن والحواشي والهوامش التي ضمتها الترجمة ـ بأنه نسخة أوربية لسيد خان، أعظم مفكري

(١) «الطريق إلى مكة» ـ محمد أسد ـ ترجمة عفيف البعلبكي (ص١٦) والإسلام على مفترق الطرق ـ محمد أسد ترجمة عمر فروخ (ص١٢ ـ ١٤).
(٢) له كتاب «منهاج الإسلام في الحكم» وترجمة لمعاني القرآن وترجمة لصحيح البخاري إلى الإنجليزية.

العصرانية المسلمين. ولا غرو فإنه لتأثره بالمادية الغربية التي لا تؤمن بما وراء المحسوس المشاهد، لم يستطع أن يتخلص من بقاياه الجاهلية، فأقبل في الإسلام على العصرانية يؤول ويفسر كل شيء في حدود عالم الحس وأذواق الغرب. ويقدم لنا محمد أسد ـ تمامًا كسيد خان ـ نموذجًا متكاملاً للفكر العصراني الإسلامي، إذ لم يقتصر فكره في دائرة واحدة من دوائر الإسلام، بل شمل العقائد والتفسير والحديث والفقه. ونقدم هنا أمثلة قليلة من ذلك.

المفتاح الأساسي لفهم القرآن في نظره هو في الآية السابعة من آل عمران ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**﴾ يقول: «فهذه الآية هي التي تجعل رسالة القرآن سهلة التناول (لقوم يتفكرون)» وهو يعرف المتشابه بأنه تلك الآيات التي جاء التعبير فيها بطريقة مجازية، والتي تتضمن معنى رمزيًّا لا يمكن الإفصاح عنه مباشرة، ولو في كلمات كثيرة. أما لماذا يحتوي القرآن على المتشابه فيقول؛ لأنه يتحدث عن عالم «الغيب» ذلك العالم الذي هو وراء إدراك البشر الحسي، ولمّا كان العقل البشري لا يدرك الأشياء، ولا تكون عنده معرفة إلا من خلال تجاربه الماضية (هكذا يقول)، فلا يمكن نقل معاني «الغيب» له إلا باستعارة أمثلة وتشبيهات تؤخذ من نفس هذه التجارب، أو كما يقول الزمخشري: «تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد»، ثم يقفز من ذلك إلى النتيجة التالية «وهكذا يبين لنا القرآن بوضوح أن كثيرًا من تعبيراته وآياته يجب أن تفهم باعتبار أنها متشابهة، لسبب بسيط وهو أنها لتخاطب العقل البشري فلا يمكن أن تخاطبه بغير هذه الطريقة، فإذا أخذنا كل تعبير في القرآن وكل كلمة وكل آية بمعناها الظاهري الحرفي، وغضضنا الطرف عن احتمال أن تكون متشابهة، أو رمزًا أو مثالاً، فإننا نسيء إلى روح النص القرآني ذاته»[1].

---

(١) Asad, the Message of the Quran P. 66.989

ومن خلال اعتبار كثير من نصوص القرآن رموزًا وأمثلة، يمكن لأيّ امرئ أن يفسر ما شاء كيف شاء، ولم لا؟ فهل يمكن الادعاء أن للرمز معنى واحدًا بعينه هو المعنى المقصود دون غيره؟ وهذا ما فعله محمد أسد، فقد أوّل ما شاء كيف شاء ضاربًا بقواعد اللغة وبكثير من تفسيرات السلف عرض الحائط، ولم يتقيد بها ـ كما يقول ـ أليس من «مزايا القرآن الفذة أنه كلما ازدادت معرفتنا بهذا العالم، وازدادت تجاربنا كلما تكشفت لنا آياته عن معاني كثيرة جديدة لم تخطر من قبل» وهذا في ظاهره صحيح إذا أريد به أن معاني القرآن الأولية، يمكن أن تتسع للفهم بازدياد معرفة البشر، ولكن اتساع الفهم لا يناقض المعنى الأولي الأساسي، فهل هذا الذي يقصده محمد أسد؟ من عباراته التالية يبدو أن الذي يقصد إليه أن النص الواحد يمكن أن تكون له معاني متعددة، بل ومتناقضة حسب ثقافة المفسر المتاحة له في عصره، فهو يستمر ليقول:

«لقد أدرك أسلافنا العظماء هذه الحقيقة إدراكًا كاملاً، وفي تفسيرهم القرآن اقتربوا من نصوصه من خلال «عقولهم»، أو بعبارة أدق حاولوا شرح معاني القرآن على ضوء اللغة العربية والسنّة جنبًا إلى جنب مع المعارف العامة المتاحة لهم، مما تجمع لدى المجتمع الإنساني حتى عصرهم من تجارب وثقافة، ولهذا كان من الطبيعي أن يختلف في أحيان كثيرة فهم أحد المفسرين لآية من القرآن عن فهم من سبقوه، وقد يكون ذلك الاختلاف ـ وغالبًا ما يكون ـ حادًا وواسعًا، ويناقض بعض المفسرين بعضهم بعضًا، ولكن ذلك لم يخلق عداء بينهم، لإدراكهم لعنصر النسبية في التفكير البشري، وأنه لا أحد يبلغ الكمال[1] .

---

(١) نفس المصدر P. Viii

ولنأخذ مثلاً كيف يفسر محمد أسد صفات اللَّه الواردة في القرآن. يقول: «بما أن اللَّه عز وجل كائن لا تحده حدود الزمان والمكان فإن كل ما يمكننا أن ندركه عنه ما يسمى بالصفات السلبية What he is not ، أما صفاته الثبوتية فلا يمكن أن نكون عنها إلا فكرة ناقصة عن طريق استعارات وأمثلة عامة ومجملة. ولهذا فهو يعتبر هذه الصفات مجازات لا بد من تأويلها، فيقول عندما يوصف اللَّه تعالى بأنه في السماء أو أنه ﴿**على العرش استوى**﴾، فإن هذه ليست إلا أداة لغوية لتقرب لنا معنى فوق إدراك البشر، وهو قدرة اللَّه الواسعة وسلطانه القاهر فوق كل شيء. وكذلك عندما يوصف اللَّه بأنه «السميع» «البصير» فإن ذلك لا يمت بصلة إلى ظاهرة السمع والبصر العضوية، ولكنه فقط يصور بطريقة مفهومة للعقل البشري حضور اللَّه عند كل شيء وكل حدث. وكذلك كثير من الصفات التي يبدو لأول وهلة أنها تعني التجسيم، مثل الغضب والفرح والحب و﴿**نسوا اللَّه فنسيهم**﴾، وأمثالها فهي لا تعدو أن تكون «تراجم» في لغة بشرية ورموزًا لأفعال اللَّه[١].

ونفس الرموز ـ في رأي أسد ـ موجودة في وصف القرآن لليوم الآخر والحياة الثانية، والجنة والنار. وكل ما جاء من وصف لهذه ما هو إلا رموز مأخوذة من تجاربنا، فكأن القرآن يقول لنا: «تخيلوا كل ما يمكن لكم تخيله مما ينعم به الإنسان نفسيًّا وبدنيًّا، وتخيلوا نعيمًا فوق ما تتخيلون بأضعاف مضاعفة، ونعيمًا في ذات الوقت مختلفًا عن كل ما تتخيلون، فإنكم فقط حينئذ تكونون قد أدركتم لمحة وإن كانت غامضة عما يسمى «الفردوس». ونفس الأمر صادق أيضًا عن وصف القرآن للنار[٢] . وهو بذلك يعني أن وصف القرآن للجنة النار لا ينبغي أن يؤخذ على ظاهره، أو على أنه وصف

(١) نفس المصدر P. 991

(٢) نفس المصدر P. 990.991

لحقائق واقعة، بل هو مجرد تمثيل وتصوير.

وهو ينظر إلى بقية أمور الغيب والسمعيات الأخرى، مثل الجن والملائكة والمعجزات، بنفس النظرة أي أنها كلها رموز وأمثلة. وبكل «تمحل» يعطيها تفسيرات في حدود عالم الحس وليس له من دليل إلا الحدس والتخمين والخيال الواسع.

فقصة أهل الكهف ـ مثلاً ـ ونومهم لمدة ثلاثمائة عام ثم استيقاظهم يرى أنها ليست إلا «أسطورة»، واعتماداً على الاكتشاف الحديث لما سمي مخطوطات البحر الميت Dead Sea scrolls ، يرى أن المقصود بأهل الكهف مجموعة من اليهود كانت تعزل نفسها في الكهوف تفرغًا لدراسة ونقل وكتابة الصحف المقدسة. ولّما كان الناس من حولهم يعظمونهم وينظرون إليهم نظرة قدسية، فمن المحتمل جدًا أن يكونوا قد نسجوا حولهم بسبب عزلتهم التامة عن العالم، أسطورة النوم لمدة طويلة ثم «الاستيقاظ» بعد أن يكونوا قد أكملوا مهمتهم المقدسة. أي أن القرآن يحكي فقط أسطورة شائعة، ولكن لماذا يحكيها القرآن؟

▫ يقول: إن القرآن يستخدمها بطريقة رمزية بحته ليوضح أولاً قدرة اللَّه الكاملة على الإماتة ـ «النوم» ـ والإحياء ـ «الاستيقاظ» ويشير ثانيًا من خلالها إلى التضحية التي يمكن أن يدفع إليها الإيمان، فيعتزل قوم أتقياء العالم الفاسد نجاة من شروره[١] .

وكذلك يرى أن قصة سليمان عليه السلام التي يحكيها القرآن والمعجزات التي تصاحبها كلها كانت أساطير شائعة عند العرب وأهل الكتاب من يهود ونصارى حين نزول القرآن، ومن الممكن إعطاؤها تفسيرات «عقلية»

---

(١) نفس المصدر P. 438

(هكذا يقول فلديه تفسيرات جاهزة لكل شيء)، ولكن لا فائدة في ذلك؛ لأن القرآن وجد هذه الأساطير في البيئة التي نزل فيها، فحكاها كما هي دون أن يؤكد صحتها أو يدحضها فاستخدمها لأنها كانت ضاربة بجذورها في عقول الناس، ليبث من خلالها بعض مفاهيمه العقدية والأخلاقية[١] .

وإذا كانت هذه أمثلة لواحدة من وسائله لرفض المعجزات باعتبارها أساطير فقط، إلا أن في أحيان أخرى يعطيها تأويلات تبعدها أن تكون خارقة للعادة. من ذلك مثلاً قصة إبراهيم، مع الطيور الأربعة، ففي نظره أن إبراهيم لم يقتل الطيور ولم يقطعها أجزاء ثم أحياها اللَّه بعد ذلك، بل كل ما في الأمر أنه علّم الطيور ودرّبها على طاعته وإجابة أوامره، وهذا عنده هو معنى ﴿**فصرهن إليك**﴾، ثم إن إبراهيم وضع كل طائر على جبل، ثم حين دعاها أجابته. والمغزى من ذلك أنه إذا كانت الطيور بمثل هذا التعليم والتدريب تطيع الإنسان ولا تعصي أمره، فكذلك اللَّه عز وجل الذي يطيعه كل شيء، فهو قادر على أن يحيي الموتى بأمرهم بكلمة منه «كن»[٢] .

❑ ويقول عن الحوت الذي التقم يونس عليه السلام أن القرآن يذكره بأداة التعريف «الحوت» لأن أسطورته كانت معروفة فهو بذلك حوت معروف معهود. وفي هذه المرة لا يكتفي بالقول أنه أسطورة بل يعطيه تفسيراً من تفسيراته «العقلانية» من بنات أفكاره، فيقول: مما لا شك فيه أن التقام الحوت هنا ما هو إلا رمز للغم والكرب الذي وقع فيه يونس[٣] .

ويفسر حجارة السجيل في سورة الفيل مثل تفسير محمد عبده، الذي صرح في مقدمة الكتاب أنه تأثر به كثيراً واقتبس منه في عدة

---

(١) نفس المصدر P. 498

(٢) نفس المصدر P. 59

(٣) نفس المصدر P. 691

مواطن[١] ، فسبب هلاك أصحاب الفيل كان وباء الجدري أو الحصبة، والطير الأبابيل في تفسيره هي ناقلات ذلك الوباء[٢] .

والأمثلة كثيرة ومتعددة، وبإيجاز يمكن القول أن أيّ معجزة في القرآن ضاق عقل أسد المادي عن إدراكها، راح يؤولها بهذه الجرأة وبهذا الخرص والخبط.

*** الفقه من خلال ذوقه الأوربي:**

وإذا كانت هذه نظرة أسد إلى أمور العقيدة ومنهجه في تفسيرها، فكيف ينظر إلى مسائل الفقه التي لا يستسيغها «ذوقه» الأوربي؟ ويأتي أولاً السؤال ما الذي لا يستسيغه «الذوق» الأوربي من الفقه الإسلامي ثم ننظر ثانيًا في «المنهج العلمي» الذي يقدمه أسد لتأويله ليوافق «ذوق» الغرب المتحضر.

نختار ثلاث دوائر من التي يكثر اعتراض الغرب عليها في الإسلام: وضع المرأة والحدود والربا والأمثلة عن هذه تكفي.

أما عن المرأة فنكتفي برأي أسد في الحجاب. يقول عن قوله تعالى في ذلك في سورة النور ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**﴾ أن المقصود بها «اللباس المحتشم وستر الزينة إلا ما يظهره الإنسان في العادة الجارية»[٣] ، أي العادة الجارية في مجتمعه. ويعيب على المفسرين الأوائل أنهم قصروا ما يظهر على الوجه والكفين فقط وأحيانًا أقل، ويقول أن معنى «إلا ما ظهر

---

(١)نفس المصدر P. V

(٢)نفس المصدر P. 976

(٣)هذه جملة مبتورة نسبها إلى القفال في تفسير الرازي. وعبارة القفال الكاملة هكذا «معنى الآية إلا ما يظهره الإنسان في العادة الجارية وذلك في النساء الوجه والكفان» انظر التفسير الكبير للرازي سورة النور آية ٣١ ج٢٣ ص٢٠٥ ط أولى المطبعة البهية القاهرة.

منها» أوسع من ذلك، ويرى أنه لفظ عام، وأنه بعمومه قصد منه أن يفتح المجال للتغيرات التي تحدث في حياة الإنسان الخلقية والاجتماعية في كل زمان. إن الأمر البالغ الأهمية هو في «غض البصر وحفظ الفرج» وما يحقق هذه الغاية في كل زمان هو الذي يحدد ما يعد من «الحشمة» أو ما لا يعد في مظهر الإنسان الخارجي(١)، أي أن المقياس والمعيار الأساسي هو الحشمة، وليس لذلك حدود إلا ما تحدده عادة المجتمع الجارية وليس بالضرورة أن يكون ذلك ستر ما عدا الوجه والكفين.

□ وفي مجال الحدود نأخذ مثالاً رأيه في عقوبة الحرابة، وخلاصة رأيه أن من يظن أن «العقوبات الوحشية» الواردة في الآية ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون اللّه ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**﴾ - من يظنها عقوبات شرعية، فقد وقع في خطأ بالغ، وأن ما ذهب إليه المفسرون من أن المقصود بهذه الآية فرض عقوبات جنائية رأي مرفوض مطلقًا، مهما كانت الأسماء التي قالت بهذا الرأي كبيرة ومشهورة. ويؤكد أن الآية لا تنشئ أمرًا ولا تقصد تنفيذ طلب بل هي تقرير لحقيقة ويسوق لتأييد رأيه بعض الحجج، ومن ذلك أن الأفعال الواردة في هذه الآية «يقتلوا» «يصلبوا» «تقطع» «ينفوا» واردة بصيغة المضارع، ولا يفهم منها الأمر والطلب (وهذا مثال لأحد المواضع التي يظهر فيها ضعفه في اللغة) ومن الحجج أيضًا أن صيغة هذه الأفعال تدل على المبالغة، ويفهم هو من ذلك أن المقصود أن القتل والصلب والقطع هو لأعداد كبيرة، فهل يمكن أن يكون المقصود أن يعاقب عدد كبير من المحاربين ويعفى عن البقية؟ وكيف الحال إذا كان المقصود أن يعاقب عدد كبير من المحاربين

(١) المصدر السابق P. 538

ويعفى عن البقية؟ وكيف الحال إذا كان المحارب واحدًا أو فئة قليلة؟ ثم ما معنى «ينفوا من الأرض»؟ إذا كان القصد السجن فليس ذلك نفيًا من كل الأرض وإذا كان المقصود النفي من دار الإسلام فدار الإسلام ليست هي كل الأرض. ومن أقوى الأدلة عنده على أن الآية لا تقرر عقوبات شرعية، أن العقوبات الواردة فيها قد ذكرها القرآن على لسان فرعون الذي هو مثال الطغيان والشر والعدوان في القرآن، حين قال: ﴿**لأقطعن أيديكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين**﴾ فهل يعقل أن يجعل القرآن هذه عقوبات شرعية للمجتمع المسلم، وقد اعتبرها في موضع آخر جريمة نكراء من جرائم عدو اللَّه فرعون؟.

ويخلص من ذلك إلى أن التفسير الصحيح للآية أنها تقرر حقيقة، وهي أنه لا مهرب لمن يحاربون اللَّه ورسوله من العقاب الذي يجرونه على أنفسهم بأنفسهم وذلك أنه بسبب ما يحدث من الصراع بينهم، فإنهم يقتلون أنفسهم بأعداد كبيرة، ويعذبون ويشوهون بعضهم بعضًا بأعداد كبيرة، إلى الحد الذي يقطعون فيهم دابر بعضهم بعضًا أحيانًا (ينفوا من الأرض) ويرى أن هذا التفسير هو الذي يستقيم مع سياق الآية وتزول به الاعتراضات التي يعترض بها على التفسير الأول[١].

□ وعن الربا يقول أن تعريفه لم يزل أمرًا مشكلاً للفقهاء، وأنهم عرفوه بحسب الظروف الاقتصادية السائدة في عصورهم، وأنه بالنظر إلى الاقتصاد السائد عند العرب عند نزول تحريم الربا يمكن تعريفه في ضوء ذلك عمومًا بأنه الفائدة التي تجنى من الدين استغلالاً لحاجة الفقير المحتاج، من غني قادر، وأنه بالنظر إليه من خلال ذلك يبدو أن مسألة تحديد المعاملات التي

(١) نفس المصدر P 148

يمكن أن تعتبر داخلة تحت الربا، هي مسألة أخلاقية في المقام الأول، وتعتمد أساسًا على الدوافع والبواعث التي تقوم عليها العلاقة الاجتماعية والاقتصادية بين الدائن والمدين، وإلى أيِّ مدى يتحملان معًا الربح والخسارة. وذلك كما هو واضح يتغير تبعًا لتغير النمو الاقتصادي والاجتماعي والتقني، وعلى هذا فإن كل جيل من المسلمين هو الذي يضع بحسب ظروف عصره المعنى الجديد للربا والدوائر التي يشملها[١] »اهـ[٢] .

* * *

---

(١) نفس المصدر P 623

(٢) «مفهوم تجديد الدين» لبسطامي محمد سعيد (ص١٥٣ ـ ١٦١) ـ دار الدعوة ـ الكويت.

إسلاميون ولكن

إسلاميون ولكن

✍ ولاؤنا المطلق للإسلام. وكل من قدم خدمة للإسلام أو دافع عنه في جانب من جوانبه فهو حبيب إلينا بقدر تمسكه بالإسلام وقربه منه..

نعم ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط﴾ وليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمّد قصد الباطل ولكن ننبه على أخطاء المدافعين عن الإسلام نُصحًا للَّه ولرسوله.

الحق أحب إلينا منه..

*** هو الدكتور محمد عمارة رأس من رءوس المدرسة العقلية الحديثة.. عصراني يقول بعدم كفر اليهود والنصارى، ويمجِّد المعتزلة، ويثني على المبتدعة، ويمدح ثورة الزنج والفاطميين، ويدعو إلى التقريب بين الشيعة والسنة، ووحدة الأديان، والوطنية، والقومية وجهاد الدفع فقط دون جهاد الطلب:**

محمد عمارة مفكر ينتمي إلى المدرسة العقلية الحديثة ومن كبار المدافعين عنها، وهو وريث الشيخ محمد الغزالي يسير على نهجه، قال عنه الشيخ محمد الغزالي: «إن محمد عمارة قلعة من قلاع الإسلام في القاهرة»(١) .

ونحن لا ننكر أن للرجل مجالات في الدفاع عن الإسلام أوردنا منها رده

(١) مجلة آفاق عربية ـ السنة التاسعة ـ العدد ٦١٢ (ص١٣) ـ ٢٦ من ربيع الآخر ١٤٢٤هـ ـ ٢٦ يونية ٢٠٠٣م.

على المستشار العشماوي، ولكن الحق أحب إلينا منه.. له كتابات ومواقف سيئة لا بد من التنبيه عليها نُصحًا للأمة.

* جرعات أولاً قبل الغوص في فكره:

◘ يرفض الدكتور محمد عمارة أن تعود المرأة مكبلة بحجابها ويؤكد: «أن جذور هذه القضية ترتبط بالتمدن والتحضر والاستنارة أكثر مما هي مرتبطة بالدين»(١).

ـ أما ولاية المرأة للقضاء وحتى الولاية العامة: فهي جائزة عند العصرانيين بإطلاق. يقول محمد عمارة: «إن ما لدينا في تراثنا حول قضية ولاية المرأة لمنصب القضاء، هو فكر إسلامي وآراء فقهية.. وليس دينًا وضعه اللَّه، وأوحى به إلى رسوله عليه الصلاة والسلام..

وليس هناك إجماع فقهي فيها حتى يكون هنالك إلزام للخلف بإجماع السلف فهي من قضايا الاجتهاد المعاصر، أما قوله ﷺ: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**» فهو نبوءة سياسية من الرسول بفشل الفرس المجوس، أولئك الذين ملكوا عليهم امرأة، وليس حكمًا بتحريم ولاية المرأة للقضاء، فلا ولايتها العامة ولا الخاصة كانت بالقضية المطروحة، حتى على مجتمع النبوّة، كي تقال فيها الأحاديث»(٢).

* وانظر إلى هذه السقطة الكبيرة:

فإذا حكمنا (كساسة) بما يحقق مصلحة الأمة، كنا مقتدين بالرسول، حتى ولو خالفت نظمنا وقوانينا ما روي عنه في السياسة من أحاديث؛ لأن

---

(١) «الإسلام وقضايا العصر» لمحمد عمارة (ص٩٠).
(٢) «الإسلام والمستقبل» لمحمد عمارة (ص٢٣٧، ٢٤١).

المصلحة، بطبيعتها متغيرة ومتطورة»[١] .

بل يعبر عمارة بصراحة أشد عن عدم ملاءمة الشريعة لقضايا العصر، عندما يقول: «فإن أحدًا لن يستطيع الزعم بأن الشريعة يمكن أن تثبت عند، ما يقرره نبي لعصره»[٢] .

ويدعو عمارة كذلك إلى مدنية السلطة، وجعل حق التشريع في يد جمهور الأمة عندما يقول: «فأصحاب السلطة الدينية قد احتقروا جمهور الأمة، عندما سلبوها حقها في التشريع، وسلطاتها في الحكم» على حين قرر القائلون بمدنية السلطة: «أن الثقة كل الثقة بمجموع الأمة، بل جعلوها معصومة من الخطأ والضلال»[٣] .

□ ويتابع الدكتور عمارة، فيصف الفتح العثماني بأنه: «طوفان الدمار التركي، وأرجال الجيش العثماني الذي لف العالم العربي بردائه الأسود أكثر من أربعة قرون»[٤] .

حتى السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يسلم من أذى هؤلاء القوم فيصفه الدكتور محمد عمارة بأنه «القائد الإقطاعي البارز؟!»[٥] .

ويأسف الدكتور لانتصار المسلمين في الحروب الصليبية لأنها أعادت الحيوية للإقطاع العربي «فلقد كانت الحروب الصليبية مرحلة من الأحداث الكبرى التي أتاحت للإقطاع العربي فترة من استرداد الحيوية والنشاط»[٦] .

□ **وللدكتور محمد عمارة نظريته في وحدة الأديان**، أعلنها تحت شعار

---

(١) «الإسلام وقضايا العصر» لمحمد عمارة (ص٢٥).

(٢) «المعتزلة وأصول الحكم» (ص٣٣٠) لمحمد عمارة سلسلة الهلال العدد/ ٤٠٠/ ١٩٨٤م.

(٣) «الإسلام والسلطة الدينية» (ص٧).

(٤) «فجر اليقظة العربية» لمحمد عمارة (ص٣٦٢).

(٥، ٦) المرجع السابق (ص٢٢٨).

«وحدة الدين الإلهي»، فهو يرفض تقسيم الناس على هذا الأساس (المتخلف)، إلى مؤمنين وكفار؛ لأن ذلك التقسيم، قد ارتبط بالعصور الوسطى وعهود الظلام»[١] .

ويرى أن رفاعة الطهطاوي قدم فكرًا مستنيرًا في هذا الجانب حيث قدم «تقسيمًا جديدًا، لا يقوم على معايير الكفر والإيمان، وإنما يقوم على مقاييس، التحضر والخشونة»[٢] .

«والفروق بين المسلمين وأهل الكتاب، ليست من الخطر، بحيث تخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتدين بالدين الإلهي»[٣] .

□ ومحمد عمارة يدعو إلى العلمانية الصريحة في كتابه «الإسلام والسلطة الدينية». إذ يقول: «أما إسلامنا فهو علماني ومن ثم فإن مصطلح العلمانية لا يمثل عدوانًا على ديننا بل على العكس، يمثل العودة بديننا إلى موقفه الأصيل»[٤] .

□ وقديمًا قال محمد عمارة مثل ما قال محمد أحمد خلف اللَّه «من أن البشرية قد بلغت سن الرشد، وقد آن لها أن تباشر شئونها بنفسها بعيدًا عن وصاية السماء»[٥] .

وسنقول بملء فمنا بعد استقراء كتب عمارة أنه قد «حرّف» و«كذب» و«لبّس» و«هاجم» و«استهزأ» و«تناقض» ودعا إلى بدعته.

(١، ٢)«تيارات اليقظة الإسلامية» لمحمد عمارة (ص٢٨٠) ـ سلسلة الهلال.

(٣)«تجديد الفكر الإسلامي» لمحمد عمارة (ص٨٢).

(٤)«الإسلام والسلطة الدينية» لمحمد عمارة (ص١٠٠ ـ ١٠١).

(٥)«الإسلام وقضايا العصر» لمحمد عمارة (ص١٥)، و«الأسس القرآنية للتقدم» لمحمد أحمد خلف اللَّه (ص٤٤)، ومقال له في مجلة «الطليعة» القاهرية ١٩٧٥م.

* **نحكم على عمارة من خلال كتبه :**

❑ وهذه الكتب هي :

١ ـ «القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب» طبعة أولى، وثانية : القاهرة. دار الفكر ١٩٥٨م.

٢ ـ «فجر اليقظة القومية» طبعة أولى : دار الكاتب العربي. القاهرة ١٩٦٧م. طبعة ثانية : دار القاهرة للثقافة العربية، القاهرة ١٩٧٥م طبعة ثالثة : دار الوحدة. بيروت ١٩٨١م. طبعة رابعة. دار الوحدة. بيروت ١٩٨٤م.

٣ ـ «العروبة في العصر الحديث» طبعة أولى : دار الكاتب العربي. القاهرة ١٩٦٧م. طبعة ثانية : دار الوحدة بيروت ١٩٨١م. طبعة ثالثة. دار الوحدة. بيروت ١٩٨٤م.

٤ ـ «الأمة العربية وقضية الوحدة» طبعة أولى : الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة ١٩٦٦م. طبعة ثانية : دار الوحدة. بيروت ١٩٨١م طبعة ثالثة : دار الوحدة بيروت ١٩٨٤م.

٥ ـ «إسرائيل. . هل هي سامية؟». طبعة أولى : دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧م.

٦ ـ «مسلمون ثوار» طبعة أولى : دار الهلال ١٩٧١م. طبعة ثانية : بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٤م. طبعة ثالثة بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٩م.

٧ ـ «عمر بن عبدالعزيز. خامس الخلفاء الراشدين» طبعة أولى : دار الهلال. القاهرة ١٩٧٨م. طبعة ثانية : بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩م. طبعة ثالثة : دار الوحدة. بيروت ١٩٨٥م.

٨ ـ «الإسلام والوحدة الوطنية». طبعة أولى : دار الهلال. القاهرة

١٩٧٩م. طبعة ثانية: بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩م.

٩ ـ «قاسم أمين وتحرير المرأة». طبعة أولى: القاهرة ـ دار الهلال ١٩٨٠م. طبعة ثانية. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠م. طبعة ثالثة. دار الوحدة. بيروت ١٩٨٥م.

١٠ ـ «محمد عبده. مجدد الإسلام». طبعة أولى: دار الهلال. القاهرة ١٩٨٠م. طبعة ثانية: المؤسسة العربية بيروت ١٩٨١م. طبعة ثالثة: دار الوحدة. بيروت ١٩٨٥م.

١١ ـ «جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام». طبعة أولى: بيروت. دار الوحدة ١٩٨٤م. ودار المستقبل العربي. القاهرة ١٩٨٤م.

١٢ ـ «عبدالرحمن الكواكبي: شهيد الحرية ومجدد الإسلام» طبعة أولى: بيروت ـ دار الوحدة ١٩٨٤م، ودار المستقبل العربي. القاهرة ١٩٨٤م.

١٣ ـ «علي مبارك، مؤرخ المجتمع ومهندس العمران». طبعة أولى: بيروت. دار الوحدة ١٩٨٤م. ودار المستقبل العربي. القاهرة ١٩٨٤م.

١٤ ـ «رفاعة الطهطاوي. رائد التنوير في العصر الحديث». طبعة أولى: بيروت. دار الوحدة. ١٩٨٤م. ودار المستقبل العربي. القاهرة ١٩٨٤.

١٥ ـ «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية». طبعة أولى: بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٢م.

١٦ ـ «الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية». طبعة أولى: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٧م. طبعة ثانية: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٩م. [ضمن مجلد «الإسلام وفلسفة الحكم»]. طبعة ثالثة: القاهرة. دار الهلال ١٩٨٣م.

١٧ ـ «المعتزلة وأصول الحكم». طبعة أولى: بيروت المؤسسة العربية ١٩٧٧م. طبعة ثانية: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٩م. [ضمن مجموعة «الإسلام وفلسفة الحكم»]. طبعة ثالثة: القاهرة. دار الهلال ١٩٨٤م.

١٨ ـ «المعتزلة والثورة». طبعة أولى: بيروت المؤسسة العربية ١٩٧٧م. طبعة ثانية: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٩ [ضمن مجموعة «الإسلام وفلسفة الحكم»]. طبعة ثانية: بيروت المؤسسة العربية.

١٩ ـ «نظرة جديدة إلى التراث» طبعة أولى: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٤. طبعة ثانية: بيروت. المؤسسة العربية.

٢٠ ـ «عندما أصبحت مصر عربية». طبعة أولى: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٤م.

٢١ ـ «الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل». طبعة أولى: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٦م.

٢٢ ـ «معارك العرب ضد الغزاة». طبعة أولى: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٢م. طبعة ثانية. بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٥م.

٢٣ ـ «محمد عبده. سيرته وأعماله». طبعة أولى: بيروت. دار القدس ١٩٧٨م.

٢٤ ـ «المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد». طبعة أولى: القاهرة. دار المعارف ١٩٧١م.

٢٥ ـ «العرب والتحدي». طبعة أولى: الكويت ١٨٩٠م. طبعة ثانية: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٨٢م. طبعة ثالثة: القاهرة. دار الهلال ١٩٨٢م.

٢٦ ـ «الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب». طبعة أولى: القاهرة. دار الثقافة الجديدة ١٩٧٧م.

٢٧ ـ «العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب». طبعة أولى: القاهرة. دار الثقافة الجديدة ١٩٧٨م.

٢٨ ـ «نظرية الخلافة الإسلامية». طبعة أولى: القاهرة. دار الثقافة الجديدة ١٩٨٠م.

٢٩ ـ «الإسلام والثورة». طبعة أولى. القاهرة. دار الثقافة الجديدة ١٩٧٩م. طبعة ثانية: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٨٠م.

٣٠ ـ «الإسلام والسلطة الدينية». طبعة أولى: القاهرة. دار الثقافة الجديدة ١٩٧٩م. طبعة ثانية: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٨٠م.

٣١ ـ «الإسلام والحرب الدينية». طبعة أولى: بيروت. دار الوحدة ١٩٨٢م.

٣٢ ـ «ثورة الزنج». طبعة أولى: بيروت. دار الوحدة ١٩٨٠م [سبقتها طبعة شعبية في طرابلس ـ ليبيا].

٣٣ ـ «التراث في ضوء العقل». طبعة أولى: بيروت. دار الوحدة ١٩٨٠م. طبعة ثانية. دار الوحدة بيروت ١٩٨٤م.

٣٤ ـ «الإسلام وقضايا العصر». طبعة أولى: بيروت. دار الوحدة ١٩٨٠م. طبعة ثانية. دار الوحدة. بيروت ١٩٨٤م.

٣٥ ـ «الإسلام والعروبة والعلمانية» طبعة أولى: بيروت. دار الوحدة ١٩٨٠م. طبعة ثانية: دار الوحدة. بيروت ١٩٨٤م.

٣٦ ـ «دراسات في الوعي بالتاريخ». طبعة أولى: بيروت. دار الوحدة ١٩٨١م. طبعة ثانية. دار الوحدة. بيروت ١٩٨٤م.

٣٧ ـ «الإسلام وأصول الحكم». دراسة ووثائق ـ طبعة أولى: بيروت. المؤسسة العربية ١٩٧٢م.

٣٨ ـ «تيارات الفكر الإسلامي». طبعة أولى: القاهرة. دار الهلال ١٩٨٢م. طبعة ثانية: القاهرة. دار المستقبل العربي ١٩٨٤م. طبعة ثالثة دار الوحدة. بيروت ١٩٨٥م.

٣٩ ـ «تيارات اليقظة الإسلامية والتحدي الحضاري». طبعة أولى: القاهرة. دار الهلال ١٩٨٢م.

٤٠ ـ «الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري». طبعة أولى: القاهرة. دار المستقبل العربي ١٩٨٥م.

٤١ ـ «الفريضة الغائبة، عرض وحوار وتقييم». طبعة أولى: القاهرة. دار ثابت ١٩٨٢م. طبعة ثانية: بيروت. دار الوحدة ١٩٨٣م.

٤٢ ـ «الفكر القائد للثورة الإيرانية». طبعة أولى: القاهرة دار ثابت ١٩٨٢م.

٤٣ ـ «الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية». طبعة أولى: القاهرة. دار ثابت ١٩٨٢م.

٤٤ ـ «ماذا يعني الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية؟». طبعة أولى: القاهرة. دار ثابت ١٩٨٣م.

٤٥ ـ «جمال الدين الأفغاني المفترى عليه». طبعة أولى: القاهرة. دار الشروق ١٩٨٤م.

٤٦ ـ «الإسلام والمستقبل». طبعة أولى: القاهرة. دار الشروق ١٩٨٥م.

٤٧ ـ «العلمانية ونهضتنا الحديثة». طبعة أولى دار الشروق ١٩٨٥م.

٤٨ ـ «الإسلام وحقوق الإنسان». طبعة أولى الكويت سنة ١٩٨٥م.

٤٩ ـ «الاستقلال الحضاري».

٥٠ ـ «معالم المنهج الإسلامي». طبعة أولى. دار الشروق ١٤١١هـ. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٥١ ـ «الإسلام والفنون الجميلة». دار الشروق ١٤١١هـ.

٥٢ ـ «الشيخ محمد الغزالي». الهيئة المصرية ١٩٩٢.

وكتابيْ الدكتور عمارة «تيارات الفكر الإسلامي» و«الإسلام والمستقبل» وهما حاويان لمعظم ما يدعو إليه الدكتور في كتبه ومقالاته الأخرى.

❑ يقول سُليمان الخراشي مؤلف كتاب «محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة» (ص٦٩):

«وبعد قراءةٍ لي كثيرة في كتب ومقالات الدكتور... أستطيع أن أحصر القضايا التي تسيطر على ذهن الدكتور والتي نريد أن نحاوره فيها

في الآتي:

١ ـ العقل والعقلانية.

٢ ـ المعتزلة.

٣ ـ تيار الأفغاني: ويشمل عددًا من الأفكار الجزئية:

١ ـ وحدة الأديان.

٢ ـ الوطنية.

٣ ـ القومية.

٤ ـ العلمانية.

٥ ـ الاشتراكية.

٦ ـ التقريب بين السنة والشيعة.

٧ ـ تحرير المرأة.

٨ ـ الحرب الدفاعية.

٩ ـ خبر الآحاد.

١ ـ العقل والعقلانية:

❑ يقول الدكتور محمد عمارة:

«إن مقام العقل ـ الذي هو أداة العلم في الإسلام ـ مقام لا تخطئه البصيرة بل ولا البصر.. فمعجزته القرآن تتوجه إلى العقل.. وهو الحاكم بين ظواهر النصوص وبين البراهين العقلية إذا ما لاح التعارض بينهما» «التراث في ضوء العقل» (ص١٨٣).

«لا بد من عرض النصوص المروية على البرهان العقلي. فإذا تعارضت معه وجب تأويلها كي تتفق مع برهان العقل» «التراث في ضوء العقل» (ص٢٧٠).

«لقد بلغ تقديس الإسلام للحرية الإنسانية إلى الحد الذي جعل السبيل

إلى إدراك وجود الذات الإلهية هو العقل الإنساني فحرر سبيل الإيمان من تأثير الخوارق والمعجزات بل ومن سيطرة الرسل والأنبياء!» «الإسلام وحقوق الإنسان» (ص٢٣).

- «إن البشرية قد بلغت عنده وبه (أي الإسلام) مرحلة النضج وسن الرشد ومن ثم فلقد أصبحت أمور دنياها موكولة إلى عقلها ولم تعد أمرًا سماويًا يأتيها به نبي جديد كلما انحرفت عن الطريق المستقيم» «الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية» (ص٦٥).

- «بالعقل انتصرت العروبة وانتشر الإسلام» «العرب والتحدي» (ص٧١).

- «حضارتنا العربية الإسلامية متميزه في عقلانيتها عن الحضارة الغربية تميزًا لا سبيل إلى إنكاره أو التشكيك فيه..» (مقال العقلانية الإسلامية مجلة الهلال مايو ١٩٨٨).

ونصوص أخرى كثيرة مثل هذه لا نثقل الكتاب بنقلها فقد مضى منها ما يغني ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الدكتور عمارة أو مقال من مقالاته العديدة دون الإشارة إلى دور العقل في تراثنا ودون إطراء لأصحابه من المعتزلة وأتباع المدرسة العقلية في الزمن المعاصر»[1].

□وقديمًا قال الملحد جميل صدقي الزهاوي:

قالوا اترك العقـل ولا تعمل به حتى يؤيـد حكمة المنقـول
قلت اترك المنقـول لا تعمل به حتى يؤيـد حكمة المعقـول[2]

(١) «محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة» لسليمان الخراشي (ص٧٣ - ٧٤) - دار الجواب.

(٢) «الزهاوي وديوانه المفقود» لهلال ناجي (ص٨٤). وللزهاوي أيضًا كتاب في الرد على (الوهابية)! حيث زعم أن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - مجسّم! ويكفر المسلمين جميعهم. انظر «الزهاوي وديوانه المفقود» لهلال ناجي (٥٦) (٣٣).

□ يقول الدكتور: «"إننا نجد القرآن الكريم معجزة عقلية تتوجه إلى العقل وتحتكم إليه وتجعله مناط التكليف بل ومعيار إنسانية الإنسان ثم تقيمه حاكمًا على كل النصوص والمأثورات! وفي السنة النبوية نجد الانحياز إلى العقل حتى لقد جعلت الشك المنهجي هو محض الإيمان؛ لأنه هو الطريق إلى اليقين الذي لا يتأتى الإيمان بدونه؟!» «الإسلام والمستقبل» (ص٢١). إذن العقل حاكم على (كل) النصوص والمأثورات! لأن القرآن عقلي والسنة انحازت للعقل.

□ ويقول في موضع آخر عن المعتزلة وهم (فرسان العقلانية) في نظره. مؤيدًا لهم أنهم: «قالوا إن الأدلة أولها دلالة العقل؛ لأن به يميز بين الحسن والقبيح؛ ولأن به يعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة والاجماع» «الطريق» (ص١٠٠). فالعقل أولاً ثم النص. لماذا؟ لأن العقل يميز بين الحسن والقبيح ولأن به يعرف الكتاب والسنة.

□ ويقول أيضًا: «إن مقام العقل - الذي هو أداة العلم - في الإسلام مقام لا تخطئه البصيرة بل ولا البصر فمعجزته القرآن تتوجه إلى العقل وهو الحاكم بين ظواهر النصوص وبين البراهين العقلية إذا ما لاح التعارض بينهما» «التراث» (ص١٨٣). فإذا ما عارض النص العقل.. قدم العقل.

□ ويقول أيضًا: «أما عن العلاقة بين العقل وبراهينه ومعطياته وبين ظواهر النصوص فإننا نجد الأفغاني يحتكم إلى معطيات العقل والبرهان ويقطع بوجوب الاحتكام للعلم في كل ما يعرض من شبهات خلافية لأن القرآن قد أتى بالكليات والعموميات فيما يتعلق بهذا الحقل وتفسير هذه الكليات والإشارات إنما يكون على ضوء أحكام العقل ومعجزات العلوم والتأويل فظواهر النصوص هي السبيل إلى هذا التوفيق المنشود فإذا لم نر في القرآن ما يوافق صريح العلم اكتفينا بما جاء فيه من الإشارة ورجعنا إلى

التأويل إذ لا يمكن أن تأتي العلوم والمخترعات بالقرآن صريحة واضحة وهي في زمن التنزيل مجهولة من الخلق كامنة في الخفاء لم تخرج لحيز الوجود كما أن القرآن يجب أن يجل عن مخالفته العلم الحقيقي خصوصًا في الكليات» «مسلمون ثوار» (٤١٢). إذن عندما يوهم نص ما تعارضه مع اكتشاف علمي أو نظرية جديدة يجب أن يؤول ذلك النص بما يوافق ذلك الاكتشاف أو تلك النظرية؛ لأن القرآن جاء بالعموميات فقط.

◻ ويقول: «الإسلام لا يمد نطاق علوم الوحي والشرع إلى كل الميادين الدنيوية التي ترك الفصل فيها والتفسير لعلوم العقل والتجربة الإنسانية «الدولة الإسلامية» (ص١٧٢) فالنصوص الإسلامية الشرعية لا مدخل لها في بعض الميادين الدنيوية.. ما هي هذه الميادين؟.. لم يحدد الدكتور!.

◻ ويقول أيضًا: «إن الإسلام الدين لم يعترف لبشر بعد الرسول ﷺ بسلطة دينية فلقد انقضى زمن الوحي وبلغت الإنسانية سن الرشد وأوكلها اللّه إلى وكيليه عندها الكتاب ـ وهو القرآن الكريم ـ والعقل ـ الذي جعله اللّه من أجل القوى الإنسانية. بل أجلها على الإطلاق» «الدولة الإسلامية» (ص١٧٧) فمرجعنا إذن القرآن والعقل![1].

*** وهذه مواضع يقدم فيها محمد عمارة موقفه من قضية العقل:**

الأول: أنه يقدم العقل على كل نص يدل على معجزة خارقة للنبي ﷺ أو غيره من البشر ويكتفي بالمعجزة العقلية الوحيدة للرسول ﷺ وهي القرآن الكريم. انظر مقال (ماذا تعني بشرية الرسول) (الهلال. ديسمبر ١٩٨٤) كاملاً.

(١) «محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة» (ص١٣٧ ـ ١٣٨).

الثاني: إنكاره مجيء جبريل في صورة دحية الكلبي ﷺ. يقول: «هل حقًّا أن بعض الصحابة قد رأى الملك جبريل وهو في صورة دحية الكلبي أثناء لقائه بالرسول ﷺ إن في رواية البخاري عن أبي عثمان ما يدل على أن أم سلمة زوج النبي قد رأته وأنها قد حسبته دحية الكلبي حتى أنبأها النبي أنه جبريل وفي مسند أحمد بن حنبل ما يدل على أن عبدالله بن عباس قد رآه والرسول يناجيه.. لكننا لو عرضنا ذلك على معنى الوحي الذي هو إعلام في خفاء عمن عدا النبي وعلى معنى الناموس الذي سمى به جبريل لاستتاره عن غير النبي ملنا عن التسليم بأن أحدًا غير الرسول قد رأى الوحي والناموس ويدفع عنا الحرج في هذا الميل أن هذين الحديثين ككل أحاديث الوحي هي أحاديث آحاد». (مقال: الوحي الإلهي ـ الهلال ديسمبر ١٩٨٥).

الثالث: رده حديث افتراق الأمم المشهور عقلاً ولأنه حديث آحاد كما مر معنا في كتاب «تيارات الفكر الإسلامي».

الرابع: إنكاره المهدي. قال: «لقد كانت المهدية إبداعًا يستلهم الأسطورية التراثية التي جعلت من المهدي ذلك البطل الأسطوري الذي تُعده السماء لينتشل المجتمع من أزمته ويخلصه من مأزقه فيملأ الأرض عدلاً بعد أن امتلأت بالجور والفساد!» «الطريق» (١٨٣). وقد صرح بذلك في كتابه «عمر بن عبدالعزيز» (ص ١٥٠).

الخامس: إنكاره لحديث سحر اليهود للنبي ﷺ الذي ورد في «الصحيح» بدعوى أنه ظني متابعًا في ذلك الغزالي(١) أثناء ندوة عقدتها

---

(١) قال عمارة عن مدرسة الأفغاني: «هي بحق مدرسة الجامعة الإسلامية كان روادها الشيخ الغزالي ومن قبله الإمام محمد عبده والكواكبي والمراغي..».

قلت: وهذا يؤكد ما ألمح إليه الشيخ الفاضل سلمان العودة في كتابه «حوار هادئ» من أن=

جريدة المسلمون ـ العدد (٢٧٦).

هذا ما عثرت عليه من أقواله التي عارض فيها العقل بالنقل تفصيلاً.

* **ثناؤه على المعتزلة**[1]:

لم يصل الدكتور عمارة في تعظيمه للعقل كما رأيت إلا بعد أن تشرب بمبادئ المعتزلة وأُعجب بعقولهم. ويمكن أن يُعكس هذا فيقال إنه محبة عمارة للعقل وإيمانه بقدرته على قيادة الإنسان للهدى ساقه إلى تعظيم المعتزلة وإطرائهم وصرف أبصار قرائه إليهم لأنه وجد فيهم بغيته. وهكذا يقال في تيار الأفغاني كما سيأتي:

١ ـ يقول الدكتور في كتاب «نظرة جديدة إلى التراث» (ص٩١): «كان التوحيد بمعناه النقي المبرأ من الشبهات هو الذي دعا المعتزلة لنفي القدم عن القرآن لأنهم ينفون الصفات عن الذات العلية حتى لا يكون هناك إقرار بقدم هذه الصفات فيكون مع القديم قديم آخر».

٢ ـ يخصص الدكتور عمارة كتابًا كاملاً هو «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية» لنصرة قولهم بالقدر.

٣ ـ يكتب الدكتور فصلاً كاملاً بعنوان (المنزلة بين المنزلتين) في آخر كتاب «الإسلام والمستقبل» (ص٢٥٦) لنصر قولهم بهذه البدعة، ويقول في آخره بلهجة داعية: «هل تستحق فكرة المنزلة بين المنزلتين منا ما لم تظفر به فيما تقدم من التاريخ؟».

٤ ـ أما رجال المعتزلة (والقدرية قبلهم) فإن الدكتور يثني عليهم ثناءً حارًا وعلى مواقفهم ويعتبرهم من أفذاذ رجال الإسلام، وأصحاب الفكر

= الغزالي يتبع في أقواله رواد هذه المدرسة.

(١) انظر إلى «المعتزلة وأصولهم الخمسة» لعواد المعتق.

المستنير في تراثنا.

☐ يقول عن غيلان الدمشي: «كانت حياة غيلان نموذجًا فريدًا يجسد الموقف الثوري من سلبيات مجتمعه كذلك كان مماته نموذجًا فريدًا يجسد سلبيات هذا المجتمع ويدين هذه السلبيات» «مسلمون ثوار» (ص١٤٩).

☐ ويقول عن عمرو بن عبيد أحد رءوس المعتزلة أنه: «علامة بارزة على طريق تطور العقل العربي المسلم وعلم من الأعلام الذين صنعوا النشأة الأولى للتيار العقلاني في تراثنا. .» «مسلمون ثوار» (ص١٦١).

- ويقول عن الماوردي: «واحد من مفكري العرب وعلماء الإسلام الذين يمثلون علامة من العلامات البارزة والمتميزة على درب تطورنا الحضاري وتبلور تراثنا. .» «التراث في ضوء العقل» (ص٥٦).

- ويقول عن ابن جني: «الرائد العملاق» (نظرة جديدة ٦٨).

- ويقول عن الجاحظ: «من أبرز العلماء والمتكلمين والأدباء ومفكري السياسة والاجتماع في عصره» «التراث» (ص٢٦٢).

وغير هؤلاء من رجال المعتزلة. لهذا يعد موقف أهل السنة من المعتزلة موقفًا ضد الدكتور عمارة في نفس الوقت؛ لأنه يُعَدُّ رجلاً من رجالهم في العصر الحاضر. برغم أنه لم يكتف بذلك بل أضاف إليه كثيرًا من البدع المعاصرة الأخرى. فازداد بدعة على أخرى!.

*** يقول الدكتور محمد عمارة في كتابه «تيارات الفكر الإسلامي»:**

☐ «لقد أصبح الواقع الفكري للحياة العربية الإسلامية يتطلب فرسانًا غير النصوصيين ويستدعي أسلحة غير النقول والمأثورات للدفاع عن الدين الإسلامي وعن حضارة العرب والمسلمين. وغدت الأمة العربية المسلمة تتطلع إلى نمطها الفلسفي المتميز الذي تدافع به عن بنائها الحضاري الخاص. . فلا بد

من الاستجابة الإيجابية تجاه ما فرض عليها من تحديات» (ص٦٧)، وكان المعتزلة «هم التجسيد للأسلحة الجديدة التي تسلحت بها الأمة دفاعًا عن حضارتها الوليدة ودينها الجديد أمام خصومها من أهل الملل والنحل والمذاهب والفلسفات الأخرى» (ص٦٧).

▫«يسلم الكثيرون بأن المعتزلة هم فرسان العقلانية في حضارتنا».

وأن هذه القسمة «قد تدعمت ونمت بترجمة فلسفة اليونان، ولكنها لم تبدأ بهذه الترجمة فالمعتزلة ومن قبلهم أسلافهم أهل العدل والتوحيد قد مثلوا في تطورنا الفكري بمراحله المبكرة عقل هذه الأمة الذي تأمل وتدبر كي يجيب على الأسئلة التي طرحتها الحياة على المجتمع والناس. فمنذ نشأتهم الأولى امتازوا وتميزوا بالنظر الفلسفي في أمور الدين. فهم إذن يمثلون تيارًا عقليًّا في الفكر العربي الإسلامي حتى قبل حركة الترجمة عن اليونان وغيرهم من القدماء» (ص٦٩).

▫«رفضوا طريق التقليد لأن التقليد كما يكون في الحق يكون في الباطل وكما يكون في الصحيح يكون في الفاسد، وكما يكون فيما ثبت بالدليل يكون فيما لا دليل عليه.. وهذا معلم هام من المعالم المميزة بينهم وبين أهل السنة وأصحاب الحديث» (ص٧٢).

▫«المعتزلة لم يكونوا فقط كما يظن الكثيرون. علماء في الدين وفلاسفة في الإلهيات وإنما كانوا فرسانًا في القتال وثوارًا في السياسة ومتبتلين في العبادة وزهادًا في عرض الدنيا ورجال دولة وأدباء وشعراء ورواة ونقاد» «لقد كانوا أكثر من فرقة دينية كانوا علماء بالمعنى الحضاري بل وصناعًا للحضارة التي نفخر بها اليوم أليس عصرها الذهبي الذي نعتز به ونستدفئ بذكرياته وإنجازاته هو عصر الخلفاء الذين تمذهبوا بمذهب المعتزلة: المأمون والمعتصم والواثق» (ص٧٢ ـ ٧٣).

□ إن «المرجئة والجبرية الأموية كانوا أهل حشو يقفون عند ظواهر النصوص ومن ثم فلا جلد لهم ولا قدرة على جدل خصوم الإسلام بمنطق العقل وحكمة الفلسفة. أما المعتزلة فقد كانوا هم الفرقة الإسلامية التي تصدت للدفاع عن الإسلام ضد خصومه بل واتخذت موقع الهجوم على هؤلاء الخصوم» (ص٧٣).

□ ثم عقد الدكتور عمارة مبحثًا بعنوان «القوى الإيجابية التي مثلوها» (٧٥ ـ ٧٩) وخرج منه بأن «خريطة المواطن التي انتشر فيها فكر المعتزلة وسادتها نزعتهم العقلانية القومية كانت هي خريطة التجارة وطرقها ومواطن التجار ومحطاتهم» (ص٧٩).

□ ثم ذكر نماذج من مشاركاتهم السياسية وثوراتهم على حكام الجور وبين أن تلك الثورات تجسيد «لرفض القوى الاجتماعية المتقدمة لما أحدثه الأمويون من تغييرات في طبيعة السلطة العليا للدولة ـ الخلافة ـ تلك التغيرات التي بدلت فلسفة الحكم فبدلاً من الشورى والبيعة والاختيار أصبحت وراثة وملكًا عضودًا» (ص٧٩ ـ ٨٠). ومنها: ثورة ابن الأشعث، ثورة الحارث بن سريج، ثورة زيد بن علي، ثورة يزيد بن الوليد، ثورة النفس الزكية، ثورة إبراهيم بن عبداللَّه بن الحسن، ثورات الزيدية.

□ ثم تعرض لأبرز تياراتهم وهما اثنان:

١ ـ تيار المعتزلة البغداديين وهي مدرسة العلويين ومؤسسها (بشر بن المعتمر).

٢ ـ تيار المعتزلة البصريين: وهو التيار «الذي توثقت صلاته بالدولة العباسية فأثر فيها وأضفى على مواقفها من فكره وأسهم في صنع الإنجازات الحضارية التي سطرت صفحة العصر الذهبي لحضارتنا وتراثنا في ذلك التاريخ» (٨٣) ومن أبرز رجالها: ابن أبي دؤاد وثمامة بن أشرس.

□ ثم يذكر الدكتور أنه «بموت الخليفة العباسي الواثق انتهى العصر

الذهبي للمعتزلة بل العصر الذهبي للدولة العباسية، وبدأت النذر بمرحلة التراجع. ففي عهد المتوكل العباسي حدث الانقلاب ضد المعتزلة ونزعتهم العقلانية فاقتلعوا من مناصبهم في الدولة وأبعدوا عن مراكز التأثير الفكري وزج بالكثير من أعلامهم في السجون وأبيدت آثارهم الفكرية إلا ما ندر منها. فتقلص سلطان العقل العربي الإسلامي على الحياة الفكرية والعامة وعزلت معاييره» (٨٤) «فنفر من أهل الحديث الذين يقدمون الإسناد والنقل على الدراية والعقل. خرجوا من السجون فتولوا أزمة الدولة قضاءً وتدريبًا وإدارة ووضع المعتزلة بدلاً منهم في السجون» (٨٤) واستمر اضطهاد المعتزلة وازداد في عهد القادر الذي وضع «الاعتقاد القادري» ووقع عليه «علماء السنة وأهل الحديث» (٨٥)، «ولقد أدخل هذا الكتاب في الإسلام كهنوتًا اعتقاديًّا مستعارًا من قرارات المجامع الكنسية غريبًا عن روح الإسلام وطبيعته».

□ وتحت عنوان «صحوة ثانية» يذكر الدكتور عمارة أن الدولة البويهية الشيعية أفسحت للمعتزلة مجال الحرية لاتفاقهم معها في الأصول. ومن أبرز أعلام هذه الصحوة القاضي عبدالجبار. فاستمرت «أصولهم الفكرية قائمة ومؤثرة في الواقع العربي الإسلامي من خلال وجود الزيدية التي لا تختلف وإياهم إلا في بعض المسائل الفرعية المتعلقة بمسألة الإمامة. كما بقيت بعض أصول المعتزلة تعيش في الواقع العربي الإسلامي حتى الآن من خلال تبني الشيعة الإمامية لها أو اقترابها من رأي المعتزلة فيها» (ص٨٧)، «لقد انقضت المعتزلة كفرقة، ولكنها استمرت نزعة عقلية وفكرًا قوميًّا وأصولاً فكرية من خلال فرق أخرى تأثرت بها ومن خلال البصمات التي طبعتها على المجرى العام الخالد والمتدفق والمتطور لفكر العرب والمسلمين» (ص٨٧).

* ثناؤه على تيار الأفغاني:

□ يقول سليمان بن صالح الخراشي:

«قد اخترت تسميته بهذا الاسم دون أن أسميه كغيري (المدرسة العقلية)

أو (المدرسة الإصلاحية) أو (مدرسة التجديد الديني).. لأني أظن أن ظهور هذا التيار بين الرجال الذين آمنوا به إنما كان لمجهود هذا الأفغاني الذي بشر بدعوته بينهم فاعتنقوها. ومن بين هؤلاء الرجال الذين اعتنقوا فكر هذا التيار بعنف ولكنه لم يحظ بمشاهدة رجاله الأوائل أي أنه من تابعيه لا من صحابته الدكتور عمارة الذي ولع قلبه بحب هذا التيار ورجاله وأصبح يلهج بذكرهم في كل محفل وفي كل فرصة تسنح له ومن تتبع كتبه ومقالاته علم أنه لا يحيد قيد شعرة عما قرره في شتّى المسائل: القومية، الوطنية، الاشتراكية، العقلانية.. إلخ. فهو معهم كمن قال في محبوبته السوداء:

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب!

فتيارهم عنده هو «التيار السلفي العقلاني المستنير» وهو «الذي كان أبرز تيارات التجديد في حركة اليقظة العربية في العصر الحديث» «العرب والتحدي» (٢٩١)»[١].

□ وفي كتابه «تيارات الفكر الإسلامي» تحت عنوان «الجامعة الإسلامية السلفية.. العقلانية المستنيرة» (ص٢٨٥ ـ ٣٤٠) قال:

«هذا التيار هو الذي بدأه فيلسوف الإسلام وموقظ الشرق جمال الدين الأفغاني وتجسّد فكرة وخاصة ما تعلق بتحرير العقل والإصلاح الديني في الآثار الفكرية والجهود العملية للإمام محمد عبده، وكان جناحه في المشرق العربي المفكر عبدالرحمن الكواكبي وفي المغرب العربي عبدالرحمن ابن باديس ومن حول هؤلاء جميعًا عرفت الأمة أقوى تيارات التجديد واليقظة في عصرها الحديث وأكثرها أصالة ومستقبلية أيضًا!» (ص٢٨٥).

ـ بهذه العبارة بدأ الدكتور عمارة حديثه عن هذا التيار ثم أزال شبهة قد تعلق بذهن بعض الناس وهي تساؤله «كيف يكون هذا التيار الفكري سلفيًّا

(١) «محمد عمارة» (ص٣١٧).

ومستنيرًا في ذات الوقت؟ والاستنارة تعني ضمن ما تعني المستقبلية وهو ما يبدو نقيضًا للسلفية بل وإياها على طرفي نقيض» (ص٢٨٥) ولإزالة هذه الشبهة أخذ الدكتور عمارة يقارن بين سلفية جمال الدين الأفغاني وسلفية محمد بن عبدالوهاب أو الوهابية كالآتي:

«كانت السلفية عند الوهابية كما كانت عند تراثها في فكر أحمد بن حنبل وابن تيمية الوقوف عند ظواهر النصوص الدينية، وجعل المعاني المستفادة من هذه الظواهر المرجع في كل من أمور الدين وأمور الدنيا.. فهي قد وقفت عند مفهوم الإسلام كدين كما كان حال هذا المفهوم في عصر البداوة والبساطة للأمة العربية، وقبل التطورات العلمية والإضافات العقلية التي استدعتها صراعات الأمة الفكرية مع الملل والنحل غير الإسلامية بعد عصر الفتوحات ومن ثم فإن السلفية بهذا المعنى تسقط من تراثها العلوم العقلية والتصوف الفلسفي وتعتبر كل ذلك (بدعًا) طرأت على الإسلام كما فهمه السلف الصالح.

أما السلفية لدى التيار الذي تزعمه الأفغاني ومحمد عبده فإنها ليست كذلك تمامًا؛ لأنها تأخذ عقائد الدين وأصوله على النحو النقي المبرأ من الخرافات والإضافات وهي هنا سلفية تتفق مع الوهابية وخاصة في إزالة شبهات الشرك والوثنية والتوسل والوسائط عن عقيدة التوحيد لكنها لا تقتصر في فهمها للإسلام كحضارة وتراث على فهم السلف الصالح له لأن الإسلام كحضارة وعلومه العقلية والفلسفية ومذهبه في التصوف الفلسفي كل ذلك قد حدث بعد عصر السلف، وقد حدث لأن ضرورات موضوعية اقتضته ومن ثم فإن هذا التيار لا يسقط هذا التراث من تراث الإسلام ولا يعتبره بدعًا سيئة لأنه يحدد إطار البدع السيئة بما يجعلها خاصة بأصول الدين وعقائده الجوهرية. ففيها لا ابتداع ولا تطوير مهما اختلف الزمان والمكان. أما في الإسلام كحضارة وعلوم فإن التطور دائم والإضافات مستمرة ومن ثم فإن

الابتداع هنا حسن وليس بالسيئ كما هو الحال في أصول الدين» (ص٢٨٦).

□ «سلفية الوهابية التي وقفت عند المأثورات وحدها، وعند فهم السلف وحدهم لهذه المأثورات قد جعلت من المأثورات الكل الذي لا شيء وراءه، ونقطة البدء والمنتهى سواء في عقائد الدين أو في أمور الدنيا، وقد يكون لها العذر؛ لأن بداية مجتمعها لم تكن تطرح من القضايا والمعضلات ما يتجاوز إطار المأثورات. . أما التيار السلفي العقلاني المستنير فلم يكن ذلك حاله ولا موقفه؛ لأنه قد نبت في أكثر البيئات العربية الإسلامية تطورًا، وأشد مجتمعات الأمة تعقدًا، وهو قد استشرف بناء مجتمع عربي مسلم أكثر تطورًا وتحضرًا، ومن ثم أشد في درجات التعقيد» (ص٢٨٧).

□ «والتقليد الذي يفضي إلى الجهود. . لقد عابته سلفية الوهابية، ولكن غضها من قيمة العقل قد أوقعها في خطر التقليد وحبسها في إطاره على حين وجدنا إعلاء تيار الأفغاني وتلاميذه لشأن العقل قد جعلهم حربًا معلنة وضارية ضد التقليد والمقلدين» (ص٢٨٨).

□ «وسلفية الوهابية وقريب منها أو مثلها - سلفية الشيخ رضا لاعتمادها على النقل دون العقل أو أكثر من العقل ولتعميمها ذلك في شئون الدنيا أيضًا جعلت من التجديد دعوة للعودة إلى مجتمع السلف ونظمه وتشريعاته فضلاً عن فكره فهي عودة إلى السلف وإن تفاوتت صراحتها في هذه الدعوة بين دعاتها في البادية حيث كانت هذه العودة ليست بالأمر المستحيل وبين دعاتها في الحضر كما عند رشيد رضا حيث جعلها الغاية التي تؤدي إليها وسائل مغلقة بالغموض والتعميم! أما سلفية التيار العقلاني المستنير فهي لا تدعو للعودة إلى مجتمع السلف؛ لأنها تدرك استحالة ذلك فضلاً عن خطره وضرره، وإنما هي تدعو إلى استلهام ما هو جوهري ونقي - أي الدين الخالص - في تراثنا ليكون نقطة البدء والطاقة المحركة والنبع المقدس لدفع عجلة التطور إلى الأمام، ولبناء مجتمع جديد جدة الواقع والظروف

والاحتياجات والملابسات فالسلفية هنا أساس بني عليها البناء الجديد» ص(٢٨٨).

□«على حين كانت السلفية الوهابية تضع التصوف والصوفية في عداد الشرك والمشركين هكذا بإطلاق رأينا الأفغاني ومحمد عبده يتحدثان عن ابن عربي بإجلال كبير فيلقبانه بالشيخ الأكبر ووجدنا الأفغاني يحتل مكان الفيلسوف المتصوف الذي امتزجت فيه حكمة الفيلسوف برياضات الصوفي فهو صوفي خلع الملابس المرقعة وعدل عن حمل المسبحة الطويلة وانخرط في حركة التجديد بالإصلاح وجعل من العقل ـ كما أراد اللّه سبحانه ـ أفضل القوى الإنسانية ومعيار إنسانية الإنسان فكان فيلسوفًا يسلك إلى التجديد والإصلاح والثورة للفرد والأمة مجاهدات ورياضات هي أشبه ما تكون بمراقي الصوفية الحكماء على الطريق» (ص٣٠٦) فهو تيار «يتفق مع سلفية الوهابية في رفض البدع والوسائط التي شابهت عقيدة التوحيد عند الطرق الصوفية، ولكنه يختلف معها في تقييمه للتصوف كنمط تربية وسلوك وكحكمة فلسفية» (ص٣٠٦).

□ تيار يرى في السلطة الدينية «عقيدة من عقائد الكاثوليكية الأوربية جعلتها كنيستها أصلاً من أصول المسيحية وأتاحت بذلك للملوك أن يجمعوا السلطتين «المدنية السياسية، والدينية» في نظام واحد وشخص واحد» (ص٣١٠).

«وهو يرد على الذين يزعمون أن الإسلام يشبه المسيحية في هذا، ويقول: أن زعمهم هذا ضلال منهم» (ص٣١٠).

□ على الرغم من أن أعلام هذا التيار التجديدي قد فكروا وعملوا تحت رايات دعوة «الجامعة الإسلامية» وحركتها إلا أنهم قد كانوا من أبرز طلائع الفكر القومي والفكرة العربية في ذلك التاريخ (ص٣١١)؛ لأن العروبة «ليست عرقًا ولا نسبًا وإنما هي لغة وآداب وتكوين نفسي وحضارة وولاء

وذلك كله أمر مكتسب وليس وقفًا على التوارث المحكوم بنقاء الدم الجاري من الأصول إلى الفروع. وهذا الأمر المكتسب هو الذي نعبر عنه بالتعرب والتعريب والاستعراب، وهو ما حدث لأبناء الشعوب التي قطنت في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج بعد عصر الفتوحات سواء منهم من دان بالإسلام أو بقي على دينه القديم» (ص٣١٤)، «فالرباط القومي ليس هو العرق والجامعة القومية ليست هي الدين وإنما هي العروبة بالمعنى الحضاري» (ص٣١٤).

❑ «ومن الأمور التي تؤكد وعي هذا التيار التجديدي بالطابع القومي والمعنى القومي عند استخدام أعلامه لمصطلح العرب أنهم قد تحدثوا عن الأمة العربية باعتبارها قومًا يتدين أهله بأكثر من دين ويتمذهب بأكثر من مذهب» (ص٣٢٣)، وهم في كل هذه الجهود القومية العربية يواجهون تحدي الدولة العثمانية والأتراك الذين «رفضوا أن يتعربوا وآثروا التمسك باللغة التركية وهي لغة لا حضارة لها إذا ما كانت المقارنة بينها وبين كنوز العرب وتراث لغتهم» (ص٣١٦).

❑ وهو تيار «مع الديمقراطية ضد الاستبداد» (ص٣٢٧) فتحدى «الاستبداد بالسلطة والتفرد بأمر الأمة» (ص٣٣٠) و«دعا الأمة إلى استلهام تراثها في الحرية والشورى والاسترشاد بتجربة أوربا في الديمقراطية تصديًا لتحدي الاستبداد وأخذًا بأسباب الانعتاق من قفص الاستعباد العثماني والاستعمار الأوربي على السواء!» (ص٣٣٠).

❑ وهو تيار ضد الاستعمار، ولكن «عداء هذا التيار التجديدي للاستعمار لم تشبه شائبة أي تعصب ديني ضد مسيحية الغرب التي يتدين بها المستعمرون» (ص٣٣٥)، بل «واجه هذا التيار التجديدي تحدي الاستعمار الأوربي الذي زحف على أقطار العروبة وبلاد الإسلام» (ص٣٣٥).

❑ انطلق هذا التيار لتجديد حضارتنا من عدة منطلقات:

١ ـ أن حضارتنا تتميز «بالموقف المتوازن والموازن بين المتناقضات» مما

يعطيها «ميزة ويعصمها من مخاطر وأخطار يشكو منها الآخرون» (ص٣٣٦).

٢ ـ وأمتنا «ليس من السهل تجريدها من ثوبها الحضاري والقذف بها تحت عباءة الآخرين..! بل قد يستحيل ذلك حتى لو أراد نفر من بنيها مخلصين كانوا أم مخادعين!» (ص٣٣٦).

٣ ـ «أن الدعوة إلى حضارة عربية إسلامية متميزة لا يعني تقديس الماضي ولا العودة إليه كي نعيش في نظمه وقوالبه بل ولا الأخذ بجميع أصوله.. وإنما الذي تعنيه هذه الدعوة هي الأخذ ببعض الأصول الثابتة التي تمثل القسمات المميزة للشخصية العربية الإسلامية، وهذه الأصول التي تحمل صلاحيات معاصرة وتمثل قوة دفع وطاقة تحريك للأمة نحو التقدم» (ص٣٣٦).

٤ ـ «كما خالف هذا التيار السلفية غير العقلانية وغير المستنيرة تلك التي وقفت عند ظواهر النصوص سواء أكانت نصوص العصر الأول أو العصور المملوكية العثمانية اختلف كذلك وخالف التيار الذي انبهر بحضارة الغرب فدعا إلى أن نبدأ من حيث انتهى الغرب» (ص٣٣٨).

◘ مما سبق عرضه من كتاب «تيارات الفكر الإسلامي» يتبيّن انحياز الدكتور عمارة الواضح لمنهج هؤلاء العقلانيين لا سيما وهو القائم على اصدار أعمالهم كاملةً بعد جمعها من مظانها وهو مجهود لا يفعله إلا محب ولهان.

في حبكم يهـــون ما قد ألقى ما يسعد بالنعيم من لا يشقى

◘ يقول الشيخ سليمان الخراشي صاحب كتاب «محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة»:

«يدعو الدكتور الأمة الإسلامية ويستحثها على السير في ركاب هذا التيار قائلاً ـ وما بين الأقواس إضافة مني ـ:

«الموقف المتميز لمدرسة التجديد الديني هذه يستطيع إذا نحن التزمناه واعين ومطورين له أن يقود هذه الأمة إلى: نهضة تصل غدها الذي نريده مشرقًا بماضيـها المشرق! وعقلانية معاصرة تكون الامتداد المتطور للعقلانية التي صنعها أسلافنا (يعني بهم المعتزلة!) والتي أضاءت أرجاء الأرض منذ قرون ولعدة قرون! وعدلاً اجتماعيًا (يعني الاشتراكية!) يكون الصورة العصرية الملائمة لحلم الإنسان العربي المسلم بالعدل على امتداد تاريخه الطويل! ووحدة وطنية وقومية راسخة مؤسسة على قواعد تراثنا الديني والحضاري.. وليس على أنقاض هذا التراث. نعم.. إلى هذه النهضة وإلى هذه الغايات السامية تدعونا وتقودنا مدرسة التجديد الديني فهل نجيب ونستجيب؟ أم نظل ممزقين بين التغريب وفقر الفكر (من يعني؟ ستعلم بعد حين!) وانحطاط التصورات لدى أنصار عصر المماليك والعثمانيين» «التراث» (ص١٩٥).

ويقول: «أنا قد حققت من تراثنا القديم نصوصًا في الفكر العقلاني للمعتزلة وابن رشد مثلاً ـ ومن تراثنا الحديث الأعمال الفكرية لأبرز الاعلام الذين صنعوا عصر اليقظة والتنوير والإحياء لأمتنا العربية في عصرها الحديث وهذا الاختيار ينطبق عليه ما قاله أسلافنا القدماء من أن اختيار المرء قطعة من عقله.. فأنا أريد أن أقول بهذا الاختيار أن حاضرنا ومستقبلنا حضاريًّا يجب أن يكون الامتداد المتطور العصري للصفحات التي مثلت إبداع أمتنا وعطائها الخلاق فيعصر ازدهارها الحضاري.. وإن قسمة العقلانية والعروبة هي من أهم القسمات التي يجب أن نحرص على تميز فكرنا بها وانطباع حضارتنا بطابعها» «التراث» (ص٢٨٢).

◻لقد أُعجب الدكتور عمارة بهذا التيار والأفغاني ومحمد عبده خاصة، ووقف عمره على خدمة تراثهم منذ سنوات الدراسة الجامعية، وكتبه كلها

ترديد لأفكاره بعد إلباسها الثوب المناسب لهذه المرحلة.

لقد اندفع د. عمارة بكل قواه العقلية لنصر هذا المذهب رغبة في أن يعم أرجاء مصر بل أرجاء البلاد العربية، والأفكار الرئيسية لهذا التيار تكررت في كتب الدكتور وهي:

١ ـ وحدة الأديان. ٢ ـ الوطنية. ٣ ـ القومية. ٤ ـ العلمانية. ٥ ـ الاشتراكية. ٦ ـ التقريب بين السنة والشيعة. ٧ ـ تحرير المرأة. ٨ ـ خبر الآحاد. ٩ ـ تقديم العقل على النص وقد سبق الحديث عنها.

١ ـ وحدة الأديان: أظن أخي القارئ أنك ستصاب بصدمة كبرى عند قراءتك لكتاب «الإسلام والوحدة القومية» للدكتور عمارة والذي ردد فيه أخطر آرائه. فهو يدعو فيه إلى وحدة الأديان وأن اليهود والنصارى ناجون يوم القيامة، وإن لم يؤمنوا بالإسلام أو برسالة محمد ﷺ لأنك لم تتصور أن تبلغ الجرأة بهذا الدكتور أو المفكر الإسلامي أن يقول بمثل هذا القول المناقض لآيات القرآن ولأحاديث الرسول ﷺ المصرّحة بكفرهم بل والمناقضة لإجماع الأمة كلها عالمها وجاهلها[1] فما الذي جر الدكتور إلى هذه الزلة العظيمة والبدعة الشنيعة؟ ستعلم عن قريب أن الذي قاده إلى ذلك هو دعوته إلى الوطنية وإلى القومية، وهاتان الفكرتان اضطرتاه أن يقول بوحدة الأديان ليساوي بين أبناء وطنه أو قومه لا يفخر أحد على أحد! فإنما أكرمهم عند اللَّه ليس أتقاهم بل أكثرهم وطنية وقومية! وهذه الدعوة إلى وحدة الأديان لم يبتدعها الدكتور عمارة من تلقاء نفسه بل هي دعوة قديمة شاذة استخدمها الدكتور لخدمة وطنيته وقوميته.

---

(١) انظر في هذا كتاب الدكتور يوسف القرضاوي «موقف الإسلام العَقَدي من كفر اليهود والنصارى» طبع مؤسسة الرسالة.

* **استدلالات الدكتور عمارة:**

يستدل الدكتور بعدة أدلة:

١ - قوله: «دين اللَّه واحد.. وهو الإسلام ﴿**إن الدين عند اللَّه الإسلام**﴾ لكن الإسلام الذي هو دين اللَّه الواحد ليس هو فقط كما يظن البعض شريعة محمد ﷺ والمسلمون ليسوا فقط أتباع محمد ﷺ ذلك أن فارقًا واضحًا وهامًا بين عقائد الدين وأصوله وهي واحدة - وبين شرائعه ومناهجه - وهي بتعدد الرسالات والمجتمعات التي بشر فيها الرسل عليهم السلام» «الإسلام والوحدة» (ص٦٠). ثم يستشهد بوصف اللَّه تعالى للأنبياء إبراهيم وذريته بأنهم مسلمون.. وهم قبل الإسلام..!.

٢ - قوله: «لم تكن دعوة محمد ﷺ إلى دين جديد، بل كانت إلى ذات الدين الواحد، وإن كان قد جاء بشريعة جديدة، أي نهج جديد.. والقرآن الكريم يحدثنا عن ذلك عندما يعلمنا قول اللَّه سبحانه: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[البقرة: ١٣٦، ١٣٧] فمن يؤمن، كأتباع محمد، بكل ما نزل اللَّه، قرآنًا فما سبقه، وبكل الرسل، منذ بدأت الرسالة وحتى ختامها بمحمد، عليه الصلاة والسلام، فهو «المهتدي»، ومن يترك الإيمان بشيء مما سوى «التوحيد» و«الطاعة». فهو في «شقاق» وهو «كافر» أي جاحد بهذا الذي لم يؤمن به. ولكنه غير مشرك؛ لأنه متدين. وموحد. بل ومسلم.. ولذلك طلب القرآن إلى الرسول أن يدع أمر هؤلاء إلى اللَّه ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ**﴾ بينما طلب إليه قتال المشركين كافة كما.. قاتلوا المؤمنين

كافة!» «الإسلام والوحدة» (ص٦٢٥).

٣ ـ قوله: «إن توهم إمكان توحد أهل الأديان السماوية أو بالأحرى أهل الشرائع السماوية على شريعة واحدة وملة واحدة وتحولهم من أمم مؤمنة ومتعددة إلى أمة مؤمنة واحدة إن توهم إمكانية ذلك ومن ثم السعي إلى تحقيقه خصوصًا إذا كان هذا السعي بغير المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة هو معاندة لإرادة اللَّه سبحانه، وسعي ضد سنته التي لا سبيل إلى تبديلها أو تغييرها. إرادة اللَّه وسننه مع تعدد الأمم والشرائع وما نسميه تجاوزًا الأديان وليس مع وحدتها وتوحيدها.. إنها مع التعدد والاختلاف لا مع الوحدة والاتحاد!» «الإسلام والوحدة» (ص٧٠).

٤ ـ قوله: «لما تحاكم اليهود إلى الرسول ﷺ طلب اللَّه منه أن يحكم بينهم بشريعتهم ويقضي فيهم بأحكام التوراة، وكذلك طلب أن يكون تحاكم النصارى إلى الإنجيل والحكم بينهم بما فيه تمامًا مثلما طلب أن يكون تحاكم المسلمين إلى القرآن والحكم بينهم وفق آياته.. ونبه في وضوح وحسم على أن لكل أمة وملة من هذه الملل شريعتها ومنهاجها فوحدة الدين حق ومن الحق أيضًا تعدد المناهج والشرائع بتعدد الأمم والرسالات» «الإسلام والوحدة» (ص٧١).

٥ ـ قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن باللَّه واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿**ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى..**﴾ الآية.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿**ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم**

لأكلوا من فوقهم.. ﴾ الآيات. ثم قال عقبها: «ومن مفسري القرآن الكريم من يقول إن المراد: ما أنزل إليهم من ربهم: كتب أنبيائهم وليس القرآن» (ص١٤٤).

٨ ـ قوله تعالى: ﴿ **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ قال بعدها: «والقرآن يستخدم هنا فعل المضارعة وهو المعبر عن الفعل الواقع في الحال والمستمر للمستقبل» (ص١٤٤).

٩ ـ قوله تعالى: ﴿ **فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به..** ﴾. قال: «فهم مؤمنون بكتابهم ولذلك ميزهم اللَّه عن الجاحدين الكافرين» (ص١٤٥).

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات اللَّه آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون باللَّه واليوم الآخر..** ﴾ الآيات.

◘ هذه الأدلة السابقة هي في نظري كل ما عند الدكتور حول عدم تكفير اليهود والنصارى. أما أدلة أهل الإسلام على كفرهم فإنه عرض بعضًا منها وأعرض عن بعض! تدليسًا وتلبيسًا على القارئ. فأوهمنا بأن المكفِّرين لهم ـ وهم جميع الأمة ـ لا دليل عندهم إلا ما ذكره الدكتور مما يُمكن تأويله والإجابة عنه.

فذكر من حجج المكفرين لهم:

١ ـ الجزية.

٢ ـ الزي الخاص.

٣ ـ وقف بناء الكنائس.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ **ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم** ﴾.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ **لا تتخذوا بطانه من دونكم** ﴾.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله**﴾.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿**لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**﴾.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾.

أما الأحاديث فلم يذكر شيئًا منها؛ لأنها لا حجة فيها عنده إلا كما يُحَجُّ البوذي بها! فلذلك اجتنبها.

☐فهذا ما ذكره الدكتور من أدلتنا على كفر اليهود والنصارى؛ ولكنه ترك الآيات والأحاديث الصريحة في ذلك، واكتفى بهذه كما قلت؛ لأنه يمكن الإجابة عليها بسهولة، وأما تلك فيعجز عن دفعها، وهذا دليل على تلبيس الرجل لنصره بدعته ويعلم اللّه أني لم أتوقع أن يأتي اليوم الذي أرد فيه على من يزعم إيمان اليهود والنصارى؛ لأن هذه القضية قد حسمها القرآن عندنا نحن المسلمين واستقر ذلك في أعماق أمتنا لا يزيغ عنه إلا هالك! وكم تأسفت أن يأتي في هذا الزمان من اسمه (محمد) ليزكي أولئك الكفرة أعداء الإسلام ويعطيهم العهد بدخول الجنان، ولكن ما دام الدكتور قد أفصح عن بدعته وأرصد لها المقالات والكتب فلا بد من مناقشته فيها لعله يتعظ ويرجع عنها قبل فوات الأوان، ومناقشتي للدكتور ستكون على هيئة أوجه متتالية تسهيلاً لي وللقارئ وسأكتفي بالأدلة الصريحة التي لا تحتمل التأويل في عدم كفرهم؛ لأن الدكتور قناص ماهر لهذه الثغرات.

الوجه الأول: في الأدلة من القرآن على كفر النصارى وهي كثيرة جدًا وسأكتفي بأوضحها دلالة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾ [البينة: ١].

◻قال ابن كثير: أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان، والنيران من العرب[1].

ففي هذه السورة تكفير لهم لعدم إيمانهم بالقرآن وهو البينة وعدم إقامتهم الصلاة والزكاة، ثم أخبر أنهم ولو رغم أنف الدكتور في نار جهنم، فقال تعالى: ﴿**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية**﴾.

◻ قلت: قد يوحي الشيطان إلى الدكتور أن هذه السورة في ﴿**الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ وهم ـ كما يزعم الذين خرجوا عن الأمة الواحدة، أو لم يقيموا دينهم مثلاً، لا أستبعد ذلك منه، فيقال: لو صح ما تقول ـ وهو خرافة إبليسية ـ لقيل لك إن اللَّه تعالى كفّرهم لأجل عدم إيمانهم بالقرآن وإقامتهم الصلاة والزكاة وهم مشتركون في هذا طيبهم ـ عندك ـ وخبيثهم وهذا بين، ويقال ثانيًا: إن اللَّه تعالى قال: ﴿**من أهل الكتاب والمشركين**﴾ فيلزم أن في المشركين من يمكن أن يكون مؤمنًا! وهذا ما لا تقول به باعترافك لأنه لم يقر بالتوحيد ولأنهم كلهم محاربون للدين الجديد.

٢ ـ قال تعالى: ﴿**ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم**﴾.

٣ ـ قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤] الخطاب لجميع أهل الكتاب أن يدعوا اعتقادهم الشركي في المسيح وعزير؛ فإن لم يفعلوا ذلك فهم ليسوا مسلمين.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٧٤).

٤ ـ قال تعالى: ﴿**يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات اللّه وأنتم تشهدون**﴾.

٥ ـ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

📖 قال ابن كثير: «يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى حيث فرّقوا بين اللّه ورسله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة وما ألفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادهم إلى ذلك فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود عليهم لعائن اللّه آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم واللّه أعلم. والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه اللّه إلى أهل الأرض فمن ردّ نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا شرعًا إنما هو عن غرض وهوى وعصبية ولهذا قال تعالى: ﴿**إن الذين يكفرون باللّه ورسله**﴾ فوسمهم بأنهم كفار باللّه ورسله ﴿**يريدون أن يفرقوا بين اللّه ورسوله**﴾ أي في الإيمان ﴿**ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً**﴾ أي طريقًا ومسلكًا، ثم أخبر تعالى عنهم فقال: ﴿**أولئك هم الكافرون حقًا**﴾ أي كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛

لأنه ليس شرعيًّا إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول اللَّه لآمنوا بنظيره وبمن هو أوضح دليلاً وأقوى برهانًا منه لو نظروا حق النظر في نبوته»[1] . قلت: وهذه الآية أعتقد أنها قاصمة الظهر للدكتور.. فأين المفر؟.

٦ ـ قال تعالى عن محمد ﷺ : ﴿**ومن لم يؤمن باللَّه ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً**﴾.

٧ ـ قال تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات اللَّه واللَّه شهيد على ما تعملون**﴾.

٨ ـ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً**﴾ [النساء: ٤٧].

❑ قال ابن كثير: «يقول تعالى آمرًا أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على رسوله محمد ﷺ من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات ومتهددًا لهم إن لم يفعلوا»[2] .

٩ ـ قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمنوا باللَّه ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾.

فمن كفر برسول واحد فقد ضل ضلالاً بعيدًا. ثم في هذه الآية أمر لنا بالإيمان بالكتب السابقة. أفلا يُستغرب أن نؤمر بالإيمان بكتبهم ولا يؤمرون كما يرى الدكتور بالإيمان بكتابنا والرب واحد؟

١٠ ـ قال تعالى: ﴿**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من اللَّه نور وكتاب مبين يهدي**

---

(١) «تفسيره» (١/ ٥٨٥). (٢) «تفسيره» (١/ ٥٢٠).

به اللّه من اتبع رضوانه سبل السلام..﴾ الآية. وقوله: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا على فترة من الرسل﴾ قلت: فإذا كفتهم رسلهم فلماذا يرسل اللّه تعالى إليهم محمداً ﷺ؟.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعاً﴾ وتأمل قوله تعالى: ﴿جميعاً﴾ فهو تأكيد لعموم الرسالة لكي لا يُسْتثنى أحد من يهود أو نصارى!

الوجه الثاني: مما يشهد على كفرهم من السنة: وسأكتفي منها بالأدلة الصريحة وأقلل منها اكتفاءً بما سبق من آيات القرآن؛ لأن الدكتور لا يؤمن إلا به!.

١ ـ قال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» قال النووي: «وقوله ﷺ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهًا على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابًا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى واللّه أعلم»[١].

٢ ـ قال ﷺ: «**لو تابعني عشرة من اليهود لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم**»[٢].

---

(١) «شرح مسلم» للإمام النووي (٢/ ١٨٨).
(٢) المصدر السابق (١٧/ ١٣٦).

قلت: أي أنهم غير مسلمين إذا لم يتابعوه ﷺ.

٣ - عن أبي موسى «أن رجلاً أسلم ثم تهود. فأتاه معاذ بن جبل - وهو عند أبي موسى - فقال: ما لهذا؟ قال: أسلم ثم تهود. قال: لا أجلس حتى أقتله قضاء اللّه ورسوله ﷺ»(١).

قلت: والشاهد: قول معاذ: «قضاء اللّه ورسوله ﷺ»؛ لأنه معلوم عندهم أن من أسلم من اليهود والنصارى، ثم رجع إلى دينه قتل؛ لأنه مرتد ولم يقل أحد كالدكتور أن الأديان كلها توصله إلى النجاة. وإلا لتركه الصحابة وشأنه واختياره. ثم لو تأملنا قول الدكتور لوجدناه يلغي كتبًا وأبوابًا في الفقه الإسلامي بعنوان «حكم المرتد»!.

الوجه الثالث: إن المسلمين قد أجمعوا على كفر اليهود والنصارى، ولم يشذ أحد منهم غير من ذكرناه من غلاة الصوفية وفرق الزندقة الذين لا يعدون من جملة المسلمين. قال ابن حزم في «مراتب الإجماع»: «واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفارًا»(٢).

وقال ابن تيمية: «قد ثبت في الكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به فهو كافر لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة»(٣).

وقال: «نعلم أن خلقًا لا يعاقبون في الدنيا مع أنهم كفار في الآخرة مثل أهل الذمة والمقرين بالجزية على كفرهم»(٤).

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ١٤٣).

(٢) (١١٩).

(٣) «الفتاوى» (١٢/ ٤٩٦).

(٤) «الفتاوى» (١٢/ ٤٩٩).

وقال: «إن اليهود والنصارى كفار كفرًا معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام»[1] .

الوجه الرابع: أن يقال هذا القول منك قد ناقضته كعادتك بنفسك! بل وفي كتابك هذا «الإسلام والوحدة القومية»! وهذا من أطرف ما عثرت عليه من تناقضاتك الكثيرة فقد قلت فيه: «إن الإسلام على الرغم من أنه دعوة للبشر أجمعين إلا أن سنن اللَّه في الكون وقوانينه لن تتبدل أن يظل الخلاف والاختلاف والتمايز قائمًا بين البشر في الدين.. فلن يجتمع الناس على دين واحد.. ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى أن يكره الإنسان إنسانًا على الدخول في دينه.. ومن يحب النجاة لأخيه ويتمنى أن يقاسمه نعيم الجنة فأولى به أن يسلك لهدايته طريق الحكمة والموعظة الحسنة لا طريق الحرب والسيف والعنف والإكراه» فقد اعترفت بعدم دخولهم الجنة!!.

الوجه الخامس: يقول الشيخ عمر الأشقر ـ حفظه اللَّه ـ: «قد ذم اللَّه هذا الصنف من الناس الذين يريدون مزج الإسلام بغيره والالتقاء في طريق وسط بزعم التوفيق وأخبر أن هذا فعل المنافقين ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل اللَّه وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون باللَّه إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا**﴾[2] .

٢ ـ محمد عمارة والوطنية:

١ ـ مر معنا أن الدكتور عمارة يرى نجاة اليهود والنصارى يوم القيامة إذا تمسكوا بدينهم الآن ولو لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وبالإسلام وهذا تمهيد منه للوطنية وأن المسلم المصري لا يفرق بين المسيحي واليهودي المصري إلا

---

(١) «الفتاوى» (٣٥/ ٢٠١).

(٢) «العقيدة في اللَّه» للشيخ عمر سليمان الأشقر (ص٥٩) ـ طبع دار النفائس.

بالشريعة التي أراد اللَّه بحكمته أن تتنوع بين البشر. فلا فرق بيننا إذن عند اللَّه. . وبعد أن قرر الدكتور هذا سهل عليه أن يقول ما شاء في الوطنية.

٢ ـ يقول الدكتور: «عندما هاجم المستعمرون الإنجليز مصر سنة ١٨٠٧ بحملتهم التي قادها الجنرال فريزر لم يكونوا يعتمدون مثلاً على أقلية من الأقليات الدينية التي تعيش في مصر. . وإنما كان الذين تعاونوا مع الحملة الإنجليزية الفاشلة هم أمراء المماليك بقيادة الألفي بك. . وهم الأمراء الذين لم تكن تربطهم بأهل البلاد روابط حضارية ولا قومية ولا عرقية، ولم يكن بينهم وبين المصريين سوى رابطة الدين» «نظرة جديدة» (٢٢٨) أي أن الدين في نظره أقل تأثيراً من رابطة الوطنية.

٣ ـ يقول عن رفاعة الطهطاوي: «الناس عنده لا ينقسمون إلى مؤمنين وكافرين وإنما ينقسمون على أساس من التحضر والتمدن وليس على أساس من العقائد والأديان. فيحدثنا هذا الشيخ في كتابه «تخليص الإبريز» عن انقسام «سائر الخلق» إلى عدة مراتب:

«**المرتبة الأولى:** مرتبة الهمل المتوحشين. . **المرتبة الثانية:** مرتبة البرابرة الخشنين. . **والمرتبة الثالثة:** مرتبة أهل الأدب والظرافة والتحضر والتمدن والتمصر. .».

وعندما يوزع الشعب على هذه المراتب الثلاثة، يضع بعض الشعوب المسلمة، الذين «يعرفون الحلال من الحرام. . وأمور الدين. . غير أنهم لم تكمل عندهم درجة الترقي في أمور المعاش والعمران والصنائع البشرية والعلوم العقلية والنقلية. .» ـ مثل عرب البادية ـ يضع هؤلاء المسلمين في مرتبة «البرابرة الخشنين». . بينما يضع «بلاد مصر والشام واليمن والروم والعجم والإفرنج والمغرب وسنار وبلاد أمريكة، على أكثرها، وكثير من جزائر المحيط» يضعها في مرتبة «أهل الأدب والظرافة والتحضر والتمدن

والتمصر»؛ لأنهم «أرباب عمران وسياسات، وعلوم وصناعات، وشرائع وتجار، ولهم معارف كاملة في آلات الصنائع.. ولهم علم بالسفر في البحور، إلى غير ذلك..» «نظرة جديدة» (٢٢٨).

٤ ـ ينقل فتوى محمد عبده بجواز مساعدة الكفار من أهل الوطن والتي يقول في نصها «قد قامت الأدلة من الكتاب والسنة وعمل السلف على الاستعانة بغير المؤمنين وغير الصالحين على ما فيه خير ومنفعه المسلمين وإن الذين يعمدون إلى هذه الاستعانة.. لم يفعلوا إلا ما اقتضته الأسوة الحسنة بالنبي ﷺ وأصحابه وأن من كفرهم أو فسقهم فهو بين أمرين إما كافر أو فاسق فعلى سعاة الخير أن يجدوا في دعوتهم، وأن يمضوا في طريقهم ولا يحزنهم شتم الشاتمين ولا يغيظهم لوم اللائمين» «نظرة» (٢٣٧).

٥ ـ ويقول أيضًا: «إيمان هذه الأمة بالوحدة الوطنية والقومية إيمان راسخ لا شك فيه.. بل لقد رأت، ببصيرتها النافذة وحسها الفطري، أن الشقاق الطائفي كان، على مر تاريخها، الثغرة التي يحاول أعداؤها النفاذ منها، بحثًا عن الركيزة التي تضمن لاستعمارهم واستغلالهم الفعالية والاستمرار!.. وأوضح ما كانت وتكون يقظة أمتنا لهذه الحقيقة في لحظات المحن والمواجهة مع الأعداء!.. ففي مصر مثلاً أثناء الثورة العرابية (١٨٨١ ـ ١٨٨٢م) كانت أوربا الاستعمارية وإنجلترا بالذات تسعى لشق وحدة الصف الوطني الذي ارتفع متينًا وشامخًا خلف أحمد عرابي (١٢٥٧ ـ ١٣٢٩هـ ١٨٤١ ـ ١٩١١م).. وفي مواجهة هذا المسعى الاستعماري كانت يقظة الشعب والثورة، التي تجلت في وحدة طوائف الأمة، على نحو لا مثيل له في غير مجتمعاتنا العربية التي تنعم بسماحة دين الإسلام!..

فعندما انحاز الخديوي توفيق (١٢٦٩ ـ ١٣٠٩هـ ١٨٥٢ ـ ١٨٩٢م) وأعوانه إلى الإنجليز الغزاة، رفض الشعب الاستسلام وخلع عن سلطة

الخديوي شرعيتها، وتجسدت إرادة الشعب يومئذ في «برلمانه الثوري» الذي سمي بـ «المجلس العرفي».. وفيه تجسدت وحدة الشعب الوطنية والقومية كأروع ما تكون.. فمع عدد من الأمراء، ورجال الدولة، والإدارة، والتجارة والأعيان، كان علماء الإسلام، بمذاهبه المتعددة، وكذلك قضاة الشرع، ونقيب الأشراف.. وأيضًا كان بهذا المجلس العرفي: مرخص الأرمن الكاثوليك، ووكيل الأقباط الكاثوليك، ووكيل بطريكية الروم الأرثوذكسي.. كان جميع هؤلاء أعضاء في برلمان الثورة العرابية «المجلس العرفي» يجسدون وحدة الأمة الوطنية والقومية، على اختلاف مذاهبها وأديانها وشرائعها.. فأين.. في غير إطار أمتنا العربية الإسلامية، اشتركت وشاركت الأقليات جميعًا في صنع مصير الأمة عند الملمات؟!» «التراث» (٢٣٤).

إذن فخلاصة فكر الدكتور أنه يرى أن الوطنية ـ أي اجتماع أبناء الوطن بمختلف دياناتهم في سبيل بنائه وخدمته والدفاع عنه ـ هي السبيل الأمثل لمواجهة المستعمر! وأن المسلمين يجب أن يكونوا كغيرهم من المواطنين لا يسعون إلى أن تكون كلمة اللَّه هي العليا وأن يعلو الإسلام على غيره من الديانات.. لأن في ذلك إحياء للطائفية والنزاع بين المواطنين[١]. ولقد استقى هذه الفكرة كما علمت من مشايخه في الغيب الطهطاوي والأفغاني وعبده والكواكبي.

* الوطنية في الميزان السلفي:

تقديم الوطن على الدين كفر صريح لا يحتمل التأويل؛ لأنه يستلزم

(١) وهذا رأي كثير من الكتاب في بلاد مصر خاصة لقربهم من الأقباط وتشرب الكثير منهم ـ إلا من رحم اللَّه ـ بالوطنية. انظر مثلاً كتاب «المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية» لطارق البشري ـ دار الوحدة بيروت ١٩٨٢ ـ وهو ينقل من عمارة.

الآتي دون شك:

أولاً: موادة الكافرين ومعاداة المؤمنين فالمصري المسلم سيوالي ويواد المصري الكافر ويعاديان جميعًا التركي المسلم مثلاً، وهذا كفر صريح لمصادمته للأدلة التالية ـ وقد تركت أضعافها للاختصار ولأن القضية واضحه في حس كل مسلم:

* قال تعالى: ﴿**إنما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا**﴾ وأنتم تقولون إنما وليكم المواطنون المؤمنون والكافرون.

* قال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ..**﴾ الآية. وأنتم توالون من حاد اللّه ورسوله من كفار اليهود والنصارى.

* قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾. فمن والاهم ووادهم فهو منهم وأنتم مقيمون على ذلك.

• قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**» «مسلم» (٨/ ١٨).

ثانيًا: تقديم الوطن على الدين يستلزم أن يكون الإسلام معليًا عليه بالقوانين الكافرة التي يقرها اليهود والنصارى ولا شك فهم لن يرضوا أبدًا أن يحكموا بالإسلام كاملاً، ولذلك سيزاحموه بقوانينهم الكافرة إلى أن يلغوه. وقد تمكنوا من ذلك. فهذه البلاد المصرية تحكم بقوانين الكفر دون قوانين الإسلام وفي هذا رد على قوله تعالى: ﴿**وللّه العزه ولرسوله وللمؤمنين**﴾.

ثالثًا: تقديم الوطن على الإسلام يستلزم منه تعطيل الجهاد واقتصار الحروب على الدفاع عن الوطن. وفي هذا نبذ للإسلام وأحكامه وإحياء للشعارات الجاهلية المؤدية بصاحبها إلى النار.

رابعًا: تقديم الوطن على الإسلام مناقض للتوحيد لما فيه من عدم البراءة من المشركين.

خامسًا: تقديم الوطن على الإسلام مناقض لإرادة اللَّه من إرسال الرسل وإنزال الكتب الداعية إلى عبادته وحده والدخول في طاعته وموالاة أوليائه. إلى غير ذلك من المعارضات الكثيرة للإسلام.

*** الدكتور محمد عمارة والقومية:**

القومية أرفع درجة من الوطنية.. ولكنها تشاركها في الوثنية! والدكتور عمارة سمى أحد كتبه «الإسلام والوحدة الوطنية»، ثم تراجع في الطبعات التالية فسماه «الإسلام والوحدة القومية» فقد ارتقى درجة في سلم الوعي.. ونتمنى أن يأتي الوقت الذي يسميه فيه «الإسلام والوحدة الإسلامية» وما ذلك على اللَّه بعزيز كان مصريًا ثم تراجع ليكون قوميًّا يدخل العرب في ولاء واحد هو ولاء القومية، والقومية كأختها الوطنية عندما تقرأ قول الدكتور عمارة: «وحيثما امتد الفتح العربي امتد نور الإسلام.. فالعرب الذين فتحوا البلاد لم يحملوا معهم سلطان الدولة وحده، وإنما حملوا معهم نور الإسلام... وكانت عروبة القرآن مع عروبة الفاتحين. مما أعان على ارتباط العروبة بالإسلام، فامتد نطاق العروبة بامتداد نطاق الإسلام. لما بين فقه الدين وتذوق العربية من روابط وعلاقات؟.

ولقد رَسَّخ من هذه الحقيقة، وجعلها مقبولة، بل ومطلوبة، لدى الشعوب التي فتح العرب بلادها، أن مفهوم العروبة، لدى العرب الفاتحين لم يكن عرقًا ولا جنسًا ولا عصبية عمياء، كتلك التي عرفتها جاهليتهم، ثم جاء الإسلام فمحاها.. وإنما كانت عروبة حضارية، يسعى إليها الناس، لا خوفًا من جنس ولا خضوعًا لعصبية، وإنما رغبة في فقه الدين وسعيًا إلى إدراك أسرار كتابه العربي المبين.. لقد دعا الرسول ﷺ العرب إلى ترك

العصبية العرقية الجاهلية؛ لأنها (منتنة)» «الإسلام والمستقبل» (١٢٣).

❑ عندما تقرأ ذلك تظن أن الدكتور عمارة من المعارضين للقومية العربية بمفهومها المخالف للإسلام. وأنه يؤمن بأفضلية العرب كما ورد ذلك في الأحاديث النبوية.. ولكنك تفاجأ عندما تعلم أن الدكتور عمارة من (غلاة) القوميين العرب. لا تختلف دعوته عن دعوتهم أي اختلاف يذكر ما عدا أنهم جاهروا بها بعيداً عن الإسلام.. وأما هو فقد خمّر وجهها بخمار إسلامي خفيف فكيف ذلك؟

١ ـ يرى الدكتور عمارة أن العرب الشرقيين قبل الإسلام كانوا في صراع حضاري! مع الغرب البيزنطي. «وأمام هذا الخطر الذي أحدق بالجامعة العربية برزت ضرورات الوحدة بين قبائلها فبدأ التواصل بين وسط شبه الجزيرة وبين اليمن بعد تحريرها بقيادة سيف بن ذي يزن.. ولعبت الأشهر الحرم دورها في جعل القبائل العربية تعيش فترات من السلم تنمو فيه روابط الوحدة في اللغة والتجارة والعادات والآداب..» «الإسلام والمستقبل» (١٢٢).

هذا قبل الإسلام وعندما ظهر الإسلام كان أحد العوامل التي ألفت بين العرب في مواجهة عدوهم.. فهو عامل توحيد فقط! وبظهوره أصبحنا نرى ـ كما يزعم الدكتور ـ تمايزاً بين الوحدة الدينية والوحدة القومية.. فهناك أمة (الدين) وأمة (الدولة) فأمه الدين يدخل فيها المسلمون فقط؛ لأنهم أصحاب دين واحد. وأما أمة السياسة والدولة فيدخل فيها المسلمون والكفار من اليهود والنصارى وغيرهم.. لكن بشرط أن يكونوا عرباً!

ويحتج الدكتور على ذلك بما يسميه (الصحيفة) التي كتبها الرسول ﷺ عند قدومه المدينة وفيها جعل المسلمين (أمة واحدة من دون الناس) ومن لحق بهم وجاهد معهم فهم نواة الرعية السياسية وهم أمة مع المؤمنين

برغم اختلاف الدين.

٢ ـ يرى الدكتور عمارة أن العروبة هي اللغة فقط. فمن تكلم بالعربية فهو عربي: «فالرسول ﷺ ينكر المضمون (العرقي) للعروبة، ويدعو إلى اعتماد المضمون الحضاري رابطة ومعياراً لمن هو العربي؟ ومن هم العرب؟ فاللغة، وهي وعاء للفكر والتراث والحضارة والذكريات.. هي المعيار والرباط الذي دعا الرسول إلى اعتماده بدلاً من (العرق) و(القبلية)، ذلك أن مجتمع شبه الجزيرة كان يضم (عربًا باللغة) والحضارة غير (العرب) بالعرق والجنس والدم. ومن ثم فإن اعتماد المعيار الحضاري كان سبيلاً، لا لتجاوز النعرات الجاهلية والمفاهيم المختلفة والمتعصبة فقط، وإنما أيضًا لبناء كيان جديد وأوسع من ذلك الذي يمكن بناؤه على أساس من العرب والجنس.. وهي أيضًا قفزة حضارية، وتطور متحضر هام إلى الأمام.. يبشر الرسول بهذا المفهوم الجديد عندما يخطب في الناس قائلاً: «أيها الناس، إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان (اللغة) فمن تكلم العربية فهو عربي» «العرب والتحدي» (٣٥).

٣ ـ ينكر الدكتور عمارة على الدكتور محمد رشاد خليل مساواة المسلم العربي بالمسلم غير العربي! فهو يتحدث عن الدكتور رشاد قائلاً: «ثم كتب فجعل علاقة المسلم المصري بأخيه المصري مساوية لعلاقته بالمسلم في أندونيسيا ونيجيريا وتركستان! مهملاً أي أثر للقوميات وقسماتها الأمر الذي جعل هذا الفكر لم يبصر سوى رابطة العقيدة الإسلامية» «الإسلام والعروبة» (٨١).

٤ ـ يرى الدكتور إن طلائع القوميين العرب هم المعتزلة الذين واجهوا الهجوم الشعوبي وعلى رأسهم الجاحظ فهو يقول: «أما الجاحظ فإننا واجدون عنده بواكير الصياغات النظرية للفكر القومي العربي بمضمونه الحضاري والإنساني المستنير حتى ليحسب المرء أنها من ثمرات العقل المستنير في عصرنا

الحديث» «العرب والتحدي» (٥٨). كما يرى أن تيار الأفغاني هو: «الذي بلغت في دعوته روابط العروبة والإسلام.. قمة الوضوح والعمق والشمول فالأفغاني يؤمن بوحدة النوع الإنساني وبوحدة الأمة الإسلامية لكنه ينبه على أثر تمايز الأقاليم وما يحدثه هذا التمايز من مغايرة بين الأقوام» «الإسلام والعروبة» (١٢٩).

٥ - يرى الدكتور أن الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عصره ﷺ ثم في عصر أصحابه لنشر الإسلام فتوحات (عربية) لصد المستعمر الغربي وإزالة الظلم عن أبناء تلك البلاد الذين شاركوا (العرب) في حروبهم ضد المستعمر؛ لأنهم عرب مثلهم أو شرقيون إن لم يكونوا عربًا.

٦ - يؤمن الدكتور إيمانًا تامًا (بخرافة) الصراع بين الشرق والغرب فلم يعد يرى في الأحداث التاريخية سواه.. وعندما مر على خبر التتار وصراعهم مع المسلمين. أسقط في يده فهم شرقيون يقاتلون شرقيين كما يزعم! فكيف يخرج من هذه الورطة؟ لقد فكر وقدر فقاده فكره مع سيطرة الخرافة عليه إلى القول بأن: «الغرب الاستعماري كان قد قرر أن يقوم بجولة أخرى في صراعه ضد حضارة العرب والمسلمين، وإذا كانت قواه الذاتية، وعلاقات دولة بعضها مع البعض الآخر، والحالة التي عليها بقايا إماراته وقواده الاستيطانية في المشرق، إذا كانت هذه العوامل لا تتيح الفرصة كي يقوم هو بهذه الجولة الجديدة، فليبحث إذن عن قوة مدمرة يستخدمها ضدنا في هذا الصراع، وليفتش عن قبضة حديدية يحاول أن يصرع بها هذا الشعب الذي يعيش ما بين الخليج والمحيط.. ولقد توافق هذا التفكير الاستعماري مع ظهور قوة الدولة المغولية في أواسط آسيا، تلك الدولة التي كونتها قبائل وثنية جبلية متبربرة، اختطت لنفسها طريق السلب والنهب والتدمير، واتخذت من تدمير الحضارات وتخريب المدن صناعة لا تعرف غيرها من الصناعات..

وقبل أن ينتصب القرن الثالث عشر الميلادي كانت هناك استعدادات في بلاط الدولة المغولية للقيام بزحف مدمر يستهدف احتلال الكثير من أوروبا بالإغارة على المناطق الشمالية الغربية لأوروبا وهنا بذل الغرب الاستعماري جهوده المضنية كي يجعل وجهة هذا الزحف التتري إلى بلاد العرب والمسلمين، ولكي يقيم تحالفًا غير مقدس بينه وبين هذه القوة الوثنية العنصرية، عله يقتسم معها الوطن العربي، ويعيد سيطرته ثانية على القدس وغيرها من مدن الشام وفلسطين» «معارك العرب» (١١٦).

٧ ـ يرى الدكتور أن بداية التفريق بين الإسلام والعروبة بدأ مع المماليك الذين انتشر في عهدهم الظلم والخرافات. فاختفت العروبة مع سيطرتهم على الدولة الإسلامية.. وهكذا العثمانيون إلى إن ظهرت اليقظة العربية المعاصرة.

٨ ـ ينتقد الدكتور المودودي وسيد قطب والندوي وسعيد حوى وغيرهم من مفكري الإسلام لانتقادهم القومية واعتبارها خطرًا على الإسلام.. حيث لم يفرقوا بين القومية العربية والقومية العلمانية التي لا تعترف بالدين.

هذه أخي القارئ أبرز معالم الدكتور عمارة حول القومية، وهو يوهمنا بأنه لا يرى رأي القوميين العرب الذين نبذوا الإسلام.. وإنما هو يمزج بين الإسلام والقومية مزجًا يعطي كلاً منهما حقه. ويخترع لذلك قضية أمة الدين وأمة الدولة زيادة في التلبيس على القارئ والحق يقال إن الدكتور ـ كما قلت سابقًا ـ من غلاة القوميين العرب المعاصرين ويشهد لذلك كذبه واختراعاته العجيبة. كما يشهد لذلك فلتات قلمه التي تظهر ما في نفسه.

*** القومية في ميزان أهل السنة والجماعة:**

❑ قال الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة

وخطأ عظيم ومنكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله، وذلك لوجوه:

الوجه الأول :إن الدعوة إلى القومية العربية تفرّق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتفرّق بين العرب أنفسهم لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزابًا، فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه، وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾.

*وقال تعالى: ﴿**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن اللَّه ألف بينهم إنه عزيز حكيم**﴾.

* وقال تعالى: ﴿**منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيَعًا كلُّ حزب بما لديهم فرحون**﴾.

الوجه الثاني :أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذّر منها وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة، بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية؛ لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق، وكم جرّت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة

والشحناء في القلوب والتفريق بين القبائل والشعوب.

◻ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم**» وغضب لذلك غضبًا شديدًا. انتهى.

ومما ورد في ذلك من النصوص قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن اللَّه ورسوله**﴾.

* وقال تعالى: ﴿**إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية**﴾.

● وفي سنن أبي داود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**».

● وفي «صحيح مسلم» أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن اللَّه أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد**».

ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية ويغضبون لعصبية ويقاتلون على عصبية، ولا ريب أيضًا أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغي والفخر لأن القومية ليست دينًا سماويًّا يمنع أهله من البغي والفخر، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم.

◻ وهنا شبهة يذكرها بعض دعاة القومية أحب أن أكشفها للقارئ، وهي أن بعض دعاة القومية زعم أن النهي عن الدعوة إلى القومية العربية والتحذير منها يتضمن تنقص العرب وإنكار فضلهم.

ـ والجواب أن يقال: لا شك أن هذا زعم خاطئ واعتقاد غير صحيح،

فإن الاعتراف بفضل العرب وما سبق لهم في صدر الإسلام من أعمال مجيدة لا يشك فيه مسلم عرف التاريخ كما أسلفنا، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ومنهم أبو العباس ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» أن مذهب أهل السنة تفضيل جنس العرب على غيرهم، وأورد في ذلك أحاديث تدل على ذلك، ولكن لا يلزم من الاعتراف بفضلهم أن يجعلوا عمادًا يتكتل حوله ويُوالى عليه ويُعادى عليه، وإنما ذلك من حق الإسلام الذي أعزّهم اللَّه به وأحيا ذكرهم ورفع شأنهم، فهذا لون وهذا لون، ثم هذا الفضل الذي امتازوا به على غيرهم، وما منّ اللَّه به عليهم من فصاحة اللسان ونزول القرآن الكريم بلغتهم وإرسال الرسول العام بلسانهم ليس مما يقدّمهم عند اللَّه في الآخرة ولا يوجب لهم النجاة إذا لم يؤمنوا ويتقوا، وليس ذلك أيضًا يوجب تفضيلهم على غيرهم من جهة الدين، بل أكرم الناس عند اللَّه أتقاهم كما تقدم في الآية الكريمة والحديث الشريف، بل هذا الفضل عند أهل التحقيق يوجب عليهم أن يشكروا اللَّه سبحانه أكثر من غيرهم، وأن يضاعفوا الجهود في نصر دينه الذي رفعهم اللَّه به، وأن يوالوا عليه ويعادوا عليه دون أن يلتفتوا إلى قومية أو غيرها من الأفكار المسمومة والدعوات المشئومة، ولو كانت أنسابهم وحدها تنفعهم شيئًا لم يكن أبو لهب وأضرابه من أصحاب النار، ولو كانت تنفعهم بدون الإيمان لم يقل لهم النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من اللَّه، لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا**»، وبذلك يعلم القارئ السليم من الهوى أن الشبهة المذكورة شبهة واهية لا أساس لها من الشرع المطهر ولا من المنطق السليم البعيد من الهوى.

الوجه الثالث: هو أنها سلّم إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم. ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير والمخالفة لنصوص

القرآن والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة. والنصوص في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ..**﴾ الآية. سبحان اللَّه ما أصدق قوله وأوضح بيانه، هؤلاء القوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها، يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة، نخشى أن يعود الاستعمار إلى بلادنا، نخشى أن تسلب ثرواتنا بأيدي أعدائنا، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية، ويقولون: أن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي وإن تفرقت أديانهم، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب اللَّه ومخالفة لشرع اللَّه وتعدٍ لحدود اللَّه وموالاة ومعاداة وحب وبغض على غير دين اللَّه؟ فما أعظمَ ذلكَ من باطل وما أسوأه من منهج. القرآن يدعو إلى موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين أينما كانوا وكيفما كانوا، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويخالفه ﴿**قل أأنتم أعلم أم اللَّه**﴾.

* ويقول اللَّه سبحانه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تُلقون إليهم بالمودّة**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل**﴾.

ونظام القومية يقول: كلّهم أولياء مسلمهم وكافرهم، واللَّه يقول: ﴿**شَرَعَ لكم من الدّين ما وصّى به نوحًا والذين أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه..**﴾ الآية.

* ويقول سبحانه: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ**

قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾.

* وقال تعالى: **﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾** وشرع القومية، أو بعبارة أخرى شرع دعاتها يقول: أقصوا الدين عن القومية، وافصلوا الدين عن الدولة، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا أمجادكم، وكأن الإسلام وقف في طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم، هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية، سبحانك هذا بهتان عظيم.

والآيات الدالة على وجوب موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين والتحذير من توليهم لا تخفي على أهل القرآن، فلا ينبغي أن نطيل بذكرها، وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل وأبو لهب، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي ﷺ وبعده إلى يومنا هذا إخوانًا وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيلهم من العرب إلى يومنا هذا.. هذا والله من أبطل الباطل وأعظم الجهل. وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه وإن أنكره بعض دعاتها جهلاً أو تجاهلاً وتلبيسًا.

الوجه الرابع من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن؛ لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكامًا وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام.. وقد صرح الكثير منهم بذلك.. وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة، كما قال

تعالى: ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً** ﴾[1] .

* **محمد عمارة والعلمانية:**

للدكتور عمارة كتاب بعنوان (العلمانية ونهضتنا الحديثة) خصصه للرد على غلاة العلمانيين ممن يرون فصل الدين عن الدولة واستبعاده عن قيادة الأمة في مجال السياسة.. وله أيضًا حوارات كثيرة معهم.. إذن! .. لماذا هذا المبحث؟

فأقول: سيزول عجبك قريبًا.

وفيما يلي لن أبحث تطور العلمانية في بلادنا وكيفية انتقالها؛ لأنه مبحث طويل يعرفه الجميع. وخير من بحث فيه من المعاصرين الشيخ محمد قطب في كتابه «مذاهب معاصرة» والشيخ سفر في رسالته «العلمانية» فخلاصة العلمانية التي يعرفها الجميع لكثرة الحديث حولها هي «فصل الدين عن الدولة» وجميع القراء تقريبًا يعلمون أنها مخالفة لهدي الإسلام فملخص حكم الإسلام فيها كما قال الشيخ سفر: «إن العلمانية تعني بداهة الحكم بغير ما أنزل اللّٰه فهذا هو معنى قيام الحياة على غير الدين ومن ثم فهي بالبديهة أيضًا نظام جاهلي لا مكان لمعتقده في دائرة الإسلام بل هو كافر بنص القرآن الكريم ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل اللّٰه فأولئك هم الكافرون** ﴾»[2] . فهذا المبحث لن أخصصه لذلك، وإنما سأعرض فيه رأي الدكتور حول طبيعة السلطة في الإسلام ليقتنع القارئ بعلمانيته ثم أفند شبهاته وآراءه بعد ذلك.

---

(١) «نقد القومية العربية» للشيخ عبدالعزيز بن باز (ص١٣ ـ ٥٢) بتصرف.

(٢) «العلمانية» لسفر الحوالي (ص٦٨١).

* العلمانية عند الدكتور عمارة:

❑ يقول الدكتور: «إن فصل الدين عن الدولة على النحو الذي تقرره العلمانية الغربية لا يمكن أن يكون شعار الذين يفهمون الإسلام حق الفهم.. فهو شعار مرفوض» «الدولة الإسلامية» (٦٤). فالدكتور يرفض علمانية الغرب التي تفصل الدين عن الدولة وتجعل الدين يقبع في الكنيسة.

٢ - لماذا يرفض الدكتور العلمانية؟ يقول: «شعار العلمانية قد ارتفع في أوربا بمعنى عزل السلطة الدينية للكنيسة عن شئون المجتمع السياسية؛ لأن تراث أوربا وواقعها كانا يشهدان سلطة دينية تحكم قبضتها على مقدرات المجتمع كلها أما في واقعنا نحن وتراثنا ومنطلقاتنا فالأمر مختلف بل وعلى النقيض فالإسلام لم يقر السلطة الدينية بل هو كما يقول الإمام محمد عبده ينكرها ويدعو إلى رفضها بل ويهدمها من الأساس..» «الدولة الإسلامية» (٦٣).

إذن هو ينكر العلمانية الغربية؛ لأنه لا يوجد لدينا سلطة دينية تواجهها في الطرف الآخر كما حدث في الغرب مما اضطرهم للجوء إلى العلمانية للحد من سلطات الدين ورجاله.. لهذا فالدكتور عمارة أيضًا.

٣ - ينكر السلطة الدينية في الإسلام ويقول: «أما إسلامنا فإنه ينكر السلطة الدينية التي تجعل لنفر من البشر سلطانًا اختص به المولى سبحانه ورسله عليهم الصلاة والسلام» «الدولة الإسلامية» (٦٣).

ويقول: «إن السلطة الدينية تعني - في كلمات بسيطة ودقيقة - أن يدعي إنسان ما لنفسه صفة الحديث باسم اللَّه وحق الانفراد بمعرفة رأي السماء وتفسيره. وذلك فيما يتعلق بشئون الدين أو بأمور الدنيا.. وسواء في ذلك أن يكون هذا الادعاء من قبل فرد. يتولى منصبًا دينيًّا أو منصبًا سياسيًّا. وسيان كذلك أصدرت هذه الدعوى من فرد أو من مؤسسة فكرية

أو سياسية.

وفيما يتعلق بالفكر الإسلامي، فإن كل مذاهبه وتياراته الفكرية ـ باستثناء الشيعة ـ تنكر وجود السلطة الدينية وتنفي أن يكون من حق أي فرد أو هيئة إضفاء القدسية الإلهية على ما تصدر من أحكام وآراء» «الدولة الإسلامية» (١٤).

٤ ـ يرى الدكتور: «أن مصدر هذه النظرية قديم قدم طموحات السلطة المستبدة بمقدرات البشر، من أن حاول أصحابها تغليف استبدادهم وانفرادهم بالسلطان بغلاف ديني يصد الناس بسلاح الإيمان والدين عن السعي لممارسة حقهم، بل واجبهم في محاسبة الحكام.. لقد بدأت وظلت. ولا تزال محاولة يريد بها البعض الإفلات من نطاق محاسبة الجماهير، عن طريق تجريد الأمة من حقها في التشريع وحقها في أن تكون مصدر السلطان والسلطات.. زاعمة هذه المحاولة أن الحاكم نائب عن اللَّه لا عن الأمة.. وهم بذلك يغفلون أو يتغافلون عن أن «حق اللَّه» هو «حق المجتمع»، أي حق الأمة والناس.. بحكم خلافة الإنسان ـ في الأرض ـ عن اللَّه..

وإذا نحن ذهبنا نلتمس بدايات هذه الدعوى في تراث الإنسانية السياسي وجدناها لدى فراعنة مصر الأقدمين الذين ادّعوا بنوتهم للإله.. ووجدناها في الكسروية الفارسية التي سبقت ظهور الإسلام. عندما كان كسرى يحكم «بالحق الإلهي». جاعلاً من قراراته وأحكامه وحي الإله «أهورا ـ مزدا».. وجدناها كذلك في القيصرية الرومانية. قبل اعتناقها المسيحية، عندما كانت ذات الإمبراطور «مقدسة إلهية».. وحتى بعد اعتناقها للمسيحية فلقد طوعت أوربا المسيحية لتراثها في نظرية الحكم بالحق الإلهي. ولم تطوع المسيحية أوربا لتعاليمها التي عرفت بالشرق خالية من هذا المفهوم. وبعبارة قاضي القضاة عبدالجبار بن أحمد الهمذاني (٤١٥) فإن النصرانية (المسيحية)

عندما دخلت روما لم تتنصر روما ولكن المسيحية هي التي ترومت؟!.. فلقد أصبح الإمبراطور رئيسًا للكنيسة. وحكم بالحق الإلهي في ظل المسيحية، كما كان الحال وهم يعبدون الأوثان!..

فمن تراث أوربا الوثني القديم تسربت هذه النظرية إلى أوربا المسيحية. حتى أصبحت المسئول الأول عن العصور المظلمة التي شهدتها أوربا لعدة قرون.

ومن تراث الكسروية الفارسية تسربت هذه النظرية إلى فكر الشيعة السياسي حتى لقد انفردت به هذه الفرقة من دون سائر فرق الإسلام.

فهي إذن نظرية غريبة عن فكر الإسلام الجوهري وتراثه النقي.. وهي إذن ميراث من مواريث الأمم الأخرى. سواء في العصور القديمة أم في العصور الوسطى» «الدولة الإسلامية» (٨٠).

٥ - يرى الدكتور أن من الداعين إلى السلطة الدينية في عصرنا الحاضر - والذين لأجلهم ألف كتابه «تيار الرفض في حركة الصحوة الإسلامية» ويعني بهما الجماعات التي تأثرت بفكر السيد المودودي والسيد قطب كما صرح بذلك في أكثر من موضع بدعوى أنهما شابها الشيعة في دعوتهما المشهورة بأن تكون (الحاكمية للَّه) فهم في نظره «يزعمون أن السلطان السياسي في المجتمع الإسلامي ليس حقًّا من حقوق الأمة، فالبشر ليسوا هم الحكام في مجتمعاتهم، وإنما الحاكم في هذه المجتمعات هو اللَّه وسبحانه وتعالى.. أي أن الأمة ليست هي مصدر السلطات، كما تعارفت على ذلك الدساتير والأنظمة والنظريات التي تسود أغلب أنحاء الدنيا في العصر الذي نعيش فيه! فهذه الجماهير وتلك الأمم والشعوب التي تناضل من أجل أن تصبح هي مصدر السلطة والسلطان على أرضها وفي مجتمعاتها، هي بنظر هؤلاء النفر من المفكرين والمشتغلين بشئون الإسلام، خارجة عن صراط اللَّه

المستقيم. ومتعدية حدودها، وجائرة على اختصاص المولى جل وعلا!».

«وهم، بقولهم هذا، يجعلون صاحب السلطة السياسية في النظام الإسلامي ـ الحاكم ـ وكيلاً عن اللَّه ـ سواء صرحوا بذلك أم لم يصرحوا ـ لأن الحاكم هو في النهاية منفذ شريعة ومطبق قانون، وهو في عمله هذا إنما ينوب عن صاحب السلطة الأصلي في المجتمع. فإذا قلنا إن السلطة للَّه. كانت دينًا ووحيًا، ومن ثم كانت سلطة دينية، وكان متوليها حاكمًا «بالحق الإلهي» ونائبًا عن اللَّه. وخليفة له وظلاً!.. أما إذا قلنا ـ كما هو الحال في الفكر الديمقراطي ـ بأن صاحب السلطة الأصلي هو الشعب. كان متوليها نائبًا عن الأمة ووكيلاً أو شبه وكيل. وكان مسئولاً أمام الأمة التي لها الحق في محاسبته ومراقبته. وعزله إن هو أخل بشروط عقد البيعة والتفويض والاختيار» «الدولة الإسلامية» (٣١ ـ ٣٢).

٦ ـ وبعد أن رفض الدكتور العلمانية والسلطة الدينية فهو يختار أن الإسلام «يفرق بين العلوم الشرعية، وبخاصة ما يتعلق منها «بأصول الدين»، وبين ما سواها من العلوم.. فالعلوم التي تتعلق بالنبوة، واليوم الآخر، وبالعبادات وبأركان الدين، هي علوم شرعية، المرجع الأول فيها إلى النصوص الموحى بها، وهذه هي علوم الدين، أما ما سواها من العلوم، رغم تسميتها بالإسلامية، فإنها علوم عقلية، دنيوية جاءت ثمرة لنشاط العقل الإنساني المحكوم فقط، بالحقائق المقررة والمكتشفة في ميادين هذه العلوم، فنحن لدينا في تراثنا علوم وفنون مثل: «العمارة الإسلامية» و«الزخرفة الإسلامية» و«الفن الإسلامي» و«الطب» و«الصيدلة» و«الفلك».. إلخ.. إلخ.. علوم وفنون تبلورت صروحها في المجتمع الإسلامي، فسميت إسلامية، ولكن بالمعنى الحضاري، ليس بالمعنى الديني، فهي علوم الحضارة الإسلامية وليست علوم الديانة الإسلامية، وهي علوم العقل الإسلامي

وليست علوم الوحي الإسلامي، وهي محكومة بحقائق العلم كما يقررها عقل العالم المسلم وليس المرجع في صحتها تفسيرًا أو تخريجًا يقتحم به دعي ميادين هذه العلوم.. فليست هناك «كيمياء» مسلمة وأخرى كافرة.. وليس هناك «جبر» مؤمن وآخر كافر.. لأن وصف كل هذه العلوم «بالإسلامية» إنما هو بالمعنى الحضاري وليس بالمعنى الديني؛ لأن الإسلام كحضارة قد شمل ميادين أكثر عددًا وأوسع مدى من تلك التي امتد إليها نطاق الإسلام كدين.. فالإسلام يقرر «مدنية» السلطة السياسية في المجتمع، ويؤكد على «بشريتها»، وذلك عندما يقرر أن الطريق إلى تولي هذه السلطة هو شورى البشر، والاختيار والعقد والبيعة. وعندما يؤكد على نيابة الحاكم عن الأمة، ومسئوليته تجاهها وأمامها.. وهو في ذات الوقت لا يرى «الفصل» بين الدين والدنيا؛ لأنه ـ باعتراف الجميع ـ قد تناول عددًا من الأحكام وأشار إلى كثير من أمور الدنيا فاتخذت لنفسه فيها موقفًا، وقرر للحياة الاجتماعية عددًا من القواعد الكلية، المتمثلة في «مقاصد الشريعة» وآيات الأحكام التي قننت «للثوابت» دون «المتغيرات» ثم طلب من الناس أن يعيشوا ويتحركوا وأن يطوروا حياتهم ومجتمعاتهم في إطار هذه القواعد الكلية والوصايا الإلهية العامة، التي هي أشبه ما تكون بالمثل العليا والأطر الجامعة التي حددها اللَّه للناس كي لا يضلوا عنها ولا يتنكبوا الطريق الموصل إلى تحقيقها أو الاقتراب منها على أقل تقدير.. ومن هنا فإن الصياغة التي نفضل استخدامها، والتي نراها التعبير الأدق عن موقف الإسلام من هذه القضية، هي أن نقول: إن الإسلام ينكر أن تكون طبيعة السلطة السياسية الحاكمة دينية، أي ينكر «وحدة» السلطتين الدينية والزمنية، ولكنه لا يفصل بينهما، وإنما هو «يميز» بينهما. فالتمييز لا الفصل بين الدين والدولة هو موقف الإسلام.

فاستبعاد الدين ونفيه من نطاق العوامل الحاكمة والمؤثرة في المجتمع

خطأ فكري. لا يتصور وضعه موضع التطبيق.. وفي نفس الوقت فإن محاولة صبغ السياسة والحكم بالصبغة الدينية الخالصة هي محاولة غريبة عن روح الإسلام؛ لأنها دعوة إلى أن يقتفي المسلمون آثار الأمم الأخرى التي وحدت السلطتين: الدينية والسياسية، فعاشت أظلم عصور تاريخها تستوي في ذلك كسروية الفرس وقيصرية الروم، في القديم، وأوربا في العصور الوسطى» «الدولة الإسلامية» (٦٢ ـ ٦٥).

□ ويقول محدداً منهجه: «إن ما هو دين جاء به الوحي، وانتقل إلينا في القرآن ـ الذي هو معجزة الرسول ﷺ نتلقاه بروح الإيمان. من مصدره هذا. مستعينين بالسنة. التي ينفي عنها الوضع والتحريف موافقتها للقرآن، ومستأنسين ومسترشدين في نظرنا هذا بالعقل الذي هو «وكيل اللَّه» في الإنسان جعل إليه زمام أموره وقيادة نشاطاته.. وإذا كان العقل ـ كدليل ـ هو من خلق اللَّه، والقرآن ـ كدليل ـ هو من عند اللَّه، فيستحيل قيام التعارض الحقيقي أو التضاد بين دليلين أبدعهما خالق واحد، وتعهد بواسطتهما معًا مهمة هداية الإنسان.. فإذا حدث وبدا أن هناك تعارضًا بين ظاهر النص وبرهان العقل، وجب تأويل النص ـ دون تعسف ـ بما يتفق مع برهان العقل، حتى تتوافق في هداية البشر الأدلة النابعة من مصدر واحد، هو الخالق سبحانه وتعالى» «الدولة الإسلامية» (١٦).

ويقول: «ما قضاه وأبرمه وقرره الرسول في أمور الدين عقائد وعبادات، لا يجوز نقضه أو تغييره حتى بعد وفاته؛ لأن سلطانه الديني، كرسول ما زال قائمًا فيه. وسيظل كذلك خالدًا بخلود رسالته عليه الصلاة والسلام.. على حين أن ما أبرمه من أمور الحرب والسياسة يجوز للمسلمين التغيير فيه بعد وفاته. لأن سلطانه هنا قد انقضى بانتقاله إلى الرفيق الأعلى. وخلفه سلطان الخليفة، الذي هو سلطان مدني لا أثر للسلطة الدينية فيه»

«الدولة الإسلامية» (٧٦).

٧ ـ يحتج الدكتور على دعواه السابقة بعدة أدلة يمكن تلخيصها كالآتي:

أ ـ حديث تأبير النخل «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**».

ب ـ أن الخلافة كانت بالشورى والاختيار والعقد والبيعة لا بالميراث.

جـ ـ أن الحكم في القرآن والسنة لا يدل على الحكم في السياسة بل الحكم في القضاء والمنازعات.

د ـ أن عمر ﵁ اقتبس بعض أنظمة الفرس كالديوان.

هـ ـ أن الإسلام قد قرر الفصل بين أمة الدين وأمة الدولة.

و ـ أن سنة النبي ﷺ تنقسم إلى سنة دينية ملزمة وسنة دنيوية غير ملزمة ومنها مشاوراته للصحابة في عدد من الحوادث وقضاؤه بينهم بحسب ما يظهر له مستشهداً على قوله هذا بكلام للقرافي والدهلوي سيأتي في موضعه.

* العلمانية في الميزان السلفي:

نحن نرفض العلمانية ونحن نرفض السلطة الدينية! هذا حكم أهل السنة وهو موافق لحكمك فما الفرق بيننا إذن؟ الفرق بيننا أن منهج أهل السنة يؤمن بالإسلام كاملاً؛ لأنه منهج يعم حياة المسلم صغيرها وكبيرها، وأما الدكتور عمارة فيؤمن بالعلمانية (المتمسلمة) التي تؤمن ببعض الإسلام وترد بعض فخلاصة كلامه ـ هداه اللّه ـ أننا يجب أن نأخذ العقائد والعبادات وأركان الدين من القرآن والسنة لأنها وحي لا يتغير بالزمن، وأما في السياسة وشئون المجتمع فالمرجع فيها إلى الأمة والمصلحة لا القرآن والسنة؛ لأنها ليست دين.. ولكن كل ذلك «في إطار الوصايا العامة والقواعد الكلية التي

قررها هذا الدين»!! كما يقول. وأيضًا أمور الاقتصاد والعمران والتصوف بأنواعه مثلها. هذا ملخص ما يريد الدكتور وهو ينطوي على مخالفات شرعية مستترة ستتضح أثناء النقاش. فيقال للدكتور:

١ ـ لا أعرف أحدًا من الإسلاميين من أهل السنة في هذا الزمان يقول بالسلطة الدينية كما تزعم، وإنما تلك المقولات تخيلات في ذهنك أسأت بها فهم كلام الأستاذين المودودي وسيد قطب ـ رحمهما اللّه ـ[1] فالسلطة الدينية لم يقل بها سوى الشيعة الذين يجعلون للإمام العصمة في قراراته أما عندنا أهل السنة فلا يجرؤ أن يقول ذلك أحد.

فلماذا تكذب عليهما؟ وتحمل كلامهما ما لا يحتمل وما لا يقوله إلا جاهل بطبيعة المنهج الإسلامي فحديثهما في واد وأنت وفهمك في واد آخر فأنت تقول عن المودودي أنه: «ذهب فأحيا شعارًا من شعارات الخوارج ـ رغم عدائه لفكرهم ـ وهو شعار الحاكمية فأثار بلبلة ولغطًا وشبهات كثيرة في حقل الفكر السياسي الإسلامي المعاصر» «الطريق» (٢٦٧).

وهو يقول عن نفسه: «إن الإسلام لا طاعة فيه لأحد من الناس، وإن الآيات التي أوردناها آنفًا لتدل دلالة صارخة على أن الطاعة ليست إلا للّه عز وجل، وما جاء الإسلام إلا لأن يقمع شأفة عبودية الإنسان لغير اللّه، وأن يقضي على ألوهية البشر. ومن الواضح البين أن الإسلام لا طاعة فيه لأحد من البشر ككونه أحد أفراد البشر. فما طاعة الرسول إلا باعتباره قد أوتي الحكم والنبوة من اللّه، وما طاعة الحكام إلا باعتبارهم منفّذين لأحكام اللّه

(١) كل يؤخذ من قوله ويترك، وكتاب «المورد العذب» للشيخ الدويش فيه النقد الجميل العفّ لما كتبه سيد قطب في «الظلال»، واقرأ في الرد على الشيخ المودودي «المودودي» للجمال، و«موقف الجماعة الإسلامية من الحديث» لمحمد إسماعيل، وانظر في الحكم على قطب والمودودي فتوى العلامة ابن باز في مجلة المجتمع (٢٠٢).

ورسوله، وما طاعة العلماء إلا لأجل أنهم يرشدون الناس إلى أحكام اللَّه ورسوله وحدود اللَّه في مختلف شعب الحياة. فإذا جاء أحد منهم بأمر من اللَّه، فالواجب على المسلم أن يطأطئ له رأسه دون أن يستنكف عن طاعته؛ لأنه لا حرية له في الفكر والرأي أبدًا أمام اللَّه خالقه ورازقه وحاكمه الحقيقي المطلق. وأما إذا جاء أحد من البشر مهما كان شأنه يعرض على المسلم رأيه وفكرته من نسيج خياله فإن طاعته على المسلم ليس واجبًا. وله الحق كل الحق أن يمارس حريته في التفكير ويقيم رأيًا من الآراء. كما له الحق في أن يأخذ برأي غيره إن ارتاح إليه قلبه. وأن يخالفه بحرية تامة إذا رآه لا يستقيم»[1] «مفاهيم إسلامية» (١٢٩).

وأنت تقول عن سيد ـ رحمه اللَّه ـ: «لم يختلف موقف سيد قطب في الجوهر عن موقف المودودي في نظرية الحاكمية الإلهية فهي بمقتضى لا إله إلا اللَّه كما يدركها العربي العارف بمدلولات لغته لا حاكمية إلا للَّه ولا سلطان لأحد على أحد لأن السلطان كله للَّه.. والحاكمية الإلهية عامة في الجانب الإرادي من حياة الإنسان كما هي في الجانب الفطري والوجودي شاملة لما هو دنيوي شمولها لما هو ديني عامة فيما هو سياسة عمومها فيما هو عبادة» «الصحوة الإسلامية» (١٤٩).

وهو يقول: «الإسلام لا كهانة فيه ولا وساطة بين الخلق والخالق، فكل مسلم في أطراف الأرض، وفي فجاج البحر، يستطيع بمفرده أن يتصل بربه، بلا كاهن ولا قسيس، والإمام المسلم لا يستمد ولايته من «الحق الإلهي» ولا من الوساطة بين اللَّه والناس، وإنما يستمد مباشرته للسلطة من الجماعة الإسلامية، كما يستمد السلطة ذاتها من تنفيذ الشريعة، التي يستوي الكل في فهمها وتطبيقها متى فقهوها، ويحتكم إليها الكل على السواء.

---

(١) «مفاهيم إسلامية» للمودودي (ص١٢٩).

فليس في الإسلام «رجل دين» بالمعنى المفهوم في الديانات التي لا تصح مزاولة الشعائر التعبدية فيها إلا بحضور رجل الدين، إنما في الإسلام علماء بالدين، وليس للعالم بهذا الدين من حق خاص في رقاب المسلمين، وليس للحاكم في رقابهم إلا تنفيذ الشريعة التي لا يبتدعها هو بل يفرضها اللَّه على الجميع»(١) «العدالة الاجتماعية» (١٣).

فكيف تتهمهما بما لم يقولا به؟ الذي أظنه ـ واللَّه أعلم ـ أنك تعلم حقيقة قولهما، ولكنك ترى بسوء فهمك إن هذا القول منهما يتضمن القول بالسلطة الدينية ولو انكرا ذلك في كتبهما وهكذا غيرهما من دعاة الإسلام الذين يطالبون بتحكيم الشريعة (كاملة) ويدل لذلك قولك: « وهم بقولهم هذا. . يجعلون صاحب السلطة السياسية في النظام الإسلام ـ الحاكم ـ وكيلاً عن اللَّه سواء صرحوا بذلك أم لم يصرحوا لأن الحاكم هو في النهاية منفذ شريعة ومطبق قانون. . » «الدولة الإسلامية» (٣٢) وهذا الفهم الخاطئ جرك إلى اعتقاد أن من يطالب بتحكيم الشريعة في هذا الزمان هو من الداعين إلى السلطة الدينية.

□ يقول عبدالقادر عودة ـ رحمه اللَّه ـ: «إذا كان من وظيفة الحكومة الإسلامية أن تقيم الدين فإنها لا تعتبر من نوع الحكومات الدينية التي يسميها الفقه الدستوري حكومات ثيوقراطية»(٢) .

□ ويقول الشيخ سفر الحوالي: «أما السلطة الكهنوتية فلا وجود لها في الإسلام لا بالشكل الذي رأيناه سلفًا في أوربا النصرانية ولا بغيره. ذلك أن الإسلام ـ وهو دين التوحيد الخالص ـ إنما أنزله اللَّه لتحرير العباد وإخراجهم

---

(١) «العدالة الاجتماعية» لسيد قطب (ص١٣). وفي هذا الكتاب تطاول سيد قطب على الصحابيين عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان ما لا يقبله أي مسلم.

(٢) «الإسلام وأوضاعنا السياسية» لعبدالقادر عودة (ص١٠١).

من عبودية العباد إلى عبادة اللَّه وحده وطاعته دون سواه في التلقي وفي الاتباع في المنهج والسلوك»[١] .

□ ويقول الشيخ القرضاوي: «أما الحاكمية بالمعنى التشريعي ومفهومها أن اللَّه سبحانه هو المشرع لخلقه وهو الذي يأمرهم وينهاهم ويحل لهم ويحرم عليهم فهذا ليس من ابتكار المودودي ولا سيد قطب بل هو أمر مقرر عند المسلمين جميعًا»[٢] .

فالحاكم لا يطاع إلا لأجل تنفيذ أوامر اللَّه وأحكامه وإما إذا خالف ذلك فلا حق له بالطاعة. وهذا عمل الخلفاء الراشدين بعده ﷺ والغريب أنك لم تطلق على حكمهم مسمى «الحكومة الدينية» مع أننا لا نطالب إلا بمثل حكمهم!! فما الفرق بيننا؟ الخلاف بيننا وبينك ليس هو في اعتقادك أن العلماء والدعاة يقولون بالحكومة الدينية بشكلها النصراني فأنت تعلم أنهم لم يقولوا بذلك كما سبق وإنما الخلاف بيننا في تحديد السلطة المدنية والسلطة الدينية كما فرقت بينهما أو أمور الدين وأمور الدولة. فقولك إن أمور السياسة والاقتصاد والعمران والفن لا تدخل ضمن الدين قول فيه إجمال فهو من الأسماء المبهمة التي يتوقف فيها أهل السنة فلا يجيبوا بنفي ولا إيجاب حتى يعرفوا معناها فهي كألفاظ الجسم والتركيب والجوهر والحيز في باب العقائد يتوقف فيها كما هو معروف من مذهب أهل السنة فإن كان حقًّا أقر وإن كان باطلاً رد.. وهكذا قولك هذا فماذا تعني بالسياسة؟ إن كنت تعني مثلاً أن تختار الأمة حكامها بنفسها مع الشروط التي اشترطها الإسلام فيهم وإن يشاورهم هذا الحاكم في أمور الدولة التنظيمية وفي شئون الحرب المتغيرة كخطة الحرب (التكتيكية) من أين يهاجم؟ وأي قائد يولي على هذه الجهة؟

(١) «العلمانية» (ص٦٠٧).

(٢) «بينات الحل الإسلامي» للقرضاوي (ص١٦٢).

ونحو ذلك فهذا الأمر نوافقك في أنه لم يرد فيه نصوص ملزمة، وإنما هو متروك للحاكم.

وأما إن كنت تعني بالسياسة أن تكون الدولة ديمقراطية كما تصرح بذلك كثيراً، وتكون السلطات بيد الشعب فهذا أيضًا مما يتوقف فيه لأنه مجمل. فإن عنيت بسلطات الشعب أن يشاركوا الحاكم في أحكامه التي سبق أمثله منها أي لم يكن فيها نص من القرآن أو السنة فهذا مما نوافقك عليه، ولكن لا نسميه ديمقراطية، وإنما هو الشورى الإسلامية ويتنبه هنا إلى أمرين:

١ ـ إن الذين يشاورهم الخليفة من الشعب في مثل هذه القضايا إنما هم أهل العقد والحل من أجلاء المسلمين وأصحاب الورع والتقوى والفكر الناضج وليست المشاورة لكل الشعب الذي يحتوي في مجمله على أناس من الجهلة والعوام والطغام الذين لا يفقهون شيئًا في هذه الأمور.

٢ ـ إن مشاورة الحاكم لهم لا تعني أن يلزم بما يقولون ما لم يكن فيه نص بل هو يستمع إلى آرائهم ثم يفصل في الأمر بما يراه هو محققًا لمصلحة الأمة. ولا يلزمه أحد بشيء كما فعل عمر رضي الله عنه في أحكام كثيرة.

وأما إن عنيت بسلطان الشعب (الديمقراطية الغربية)[1] وهو ما تعنيه.

---

(١) يذهب الشيخ سعيد حوى ـ رحمه اللَّه ـ إلى جواز الأخذ بالديمقراطية الغربية لأن المسلمين في وضعهم الراهن في موقف ضعف أمام الرأي العالمي لا يُسمح لهم فيه بحرية القرار. ويستشهد باقتباس عمر للديوان من الفرس» (مجلة الإرشاد اليمنية ـ السنة السابعة عدد ١٠) والشيخ ـ غفر اللَّه له ـ واهم في هذا القول الخيالي؛ لأن الدولة الإسلامية إذا عزمت على تحكيم الكتاب والسنة لا تحتاج بعدها إلى نظام آخر. ولا تلتفت إلى ضغط دولي أو غيره. وإنما هو اليقين والتوكل على اللَّه. ولو راعت ما ذكره الشيخ لما بقي للإسلام إلا رسمه لمن تأمل. ثم ليعلم القارئ أنني لم أتوسع في موضوع الشورى والديمقراطية؛ لأن مكانها المناسب هو الرد القادم على (فهمي هويدي) ـ إن شاء اللَّه ـ لكي لا تطول هذه الرسالة.. ولتصبح الرسالتان (عمارة ـ هويدي) تكمل إحداهما الأخرى» ا.هـ ما قاله الشيخ سليمان الخراش.

أي أن تكون الأمة هي مصدر التشريع بحيث تشرع القوانين التي تراها مناسبة للزمن المعاصر ولو خالفت نصًا من الكتاب أو السنة فهذا ما نرفضه رفضًا تامًا؛ لأنه تدخل في ما اختص به اللَّه تعالى. وهو ما يسميه سيد قطب والمودودي بالحاكمية. وهذا هو الذي تدندنون حوله فقد صرحت في بعض كتبك بأن الهدف من سن القوانين المتنوعة التي يراها الشعب هو مصلحة الأمة ولو عارض ذلك نصًّا من الكتاب والسنة ومثال ذلك قولك: «الإسلام كدين لم يحدد للمسلمين نظامًا محددًا للحكم؛ لأن منطق صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان يقتضي ترك النظم المتجددة قطعًا بحكم التطور للعقل الإنساني الرشيد. يصوغها وفق مصلحة المجموع وفي إطار الوصايا العامة والقواعد الكلية التي قررها هذا الدين» «الدولة الإسلامية» (٥٣)، وفي نص آخر تقول: «إن الأمة هنا هي مصدر السلطات شريطة أن تتقيد سلطاتها بالوصايا الدينية المتمثلة في النصوص القطعية الثبوت والقطعية الدلالة طالما بقيت هذه النصوص محققة لمصلحة الأمة في مجموعها وإلا قدمت المصلحة على هذه النصوص.. لأن الشريعة في السياسة والدولة والعمران مقاصد ورأس هذه المقاصد ومحورها وجماعها هو تحقيق مصلحة الأمة الكافلة لسعادتها في الدنيا والآخرة» «العلمانية» (٥١).

❑ قلت: ومعنى هذا الكلام الخطير الذي (يميع) الإسلام وسلطانه في الأرض أن الشعب (الجاهل) إذا اجتمع يومًا ما ورأى أن أمرًا ما يحقق المصلحة للدولة فإن الحاكم يلتزمه ولو خالف القرآن والسنة كما قال الدكتور فيترتب على هذا الأمر الخطير قضايا كثيرة.. وهكذا قضايا كثيرة وخطيرة لا تحصر.. فإن العمدة عند الدكتور هو (المصلحة) لا غير فهو (براجماتي) مسلم! وأما النصوص الشرعية فكما اعترف هو بنفسه فإنها تقذف في البحر!! والعياذ باللَّه! والطريف قوله بعد ذلك: « في إطار الوصايا العامة

والقواعد الكلية التي قررها هذا الدين»! فإن هذه العبارة تذكرني بعبارة كثير من الصحفيين عندما ياطلبون بأمر يخالف الإسلام يتسترون بقولهم: «في ظل العقيدة السمحة»! فهي لافتات معروضة في الطريق لكل من أراد هدم الإسلام من داخله ودون أن يشعر به أحد.. (هم العدو فاحذرهم).

*** محمد عمارة والاشتراكية:**

□(العدل الاجتماعي).. أحد أهداف الدين الإسلامي التي جاءت نصوصه لتحقيقها عن طريق حفظ حقوق المسلمين وعدم الإضرار بهم.. ومساواتهم أمام نظم الإسلام وأحكامه.

والدكتور عمارة يدعو كثيرًا إلى.. (العدل الاجتماعي). بل علمنا فيما مضى أنه الفكرة التي تُشغل باله وتملأ عليه حياته في السنوات الأخيرة.

وقد تأملت كثيرًا في.. (العدل الاجتماعي) الذي ينادي به الدكتور.. فألفيته اشتراكية ترتدي مسوح الإسلام! فلنستمع أخي القارئ إلى نصوصه وشبهاته حول ذلك ثم لنستمع إلى حكم الإسلام في الاشتراكية والإجابة عن شبهاته.

يقول الدكتور: «الإسلام كدين ومن خلال كتابه الكريم وسنته التشريعية العامة لم يحدد لمستقبل المسلمين نظرية اجتماعية بعينها ولم يشرع لمجتمعهم تشريعًا اقتصاديًّا دائمًا بذاته لأنه وهو خاتم الرسالات والمقرر أن للَّه في كونه سننًا منها سنة التطور والتحول والتغيير ما كان له أن يضع القيود المسبقة على المصالح المتجددة والمتغيرة» «الإسلام والثورة» (٥٣).

ويقول: وإذا شئنا إيجازًا يكشف فلسفة الإسلام الاجتماعية فإن باستطاعتنا أن نقول: إنه قد انحاز كل الانحياز إلى صف مجموع الأمة وعامتها وانتصر مصالح العاملين من أبنائها.. ثم ترك للواقع المتطور والمتغير أمر الاختيار والصياغة لما يحقق هذه المقاصد من نظريات وقوالب وتشريعات»

«الإسلام والثورة» (٥٤).

ويقول: «والإسلام عندما انحاز في المسألة الاجتماعية إلى مجموع الأمة وجعل الاحتياجات معياراً للحيازة إنما كان يستهدف تفادي المخاطر والمضار التي تنشأ عن تركز ثروة اللَّه ـ ثروة الأمة ـ بيد قلة من الأغنياء يتداولونها ويحتجزونها فيما بينهم لأن في ذلك الفساد كل الفساد في المادة والفكر في الدنيا والدين.. فالثروة يجب أن توزع وفق الاحتياجات وذلك حتى لا يزداد غنى الأغنياء فيصبح المال حكرًا عليهم يتداولونه دولة بينهم» «الإسلام والثورة» (٥٧).

ويقول: «ومذهب أبي ذر الغفاري أنه ما زاد على حاجة الإنسان فهو كنز سيكوى به ويعذب يوم القيامة حتى وإن أخرج عنه الزكاة.. وهو أيضًا مذهب علي بن أبي طالب الذي قرر أن الحد الأقصى لنفقة الإنسان ٤٠٠٠ درهم وما كثر عنه فهو كنز وإن أديت زكاته» «الإسلام والثورة» (٦٤)!!!.

ويقول: «فتحريم الربا ـ وهو المال الناشئ عن مال دون عمل ـ يقطع بأن الفلسفة الاجتماعية للإسلام تقف مع المذهب القائل أن العمل هو الذي يعطي الأشياء حقيقة ومعظم قيمتها. وهو الأساس في الكسب وعليه المعول الأكبر في التمايز والامتياز» «الإسلام والثورة» (٧٠).

□ أخيرًا يلخص فكرته قائلاً: «لقد جعل المال مالاً للَّه.. منه فاض وعنه صدر وجعل الناس جميعًا مستخلفين فيه.. وحدد العمل سبيلاً للاختصاص فيه والحيازة منه.. ونهى عن حيازة ما زاد عن الاحتياجات التي يحدد العرف والعادة ودرجة ثراء المجتمع حدودها القصوى.. ونبه على وجوب الاشتراك العمومي في المصادر الأساسية لثروة الأمة والمجتمع» «الإسلام والثورة» (٧١).

* حكمها في الميزان السلفي:

□ يقول الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ: «لا اشتراكية في الإسلام، وإنما ذلك قول باطل دعا إليه بعض الناس وزعم أنه من الدين وسمى ذلك اشتراكية إسلامية تمويهًا وتضليلاً، فالمساواة بين الناس في المال مما لا سبيل إليه، وإنما هو تمرد على النظام السماوي غير أن الذي يُقال في هذا المقام إن هناك واجبات تجب في المال كالزكاة وحقوق الأقارب من النفقات وغيرها مما هو مذكور في موضعه من كتب الأحكام والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل».

□ وقال الشيخ ابن باز: «إن الذين يدعون إلى الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرهما من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الله كفّار ضلاّل»[١].

* محمد عمارة[٢] والدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة:

□ يدعو محمد عمارة إلى التقريب بين السنة والشيعة، وهو يكثر النقل عنهم وخاصة من أهم كتبهم (نهج البلاغة) الذي شرحه شيخه محمد عبده.. ولذلك فهو يثني على الدولة العبيدية الرافضية بمصر ويعتز بالانتساب إليها..

□ قال في كتابه: «عندما أصبحت مصر عربية ٤٧»: «ذلك التحيز الذي نجده في كتب التاريخ التي كتبها المؤرخون السلفيون (السنيون) عن مصر والقاهرة في زمن الفاطميين وهو موقف يجب أن يبرأ منه الباحث المعاصر؛

---

(١) «مجموع فتاوى ابن باز» (١/ ٢٧٤).

(٢) هو مثل فهمي هويدي صاحب كتاب «التدين المنقوص» الذي يشن حملة شعواء على السلفيين ويتهمهم بإثارة الفتنة بين السنة وإخواننا الشيعة!!! انظر (ص٩٧ ـ ١٠٥) من «التدين المنقوص» وانظر كلام الأخ خالد السيف عن فهمي هويدي وأفكاره في مجلة البيان (٥٠).

لأنه لا ناقة له ولا جمل في هذه الخلافات التي فرقت العالم الإسلامي فكريًا وسياسيًّا حينًا من الدهر والتي زالت منذ قرون بواعثها وأسبابها، ولم يعد مستساغًا أن نظل في القرن الرابع عشر الهجري أسري لحزازات ولدت أسبابها ثم ماتت في زمن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان».

◻ وقال أيضًا بعد أن ذكر وثيقة الحاكم في التقريب بين السنة والشيعة: «إذا كنا نعتقد بالأهمية الكبرى لهذه الوثيقة التي أصدرها الحاكم بأمر اللَّه في رمضان سنة ٣٩٨هـ في الأمور التي تتعلق بشئون الدين والاعتقادات والتي حوت أفكارًا وقيمًا لا يزال المسلمون المستنيرون! يجاهدون في سبيل سيادتها وتطبيقها حتى في عصرنا هذا عندما يتحدثون عن التقارب بين المذاهب والفرق الإسلامية فضلاً عن توحيدها» (عندما أصبحت مصر عربية ١١٣). فهو لا يدعو إلى التقارب فقط بل إلى التوحيد الكامل.. وكيف ذلك؟ لا ندري! لأن الدكتور كما قلت لكم بارع في استخدام الألفاظ «المطاطة» التي لا تجد تحتها أي فائدة.

ونطالع في كتابه «تيارات الفكر» محاولة (غريبة) لتوحيد المذاهب كلها في مذهب واحد! ولكننا نفاجأ بعدم وجود مذهب أهل السنة والجماعة ضمن هذه المذاهب! وهو الأساس والكل يخطب وده فلذلك يحق لنا أن نسمي هذه المحاولة «التقريب بين أعداء السنة»! قال الدكتور: «وإذا نحن خرجنا من إطار نظرية الإمامة فلن نجد بين الشيعة الإمامية، وبين غيرهم من تيارات الفكر الإسلامي وفرقة خلافات تتجاوز في الأهمية أو التميز ما بين الفرق غير الشيعية من خلافات سواء أكان ذلك في إطار المباحث الكلامية أو فقه الفروع.. بل سنجد الاتفاق قائمًا أو التقارب متحققًا بين الشيعة الإمامية وغيرهم من فرق المسلمين في العديد من القضايا والتصورات.. يلقي الضوء على هذه المقولة. مقولة الاتفاق الكامل أو التقارب الشديد أو الاختلاف

المألوف بين الإمامية وغيرهم ممن لم يتشيع.. يلقي الضوء على هذه المقولة أمثلة نضربها للدلالة والتوضيح..» (٢١٥) ثم ضرب أمثلة لتقاربهم مع المعتزلة وأهل البدع الآخرين إلى أن يقول: «تلك هي عقائد الشيعة الاثنى عشرية في الإمامة فكر مرفوض ممن عداهم.. كان ولا يزال سبب انقسام أمة الإسلام وفي غير الإمامة اجتهادات يتفق أو يختلف معهم فيها غيرهم من المتكلمين المسلمين.. والأمر الذي يجعل أنظار الحريصين على وحدة الأمة الإسلامية تتركز حول مبحث الإمامة على أمل أن تطوير هذا المبحث من منطلق النظرة النقدية للتراث وفي ضوء منطق العصر ومصلحة الأمة كفيل بأن يجد تأويلاً ـ يرضى عنه كل الفرقاء ـ للمأثورات التي فصمت عرى وحدة الأمة لعدة قرون.. خصوصًا وأنها قد رويت لتعالج قضية صراع قد غدا الآن في ذمة التاريخ» (٢٢١).

❑ هكذا يا دكتور!! تجمع وتقرّب وتوحّد.. وأهل السنة والجماعة وهم أصحاب الشأن في هذا التقريب المزعوم لا نحس منهم من أحد في تقريبك ولا نسمع لهم ركزًا.. أم أن الأمر كما قيل:

ويُقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يُستأمرون وهم شهود

❑ قال الدكتور في كتابه «الإسلام والمستقبل» (٢٤٤) عند حديثه عن تيار الجمود[1] (وهم نحن!):

«وفي قوم زعموا أنهم مجتهدون رغم تسليمهم واستسلامهم لأساطير تراثية ظلت تفعل فعلها في تقسيم المسلمين إلى شيعة وسنة».

* التقريب في الميزان السلفي:

لا تقارب بين السنة والشيعة.. أعلنها المخلصون الأذكياء من هذه الأمة

---

(١) يعني بذلك السلفيين.

من الذين عرفوا دين الرافضة ومحصوه عبر السنين فاقتنعوا بأنه دين آخر غير الإسلام يقترب من اليهودية أكثر من الإسلام.

قال السيد محب الدين الخطيب: «إن استحالة التقارب بين طوائف المسلمين وبين فرق الشيعة هي بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الأصول كما اعترف به وأعلنه النصر الطوسي وأقره عليه نعمة اللَّه الموسوي وباقر الخونساري ويقره كل شيعي» (١).

وقال الشيخ الألباني: «لو أن أهل السنة والشيعة اتفقوا على وضع قواعد في مصطلح الحديث يكون التحاكم إليها عند الاختلاف في مفردات الروايات ثم اعتمدوا جميعًا على ما صح منها لو أنهم فعلوا ذلك لكان هناك أمل في التقارب والتفاهم في أمهات المسائل المختلف فيها بينهم أما والخلاف لا يزال قائمًا في القواعد والأصول على أشده فهيهات هيهات أن يمكن التقارب والتفاهم معهم بل كل محاولة في سبيل ذلك فاشلة واللَّه المستعان» (٢).

ويقول الأستاذ عبداللَّه الغريب: «أطالب هؤلاء الذين يتباكون على ضرورة التقائنا مع الرافضة أن يقوموا بإحصائية لعدد من الكتب الحديثة التي ألفها كبار علمائهم وسيجدون أنها تزيد على الألف كلها تشكيك بأصولنا وعقيدتنا.. وعندئذ سيعلمون ـ لو أنصفوا ـ أن إمكانية الالتقاء معهم غير ممكنة» (٣).

---

(١) «الخطوط العريضة» لمحب الدين الخطيب (ص٤٣).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٢/ ٢٩٩).

(٣) «وجاء دور المجوس» للغريب (١٠).

* محمد عمارة وتحرير المرأة:

الحديث عن المرأة المسلمة كما يقول الدكتور: «حديث طويل وعريض وعميق وأكثر من هذا فإنه مليء بالاختلافات والتناقضات» «الإسلام والمستقبل» (١٩٩)، وصدق الدكتور! فإن الحديث عن المرأة في هذا العصر فيه اختلافات وهذه الاختلافات في قضايا واحده لا تتغير ولا تتبدل.. وسبب هذه الاختلافات الهوى ولو التزم المختلفون كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ مرجعًا لهم لما حدثت الاختلافات. والدكتور في حديثه عن المرأة ذكر بعض المخالفات الشرعية وجعلها هي الصواب وغيرها الخطأ زاعمًا أن ما خالفها فهو (تخلف)! هكذا دون أن يذكر آراء (المتخلفين) كي لا تؤثر في الأمة كما أثر غيرها لا سيما بعد انتشار (النقاب) الذي أسهر ليل الدكتور وأرقه أشد مما أسهرته وأرقته قضية فلسطين! فأصبح الهمّ الأكبر له ولأمثاله من (العقلانيين) أعني (غير المتخلفين)! فماذا يقول الدكتور حول المرأة؟.. وماذا نقول؟ لنبدأ بالدكتور (المستنير) ليضيء لنا الطريق! ثم أتبعه بقول أهل السنة.

☐ يقول الدكتور: «لقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات دون أن تعني مساواته هذه إلغاء تمايز الجنسين في الطبيعة أو الاختصاص فقرر للمرأة إنسانيتها واحتفظ لها بتميزها بل رأى في هذا التمييز قسمة من قسمات إنسانيتها التي بها تتحقق المساواة بينها وبين الرجال» «الإسلام والمستقبل».

☐ ويقول: «نحن إذا سلمنا بتمايز الرجل والمرأة في هذه الأمور - أي القوة الجسدية والنظام الجسدي والخصائص النفسية - وتلك حقيقة فلن يعني ذلك الانفصال الكامل بين ميداني عمل كل منهما» «أبو الأعلى المودودي» (٣٧١).

يرى الدكتور أن ما دعا إليه قاسم أمين هو «الحجاب الشرعي» «الإسلام والمستقبل» (٢٢٧) ويقول: «جمهور الفقهاء والمفسرين على أن الأصل هو جواز كشف المرأة لوجهها وكفيها إلا إذا خشيت الفتنة.. أما الأستاذ المودودي فالأصل عنده هو النقاب وتغطية جميع أجزاء جسم المرأة ولا يجوز كشف الوجه والكفين إلا للضرورة. وهو بذلك قد ارتاد ـ في حركة الصحوة الإسلامية ـ التفكير لظاهرة الغلو بواسطة النقاب التي لا تكتفي بالحجاب» «المودودي» (٣٨٤).

يرى الدكتور أن «ما لدينا في تراثنا حول قضية ولاية المرأة لمنصب القضاء هو فكر إسلامي وآراء فقهية واجتهاد فقهاء وليس دينًا وضعه اللَّه وأوحى به إلى رسوله عليه الصلاة والسلام» «الإسلام والمستقبل» (٢٣٧).

أما حديث: «**ما أفلح قوم يلي أمرهم امرأة**» فهو «نبوءة سياسية من الرسول ﷺ بفشل الفرس المجوس أولئك الذين ملكوا عليهم امرأة وليس حكمًا بتحريم ولاية المرأة للقضاء.. فلا ولايتها العامة ولا الخاصة كانت بالقضية المطروحة على مجتمع النبوة كي تقال فيها الأحاديث» «الإسلام والمستقبل» (٢٤١).

يرى الدكتور جواز الاختلاط في الأماكن العامة «المودودي» (٣٨٥).

يرى الدكتور جواز عمل المرأة في السياسة والقانون والفنون والاقتصاد والتجارة والصناعة والزراعة و.. إلخ «المودودي» (٣٧٨).

يحتج الدكتور على آرائه في العمل والاختلاط العام بمشاركة بعض الصحابيات في بعض الغزوات.

يرى الدكتور جواز مشاركة المرأة في الانتخابات والمجالس النيابية «المودودي» (٣٨٠) ويحتج على ذلك بأن الصحابيات بايعن الرسول ﷺ واشتركن في بيعة العقبة.

* **محمد عمارة ومفهوم الجهاد عنده:**

يرى الدكتور عمارة أن «القتال في الإسلام سبيل يلجأ إليها المسلمون عند الضرورة، ضرورة حماية الدعوة وتأمين حرية الدعاة وضمان الأمن لدار الإسلام وأوطان المسلمين.. سيان كان ذلك القتال دفاعيًّا تمامًا أو مبادأة يجهض بها المسلمون عدوانًا أكيدًا أو محتملاً.. فهو في كل الحالات صد للعدوان.. إما إذا جنح المخالفون إلى السلم وانفتحت السبل أمام دعوة الإسلام ودعاته وتحقق الأمن لدار الإسلام فلا ضرورة للحرب عندئذ ولا مجال لحديث عن القتال باسم (الدنيا) كان ذلك الحديث أو باسم (الدين)» «الدولة الإسلامية» (١٣٦).

ويقول: «الحديث عن أن الإسلام يوجب على أهله قتال كل حكومات المعمورة وجيوشها فإنه أقرب إلى هذيان الضعفاء ينفسون به عن العجز إزاء القهر الذي يمارسه الطغاة الداخليون منهم والخارجيون إزاء عالم الإسلام وشعوبه.. وهو هذيان يسخر منه الواقع الإسلامي بإمكانياته الحالية والمحتملة ومن ثم فلا أثر له إلا جلب العداء للمسلمين والنفور من الإسلام.. فضلاً عن منافاة فكر دعاة هذه الحرب الدينية لفكر الإسلام الحق في هذا الموضوع» «الدولة الإسلامية» (١٣٦).

ويؤكد رأيه قائلاً: «ليس في الإسلام حرب دينية.. لأن القتال لا يمكن أن يكون سبيلاً لتحصيل التصديق القلبي واليقين الداخلي الذي هو الإيمان» «الدولة الإسلامية» (١٣٦).

قلت: فكرة الدكتور عمارة في هذه القضية تتلخص في أن الحرب في الإسلام التي مارسها الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم من بعده هي حرب (سياسية) لا (دينية)! أي أنه لم يفرضها لنشر الإسلام وإكراه الناس على الدخول فيه. بل هي باختلافها حرب لتأمين الدولة الإسلامية ضد العدوان

عليها. . وأنه لا يمكن وجود حرب دينية في الإسلام لفرضه على الناس؛ لأن اللَّه قد أذن بتعدد الشرائع. . فالإسلام ليس هو الدين الحق لوحده في هذا الزمان فهناك اليهودية والنصرانية. . فلماذا يقاتلهم المسلمون وهم مثلهم على هدى؟! ويرى أن الأجدى بدلاً من هذه الحرب الهجومية التي يطالب بها الدعاة أن نهتم بالنهضة الإسلامية «المؤسسة على الوعي الناضج بحقيقة الإسلام الدين والإسلام الحضارة تلك التي ستحول عالم الإسلام وبلاد المسلمين إلى شاهد صدق على عظمة الإسلام وتقدميته وجدارته بأن يكون الدين الذي تتدين به الإنسانية الراشدة دون سواه» «الدولة الإسلامية» (١٣٦).

❑ ويجيب عن شبهات الدعاة بما سيأتي.

وهذا القول منه مخالف للكتاب والسنة وأحداث السيرة النبوية وتاريخ المسلمين. وهو قد استقاه من رجال عاشوا في زمن التبعية الغربية والانهزام الروحي أمام الكافر. فأصبح يردده في زمن أعز اللَّه فيه الإسلام وأهله في عدة مواقع. . فكان الأحرى به أن يدع هذا القول (العتيق) ويتعالى بإسلامه قليلاً.

❑ قال سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ رادًا على الدكتور ومن سار بسيره في هذه القضية:

«المهزومون روحيًا وعقليًا ممن يكتبون عن «الجهاد في الإسلام» ليدفعوا عن الإسلام هذا «الاتهام» يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه، والتي تُعَبِّد الناس للناس، وتمنعهم من العبودية للَّه. . وهما أمران لا علاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما. . ومن أجل هذا التخليط، وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمة! ـ يحاولون أن يحصروا

الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم: «الحرب الدفاعية».. والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم، ولا بواعثها، ولا تكييفها كذلك.. إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة «الإسلام» ذاته ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها اللّه، وذكر اللّه أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات.

إن هذا الدين إعلان عام لتحرير «الإنسان» في «الأرض» من العبودية للعباد ـ ومن العبودية لهواه أيضًا وهي من العبودية للعباد ـ وذلك بإعلان ألوهية اللّه وحده ـ سبحانه ـ وربوبيته للعالمين..! إن إعلان ربوبية اللّه وحده للعالمين معناها: الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض، الحكم فيه للبشر بصورة من الصور.. أو بتعبير آخر مرادف: الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور.. ذلك أن الحكم الذي مردّ الأمر فيه إلى البشر. ومصدر السلطات فيه هم البشر. هو تأليه للبشر، يجعل بعضهم لبعض أربابًا من دون اللّه. إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان اللّه المغتصب ورده إلى اللّه، وطرد المغتصبين له، الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم، فيقومون منهم مقام الأرباب ويقوم الناس منهم مكان العبيد.. إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة اللّه في الأرض، أو بالتعبير القرآني الكريم: ﴿**وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**﴾.

﴿**إن الحكم إلا للّه أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم..**﴾..»[1].

---

(١) انظر «معالم في الطريق» لسيد قطب (ص٦٦ ـ ٩١)، و«افتراءات حول غايات الجهاد» لمحمد نعيم ياسين ـ دار الأرقم الكويت.

* **محمد عمارة وخبر الآحاد:**

الدكتور عمارة في هذه القضية (مقلد) لفحول أهل الكلام ومن تابعهم من شيوخه يردد ما يقولون كما يردد فاتحة الكتاب في الصلاة دون أن يورد حججًا على هذه المقولة (الآحاد لا يقبل في العقيدة).. وإنما هو الشعار الذي يعليه على هامته إذا كشفت الحرب بيننا وبينهم عن ساقها! واشتد الخطب فهي الملجأ وإليها المفزع من أحاديث الصفات والغيب (المرهبة) لكل مبتدع!

قال الدكتور في حديث افتراق الأمة: «إنه ككثيرمن الأحاديث المشابهة حديث آحاد وليس بالمتواتر وأحاديث الآحاد وإن جاز أن نأخذ بها في الأمور العملية فإنها غير ملزمة في الاعتقادات» «الإسلام وفلسفة الحكم» (١١٨)، ولو قلت (للدكتور): لماذا؟ لقال: هاه.. هاه لا أدري.. سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته!

ويقول الدكتور نقلاً عن المعتزلة أنهم: «يميزون ما بين الأحاديث التي موضوعها الدين والعقائد وتلك التي موضوعها السنة العملية فيرفضون الاستدلال بأحاديث الآحاد ـ والأغلبية السابقة من الأحاديث أحاديث آحاد ـ على أمور الدين والعقائد ويقبلون الاستدلال بها في العمليات؛ لأن ما طريقه الدين لا يجب قبول خبر الواحد فيه أصلاً» «الإسلام وفلسفة الحكم» (١٨٤).

قال أبو المظفر السمعاني في كتابه «الانتصار لأهل الحديث»: «إن الخبر إذا صح عن رسول اللّه ﷺ ورواه الثقات الأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول اللّه ﷺ وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم هذا عامة قول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولا بد من نقله

بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول. ولو أنصف الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد»[١].

☐ وقال الإمام ابن حزم ـ رحمه اللَّه ـ: «إن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ يجري على ذلك كل فرقة.. حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك»[٢].

☐ وقال صاحب «الروض الباسم»: «قد انعقد إجماع المسلمين على وجوب قبول الثقات فيما لا يدخله النظر، وليس ذلك بتقليد بل عمل بمقتضى الأدلة القاطعة الموجبة لقبول أخبار الآحاد وهي محررة في موضعها من فن الأصول ولم يخالف في هذا إلا شرذمة يسيرة وهم متكلمو بغداد من المعتزلة والإجماع منطبق قبلهم وبعدهم على بطلان قولهم»[٣].

☐ وللرد على عمارة ينظر إلى كتاب «الصواعق» لابن القيم، و«الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» و«وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد» للشيخ الألباني، و«أصل الاعتقاد» للشيخ عمر سليمان الأشقر.

* ما هكذا يا دكتور عمارة تُورد الإبلُ:

☐ يقول في كتابه «المعتزلة ومشكلة الحرية» (٥) : «نحن في مواجهة

---

(١) «صون المنطق» (ص١٦٠).

(٢) «الإحكام» لابن حزم (١/ ١٠٢).

(٣) «الروض الباسم» لابن الوزير (١/ ٣٢).

خطر السلفية النصوصية الذي يتنكر للعقل والعقلانية ويتعبد بظواهر النصوص حتى ما تعلق منها بوقائع تاريخ السلف وتجاربهم البشرية واجتهاداتهم الإنسانية.. ونحن في مواجهة حركة التغريب التي تسعى إلى تغريب عقل الأمة وطرائق عيشها وأنماط سلوكها.. نواجه خطرًا تعني سيادته استلاب هوية الأمة وتميزها الحضاري وقطع سلسلة تواصلها المعرفي مع تراث الآباء والأجداد.. وبعض هذا الاستلاب متمثل في دعوة المتغربين إلى النمط الغربي في العقلانية تلك التي لا تقيم للنقل وزنًا ولا مكان للوحي فيها ولا التزام لها بشريعة السماء».

ويقول في كتابه «العلمانية» (٦): «الذين ينظرون إلى واقعنا الفكري الراهن تزعجهم أبعاد هذا الانقسام بين: سلفية نصوصية تتعبد بظواهر نصوص لا قداسة لها.. وسلفية نصوصية هي الأخرى بظواهر نصوص لم يبدعها سلفنا وإنما أبدعها مفكرو الحضارة الغربية..».

ويقول في كتاب «الإسلام والمستقبل» (٢٤٤): «عندما شرعت أمتنا في مغادرة إطار العصور المملوكية العثمانية إلى رحاب عصر يقظتها وإحيائها ونهضتها وتنويرها من خلف رواد مثل رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبدالرحمن الكواكبي وخير الدين التونسي تصارعت على ساحتها واعتركت في أحشائها وتنازعت في عقلها ووجدانها تيارات رئيسية ثلاث: أولها: تيار الجمود الذي استعصم بفكرية العصور الوسطى واعتصم بعد أن أضفى على هذه الفكرية التي جسدت عصر تخلفنا الحضاري قداسة الدين وقدسيته.. وثانيها: تيار التغريب ذلك الذي انبهر أهله بتألق الحضارة الأوربية وانجازاتها وانتصاراتها..».

□ قلت: ولا يكاد يخلو كتاب للدكتور دون ذكر هذا التقسيم الثلاثي.. فالأمة عنده قد انقسمت إلى (متخلفين) (جامدين) (نصوصيين) (خرافيين) وإلى (متغربين) (علمانيين).. وأما التيار الثالث (المنقذ!) فهو تيار

الأفغاني (السوبرمان!) أو تيار (السلفيين العقلانيين) (المتنورين) (المجتهدين) (تيار الوسط)..! وصفات تيار الجمود أنه يعيش في (خرافات) العصر المملوكي والعثماني وصفات أهل التغريب أنهم مولون ظهورهم للتراث.. وصفات المتنورين أنهم جمعوا الدين والعقل.. إلخ. لا يوجد طائفة أخرى في الأمة داخل هذه القسمة. فكأنه يريد أن يسوق الناس بعصاه إلى تيار الأفغاني كما تساق البهائم في المرعى! فهو يقول لهم: ليس أمامكم.

إلا أن تتغربوا.. فيقولون: أعوذ باللَّه!

أو أن تتخلفوا.. فيقولون: أعوذ باللَّه!

إذن فالزموا ـ حفظكم اللَّه ـ نهج الأفغاني فالعدو من أمامكم والبحر من خلفكم! دعوة مغطاة إلى مذهب الباطل يتنبه لها كل فطن وهو في هذا الفعل يخون الأمة إذ لم يعرض لها المنهج الصحيح الذي يعرفه.. وهو المنهج السلفي الذي يجمع بين الدين كما عاشه الرسول ﷺ والصحابة وبين الدنيا التي يحاول أن يبلغ فيها القمة ـ ولكن تعوقه عوائق يعلمها الدكتور! ـ فإذا كان الدكتور جاهلاً في المنهج فهو في تفصيلاته أجهل كما سيأتي.

ثم إن الباحث في كتبه ـ هداه اللَّه ـ لا يدري هل يجعلنا من المتخلفين أم من المتغربين؟ أما المتغربون فلا أظنه يفعلها لبعد ما بيننا ولأني لم أعثر له على نص واحد في ذلك. وأما المتخلفون فإن الدكتور (يتخبط) في ذلك فتارة تراه يثني على (السلفيين) أو أحد أعلامهم وأنهم ضد التخلف.. وتارة يصمنا بالتخلف! فتعجب أهم ضد أنفسهم مثلاً؟ فهو يقول في كتاب «الطريق إلى اليقظة» (١٥٦): «المهام الأولى لليقظة الإسلامية مجابهة الجمود بالاجتهاد والتجديد.. والتصدي للغزوة الاستعمارية بالجهاد والتحرير»، ويجعل (الوهابية) أي (السلفية) كما هو معلوم في مقدمة هذه التيارات

اليَقِظَة. . فهو إذن قد أخرجنا من أهل الجمود والتخلف.

وفي كتاب «التراث في ضوء العقل» (٢٣٦) يقول: «مصطلح السلفية من المصطلحات التي يحيط بمضمونها الغموض في عدد من الدوائر الفكرية والسياسية في واقعنا العربي والإسلامي والمعاصر فهناك من يرون (السلفية) و(السلفيين) التيار المحافظ والجامد في حياتنا الفكرية وفي الجانب الديني من هذه الحياة على وجه الخصوص. . وهناك من يرون في (السلفية) وأهلها التيار الأكثر تحررًا من الخرافة والبدع ومن ثم الأكثر استنارة في مجال الفكر الديني بالذات»، فهو هنا يصفنا بالجمود! لأنه يعني بالفريقين السابقين نحن والأفغاني! وقد قال عن أهل الجمود في هذا الكتاب (١٠): «لم يكن في التراث الذي يبشرون به العروبة التي غدت قيمة أعلى الإسلام الحضاري والحضارة العربية الإسلامية مكانها بحكم ما للعرب من مكان الريادة والقيادة في الدين والدنيا بهذا المحيط الذي نعيش فيه. . بل بشروا بالتبعية للعثمانيين في عصر غدت فيه الدولة العثمانية ثوبًا مليئًا بالثغرات التي تسلل منها الغرب الاستعماري في صورة امتيازات وتسهيلات وحماية للأقليات. . إلخ حتى أصبح يلتهم ديار العروبة والإسلام إقليمًا وراء إقليم هكذا كان تراثهم الذي له يدعون وبه يبشرون» فهم مع العثمانيين. . ثم يقول في كتابه: «معارك العرب» (١٦٤) عن نهضة محمد علي: «وكان لا بد لهذه الصحوة بأن تصطدم بأعداء هذه الأمة التقليديين التخلف الممثل في السلطنة العثمانية والاستعمار الأوربي. .»، ومن المعلوم أن محمد علي قاتل (الوهابيين). فكيف يكون ذلك؟ أم أنه التناقض والتخبط الذي اعتدناه منك. لا مخرج لك إلا بأن تقول: أنا ضد الجميع فالعثمانيون والترك (متخلفون). . والوهابيون (متخلفون)، ولكن تخلف الوهابيين أقل من تخلف العثمانيين؛ لأنهم شاركوا ولو بقليل في اليقظة الإسلامية! وهذا ما أرجحه وسيأتي

دفعه. ولكن كان الأولى بالدكتور (الثوري) ـ والثورية تعني الشجاعة ـ أن يجهر بقوله ويقول: أعني بالمتخلفين والجاحدين السلفيين الذين يعيشون في مكان كذا! ومن أئمتهم فلان وفلان ومن المعاصرين فلان وفلان؛ والسبب أنهم قالوا كذا وكذا وهذا تخلف.. والصواب كذا وكذا. هذا هو المنهج السليم إذا أردت أن تنقد طائفة ما أن تذكر أقوالهم «الصحيحة» وتفندها وتدلي بقولك الذي تراه لينظر فيه.. أما الكلمات الرنانة وتخويف الأمة من السلفيين (المرعبين)! فهذا منهج (المهرجين).

٢ ـ مثال ثان على القسمة الثلاثية عند الدكتور: قال في كتاب «المعتزلة» (٦) بعد أن حذرنا كالعادة من النصوصيين السلفيين ومن المغتربين (فالسلفية النصوصية تشل بالجبر والجبرية فعاليات الإنسان فتسهم في تأييد وتأبيد التخلف السائد في عالم الإنسان ومذاهب الغرب في الحرية قد أفقدت الإنسان توازنه واتزانه وذلك عندما حولته إلى حيوان مادي أو فرد متعال أو متغرب بسبب المادية والإلحاد عن الكون الذي يعيش فيه وليس سوى مذهب الإسلام! في الحرية الإنسانية سبيلاً للخروج من هذا المأزق الذي دفعنا إليه السلفيون النصوصيون! والمتغربون». ويعني بمذهب الإسلام.. مذهب القدرية كما علمنا في مبحث «المعتزلة» فالقسمة ثلاثية: جبريون.. وغربيون متحررون.. ثم يأتي الفريق الوسط أو (المنقذ!) كما أسميناه. فهل حقًّا مذهب السلف الجبر؟ أم أن الدكتور يجهل (أو يتجاهل) ذلك كما قال شيخ الإسلام: «إذا كان اللَّه قد ذم هؤلاء الذين لا يعرفون الكتاب إلا تلاوة دون فهم معانيه كما ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون دل على أن كلا النوعين مذموم الجاهل الذي لا يفهم معاني النصوص والكاذب الذي يحرف الكلم عن مواضعه وهذا حال أهل البدع»[1].

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٧/ ٤٣٩).

لم يكن مذهب السلف الجبر أبدًا بل شنعوا على أهله وذموهم أكثر مما ذمهم الدكتور وشيوخه. قال صاحب «الطحاوية» في بيان مذهب أهل السنة في القدر: «منشأ الضلال: من التسوية بين: المشيئة، والإرادة، وبين: المحبة، والرضا، فسوّى الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا.

فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوبًا مرضيًا. وقال القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة للَّه ولا مرضية له، فليست مقدَّرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

وقد دل على الفرق بين: المشيئة، والمحبة. الكتابُ والسنةُ والفطرةُ الصحيحة. أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب، فقد تقدم ذكر بعضها. وأما نصوص المحبة والرضا فقال تعالى: ﴿**والله لا يحب الفساد**﴾، ﴿**ولا يرضى لعباده الكفر**﴾.

* وقال تعالى عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر: ﴿**كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهًا**﴾.

• وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**إن اللَّه كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

• وفي «المسند»: إن اللَّه يحب أن يؤخذ برخصه، كما يكره أن تؤتي معصيته وكان من دعائه: «**اللَّهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك**». فتأمل ذكر استعاذته بصفة الرضا من صفة السخط، وبفعل المعافاة من فعل العقوبة. فالأول: الصفة، والثاني: أثرها المرتب عليها، ثم ربط ذلك بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده لا إلى غيره، فما أعوذ منه واقع بمشيئتك وإرادتك، وما أعوذ به من رضاك ومعافاتك هو بمشيئتك وإرادتك، إن شئت أن ترضى عن عبدك وتعافيه، وإن

شئت أن تغضب عليه وتعاقبه، فإعاذتي مما أكره ومنعه أن يحل بي، هي بمشيئتك أيضًا، فالمحبوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك، فعياذي بك منك، وعياذي بحولك وقوتك ورحمتك مما يكونِ بحولك وقوتك وعدلك وحكمتك، فلا أستعيذ بغيرك من غيرك ولا أستعيذ بك من شيء صادر عن غير مشيئتك، بل هو منك. فلا يعلم ما في هذه الكلمات من التوحيد والمعارف والعبودية، إلا الراسخون في العلم باللَّه ومعرفته ومعرفة عبوديته»[(١)] .

فالقسمة عندنا ثلاثية كما هي عندك ولكنها عندك كاذبة وعندنا صادقة، فهي عندنا: جبريون.. قدريون!.. أهل سنة.

٣ ـ مثال ثالث على القسمة الثلاثية عند الدكتور: قال في كتاب «الإسلام والعروبة» (٨٦): «الأمر الذي يجعل الأمة تواجه الخطر القديم الجديد.. خطر التشرذم والانقسام الحاد في قوى الأصالة الممثلة لذاتها الحقيقية: قوميون يديرون ظهرهم للإسلام.. وإسلاميون ينفرون من العروبة كل النفور» فالقسمة عنده: قوميون ملحدون.. أو إسلاميون شعوبيون.. ثم التيار (المنقذ!) كالعادة. وقد سبق في مبحث (القومية) أن هذه القسمة باطلة وأن أحدًا من العلماء والدعاة المعاصرين لم ينفر من العروبة كل النفور كما يزعم الدكتور بل هم يتبعون النصوص الواردة في فضل العرب ولكن لا يغلون فيهم.. وكأن الإسلام لن يمضي دونهم وقد سبق بيان ذلك وبيان أن مذهب الدكتور الحقيقي في هذه القضية هو (القومية المستترة).

٤ ـ مثال رابع على القسمة الثلاثية عند الدكتور: قال في كتابه «العلمانية» (٥): «في فكرنا السياسي الحديث يلعب الخلاف حول طبيعة

(١) «الطحاوية» (ص٢٥١).

السلطة في الدولة الإسلامية دور المحور الذي يحدد الاتجاهات والتيارات فالذين يرون السياسة والدولة دينًا خالصًا ووضعًا إلهيًّا يقيسون خلافاتهم مع خصومهم بمعايير الكفر والإيمان وتكاد أن تظهر وتشيع في كتاباتهم مراسيم الغفران والحرمان.. أما الذين فصلوا الدين عن الدولة وباعدوا ما بين الرسالة والسياسة فإنهم الذين يتبنون اليوم في حياتنا الفكرية الدعوة إلى العلمانية».

فالقسمة ثلاثية عنده.. إما أن ندعو إلى السلطة الدينية (الكهنوتية) كما فعل النصارى أو أن ندعو إلى العلمانية ثم الفريق الثالثة (المنقذ!) وهو الداعي إلى (العلمانية) المستتره كما مر معنا وكما صرح الدكتور به في كتابه «تيارات الفكر» (٣٢٣) نقلاً عن مشايخه حيث قال عن أحدهم (الكواكبي): «إنه يدعو إلى دولة قومية وليس إلى دولة دينية إسلامية فهو كغيره من أعلام هذا التيار كما سبق وأشرنا إلى مذهبه ينكر وجود سلطة دينية أو كهنوتية في الإسلام».

وقال عن محمد عبده بعد أن ذكر نقده للسلطة الدينية: «.. ثم يعمم هذا الموقف العلماني العقلاني فيقيم به التاريخ الإسلامي ويقرر أن الفتوحات التي حدثت بعد ظهور الإسلام كانت فتوحات سياسية، ولم تكن بالحروب الدينية..» «نظرة جديدة» (٢٤٩).

ويقول عن شيخ مشايخه! الطهطاوي: «والطهطاوي الذي أنجز مع تلاميذه ترجمة القوانين المدنية والتجارية الفرنسية للدولة المصرية في القرن الماضي فعل ذلك من موقف عملي علماني..» «نظرة جديدة» (٢٥٣).

وأما رأي أهل السنة والدعاة الإسلاميين فلا يذكره أبدًا؛ لأنه ينادي بتحكيم شرع اللَّه في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

*** عمارة والتصوف:**

الوثنية! ويذم من يتعرض للقبور بسوء! وهذا من أعجب ما رأيت له

قال في كتاب «التراث» (١٥٦): «هل إذا قدر لتراث المصريين في التوحيد الديني أن يظهر وينشر وتسلط عليه الأضواء هل ستظل مكانه اللاهوت العبراني كما هي في دوائر الفكر العالمي؟ مكانة الرائد الذي يمثل أقدم النصوص المكتوبة في عقيدة التوحيد؟.. كلا وتلك واحدة من مهام الفكر العربي في صراعه ضد الصهيونيين» فهو يطالب بإحياء (توحيد!) الفراعنة لتغتاظ إسرائيل!.. قلت: بل لتفرح!، ويقول في كتاب «الإسلام وفلسفة الحكم» (٥٨٢) عن المتوكل العباسي: «كما عم انقلاب المتوكل العباسي المعتزلة بالاضطهاد فلقد شمل به الشيعة العلويين كذلك فالأمويون قد قتلوا الحسين والمتوكل هدم قبره وسواه بالتراب ثم حرث أرضه وزرعها كي لا يزوره أحد من الناس»، فهو ينكر على المتوكل إحياءه للسنة في هدم القبور المرتفعة ومنع الناس من الافتتان بها لا سيما إذا كانوا من جهلة الشيعة، وقد كان الأولى بالسلفي أن يمدحه لا أن يذمه.

٤ ـ ومما يشهد بعدم سلفية الدكتور مدحه للتصوف الفلسفي ورجاله وهو يعلم أنه لا لقاء بين السلفية والتصوف الفلسفي الذي يقوم على مبدأ (وحدة الوجود) و(الحلول) فاسمعه يقول عن الأفغاني ـ متأثرًا به ـ: «وهو فيما يتعلق بالموقف من التراث الصوفي في الفكر الإسلامي كان أقرب إلى التصوف العقلاني ـ إن جاز التعبير ـ منه إلى التصوف العملي القائم على التنسك والتذوق والحدس.. فمعروف عنه تقديره الكبير للشيخ محيي الدين ابن عربي الذي يعد من أبرز أعلام التصوف الفلسفي في الفكر الإسلامي» «نظرة جديدة» (٢٤٧).

هذا غيض من فيض.. وقطرة من بحر مما لدى الدكتور من أفكار وكلمات تصادم المنهج السلفي فكيف يزعم أنه من رجاله؟

هم الرجال وعيب أن يقال لمن لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

* الوهابية والسلفيون ومحمد عمارة:

١ ـ الوهابية: يرى الدكتور عمارة أن الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه اللَّه ـ «دعا إلى العودة لإسلام شبة الجزيرة الأول إسلام ما قبل عصر الفتوحات ذلك الذي يكفي الإنسان منه النصوص دونما حاجة إلى العقلانية الكلامية أو الفلسفية وما أثمرت من قياس ورأي وتأويل» «الطريق» (١٦٠).

وإنه: «هاجم القياس حتى ولو كان صحيحًا وأعرض عن التأويل في فهم النصوص وتفسيرها وأعلن أن الرأي لا وزن له بجانب النصوص» «الطريق» (١٦١).

وأن الوهابية: «حركة تجديد سلفية نشأت في بيئة عربية بسيطة لم تعرف الفكر المركب لخلوها من تعقيدات الحضارة وأنماطها الفكرية المركبة فكانت صورة إسلامها هي صورة الإسلام العربي الأول في عصر صدر الإسلام» «الطريق» (١٦٣).

«كانت الوهابية كامتداد للفكر السلفي إسهامًا في الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية وإن تكن بداوة بيئتها وفقر الفكر الفلسفي عند أعلامها قد جعل إسهامها على هذه الجبهة متمثلاً في رفض التبعية الفكرية مع العجز عن الإبداع في بلورة البديل وتطويره» «الطريق» (١٦٥).

و«الوهابية بسبب من بداوة البيئة التي نشأت بها قد اتخذت موقفًا غير ودي من العقلانية ومن التمدن» «الطريق» (١٦٦)، ولذلك يقول محمد عبده عنها: «لم يكونوا للعلم أولياء ولا للمدنية أحباء» «الطريق» (١٦٧).

ولقد «عجزت عن تلبية حاجات البيئات العربية الإسلامية المتحضرة ذات الفكر المركب والطور الحضاري المتقدم» «الطريق» (١٦٧).

ولهذا «ظلت دعوة ودولة في شبة الجزيرة وحدها ودون أن تتعداها» «العرب والتحدي» (١٥١).

☐ هذه أبرز النقاط التي يعرضها الدكتور عن (الوهابية) أو التي حكم بها عليها ويمكن أن نرجعها إلى قسمين: قسم يمدح فيه الوهابية وقسم يذم فيه الوهابية.. فهو يمدحها لأنها:

١ ـ حركة تجديد سلفية أعادت للتوحيد نقاءه وحاربت الخرافة.

٢ ـ حركة انتصرت للعروبة في مواجهة الدولة العثمانية.. وهذا فهم خاطئ فهي حركة (إسلامية ـ سلفية).. ولم تكن (عربية) بالمعنى الذي يريد الدكتور؛ لأنها لم تحارب الدولة العثمانية لأجل (العروبة) بل لأجل انحراف دولة الخلافة عن التوحيد وانتشار الشرك والبدع بين أفرادها وتقريبها للطرقية والجامدين من المقلدة.

قال الأستاذ (محمد جمعة) رادًا على الدكتور في هذه القضية: «الدعوة السلفية إذًا لم تصطدم بالعثمانيين لمجرد أنهم عثمانيون غير عرب؛ بل لأن العثمانيين قد أجازوا كثيرًا من البدع الشركية التي قامت الدعوة من أجل محاربتها ثم لأن العثمانيين هم الذين بدأوا الدولة السعودية الأولى والدعوة السلفية بالقتال فالمعروف تاريخيًا أنه لم يكن هناك أي وجود حقيقي للعثمانيين في نجد أيام قامت الدعوة بل ربما أن العثمانيين لم ينتبهوا أو يهتموا بقيامها ولكن حين رأوها تنشط وتتوسع خافوها فحرضوا ولاتهم في العراق والشام على محاربتها فلما عجزوا كلفت الدولة العثمانية واليها على مصر (محمد علي) بذلك» «مقال تصحيح وإيضاح» مجلة الهلال اغسطس ١٩٨٣).

*** وهو يذم الوهابية لأنها:**

١ ـ عادت العقلانية والفلسفة وعلم الكلام.

٢ ـ عجزت عن تلبية احتياجات البلاد الأخرى في التمدن.

٣ ـ لأنها بدوية.

٤ ـ لأن الإمام محمد بن عبدالوهاب هاجم القياس.

٥ ـ لأنها عنيفة فلذلك لم تصل إلى بلاد أخرى.

❑ ونقول له:

يا ناطح الجبل العالي لتكلمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

❑ ولله در القائل:

متى يصل العطاش إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا

ومن يثني (الأصاغر) عن مراد وقد جلس الأكابر في الزوايا

*** محمد عمارة وبعض الأسماء:**

١ ـ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

❑ قال الدكتور: «إن المعتزلة قد ربطوا باستمرار بين نظرية الجبر وبين السلطة الأموية ورأوا أن لهذه الأفكار الجبرية أبعادًا سياسية في المجتمع بل اتهموا معاوية بن أبي سفيان بأنه أول من أشاع هذا اللون من الفكر حتى يدعم سلطته وسلطانه ويوهم الناس أن انتقال الخلافة إليه وإلى أهل بيته إنما هو قدر اللّه وقضاؤه الذي يجب التسليم به والرضا عنه» «المعتزلة» (١٥١).

«فمعاوية.. قد حاول استخدام عقيدة الجبر كي يبرر انتقال السلطة له وتغير طبيعتها على يديه» «الإسلام وفلسفة الحكم» (١٥٨).

ويقول: «دولة بني أمية وحكامها وولاتها يحكم عليها المعتزلة في الجملة بالضلال والفسق؛ لأنها قامت على ذنب من الذنوب الكبائر وهو تحويل الخلافة الشوروية إلى ملك وراثي عضود ولأنها مارست من المظالم والكبائر ما امتلأت به صحائف آثار كثيرة من كتب أهل الاعتزال» «الإسلام وفلسفة الحكم» (٥١٠).

لقد اتهمه هذا الدكتور (الظالم) تبعًا لمشايخه الكذابين من المعتزلة بأنه

رضي الله عنه أول من ابتدع (الجبر) في الإسلام! حفاظًا على منصبه وولايته! والدليل عنده «قال الجبائي: أول من قال بالجبر وأظهره معاوية» «المعتزلة» (١٥١)، ومثله عن ابن المرتضى. أفيقبل مسلم عاقل طعن هؤلاء المبتدعة المغضوب عليهم في أفضل الأمة؟ وقد أخبرناك بعض أقوالهم الآثمة في ذلك. أيُعَدَّل الفاسق ويُفَسَّق العدل؟ قال ﷺ: «**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم**» «مختصر مسلم» (١٠٥٣) فهذه دعاوى من أشباه «الرافضة» قد استقوها منهم لا تقبل إلا ببينة صادقة. ثم يقال: إن أول من أظهر (الجبر) ونشره بين الناس هو (الجهم بن صفوان) كما هو معروف عند أهل الفرق وهو أحد الرجال الذين أثروا في المعتزلة! قال الشهرستاني: «الجهمية أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة»[١].

٢ ـ الحسن البصري:

□ قال الدكتور: «إن المعتزلة يذكرون الحسن البصري في الطبقة الثالثة من طبقات رجالهم وهي الطبقة التي فيها التابعون ويثبتون له رسالته التي كتبها في القدر ردًا على رسالة عبدالملك بن مروان، ولكن هناك من يشككون في هذه النسبة فيقولون: كان أهل القدر ينتحلون الحسن بن أبي الحسن وكان قوله مخالفًا لهم وهناك من يقول: إنه قال بالقدر ثم عدل ورجع عن القول به. ولكن الدراسة لأسس هذا الخلاف حول الحسن البصري تؤكد أن الرجل كان من أئمة الذين قالوا بالقدر على مذهب العدل» «الإسلام وفلسفة الحكم» (١٥٩) «مسلمون ثوار» (١٥٥).

ويقول: «الحسن كان بلا جدال ولا شك من أوائل الذين قالوا بالقدر على مذهب المعتزلة أهل العدل والتوحيد.. كل ما في الأمر أنه قد اختلف

---

(١) «الملل» (١/ ٧٣).

معهم في أصل آخر هو المنزلة بين المنزلتين وفي قضايا أخرى مثل قضية تجريد السيف والخروج المسلح ضد بني أمية. . وعلى ضوء هذه الحقيقة نفهم ذكر المعتزلة للحسن في الطبقة الثالثة من طبقات رجالهم ونفهم قول الذين أرخوا لفرق المعتزلة عندما يذكرون (فرقة الحسنية) - نسبة للحسن - كإحدى فرق المعتزلة» «الإسلام وفلسفة الحكم» (١٦٠).

◘ قلت: ابتلي الحسن - رحمه الله - بطائفتين من أهل البدع كلتيهما تجعله أصلاً لبدعتها. . الطائفة الأولى هي (المعتزلة) كما ذكر الدكتور والطائفة الثانية هم (الصوفية). . قال الصوفي الشعراني في كتاب « اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»: «وقد كان الحسن البصري وكذلك الجنيد والشبلي وغيرهم لا يقررون علم التوحيد إلا في قعور بيوتهم بعد غلق أبوابهم وجعل مفاتيحها تحت وركهم ويقولون: أتحبون أن ترمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتانًا وظلمًا»[1].

وكل يدعـي وصـلاً (بحسن) و(حسن) لا يقر لهم بذاك

بل يقر - رحمه الله - لأهل السنة. لأنه أحد رموزهم الأكابر ولكنه جمع بين العلم والزهد والكلام (الحسن) فظنت كل طائفة أنه يعنيها وأما اتهامه بالقدر فتهمه قد برأه الله منها قال ابن سيرين: «كانوا يأتون الشيخ - يعني الحسن - بكلام مجمل لو فسروه له لساءهم»[2].

◘ وقال أبو سعيد الأعرابي: «كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء فيتكلم في الخصوص حتى نسبته القدرية إلى الجبر وتكلم في الاكتساب حتى نسبته السنة إلى القدر كل ذلك لافتنانه وتفاوت الناس عنده وتفاوتهم في

(١) «الكشف عن حقيقة الصوفية» لمحمود القاسم (ص٨٥).
(٢) «السير» (٤/ ٥٨٢).

الأخذ عنه وهو بريء من القدر ومن كل بدعة»(١).

٣ ـ ابن عربي الصوفي:

□ قال الدكتور: «ابن عربي ـ في التصوف الفلسفي ـ قمة القمم، لا في حضارتنا العربية الإسلامية فقط، بل وعلى النطاق الإنساني. وهو بمقياس «السلفية المحافظة» أو «الفقهاء» وثني زنديق.

والذين يلقون نظرة على تيارات الفكر الإسلامي يجدون الفكرة ونقيضها، والمدرسة وضدها والمقولة وما ينقضها أو يعاديها.. قام ذلك في كل شيء، حتى في تصور الذات الإلهية، نجد «المنزهة» أصحاب التجريد، ونجد (المشبهة) الذين يفضي قولهم إلى ألوان من التجسيد أو الحلول أو الاتحاد إلخ.. والذي أعتقده وخاصة في مثل عصرنا ـ أن الاستنارة يجب أن تجعلنا ننظر للاختلافات في الآراء، والتعدد في التصورات، كمصدر للغنى الفكري والثراء الثقافي.. وإذا لم يكن مفر من الاختلاف، فلنجعله في إطار (الخطأ والصواب)، وليس في إطار (الكفر والإيمان)، فلا كهانة في الإسلام، ولا سلطة لبشر، حتى الرسل، على ضمائر الناس وقلوبهم.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن مصادرة ابن عربي، أو غير ابن عربي، تصبح قضية وفعلة بينة الشذوذ خصوصًا وأنها تأتي من أناس لا علاقة لهم بالفكر الذي يصادرونه لأنه باعتراف علية المتخصصين ـ فكر يستعصي على كثير من الخواص، فضلاً عن العوام.

إن ابن عربي في التصوف الفلسفي، أشبه ما يكون باينشتين ونسبيته في العلوم، فمن في مجلس الشعب يستريح ضميره للحكم في مثل هذه الأمور؟» «التراث» (٢٩١).

---

(١) «السير» (٤/ ٥٨٢).

❑ أما عند أهل السنة فقال شيخ الإسلام: «آل الأمر بملاحدة المتصوفة كابن عربي صاحب فصوص الحكم وأمثاله إلى أن جعلوا الوجود واحداً وجعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق. وهذا تعطيل للخالق وحقيقة قوله فيه مضاهاة لقول الدهرية الطبيعية الذين لا يقرون بواجب أبدع الممكن وهو قول فرعون، ولهذا كانوا معظمين لفرعون ثم إنهم جعلوا أهل النار يتنعمون فيها كما يتنعم أهل الجنة فكفروا بحقيقة اليوم الآخر ثم ادعوا أن الولاية أفضل من النبوة..»(١).

٤ ـ عمرو بن عبيد:

❑ قال الدكتور عنه: «علامة بارزة على طريق تطور العقل العربي المسلم.. وعلم من الأعلام الذين صنعوا النشأة الأولى للتيار العقلاني في تراثنا قبل أن تعرف العربية حركة الترجمة عن اليونان وثائر في سبيل العدل والشورى تميز نظره بنظرة خاصة لقضية الثورة ركزت على ضرورة الاستعداد والتمكن والإعداد ورفضت الفوضى والتمردات ومع ذلك فهو زاهد ناسك عابد سلكه الزهاد والمتنسكون في سلك أئمتهم كما تزينت باسمه صحائف الفلاسفة والمتكلمين والثوار. فلقد ذهب إلى بيت الله الحرام ـ من البصرة ـ إلى الحج ماشيًا على قدميه أربعين مرة في أربعين سنة ومعه راحلته ـ جمله ـ مخصصًا إياه لركوب الفقراء والضعفاء» «التراث» **(٢٧)**.

٥ ـ غيلان الدمشقي:

❑ قال الدكتور: «غيلان الدمشقي إنسان إذا شئنا أن نلخص حياته والعطاء الذي قدمته نفسه في هذه الحياة في كلمات شديدة الاختصار استطعنا أن نقول: إنه كان موقفًا ثوريًا من كل سلبيات الحياة في العصر الذي عاش

(١) «درء التعارض» (٥/ ٤).

فيه» «مسلمون ثوار» (١٤٢).

وقال: «طلب من الخليفة ـ أي عمر بن عبدالعزيز ـ أن يجعله قائمًا على رد المظالم والأموال المغتصبة من الأمة والتي كان الخلفاء والأمراء الأمويون قد احتازوها منذ علا نجمهم في خلافة عثمان بن عفان.. فقال غيلان الدمشقي للخليفة: ولني بيع الخزائن ورد المظالم. فولاه هذه المهمة وعهد إليه بتلك المسئولية» «مسلمون ثوار» (١٤٧).

وقال: «كانت حياة غيلان نموذجًا فريدًا يجسد الموقف الثوري من سلبيات مجتمعه كذلك كان مماته نموذجًا فريدًا يجسد سلبيات هذا المجتمع ويدين هذه السلبيات» «مسلمون ثوار» (١٤٩).

□ قلت: قال ابن حبان: «كان داعية إلى القدر قتل وصلب بالشام لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به لبدعته التي كان يدعو إليها وقتل عليها».

ثم روى بسنده إلى إبراهيم بن أبي عُلية قال: «كنت عند عبادة بن نسي فأتاه آت فقال: إن أمير المؤمنين هشامًا قد قطع يدي غيلان ورجليه فصلبه. قال: ما تقول؟ قال: قد فعل. قال: أصاب والله فيه القضاء والسنة ولأكتبن إلى أمير المؤمنين ولأحسنن له رأيه»(١).

□ قال الذهبي: «غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر ضال مسكين»(٢).

وقال ابن حجر: «قال ابن المبارك: كان من أصحاب الحارث الكذاب وممن آمن بنبوته فلما قتل الحارث قام غيلان إلى مقامه. وقال له خالد بن اللجلاج: ويلك ألم تك في شبيبتك ترامي النساء بالتفاح في شهر رمضان ثم صرت خادمًا تخدم امرأة الحارث الكذاب المتنبي وتزعم أنها أم المؤمنين ثم

(١) «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٢٠).
(٢) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٣٣٨).

تحولت فصرت زنديقًا ما أراك تخرج من هوى إلا إلى أشر منه. وقال له مكحول: لا تجالسني. وقال الساجي: كان قدريًّا دعا عليه عمر بن عبدالعزيز فقتل وصلب وكان غير ثقة ولا مأمون كان مالك ينهى عن مجالسته. قلت ـ أي ابن حجر ـ: وكان الأوزاعي هو الذي ناظره وأفتى بقتله»[1].

٦ ـ ابن جني:

☐ قال الدكتور عنه: «الرائد العملاق» «نظرة جديدة» (٦٨).

وقال: «كان ابن جني كما أعتقد ثمرة للعقل العربي الذي سار مجتمع البصرة في القرن الرابع الهجري وإضافة خلاّقة لهذا العقل» «نظرة جديدة» (٦٩).

وقال: «لقد كان ـ أحد تلامذة مدرسة بصرية امتازت باعتمادها على العقل وثقتها في قدرته إلى أبعد الحدود.. ألا وهي مدرسة الاعتزال» «نظرة جديدة» (٧٣).

٧ ـ محمد علي:

☐ قال الدكتور عنه: «ارتادت مصر للشرق والوطن العربي عصر التنوير واليقظة والنهضة في ظل الدولة المدنية الحديثة التي أسسها محمد علي باشا الكبير» «التراث» (١٨٩).

ويخصص الدكتور مبحثًا كاملاً في كتابه «العلمانية» للدفاع عن اتهامات (لويس عوض) لمحمد علي.

٨ ـ ثورة الزنج:

خصص الدكتور مبحثًا كاملاً من كتابه «الإسلام والثورة» للحديث عن ثورة الزنج، وكان مما قال: «كان قائد هذه الثورة ـ علي بن محمد بن أحمد ابن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ

(١) «لسان الميزان» ـ لابن حجر (٤/ ٤٢٤).

شاعرًا وعالمًا يمارس في (سامراء) تعليم الخط والنحو والنجوم وكان واحدًا من المقربين إلى الخليفة المنتصر باللَّه» (٢٦٠).

«بالرغم من اشتهار هذه الثورة (بثورة الزنج) إلا أنها لم تكن ثورة عنصرية ولا خاصة للزنج وحدهم ولم تقف أهدافها عند المطالبة بتحرير العبيد أو تحسين ظروف عملهم.. فقائد هذه الثورة عربي وعلوي - رغم تشكيك خصومه في صحة نسبه العلوي - وأغلب قوادها كانوا عربًا» (٢٦٠).

ودولة علي بن محمد التي يسعى لها: «تعمل من أجل نظام اجتماعي هو أقرب إلى النظم الجماعية التي يتكافل فيها ويتضامن مجموع الأمة» (٢٦٤)! يعلق الدكتور على هذا الموضع قائلاً: «يشبه نظام الملك الفلسفة الاجتماعية والتنظيم المالي لثورة الزنج بالمزدكية التي قامت على الاشتراك العمومي في ثروة المجتمع» (٢٦٤). فهلاّ شبهتها بالاشتراكية الحديثة!؟.

وأما في كتاب «نظرة جديدة» فقال: «إن ثورة الزنج قامت بجنوب العراق ضد نظام الحكم العباسي وشاركت فيها جماهير الفلاحين الفقراء مع العبيد الأرقاء والأقنان الذين كانوا يعملون في تخليص مزارع الأغنياء وكبار الملاك من ملوحة مياه الخليج.. وكانت لهم أفكار اجتماعية متقدمة وبطولات ثورية في ثورتهم هذه ضد النظام الاجتماعي والسياسي الذي ساد بغداد..» (١٨) وفي كتاب «التراث في ضوء العقل» يقول عنها: «لم تكن ثورة عنصرية عرقية قام بها الزنج العبيد ضد العرب الأشراف كما يزعم ذلك بعض المستشرقين وإنما كانت ثورة عامة للذين اختاروا الصراع العنيف طلبًا للعدل والحرية ورفضًا لسيطرة الأعاجم الأتراك على الخلفاء العباسيين واستئثارهم بخيرات البلاد، وإذا كان لهذه الثورة شرف القتال لتحرير العبيد في ذلك الوقت المبكر من تاريخنا - وهو ما يشرف هذا التاريخ فإن هذا الشرف لم يكن هدفها الوحيد» (٢٢٠).

❑ قلت: الدكتور معجب أشد الأعجاب بثورة الزنج، وإذا عرف

السبب بطل العجب فهي أولاً ثورة زيدية والزيدية كما علم شقائق المعتزلة. وثانيًا: هي ثورة (اشتراكية) تدعو إلى الاشتراكية في المال ومساواة العبيد بغيرهم كما يوهم كلام الدكتور. فهل هي حقًّا كذلك؟ وهل يستحق أهلها أن يسموا (ثوارًا)؟ أم هم شراذم من قطاع الطريق والمفسدين في الأرض؟ انظر «الفتنة السوداء أو ثورة الزنج» للأستاذ محمد جمال.

٩ ـ الدكتور عمارة وعبدالله بن سبأ:

☐ قال الشيخ سلمان العودة في كتابه «عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام».

«ويرى الدكتور محمد عمارة أن ابن سبأ أقرب إلى الخرافة»[1].

١٠ ـ الحشوية:

نبز بها الدكتور محمد عمارة السلفيين أهل السنة والجماعة، ودمغ فكر أهل السنة بالحشو اتباعًا لشيوخه (الثقات) من أهل الاعتزال قال: «أطلق هؤلاء المجبرة على أنفسهم اسم أهل السنة وأهل الجماعة وشاعت عند عامة المسلمين وجماهيرهم التفسيرات التي تجعل كلمة السنة بمعنى سنة الرسول ﷺ وتجعل كلمة الجماعة منصرفة إلى جماعة المسلمين ولكن المعتزلة يسمون هذه الفرقة بالجبرية والمجبرة والمجورة وأهل الحشو» «المعتزلة» (٢٩).

وقال: «المعتزلة يسمون هذه الفرقة (أي أهل السنة) بالحشوية وأهل الحشو ويقولون عنهم أنهم يسمون أنفسهم بأنهم أصحاب الحديث وأنهم أهل السنة والجماعة وهم بمعزل من ذلك وليس لهم مذهب معروف! ولا كتاب تعرف منهم مذاهبهم! إلا أنهم مجمعون على الجبر والتشبيه ويدعون أن أكثر السلف منهم وهم براء من ذلك وينكرون الخوض في الكلام والجدل ويقولون على التقليد وظواهر الروايات» «المعتزلة» (٣٤).

---

(١) «عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام» للعودة (ص٨٩) ـ دار طيبة.

وأما أهل السنة والسلفيون من الأئمة فقد ردوا هذا اللقب ولم يقبلوا إطلاقه عليهم؛ لأنه من الألقاب التي يقصد بها التنفير عن الحق. كما قال الشاعر:

تقول ذا جنى النحل تمدحه ... وإن شئت قلت ذا قيء الزنابير

مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

قال ابن القيم: «هكذا شأن كل مبتدع وملحد، وهذا ميراث من تسمية كفار قريش لرسول اللَّه ﷺ وأصحابه الصبأة، وصار هذا ميراثًا منهم، لكل مبطل وملحد ومبتدع، يلقب الحق وأهله بالألقاب الشنيعة المنفرة.

وإذا قالوا: حشوية، صوروا في ذهن السامع قومًا قد حشوا في الدين ما ليس منه، وأدخلوه فيه، وهو حشو لا أصل له. فتنفر القلوب من هذه الألقاب وأهلها، ولو ذكروا حقيقة قولهم، لما قبلت العقول السليمة، والفطر المستقيمة سواه واللَّه يعلم وملائكته ورسله وهم أيضًا أنهم براء من هذه المعاني الباطلة. وأنهم أبعد الخلق منها، وأن خصومهم جمعوا بين أذى اللَّه ورسوله، بتعطيل صفاته، وبين أذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقعدوا تحت قوله: ﴿**إن الذين يؤذون اللَّه ورسوله لعنهم اللَّه في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينا * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا**﴾»(١).

وقال في موضع آخر: «ما ذنب أهل السنة والحديث إذا نطقوا بما نطقت به النصوص وأمسكوا عما أمسكت عنه ووصفوا اللَّه بما وصف به نفسه ووصفه رسوله وردوا تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين الذين عقدوا ألوية الفتنة

(١) «الصواعق» لابن القيم (٣/ ٩٥٠).

وأطلقوا عنه المحنة وقالوا على اللَّه وفي اللَّه بغير علم فردوا باطلهم وبينوا زيفهم وكشفوا إفكهم ونافحوا عن اللَّه ورسوله فلم يقدروا على أخذ الثأر منهم إلا بأن سموهم مشبهة ممثلة مجسمة حشوية»[١].

وقال أبو حاتم الرازي: «علامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية»[٢].

١١ - نهج البلاغة:

يعتمد الدكتور عمارة كثيرًا في كتبه على كتاب «نهج البلاغة» للشريف المرتضي بدعوى أنه يحتوى على خطب وكلمات لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وتجده ينقل من هذا الكتاب الروايات والآثار والخطب العديدة المخالفة لمنهج أهل السنة والتي تحتوي على طعون في الصحابة الأجلاء ممن لا تواليهم الشيعة[٣]، ويأخذ الدكتور ذلك كله مسلمًا به.. بل يبني عليه أحكامه وإن لم يبن أحكامه فكفى به إثمًا أن ينشر مثل تلك الروايات الفادحة في صحابة رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ليقرأها العالم والجاهل في كتبه فتكون بابًا لسوء الظن بهم أو زلل اللسان عليهم. فمثلاً هو يقول عن معاوية رضي الله عنه في تصوير مدى عدائه للأنصار!! «لم ينس معاوية ولا الأمويون للأنصار موقفهم هذا ففي عهد معاوية وفدت جماعة من الأنصار على رأسهم النعمان بن بشير يشكون الفقر وضيق العيش وقالوا له: لقد صدق رسول اللَّه في قوله لنا: ستلقون بعدي أثرة. فقد لقيناها، فقال لهم معاوية: فماذا قال لكم؟ قال لنا: فاصبروا حتى تردوا على الحوض قال فافعلوا ما أمركم به عساكم أن تلاقوه

(١) «الصواعق» (١/ ١٣٧).

(٢) «اللالكائي» (١/ ١٨٢).

(٣) كعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم.

غداً عند الحوض كما أخبركم! وحرمهم ولم يعطهم شيئًا» «الإسلام وفلسفة الحكم» (٣٨١).

مرجعك يا دكتور؟.. «شرح نهج البلاغة» (٦/ ٣٢)!!!.

روايات كثيرة يسردها الدكتور العقلاني وينشرها في كتبه خاصة ما يتعلق منها بالصحابة ﭬ فيها الألفاظ الجارحة والحزازات والحقد والغدر والخيانة والظلم لآل البيت وتجبر الأمويين والأغنياء المترفين والفقراء المساكين إذا قرأتها تشعر أنك تقرأ عن حفنة من اللصوص والمتصارعين على السلطة كما نرى في زماننا فتنكر قلبك بعدها وتستغفر اللَّه أنك قرأتها فما بالك بمن تجرأ فنقلها وشهرها.. ثم ما بالك بمن كذبها؟ وليت الدكتور كان غافلاً عن رأي أهل السنة في هذا الكتاب ولكن اسمعه يقول: «إن المعارضين لفكر الشيعة في علم الإمام يستطيعون أن يشككوا في نسبة هذه العبارة لعلي بن أبي طالب؛ لأن نهج البلاغة قد جمعه الشريف الرضي نقيب الطالبيين ورأس الشيعة الإمامية في عصره» «الإسلام وفلسفة الحكم» (٣٨١).

ويقول: «الذين يطالعون نهج البلاغة المنسوب للإمام علي بن أبي طالب - والذي نعتقد بصدق نسبته إليه..» «تيارات الفكر» (٢١٨).

❑ قلت: قال الذهبي في الشريف المرتضي: «هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي ﭬ ولا أسانيد لذلك وبعضها باطل وفيه حق ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها. ولكن أين المنصف؟ وقيل بل جمع أخيه الشريف الرضي»[١].

وقال أيضًا: «من طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي ﭬ ففيه السب الصريح والحط على السيدين أبي بكر وعمر

(١) «السير» (١٧/ ٥٨٩).

رضي الله عنه وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفه بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل»(١).

قال شيخ الإسلام: «أهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب قديم ولا لها إسناد معروف فهي بمنزلة من يدعي أنه علوي أو عباسي ولا نعلم أحدًا من سلفه ادعى ذلك قط فيعلم كذبه، فإن النسب يكون معروفًا من أصله حتى يتصل بفرعه. وفي هذه الخطب أشياء قد علم يقينًا من علي ما ينقاضها ولم يوجب اللّه على الخلق أن يصدقوا بما لم يقم دليل على صدقه، وإن ذلك من تكليف ما لا يطاق»(٢).

وقال السيد محب الدين الخطيب تعليقًا على هذا القول: «أكثر التزوير الذي عني به الرضي وأخوه المرتضي في نهج البلاغة يدور على الشيء الذي له أصل فيضيفان إليه ما لم يكن له أصل من أمثال لقد تقمصها فلان بينما الصحيح الثابت بالسند عن علي هو جميل الثناء على فلان فيقع التناقض بين قوله المستقيم الثابت عنه وبين القول الملتوي المعزو إليه بلا سند ولا دليل على صحته فأساءوا إلى علي بإظهاره متناقضًا ومتحاملاً وأنانيًا وحاشا للّه أن يكون كذلك»(٣).

١٢ ـ الدولة العبيدية:

خصص الدكتور كما علمنا كتابًا كاملاً في تمجيد الدولة العبيدية الرافضية وعدّ توليها على مصر اكتمالاً لعروبتها.. وفي هذا تفضيل لها على

---

(١) «الميزان» (٣/ ١٢٤).

(٢) «المنتقى» (٤٣٠).

(٣) المصدر السابق.

ما سبقها من حكم إسلامي ومن ضمنه حكم الخلفاء الراشدين بعد عمر ﷺ ! والذي زاد إعجاب الدكتور بهذه الدولة الرافضية أنها جعلت (مصر) مركزًا لها بعد أن كانت مجرد ولاية تابعة لدولة الخلافة. . فقد اختلطت عنده (الوطنية) بالنزعة (الشيعية) في هذا الكتاب.

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ: «كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسرًا، فصاروا كأمس الذاهب ﴿**كأن لم يغنوا فيها**﴾. وكان أول ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حدادًا اسمه عبيد، وكان يهوديًّا فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيداللَّه، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه إنه المهدي كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعمائة كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم، والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصولة، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهدية نسبة إليه، وصار ملكًا مطاعًا، يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض. ثم كان من بعده ابنه القائم محمد، ثم ابنه المنصور إسماعيل، ثم ابنه المعز معد، وهو أول من دخل ديار مصر منهم، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران، ثم ابنه العزيز نزار، ثم ابنه الحاكم منصور، ثم ابنه الطاهر علي، ثم ابنه المستنصر معد، ثم ابنه المستعلي أحمد، ثم ابنه الآمر منصور، ثم ابن عمه الحافظ عبدالمجيد، ثم ابنه الظافر إسماعيل، ثم الفائز عيسى، ثم ابن عمه العاضد عبداللَّه وهو آخرهم، فجملتهم أربعة عشرة ملكًا، ومدتهم مائتان ونيف وثمانون سنة، وكذلك عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضًا، ولكن كانت مدتهم نيفًا وثمانين سنة، وقد نظمت أسماء هؤلاء وهؤلاء بأرجوزة تابعة لأرجوزة بني العباس عند انقضاء دولتهم ببغداد، في سنة ست وخمسين وستمائة، كما سيأتي.

وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً، وكانوا من أعتى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكمالها، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشويك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وأنطاكية وجميع ما والى ذلك، إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقًا وأممًا لا يحصيهم إلا اللَّه، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار الإسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق، ولكن اللَّه سلم، وحين زالت أيامهم وانتقض إبرامهم أعاد اللَّه عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته» (١).

*** محمد عمارة عقلاني مستنير كما يقول ليس على منهج أهل السنة والجماعة:**

لقد انتقل الدكتور عمارة من تيار الفكر الماركسي الشمولي إلى تيار اليسار الإسلامي، أو تيار الأفغاني أو التيار الحضاري أو التيار المستنير أو العقلانية الإسلامية المعاصرة.. سَمِّه ما شئت من هذه الأسماء فهي تصدق عليه.

أما إنه عاد إلى الإسلام بمعناه الصحيح وهو منهج أهل السنة

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٢٨٦)، وانظر إلى ما كتبه أيضًا في سنة ٤٠٢هـ.

والجماعة.. فلا والله! لم يعُد.

وهذه الدراسة خير شاهد على ذلك.

فإن قلت: لعل الدكتور قد تراجع عن التعلق بهذا التيار أيضًا ورجع إلى منهج الحق. فحاله كحال الأشعري في تنقلاته الثلاث.

فأقول: لا! لم يصنع ذلك.

ويشهد لهذا أمور قد ذكرت بعضها عند الحديث عن مقالاته في اليمامة.. ومنها:

١ ـ أن كتبه التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة لا زالت تطبع دون تغيير أو تنبيه على مثل هذا التراجع المزعوم.. فقد طبع (تيارات الفكر) وغيره طبعة جديدة في العام الماضي وما قبله.

٢ ـ أن الدكتور قد جمع أفكاره المعتادة التي يرددها دائمًا وضمّنها واحدًا من أواخر ما كتب وهو «معالم المنهج الإسلامي» الذي طبعه المعهد العالمي للفكر الإسلامي محتسبًا الأجر والنصح للمسلمين!!.

٣ ـ أنه يردد هذه الأفكار كثيرًا في مقالاته ومقابلاته كما نقلت ذلك عنه مرارًا.. وتابع مجلة المجتمع أو جريدة المسلمون تنبئك بصدق ادعائي! فهما لا تبخلان علينا بين الحين والآخر تبشران الأمة بمشروع عمارة الحضاري. والذي سينقذنا من مستنقعات التخلف التي يجرنا إليها.. النصوصيون المتزمتون الجامدون..! فلعلهما يتبصران الأمر بعد هذه الدراسة.

٤ ـ أن الدكتور الشاعر عبدالرحمن العشماوي.. قد أيدني في هذا عندما ردّ على الدكتور بعض أفكاره الجريئة.. وذلك عندما قال: «قيل عن الرجل ما قيل من أنه قد تراجع عن بعض آرائه العقلانية التي طرحها في كتبه..»، ثم قال: «ثم إنني ما كدت أنتهي من حوار (المسلمون) الذي

أشرت إليه حتى برزت أمامي صورة الرجل بملامحه القديمة»[١] .

□ قلت: فالرجل هو الرجل لم يتراجع عن (أي) شيء من أفكاره (المستنيرة) فيشترط لتوبته ما قاله ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «. . فتوبة هؤلاء الفساق من جهة الاعتقادات الفاسدة: بمحض اتباع السنة. ولا يكتفى منهم بذلك أيضًا حتى يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة. إذ التوبة من ذنب هي بفعل ضده. ولهذا شرط اللَّه تعالى في توبة الكاتمين ما أنزل اللَّه من البينات والهدى: البيان؛ لأن ذنبهم لما كان بالكتمان، كانت توبتهم منه بالبيان. قال اللَّه تعالى: ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم اللَّه ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأؤلئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم**﴾ وذنب المبتدع فوق ذنب الكاتم؛ لأن ذاك كتم الحق. وهذا كتمه ودعا إلى خلافه. فكل مبتدع كاتم ولا ينعكس»[٢].

قلت: ويضاف إلى هذا الشرط (التبيين) الشروط المعلومة في التوبة (ترك الفعل ـ الندم ـ العزم على عدم العود) ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ: «القول على اللَّه بلا علم صريح افتراء الكذب عليه (ومن أظلم ممن افترى على اللَّه كذبًا؟) فذنوب أهل البدع كلها داخلة تحت هذا الجنس فلا تتحقق التوبة إلا بالتوبة من البدع. وأنى بالتوبة منها لمن لم يعلم أنها بدعة، أو يظنها سنة، فهو يدعو إليها، ويحض عليها؟ فلا تنكشف لهذا ذنوبه التي تجب عليه التوبة منها إلا بتضلعه من السنة. وكثرة اطلاعه عليها، ودوام البحث عنها والتفتيش عليها. ولا ترى صاحب بدعة كذلك أبدًا. فإن السنة ـ بالذات ـ تمحق البدعة. ولا تقوم لها. وإذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة، وأزالت ظلمة كل ضلالة. إذ لا سلطان للظلمة مع

(١) «المسلمون» (٣٧٧).

(٢) «المدارج» (١/ ٣٦٣).

سلطان الشمس. ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة، ويعينه على الخروج من ظلمتها إلى نور السنة، إلا المتابعة، والهجرة بقلبه كل وقت إلى اللَّه، بالاستعانة والإخلاص، وصدق اللجوء إلى اللَّه والهجرة إلى رسوله، بالحرص على الوصول إلى أقواله وأعماله وهديه وسنته «فمن كانت هجرته إلى اللَّه ورسوله فهجرته إلى اللَّه ورسوله»، ومن هاجر إلى غير ذلك حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة. واللَّه المستعان»[1] .

❑ قلت: وليعلم الدكتور ـ هداه اللَّه ـ أني لم أبادله الرد في هذا الكتاب إلا دفعًا لفساد بدعته (بل بدعه) التي أراد نشرها بين عامة المسلمين وإيقافًا له عن الترسل فيها..

❑ قال شيخ الإسلام في حديث له: «.. كذلك بيان من غلط في رأي رآه في أمر الدين من المسائل العلمية والعملية فهذا إذا تكلم فيه الإنسان، بعلم وعدل وقصد النصيحة فاللَّه تعالى يثيبه على ذلك لا سيما إذا كان المتكلم فيه داعيًا إلى بدعة فهذا يجب بيان أمره للناس فإن دفع شره عنهم أعظم من دفع شر قاطع الطريق».

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إذا كان المبطلون يعارضون نصوص الكتاب والسنة بأقوالهم فإن بيان فسادها أحد ركني الحق وأحد المطلوبين فإن هؤلاء لو تركوا نصوص الأنبياء لهدت وكفت، ولكن صالوا عليها صول المحاربين للَّه ولرسوله، فإن دُفع صيالهم وبُيِّن ضلالهم كان ذلك من أعظم الجهاد في سبيل اللَّه» غفر اللَّه لمحمد عمارة وهداه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة.

* * *

---

(١) «المدارج» (١/ ٣٧٤).

* **عفواً ومعذرة يا إقبال.. فكُلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللّه ﷺ :**

□ قال عنه السيد أبو الحسن الندوي: «إن إقبال أنبغ عقل أنتجته الثقافة الجديدة، التي ظلت تشتغل وتنتج في العالم الإسلامي من قرن كامل، وأعمق مفكر أوجده الشرق في عصرنا الحاضر»(١).

□ وقال عنه الدكتور أحمد مظهر ـ رئيس قسم اللغة العربية بجامعة البنجاب بلاهور ـ: «لم يكن إقبال شاعر مسلمي شبه القارة وحدهم أو شاعر العالم الإسلامي الشرقي وحده، وإنما كان من هؤلاء الآحاد الأفذاذ الذين قلما يجود الزمان بهم، فهو شاعر الإسلام وشاعر الشرق، وشاعر الإنسانية كلها»(٢).

□ قال عنه الدكتور عبدالوهاب عزام: «محمد إقبال شاعر نابغة، وفيلسوف مبدع، شاع ذكره وانتشر شعره وفلسفته في الهند، ولا سيما بين المسلمين فيها، ثم اتسع صيته وشاعت آراؤه في العالم، ولا سيما بعد أن قامت دولة باكستان العظيمة، وهي حقيقة تخيلها والناس منه يضحكون، ويقظة حلم بها والبائسون منه يسخرون، ولا يزال أنصاره وتلاميذه يكثرون على مر الأيام إعجابًا بفلسفته، فلسفة الحياة والأمل والعمل، وإكبارًا للمفكر المؤمن، والفيلسوف الذي لا يأسره الزمان، ولا يخضعه تقلب الحدثان، والشاعر الذي ينفخ الحياة في الموات، وينضر في القفر ألوان النبات، ويشعل الجمر الخامد في الرماد الهامد»(٣).

---

(١) «روائع إقبال» لأبي الحسن الندوي (ص٦٨).

(٢) مقدمة كتاب «إقبال العرب على دراسات إقبال» جمع الدكتور أحمد مظهر، نقلاً عن كتاب «محمد إقبال فكره الديني والفلسفي» لمحمد العربي بوعزيزي ـ دار الفكر المعاصر ـ لبنان ـ دار الفكر سورية.

(٣) «فلسفة إقبال وأساسها» للدكتور عبدالوهاب عزام (ص١٣) من كتاب «إقبال العرب على دراسات إقبال».

□وقال عنه الدكتور أحمد مظهر: «ولو كان إقبال شاعرًا نابغًا لكفاه، ولو كان فيلسوفًا مبدعًا لكفاه، ولو كان مصلحًا اجتماعيًّا أو زعيمًا سياسيًّا لكفاه، ولكن اللَّه سبحانه وتعالى قد وهبه شخصية جامعة لهذه الأوصاف النبيلة».

واعتبره الدكتور نجيب الكيلاني أحد أولئك القلائل الذين بعثوا النور في سماء الشرق من أمثال الأفغاني!!! ومحمد بن عبدالوهاب وغيرهم(١).

وقال أيضًا: «إن إقبال شاعر الإسلام وفيلسوفه الكبير، وصاحب فكرة إنشاء دولة باكستان، هو أول أديب مسلم في العصر الحالي، استطاع أن يستلهم الإسلام في وضع فلسفته المشهورة ـ فلسفة الذات أو (خودي) ـ وكان شعره وعاءً لهذه الفلسفة التي آمن بها ودعا إليها في صدق وحرارة، ولم يحظ شاعر أو فيلسوف مسلم بشهرة تضارع شهرة شاعرنا الكبير في هذا العصر»(٢).

□وكانت شخصية إقبال الإصلاحية مثار اهتمام الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور فأبرز ما قام به من دور فعال في سبيل الدعوة إلى تأسيس الباكستان من ناحية، وحفظ كيان المجتمع الإسلامي من الذوبان والتلاشي من ناحية أخرى(٣).

□وقال عنه محمد علي جناح أول رئيس لباكستان: «كان شاعرًا منقطع النظير، طبق صيته الآفاق، وستبقى كلماته حية أبدًا. إن مساعدته لأمته وبلده لتضعه في صف أكبر كبراء الهند».

(١) «إقبال الشاعر الثائر» لنجيب الكيلاني (ص٦) ـ مؤسسة الرسالة.
(٢) «الإسلامية والمذاهب الإسلامية» لنجيب الكيلاني (ص٤٩).
(٣) «محاضرة ألقاها الشيخ ابن عاشور حول محمد إقبال بتاريخ ٢٤/٤/١٩٦١ تحت إشراف سفارة باكستان.

كتب إلى محمد علي جناح: «إنه ينبغي على مسلمي الهند من أجل أن يتيسّر عليهم حلّ مشكلاتهم إعادة توزيع البلاد، وإقامة دولة إسلامية ـ أو أكثر ـ فيها أغلبية ساحقة لهم. أولاً: تعتقد أن الوقت لمثل هذا المطلب قد حان بالفعل؟ ولعلّ هذا هو أقصر رد يمكن أن تردّ به على الاشتراكية الإلحادية لجواهر لال لنهروا» (١).

وتحقق أمله ويكفيه هذا فخرًا.

□ وقال الدكتور نظير قيصر الباكستاني: «هو بدون شك شاعر الشرق وحكيم الملة فيلسوف العالم الإسلامي وهو في الوقت نفسه شاعر الكون بأسره».

□ ولقبّه شعراء الهند (ترجمان حقيقت) أي (ترجمان الحقائق).

□ وأبرز الأستاذ أحمد حسن الزيات دور إقبال في الدفاع عن المحمدية فقال: «فإذا كان حسّان شاعر الرسول فإن إقبالاً شاعر الرسالة، وإذا كان لحسّان من نازعه شرف الدفاع عن محمد ﷺ فليس لإقبال من ينازعه شرف الدفاع عن المحمدية» (٢).

□ وقال عنه الدكتور عبدالودود شلبي: «فإذا كان للعرب في عصرهم الحاضر شاعر يلقب بأمير الشعراء هو أحمد شوقي، فقد كان أمير شعراء الإسلام في عصرنا الحاضر من غير منازع هو العلاّمة الدكتور محمد إقبال» (٣).

---

(١) «رسائل إقبال إلى جناح» (ص١٧ ـ ١٨).

(٢) «تحية لذكرى إقبال» للأستاذ الزيات (ص٢٧)، من مقال له ضمن كتاب «إقبال العرب على دراسات إقبال».

(٣) مقال: «محمد إقبال أمير شعراء الإسلام» للدكتور عبدالودود شلبي بمجلة الأزهر (ص٢٠٦) السنة ٥٠، الجزء الأول ـ مارس ١٩٧٨ ـ الذكرى المئوية لميلاد إقبال.

❑ وقال عنه الأستاذ فتحي رضوان: «محمد إقبال رمز لأحسن ما في الحياة الإنسانية».

❑ وذهب طه حسين إلى أن إقبال فرض نفسه على الدنيا وعلى الزمان، وأن المسلمين احتاجوا إلى نحو عشرة قرون ليوجد بينهم ثان لأبي العلاء.

❑ وذهب توفيق الحكيم إلى أن «الشاعر محمد إقبال هو مفخرة من مفاخر الشرق في عصوره الحديثة، فهو الخلاصة للمعرفة الكونية النابعة من الشرق، وللمعرفة العقلية الصادرة عن الغرب.. لذلك كان إقبال هو بحق المفكر المجدد في فهم الإسلام والكاشف الصادق لجوهره العظيم»[١].

❑ ويرى الدكتور طه حسين أن إقبال كان ينظر إلى العرب ويشيد بهم ويثني عليهم، ويتخذهم المثل الأعلى للإنسانية الجديرة بالوجود والحياة والبقاء[٢].

❑ ولقد عرّى إقبال حضارة الغرب ونقدها وهو العليم بها وقال: «يا ساكني ديار الغرب ليست أرض اللَّه حانوتًا، إن الذي توهَّمتموه ذهبًا خالصًا سترونه زائفًا، وإن حضارتكم ستبعج نفسها بخنجرها، إن العزّ الذي يُبنى على غصن غض رقيق لا يثبت»[٣].

❑ ولقد أشار إقبال إلى أنه اكتوى بنار التعليم الغربي وخاض في دراسته، ولكنه مع ذلك خرج سالمًا وازداد إيمانًا بخلود الإسلام ومبادئه

---

(١) من مقال: «إقبال العظيم» لتوفيق الحكيم ضمن كتاب «محمد إقبال قصائد ودراسات».

(٢) مقال بعنوان «إقبال فرض نفسه على الدنيا والزمان» لطه حسين (ص٣) مجلة الوعي الباكستانية العدد ٣١ ـ السنة ٦ ـ ماي ١٩٥٨م.

(٣) «فلسفة إقبال» للدكتور حسون (ص١٢)، و«إقبال الشاعر الثائر» لنجيب الكيلاني (ص٣٢ ـ ٣٣).

السامية، كما خرج إبراهيم عليه السلام من نار نمرود، فقال: «كسرت ظلم العصر الحاضر، وأبطلت مكره، التقطت الحبة وأفْلتُ من شبكة الصياد، يشهد اللَّه أني كنت في ذلك مقلداً لإبراهيم، فقد خضت في هذه النار واثقاً بنفسي، وخرجت منها سليماً محتفظاً بشخصيتي»(١).

* إقبال حبيب إلى النفوس ولكن الحق أحب إلينا منه:

❑ قوله في صفات اللَّه عز وجل:

الحق أن إقبالاً يؤيد مسلك السلف وما أرشد إليه الكتاب والسنة في هذا الباب، ولكنه تأثر كثيراً بتفسير الصوفية وتفسير بعض فلاسفة الغرب في ذلك. مثل كانط وهيجل وهوايتهيد وبرجسون. ومن الصحيح كذلك أنه لم يستند كثيراً إلى أقوال المفسرين والمحدثين والمتكلمين المسلمين في شرح نصوص القرآن والسنة، في محاضراته ومقالاته ودواوينه. ولذلك نجد أن كلامه غامض في غالب الأحيان، ومثقل باستخدام مصطلحات التصوف وفلسفة الغرب في شرح أفكاره.

ومن الصفات التي وصف بها إقبال اللَّه سبحانه وتعالى، أنه الذات الحقيقية والنهائية والأولى وواجبة الوجود، وهو الذات العليا والنفس العظمى والفرد الكامل الأعظم. وهو الإرادة الخالقة والقوة المحركة والنور الأصلي والأزلي الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد(٢).

ويقول: «.. صفة العلم وصفة الخلق أمر واحد»(٣).

---

(١) «روائع إقبال» (ص٧٨).

(٢) «تجديد الفكر الديني في الإسلام» لمحمد إقبال (ص٧٥)، و«محمد إقبال موقفه من الحضارة الغربية» لخليل الرحمن عبدالرحمن (ص١٧٢ ـ ١٧٣) ـ دار حراء.

(٣) «تجديد الفكر الديني» (ص٩١ ـ ٩٤).

وانظر إلى كلامه عن العلم والقدرة. والواقع أن إقبالاً قد حار في كلامه هذا حيرة الفلاسفة والمتصوفة.

* وحدة الوجود ووحدة الشهود:

لقد تضاربت آراء دارسي فكر إقبال حول موقفه من فكرة وحدة الوجود. فمنهم من رأى أنه ظل معتقداً بها طوال حياته، ومن بين من قال بذلك تلميذ إقبال وشارح دواوينه الأستاذ يوسف سليم جشتي، ومنهم من رأى أنه كان يعتقد بها في أول عهده، ثم رفضها وندد بها حين رتب منظومة «الأسرار والرموز» بعد رجوعه من أوربا، وذلك رأي معظم الكتاب عن فكر إقبال ومن بين من رأى ذلك الدكتور سيد عبداللّه وخليفة عبدالحكيم والدكتور ظ. الأنصاري[1]. ومنهم من رأى أن إقبالاً لم يكن يعتقد بها في أول عهده ولكن اعتنقها خلال الفترة الأخيرة من حياته. والقائل بذلك الأستاذ ميكش أكبر آبادي في كتابه «نقد إقبال»[2]، ويرى الأستاذ جكن نات آزاد الهندوكي أن إقبالاً ظل يعتقد بتلك الفكرة طيلة حياته، ما عدا فترة ما بين رجوعه من أوروبا في عام ١٩٠٨م، وبين نشر ديوانه» «رسالة المشرق»[3]. ويرى السيد نذير نيازي صاحب إقبال لمدة طويلة ومترجم محاضراته «تجديد التفكير الديني» إلى الأردية تحت إشراف إقبال نفسه، أنه لم يعتنق تلك الفكرة ليوم واحد لا في أول عهده ولا في آخره، غير أنه وجد بيئة صوفية

---

(١) انظر مجلة «نقوش» لاهور، العدد ١٢١، (ص١٢٢ ـ ١٢٥)، و«إقبال كي تلاش» للدكتور ظ. أنصاري، (ص٩، ٢٦ و١٢٠)، و«فكر إقبال» للدكتور خليفة عبدالحكيم، الناشر ايجوكيشنل بك هاؤس عليكره، ط١٩٧٧، (ص٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٢) انظر نقد إقبال للأستاذ ميكش أكبر آبادي، الناشر آئينة أدب، لاهور ط١٩٧٠م، (ص٣٠٦، ٣٠٧).

(٣) انظر : «إقبال أوراس كاعهد» للأستاذ جكن نات آزاد، الناشر مكتبة الأدب لاهور، ط ١٩٧٧م، (ص٨٣ ـ ٨٤).

في أسرة نشأ بها، فسمع شيئًا عنها وتأثر بها تأثرًا ما، كما أنه وجد معظم الشعر الأردي والفارسي مصطبغًا بتلك الفكرة، فنسمع صداها في بعض أبيات نظمها إقبال خلال الفترة الأولى لشعره، بينما نجد أن أستاذه المولوي السيد مير حسن كان معروفًا باتجاهاته الوهابية وكان يتهم أحيانًا بالطبيعية. ففكرة وحدة الوجود لم تصل إلى مستوى العقيدة في فكر إقبال وشعره في يوم من الأيام(١) .

ورأي السيد نذير نيازي هذا يبدو لنا أقرب إلى الصواب، فإن إقبالاً كان متأثرًا بحركة السيد المجدد السرهندي لتطهير التصوف من الأفكار غير الإسلامية أو العجمية، على ما يسميه إقبال. والسيد السرهندي قد ردّ ردًّا عنيفًا على أفكار محي الدين بن عربي الأندلسي، رأس القائلين بوحدة الوجود. فكان من قوله ضمن بعض رسائله: إن ابن عربي قد زلقت رجله في أثناء الطريق، وانخدع بما يعتري السالك من الأحوال في سفره الروحي ويتراءى له من وحدة هذا الوجود فلو تقدم خطوة لشاهد أن لا وحدة بين وجود العبد والمعبود، وأن اللَّه هو الوراء ثم وراء الوراء ثم وراء الوراء. وقد سمى السيد المجدد هذه الوحدة التي تتراءى أثناء سلوكه بمرحلة وحدة الشهود لا بوحدة الوجود في الحقيقة. وكذلك جاء ضمن بعض رسائله: «إننا نحتاج إلى النصوص لا إلى الفصوص»(٢) .

وانظر قوله ضمن مقدمة «الأسرار والرموز»(٣) .

---

(١)انظر «دانأي راز» للسيد نذير نيازي (ص٤٢٨ ـ ٤٥١).

(٢)انظر «تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند» لمسعود عالم الندوي، (ص١١٢ ـ ١١٣) ومجلة «نقوش» العدد ١٢١، (ص١٢٠ ـ ١٢١)، ويقصد السيد المجدد بالنصوص نصوص الكتاب والسنة وبالفصوص كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي.

(٣)مقدمة «الأسرار والرموز» لإقبال تعريب الدكتور عزام ضمن كتابه «محمد إقبال» (ص٨٦ ـ ٨٨).

* رأي إقبال في النبوّة :

محبة إقبال للرسول ﷺ ومعنى حبه لديه اتباع سنته واقتفاء أثره ﷺ :

❑ يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي عن حب إقبال للرسول ﷺ :

«لقد عاش الدكتور محمد إقبال شاعر الإسلام وفيلسوف العصر ـ مدة حياته ـ في حب النبي ﷺ ، والأشواق إلى مدينته، وتغنى بهما في شعره الخالد. وقد طفح الكأس في آخر حياته، فكان كلما ذُكِرت المدينة فاضت عينه وانهمرت الدموع. ولم يقدر له الحج وزيارة الرسول ﷺ ، بجسمه الضعيف، الذي كان من زمان يعاني الأمراض والأسقام. ولكنه رحل إلى الحجاز بخياله القوي، وشعره الخصب العذب، وقلبه الولوع الحنون، وحلق في أجواء الحجاز وتحدّث إلى الرسول الأعظم ﷺ ، بما شاء قلبه وحبه وإخلاصه ووفاؤه[١] ، وتحدّث إليه عن نفسه، وعن عصره، وعن أمته وعن مجتمعه. وقد فاضت في هذا الحديث قريحة الشاعر، وانفجرت المعاني والحقائق التي كان الشاعر يغالبها ويمسك بزمامها وينتظر فرصة إطلاقها، وقد رأى أن فرصتها قد حانت. . فكان شعره في النبي الكريم، صلوات اللّٰه وسلامه عليه، من أبلغ أشعاره وأقواها ، وكان حشاشة نفسه وعصارة عمله وتجاربه، وكان تصويراً لعصره وتقريراً عن أمته وتعبيراً عن عواطفه»[٢] .

❑ وفي معنى حاجة المسلمين إلى التمسك بتعاليم السنة، يقول إقبال في «رموز اللاذاتية» تحت عنوان «الرسالة» :

«بالرســالات بــدا تكوينــنا شرعنــا منهــا ومنهـا ديننا

---

(١) يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: ليس هذا الحديث من الاستعانة في شيء. إنما هو أسلوب من أساليب الشعر والحب، استعمله شعراء إيران والهند قديمًا وحديثًا.

(٢) «روائع إقبال» للأستاذ أبي الحسن علي الندوي (ص ١٧٠ ـ ١٧١).

ذاك من « يهدي إليه من يريد » حلقة منها حوالينا يشيد
خلقة ذات محيط يعجز ساحة البطحاء فيها مركز
نحن مما جمعتنا أمة أرسلت للناس فيها الرحمة
موجنا في بحرها متصل موجة من موجة لا تفصل
أمة في حرز سور الحرم في حفاظ مثل « أسد الأجم »
نظرة الصديق رب الفهم وإلى القلب من الربّ أحب
فالنبي الروح فينا والعصب شرعه حبل وريد الأمة »(١)

□ ويقول، تحت عنوان «إن حسن سيرة الأمة المسلمة من التأدب بالآداب المحمدية»:

«أنت كمّ في فروع المصطفى فتفتح في ربيع المصطفى
نظرة من روضه فالتمس وسنا من خلقه فاقتبس
مرشد الروم الذي قطرته قد حوت بحرا، سمت قولته:
« لا تجدّ الحبل من خير البشر لا تقل عندي فنون وبصر »
فطرة المسلم طرا رأفة قوله والفعل كل رحمة

(١) ترجمة «الأسرار والرموز» للدكتور عزام (ص٩٦)، وراجع للنص الفارسي، م/ ٢٦، و«يهدي إليه من يريد» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد**﴾ [الحج: ١٦]، و«أسد الأجم» اشارة إلى بيت البردة:

«أحل أمته في حرز ملته كالليث حل مع الأشبال في أجم»

وأما ما قاله إقبال من أن النبي قد يكون أحب إلى قلوبنا من الرب تعالى فلعل قصده به أن النبي أقرب إلى مداركنا ومشاعرنا لكونه من جنسنا فالقلب يعشق إليه بسهولة وبأدنى معرفة به بينما الله سبحانه تعالى أحب إلى المؤمنين من كل شيء فقد قال تعالى: ﴿**والذين آمنوا أشد حبًا لله**..﴾ [البقرة: ١٦٥] فيمكن أن يكون الرسول أحب عاطفيًا لا عقليًا وواقعيًا.

لعظيم الخلق من شق القمر   رحمة عمّت ونور للبشر
لست من معشرنا فاعتزل   إن تكن منه بعيد المنزل»[(١)]

* **جهوده في الرّد على القاديانية في مسألة ختم النبوة:**

قام إقبال ببذل جهود جبارة في الرد على القاديانية القائلة بأن سلسلة النبوة لم تنته برسالة محمد ﷺ. ففي مايو ١٩٣٥م نشر إقبال مقالة في الرد على القاديانية، تحت عنوان «القاديانية والمسلمون» فقام الزعيم الهندوكي البانديت جواهر لال نهرو، يرد عليه مدافعًا عن القاديانية فكتب إقبال عدة مقالات بالإنجليزية في جواب نهرو، دافع فيها عن مسألة ختم النبوة برسالة محمد ﷺ ببالغ حماسة وحكمة[(٢)].

❐ يقول الأستاذ مسعود عالم الندوي عن جهاد إقبال في ردّ القاديانية:

«ولصاحبنا (إقبال) مأثرة جليلة أخرى في باب الدعوة الدينية والدفاع عن حرمة الدين المبين، لا تنسى أبد الدهر. ولو لم يكن من أعماله الجليلة الخالدة إلا هذه المأثرة العظيمة لكفته فخرًا في الدنيا وذخرًا في الآخرة، ألا وهو موقفه الجليل المشهود بإزاء النحلة القاديانية الضالة المضلة، في السنين الأخيرة من حياته.. إن الزعيم جواهر لال نهرو كتب مقالتين.. ينكر فيهما على الجمعيات المسلمة الدينية حركتها ضد القاديانية ويؤيد جانب القاديانية. وفي مثل هذه الأحوال انبرى المسلم المؤمن محمد إقبال للدفاع عن حظيرة الإسلام وردّ كيد القاديانية في نحورها. وتطهير الدين المبين من أرجاسها

---

(١) ترجمة «الأسرار والرموز» للدكتور عزام، (ص١١٩ ـ ١٢٠)، وراجع للنص الفارسي (م/ ٢٧)، ونسب شق القمر إلى الرسول ﷺ مجازًا والمعنى الحقيقي أن اللَّه تعالى شقّ القمر معجزة لرسوله ﷺ.

(٢) «سيرة إقبال» للفاروقي (ص٤٢٦ ـ ٤٢٨).

وأدناسها. فنشر تصريحات عديدة في الصحف، بيّن فيها موقف الإسلام بإزاء هذه النحلة المارقة التي تؤمن بنبوة الغلام القادياني الكذاب، وكشف عن عورات القاديانيين، وأماط اللثام عن خدماتهم للاستعمار البريطاني وتمسكهم بأذياله»[١] .

* مناقشة رأي إقبال في النبوة:

«إذا نظرنا في تفسير إقبال للنبوة نظرة دقيقة، وجدنا أنه أخطأ في عديد من الأمور. منها:

أولاً: أن النبوة ليست ضربًا من الوعي الصوفي، كما توهم إقبال، فإنه يقول في تعريف النبوّة: «إنها ضرب من الوعي الصوفي ينزع ما حصّله النبي في مقام الشهود إلى مجاوزة حدوده وتلمس كل سانحة لتوجيه قوى الحياة الجمعية توجيهًا جديدًا، وتشكيلها في صورة مستحدثة»[٢] .

☐ وهذا القول منه ليس بصواب فإن اللَّه تعالى يختار النبي من عباده ويصطفيه من بينهم حسب إرادته وحكمته فإنه تعالى أعلم حيث يجعل رسالته. فالنبوة موهبة ومكرمة وتكليف من اللَّه تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ويحمّلها من يختاره منهم، على خلاف أمر الوعي الصوفي فإنه يحصل عليه بممارسة الرياضة الصوفية كل من يجتهد في الحصول عليه. فالنبوة مرتبة لا يمكن أن يتشرف بها أحد من اختياره وكسبه ورياضته، والوعي الصوفي يمكن الحصول عليه بالكسب والاجتهاد، وإذا كانت الولاية بالمصطلح الصوفي، ليس من الضروري الحصول عليها بالكسب والاجتهاد، مع أنها

---

(١) «تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند» لمسعود عالم الندوي (ص٢١٩ ـ ٢٢٠) بتصرف في العبارة.

(٢) «تجديد الفكر الديني» (ص١٤٣).

أدنى رتبة من النبوة، فليس كل صوفي وليًا، كما أنه ليس كل ولي صوفيًا، فكيف بالنبوة؟ ويوهم تفسير إقبال للنبوة المبيّن في «تجديد الفكر الديني» أنه يمكن التشرف بها بالكسب والاجتهاد، وذلك خطأ واضح، فإن الأنبياء قد وهبوا النبوة مفاجأة، مثل قصة سيدنا موسى عليه السلام، فإنه لم يكن على معرفة أن اللَّه تعالى قد اختاره للنبوة حتى لحظة أن رأى نارًا في طور سيناء، وكلمه اللَّه تعالى وأخبره باختياره نبيًّا، وكذلك سيدنا محمد ﷺ لم يكن على معرفة من أنه سوف يُختار للنبوة حتى إذا نزل عليه الروح الأمين في جبل حراء، وألقى إليه رسالة اللَّه تعالى، رجع إلى البيت وهو خائف، يقول: زمّلوني ودثّروني. فلو كان الوحي نوعًا من وعي يتحصل بقطع المدارج الصوفية وسلوك المناهج الروحية المعتادة لدى الصوفية، لما حدثت تلك المفاجأة عند نزول الوحي في أول الأمر، على سيدنا محمد ﷺ وسيدنا موسى عليه السلام. ففي هذا التفسير انخدع إقبال بآراء الصوفية الذين يفسرون النبوة والولاية بتفاسير ليس لها برهان منزل من اللَّه تعالى، حتى قد اغتر بعضهم إلى حد أنه قال: إننا، معشر الصوفية أفضل من الأنبياء؛ لأن اتصالنا باللَّه تعالى مباشر واتصال الأنبياء به تعالى يحتاج إلى واسطة وهي الملائكة.

ثانيًا: أن إقبالاً لم يشرح في تفسيره كيفية نزول الوحي بواسطة الملائكة والروح الأمين، فإن الروح الأمين هو الذي يقوم بنقل الوحي إلى الأنبياء، ولم يشر إقبال في تفسيره إلى هذه المسألة مطلقًا.

ثالثًا: يوهم تفسير إقبال كأن النبوة عمل خاص للنبي وله فيه رغباته وتصرفاته وليس ذلك حقًّا، فإن النبيّ مأمور بأوامر اللَّه تعالى، فإنه تعالى يربيه للتجرد إليه والعمل من أجل مرضاته حتى لم تعد للنبي رغبة ذاتية، ولو للهداية، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [القصص: ٥٦].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾.

* وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

والفارق الذي أوضحه إقبال بين عمل الصوفي وعمل النبي من أن عمل الصوفي يبقى فرديًا، وعمل الرسول ينتقل إلى المجتمع، صحيح ولكن عمل الرسول ليس من عند نفسه، فإن الرسول ﷺ عاد خائفًا حين نزل عليه الوحي في بدء الأمر، وقال: دثروني وزملوني ولم يقل: إني مارست هذه التجربة، فتعالوا، أيها الناس، وأوجدوها في حياتكم.

رابعًا: لا شك في أن للعقل دورًا بالغًا في بناء المجتمع وتوجيهه وتطوير العلوم والتجارب ولكن له مجال محدد وليس في استطاعته إقامة ميزان ثابت يميز به الحق من الباطل. فدور العقل في الإسلام مقيد بالوحي والأمة المسلمة مسئولة أن تحمل رسالة الإسلام في ضوء ذلك الوحي المنزل، وليس العقل في المنهج الإسلامي حرًا طليقًا في تصرفاته يحرم ما يشاء ويحلل ما يشاء كما يوهم تفسير إقبال هذا.

▭ والواقع أن إقبالاً متأثر ومنخدع في رأيه أن العقل حلّ محلّ الوحي في العصر الحاضر، بأفكار الغربيين. والواقع كذلك أن هذا الرأي لا يمثل وجهة نظره الشاملة في هذا الشأن، فإنه قد أعطى القرآن الكريم حقه والسنة النبوية حقها في أكثر من موضع من دواوينه ومقالاته، فقال مثلا، ضمن منظومة «رموز اللاذاتية»:

«إن دين محمد المصطفى ﷺ هو دين الحياة وشرعه شرح لنظام الحياة. وإذا فقدت الأمة أسوة الرسول تفقد وجودها وبقاءها».

وقال كذلك، تحت عنوان «إن الأمة لا تنتظم بدون شريعة وشريعة

الأمة المحمدية القرآن الكريم:

«لكتاب اللَّه حق، فاقرأن   كل ما تبغيه، منه فاطلبن»

وقال:

«وحدة الشرع حياة الأمة   فمن القرآن روح الملة
نحن طين وهو قلب لا جرم   هو «حبل اللَّه» من شاء اعتصم
فانتظم في سلكه كالدرر   أو غبارا في الرياح انتثر»(١)

☐ يرى إقبال أن النبوة ضرب من الوعي الصوفي يستعمل فيه النبي ما حصّله في مقام الشهود في سبيل توجيه قوى الحياة توجيهًا جديدًا. ورغبة النبي في أن يرى رياضته الدينية تتحول إلى قوى عالمية حية رغبة تعلو على كل شيء. واختبارها ليس إلا اختبار هذه القوى الحية التي أوجدها النبي في إطار إنشائي بالميزان التاريخي فعندما يتغلغل النبي فيما يواجهه من أمور مستعصية وينفذ إلى أعماقها تتجلى له حينئذ نفسه، فيعرفها ويزيح القناع عنها فتراها أعين التاريخ. ولهذا كان من بين ما يحكم به على قيمة دعوة النبي ورسالته، البحث في نوع البطولة الإنسانية التي ابتدعها، والفحص عن العالم الثقافي الذي انبعث عن روح دعوته.

ثم يوضح إقبال طبيعة الوحي باعتباره الصلة القائمة بين اللَّه والنبي، ويرى أنه ظاهرة عامة من ظواهر الوجود. فالظواهر البيولوجية والفسيولوجية في عالمي الحيوان والنبات إنما تستمدّ اتجاهها من الإلهام الذي يوجه الحياة كلها

(١) ترجمة «الأسرار والرموز» للدكتور عبدالوهاب عزام، و«محمد إقبال مفكرًا إسلاميًا» لمحمدالكتاني (ص٧١ ـ ٧٣). و«تجديد الفكر الديني في الإسلام» لإقبال (ص١٤٢ ـ ١٤٤)، و«محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية» لخليل الرحمن عبدالرحمن (ص١٨٢ ـ ١٨٩).

في اتجاهها الخلاق. والقرآن نفسه يستعمل الوحي لعوالم مختلفة، كقوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** ﴾ [النحل: ٦٨].

وهكذا يعتبر إقبال النبوة ظاهرة طبيعية أملتها المراحل التطورية للبشرية. ففي طفولة البشرية كانت القوى الروحانية تتطور أحيانًا، إلى ذروة الوحي النبوي لتوجيه الناس وتحقيق مصالحهم. فالنبوة التي هي ثمرة القوى الروحانية الفطرية، كانت وسيلة للاقتصاد في التفكير وتمييز النافع من الضار، غير أنه بنمو ملكة العقل والتفكير لدى الإنسان أخذت الحياة نفسها تعمل لكبت تلك القوى التي لا تعتمد في معارفها على التفكير الاستدلالي. وهكذا عرفت الإنسانية في تاريخها طورين عظيمين:

١ ـ طورًا اعتمدت فيه على قواها الروحية، ممثلة في الوحي.

٢ ـ طورًا نسخ ذلك الطور السابق وتميز باعتمادها على القوى العقلية المنظمة. ورسول الإسلام ﷺ صلة وصل بين الطورين أو العالمين، عالم الفطرة وعالم العقل. فهو من عالم الفطرة باعتبار مصدر رسالته وهو الوحي، وهو من العالم الحديث، عالم العقل، باعتبار مضمون رسالته يعني ما احتوته رسالة الإسلام والنص القرآني من دعوة صريحة إلى استعمال العقل، وحث على النظر في الكون، بحيث اعتبرت هذه الدعوة فريضة دينية قائمة. وهكذا ينص إقبال على أن النبوة في الإسلام تبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمدًا إلى الأبد على زمام يقاد منه، وأن الإنسان لكي يحصل كمال معرفته لنفسه، ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو، وأن مخاطبة القرآن للعقل وحثه على التجربة على الدوام، وإصراره على أن النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة

الإنسانية، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة[١] .

* قضية الجبر والقدر في فكر إقبال:

في مسألة كون الإنسان مختاراً أو مجبراً في إرادته وأعماله، يذهب إقبال إلى أن اللَّه تعالى قد منح الإنسان حرية واسعة لإبراز إمكانياته واختيار أعماله ومراداته. وعمل القضاء والقدر ليس من خارج الأشياء أو النفوس، بل من داخل إمكانياتها واستعداداتها، ويؤثر القدر تأثيره داخل حدود الزمان والمكان. يقول إقبال في «تجديد التفكير الديني»:

«الزمان باعتباره كلاً مركبًا، هو الذي يسميه القرآن، «التقدير» وهي كلمة أسيء فهم معناها كثيرًا في كل من العالم الإسلامي وفي خارجه. والتقدير هو الزمان عندما ننظر إليه على أنه سابق على وقوع إمكانياته: هو الزمان الخالص من شباك تتابع العلة والمعلول.. والزمان بوصفه تقديراً هو ماهية الأشياء ذاتها، كما جاء في القرآن ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩]، فتقدير شيء إذن ليس قضاءً غاشمًا يؤثر في الأشياء من خارج، ولكنه القوة الكامنة التي تحقق وجود الشيء، وممكناته التي تقبل التحقق، والتي تكمن في أعماق طبيعته وتحقق وجودها في الخارج بالتالي، دون أي إحساس بإكراه من وسيط خارجي»[٢] .

ويرى إقبال كذلك أن قوة الاستبصار والسيطرة المدبرة الملحوظتين في نشاط النفس تكشفان عن حقيقة الحرية التي منحها اللَّه للإنسان، بعد أن هيأه لتحمل مسئوليته من تلقاء نفسه في اختيار تشكيل مصيره وتحديد سلوكه

---

(١) انظر «محمد إقبال، مفكرًا اسلاميًّا» لمحمد الكتاني (ص١٧١ ـ ١٧٣)، و«تجديد الفكر الديني في الإسلام» (ص١٤٢ ـ ١٤٤).

(٢) «تجديد الفكر الديني في الإسلام» (ص٦٠ ـ ٦١).

مستدلاً بمثل قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

وإذا كان من غير الممكن إنكار مبدأ القضاء والقدر السابق لحرية الإنسان، كما يقرره القرآن، فإن إقبالاً يرى أن معنى هذا القدر أو التقدير يعطي للنفس الإنسانية قوة عظيمة على مواجهة الضرورات التي لا مفر منها. والقرآن نفسه ـ في رأي إقبال ـ يقرّ بحقيقة من حقائق النفس الإنسانية، وهي الارتفاع والانخفاض في قدرة الإنسان على اختيار أفعاله.

وحاول إقبال أن يفسر ذلك على ضوء نظرية اشبنجلر Spengler - 1880 - 1936 القائلة بأن الإنسان يمارس حياته بطريقتين: طريقة عقلية تقوم على فهم الكون باعتباره نظامًا ثابتًا من علة ومعلول وطريقة حيوية تقوم على الاستجابة المطلقة لضرورات الواقع الذي يعكس الزمان المتجدّد بما ينطوي عليه من خلق وإبداع. وهذه الطريقة الأخيرة هي التي يواجه بها المسلم الحياة، مفعمًا بالإيمان بضرورة ما يمليه التجدد الزماني الخلّاق، وتبلغ نزعة الإيمان لديه بهذه الضرورة درجة من الخصب والعمق بحيث تفنى إرادته في إرادة اللَّه المطلقة (القضاء والقدر) فتكتسب من ذلك حيوية وصلابة.

أما النزعة الجبرية التي سادت العالم الإسلامي، فيرى إقبال أن مرجعها إلى ما عرفه تاريخ المسلمين من أنظمة الحكم الجائر، وإلى تأثير الفلسفة التي طبعت النظام الكوني بالسببية المفضية إلى اعتبار العلة الأولى في إرادة اللَّه وعنها يصدر كل شيء. فالمادية العملية التي ظهرت عند أمراء دمشق من بني أمية النهازين للفرص، احتاجت إلى سند يستندون إليه في سوء صنيعهم بكربلاء فقالت بقدر اللَّه ـ يُروى أن معبد الجهني قال للحسن البصري: إن بني أمية يسفكون دماء المسلمين ويقولون إنما تجري أعمالهم على قدر اللَّه

تعالى. فأجابه الحسن أنهم أعداء اللَّه، وأنهم لمفترون. وهكذا نشأ ـ على الرغم من معارضة علماء الدين في الإسلام معارضة صريحة ـ القول بالقدر[١].

* مناقشة رأيه هذا في القدر:

يبدو أن إقبالاً قد حاول في تفسيره للقضاء والقدر أن يوفق بين طرفي الجبر والاختيار. فبكونه مسلمًا مؤمنًا باللَّه تعالى وبقدره، لم يستطع أن ينكر قدر اللَّه وقضاءه إطلاقًا، ولكنه حين رأى أن القول بقدر اللَّه والاتكاء عليه، قد دفع المسلمين خلال القرون الأخيرة، إلى ترك العمل والكفاح في حياتهم، وإلى الفشل في مقاومة التحديات التي واجهت العالم الإسلامي منذ قرون عديدة، ورأى كيف أن المستعمرين المستبدين استغلوا هذه النزعة وكيف انتهزوا هذه الفرصة لنهب الشعوب المتمسكة بهذا المبدأ، حاول أن يفسر عقيدة القضاء والقدر تفسيرًا يستطيع أن يوفق به بين الاعتقاد بقضاء اللَّه تعالى، وبين كون الإنسان حرًا مختارًا في فكره وعمله، فرأى أن عملية تقدير اللَّه تعالى لا تقوم بالأشياء والنفوس من خارجها، بل تأتي من داخل إمكانياتها، ولكنه في تفسيره ذلك، قد يندفع أحيانًا إلى القول: بكون واجب الوجود تعالى موجبًا في إرادته وأعماله، كما يزعم الفلاسفة، وأحيانًا إلى القول: بعدم وجود قضاء سابق من عند اللَّه تعالى، قال:

«لا شك في أن ظهور ذوات لها القدرة على الفعل التلقائي، ومن ثم يكون فعلها غير متنبأ به، يتضمن تحديدًا لحرية الذات المحيطة بكل شيء.

ولكن هذا التحديد لم يفرض على الذات الأولى من خارج، بل نشأ

---

(١) «تجديد الفكر الديني في الإسلام» (ص١٢٥ ـ ١٢٧)، «محمد إقبال، مفكرًا اسلاميًا» لمحمد الكتاني (ص٨٣ ـ ٨٤).

عن حريتها الخالقة التي شاءت أن تصطفي بعض الذوات المتناهية لتقاسمه في الحياة والقوة والاختيار»[١] .

☐ والواقع أن إقبالاً ينزع إلى القول بقدر الإنسان وكونه حرًا مختارًا في سلوكه وتصرفه، كما ذهب إليه المعتزلة، فهو معتزلي النزعة في هذا الأمر.

وقد أخطأ في رأية أن القول بقدر اللَّه تعالى بدأ في الإسلام أيام بني أمية، فإن ذلك إنكار لبعض نصوص الكتاب والسنة الصريحة. ولعل الصحيح أن استغلال هذا المبدأ بدأ في تلك الأيام. وكذلك أخطأ إقبال في فهم أن بعض الذوات المتناهية مشاركة للذات اللامتناهية، في الخلق والاختيار، وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون: ١٤] فالخالقون في رأيه أكثر من واحد، واللَّه تعالى أحسنهم. ويرجع هذا الخطأ إلى عدم معرفته أسلوب اللغة العربية جيدًا وعدم إمعان الدراسة في ضوء الآيات الأخرى مثل قوله تعالى: ﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾ [الأعراف: ٥٤] فالآية صريحة في حصر الخلق والأمر على اللَّه تعالى.

* وقوله تعالى: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**﴾ [فاطر: ٣].

* وقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ**﴾ [فاطر: ٤٠]. وأمثالها من الآيات.

ولم ينكر إقبال مبدأ القضاء والقدر على الإطلاق فإنه قد أوضح في عديد من المواضع أن الذات في نفسها بين اختيار وجبر، ولكنها إذا قاربت الذات المطلقـة، نالت الحرية الكاملة. والحيـاة جـهـاد لتحصين الاختيار ومقصدًا لذات أن تبلغ الاختيـار بجهـادها، فـإذا قاربت الذات المطلقة نالت

(١) «تجديد الفكر الديني في الإسلام» (ص٩٤).

الحرية الكاملة[١] .

ويرى إقبال كذلك أن العبد ينال الحرية والاختيار، متقربًا إلى اللَّه تعالى بأداء الصلاة وامتثال أوامره تعالى. وقد أريد بتعيين مواقيت للصلاة في كل يوم تخليص النفس من آثار الآلية الموجودة في النوم والعمل. فالصلاة في الإسلام خلاص للنفس ينقذها من الآلية إلى الحرية[٢] .

وأوضح إقبال وجهة نظره تجاه مسألة القضاء والقدر والاختيار والجبر ضمن شعره في عدة مواضع. منها ما قاله على لسان الحكيم المريخي ضمن ديوان جاويد نامه، حيث يتساءل: «زنده رود» (إقبال) الحكيم المريخي عن أن السائل والمحروم بقضاء اللَّه وقدره، والحاكم والمحكوم بقضاء اللَّه وقدره. وليس من خالق للقدر سوى اللَّه تعالى، فلا ينفع تدبير للخلاص من القدر ولا يغني منه حذر. فيردّ الحكيم المريخي عليه بقوله:

«إنك مخطئ تمامًا في فهم القدر. إن عليك لا أن ترضى فحسب بقدر اللَّه، بل تطلب المزيد منه. فادع اللَّه أن يحكم بقدر آخر إذا رمى قلبك بفعل قدر واحد، فإنك إذا طلبت قدرًا جديدًا، كان ذلك أمرًا مشروعًا تمامًا، إذ لا نهاية لأقدار اللَّه تعالى. حقًّا لقد فات أهل الأرض الشيء الكثير؛ لأنهم لم يعرفوا المعنى الدقيق للقدر، فأضاعوا بذلك قيمتهم الذاتية (نقود الذات) التي يمكنهم بها أن يتعاملوا مع الكون من ناحية ومع الخالق من ناحية أخرى. فالقدر لا يعني أن يصبح الإنسان مجبرًا جبرًا خالصًا شأنه في ذلك شأن الجماد والنبات، فإن هذه السلبية طبيعة الفطرة الإنسانية.

أأقول لك سر القدر؟ إن هذا السر الدقيق تنطوي عليه جملة واحدة: إذا غيرت نفسك سيتغير هو الآخر، فلقد قال تعالى: ﴿**إن اللَّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ .

(١)انظر: «محمد إقبال» لمحمد الكناني (ص٨٥).

(٢)«تجديد الفكر الديني» (ص٩٤).

ثم يضرب الحكيم المريخي بضعة أمثلة لتوضيح هذه القضية الدقيقة، فيقول:

كُن ترابًا يهبك القدر الرياح، كن حجرًا يقذف بك الزجاج. إذا كنت قطرة من الندى فالسقوط قدرك، وإذا كنت محيطًا من المحيطات فالثبات قدرك».

◻ ويستطرد الحكيم قائلاً:

«ربما أُلقي في روعك أن القدر حكم على بعض الناس أن يكدحوا طيلة حياتهم، دون أن يصلوا في النهاية إلى تكون الثروات، وأنه حكم بأن يحصل البعض الآخر على كنوز وثروات طائلة دون جهد يذكر..، إذا كانت هذه عقيدتك أيها الغافل، فإنها تؤدي بنا إلى القول بأن المحتاج سيظل أبدًا أكثر احتياجًا، ولن يصبح أي محتاج وفقير ثريًا أو غنيًا. فتبًّا لعقيدة تظل بك حتى تنام وما تزال تبقيك في نوم عميق. أهذا دين أم سحر وخرافة؟ أهذا دين أم حبة أفيون؟».

◻ ومنها قوله ضمن ديوان رسالة المشرق:

«لا يمكن الحكم بأنني مختار أو مجبر، فإنني تراب حيّ لا أزال أتقلب وأتحرك».

◻ ومنها قوله ضمن منظومة «حديقة الأسرار الجديدة»:

«لقد كان من قول قائد معركة بدر (يعني الرسول ﷺ) الحق أن العبد حر من جهة ومجبر من جهة. فالإيمان بين الجبر والقدر».

وقد عدّ أبو عمران الشيخ إقبالاً ثالث ثلاثة ممن سعوا إلى النهل من الفكر الاعتزالي العقلاني، والدعوة إلى الحرية الإنسانية وما هؤلاء الثلاثة الذين سعوا إلى إحياء روح الفكر الاعتزالي مع مطلع القرن التاسع عشر

---

(١) «محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية» (ص١٨٩ ـ ١٩٤).

وبداية القرن العشرين سوى جمال الدين الأفغاني، ومحمد إقبال[(١)]

* البعث وخلود النفس لدى إقبال[(٢)] :

يرى إقبال عن المصير الإنساني أن فكرة الإسلام الكلية عن الإنسان تؤكد البعث والخلود، إلا أن الحياة في هذه الدنيا هي التي تهيئ للإنسان مجال العمل من أجل تلك الغاية. وما الموت إلا ابتلاء نشاط يعقبه البعث. وكان على إقبال أن يواجه مشكلة «البعث» ما دام قد انتهى إلى اعتبار النفس حقيقة قائمة، أو جوهرًا روحيًا يجاهد جهادًا موصولاً إلى اكتساب الوحدة والتكامل والحرية والخلود. فيقول في شرح تلك الفكرة:

«إن النهاية أي انقضاء الأجل ليس بلاء ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥].

وهذا أمر بالغ الأهمية ينبغي أن يفهم على وجهه الصحيح.. فالإنسان.. أو الذات المتناهية ـ بشخصيته المفردة التي لا يمكن أن يستعاض عنها بغيرها، سيقت بين يدي الذات غير المتناهية، ليرى عواقب ما أسلف من عمل وليحكم بنفسه على إمكانيات مصيره ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤] ـ فأيا كان المصير النهائي للإنسان، فإنه لا يعني فقدان فرديته. والقرآن لا يعد التحرر التام من التناهي أعلى مراتب

(١)«محمد إقبال فكره الديني والفلسفي» لمحمد العربي بوعزيزي ـ (ص٤١٢ ـ ٤١٣) ـ دار الفكر.

(٢)انظر رسالة الخلود ترجمة «جاويد نامه» للدكتور محمد السعيد جمال الدين (ص١٩٥ ـ ١٩٨).

السعادة الإنسانية، بل «جزاؤه الأوفى» هو في تدرجه في السيطرة على نفسه، وفي تفرده وقوة نشاطه بوصفه روحًا، حتى أن منظر الفناء الكلي الذي يسبق يوم الحساب مباشرة، لا يمكن أن يؤثر في كمال اطمئنان الروح التي اكتملت نموًا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

ومن يكون أولئك الذين ينطبق عليهم هذا الاستثناء، إلا الذين بلغت أرواحهم منتهى القوة. فالإنسان في نظر القرآن متاح له أن ينتسب إلى معنى الكون وأن يصير خالدًا.. إن كائنًا اقتضى تطوره ملايين السنين ليس من المحتمل إطلاقًا أن يلقى به كما لو كان من سقط المتاع. وليس إلا من حيث هو نفس تتزكى باستمرار، إذ يمكن أن ينتسب إلى معنى الكون: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

وكيف تكون تزكية النفس وتخليصها من الفساد؟ إنما يكون ذلك بالعمل ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢]، فالحياة تهيئ مجالاً لعمل النفس، والموت هو أول ابتلاء لنشاطها المركب. وليست هناك أعمال تورث اللذة، وأعمال تورث الألم، بل هناك أعمال تكتب للنفس البقاء أو تكتب لها الفناء. فالعمل هو الذي يعدّ النفس للفناء أو يكيفها لحياة مستقبلة. ومبدأ العمل الذي يكتب للنفس البقاء هو احترامي للنفس فيّ وفي غيري من الناس. فالخلود لا نناله بصفته حقًّا لنا، وإنما نبلغه بما نبذل من جهد شخصي.

والبعث إذن ليس حادثًا يأتينا من خارج. بل هو كمال لحركة الحياة في داخل النفس. وسواء أكان البعث للفرد أم للكون، فإنه لا يعدو أن يكون نوعًا من جرد البضائع أو الإحصاء لما أسلفت النفس من عمل، وما بقيت

أمامها من إمكانيات.

{«يجنح إقبال إلى تأويل حدوث البعث تأويلاً لا يخلو من مباينة لما عليه حقيقته في التصور الإسلامي، فهو يقول: «على أنه لا مفر للنفس من أن تكافح كفاحًا موصولاً حتى توفق إلى التماسك وإلى الفوز بالبعث»(١).

وعلى ذلك الأساس فالبعث ليس حادثًا يأتينا من الخارج، بل هو كمال لحركة الحياة داخل النفس كما يصرّح إقبال.

وتبدو مباينة وجهة نظر إقبال للتصور الإسلامي للبعث بوضوح في قوله: «وسواءً أكان البعث للفرد أم للكون فإنه لا يعدو أن يكون نوعًا من ـ جرد البضائع أو الإحصاء لما أسلفت النفس من عمل، وما بقي أمامها من إمكانات»(٢)ا. هـ(٣).

* **الجنة والنار عند إقبال حالتان لا مكانان:**

أما الجنة والنار فهما حالتان، لا مكانان، ووصفهما في القرآن تصوير حسي لأمر نفساني أو لصفة أو حال. فالنار في تعبير القرآن: ﴿**نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**﴾ [الهمزة: ٦، ٧]، هي إدراك أليم لإخفاق الإنسان لوصفه إنسانًا. أما الجنة فهي سعادة الفوز على قوى الانحلال. وليس في الإسلام لعنة أبدية. ولفظ الأبدية، الذي جاء في بعض الآيات وصفًا للنار، يفسره القرآن نفسه، بأنه حقبة من الزمان: ﴿**لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**﴾ [النبأ: ٢٣]، والزمان لا يمكن أن يكون مقطوع النسبة إلى تطور الشخصية انقطاعًا تامًا. فالخلق ينزع إلى الاستدامة، وتكييفه من جديد يقتضي زمانًا.

---

(١) «تجديد الفكر الديني» (ص١٣٨).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) «محمد إقبال فكره الديني والفلسفي» (ص٤٤٢).

وعلى هذا فالنار، كما يصورها القرآن، ليست هاوية من عذاب مقيم يسلطه إله منتقم. بل هي تجربة للتقويم، قد تجعل النفس القاسية المتحجرة تحس مرة أخرى بنفحات حية من رضوان الله. وليست الجنة كذلك إجازة أو عطلة. فالحياة واحدة ومتصلة، والإنسان يسير دائمًا قدمًا، فيتلقى على الدوام نورًا جديدًا من الحق غير المتناهي الذي هو ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

ومن يتلقى نور الهداية الإلهية ليس متلقيًا سلبيًا فحسب؛ لأن كل فعل لنفس حرة، يخلق موقفًا جديدًا، وبذلك يتيح فرصًا جديدة تتجلى فيها قدرته على الإيجاد»[1].

□ لقد جانب إقبال الحقيقة الدينية المتعارف عليها في البعث والخلود في بعض الجزئيات، فهو مثلاً قد جعل من البعث فترة «لجرد البضائع»، وجعل الدار الآخرة موصولة بالدار الدنيا في حياة الإنسان، وأنه يمكن للمرء بعد موته أن يواصل عمله لمزيد من استكمال نموه النفسي وكماله الروحي، وهذا ما لا يقرّ به الإسلام الذي يرى الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وهي وحدها دار فرصة للعمل، وبموت الإنسان ينقطع عمله. والآخرة دار قرار وسكون وانقطاع عن العمل وجزاء عما قدّم الإنسان في الحياة الدنيا[2].

* **يقول الدكتور خليل الرحمن عبدالرحمن في كتابه «محمد إقبال موقفه من الحضارة الغربية»** (ص١٩٧ ـ ١٩٩):

قد أخطأ إقبال في تفسيره لقضية البعث والخلود خطأين أساسيين:

أولاً: أنه رأى أن الجنة والنار حالتان لا مكانان، ووصفهما في القرآن تصوير حسي لأمر نفساني أو لصفة أو حال. وذلك رأي يعارض ما جاء به الكتاب والسنة. فإن الجنة والجحيم مكانان محسوسان، وليسا نفسيين

---

(١) انظر «تجديد الفكر الديني في الإسلام» (ص١٤٠ ـ ١٤١)، و«الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي (ص٣٩٨ ـ ٤٠٠) ـ مكتبة وهبة بمصر.

(٢) انظر «محمد إقبال فكره الديني والفلسفي» (ص٤٤٥).

فحسب، على ما أجمعت عليه الأمة سلفًا وخلفًا، وعلى ما يشهد بذلك كثير من الآيات والأحاديث، مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣٠ - ٣١].

*وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٧ - ٣٠].

ثانيًا: إنه فسر الخلود والأبدية بحقبة من الزمن، تمنح النفس بعدها فرصة أخرى لاستئناف نشاطها وكفاحها، وليس في الإسلام، على ما يراه هو، لعنة أبدية، فالنار ليست هاوية من عذاب مقيم بل هي تجربة للتقويم، قد تجعل النفس القاسية تحس مرة أخرى بنفحات حية من رضوان اللَّه.. إلخ. وهذا تفسير يخالف، كذلك، إجماع الأمة، كما يعارض نصوص الكتاب والسنة الصريحة. فإن الآخرة ليست دار عمل وكفاح للنفس وإنما هي دار جزاء على أعمالها في الدنيا، فيما ينص عليه الكتاب والسنة. يقول الدكتور محمد البهي في هذا الخصوص:

«يلاحظ على تفكير إقبال أنه في محاولته شرح استمرار العالم، أو شرح خلوده وبقائه يرتفع في هذا الشرح عن المستوى الديني الذي يصوره الإسلام نفسه. وبذلك يبعد في تفسير النصوص التي استعان بها، عن مدلولاتها الطبيعية التي تلائم هذا المستوى.. فإذا جعل البعث فترة «لجرد البضائع»، وربط الدار الآخرة بالدار الدنيا في حياة الإنسان، فإنه يثير تساؤلاً عن (التكليف) من قبل الشرع ومدته، أهو في الدنيا والآخرة معًا؟. وتفسيره الخلود في النار عندئذ في قوله تعالى: ﴿خالدين فيها﴾، بأنه حقبة وفترة ما، يعطي بعدها الإنسان فترة أخرى للبقاء، أو للعمل يدعو لبقاء الإنسان خلوده - يشرح أن الإنسان في نظر إقبال مكلف في الدارين معًا.. ولكن الإسلام ينظر إلى الدنيا على أنها دار ابتلاء وامتحان، وينظر إلى الآخرة على أنها دار

قرار وسكون، أي دار ينقطع فيها الامتحان والاختبار. .»[١] .

□ ويقول سيد قطب ـ رحمه اللّه ـ منبهًا إلى أن دفعة الحماسة لمقاومة انحراف معين، قد تنشئ انحرافًا آخر:

«. . أراد (إقبال) أن ينفض عن الفكر الإسلامي وعن الحياة الإسلامية ذلك الضياع والفناء والسلبية، كما أراد أن يثبت للفكر الإسلامي واقعية (التجربة) التي يعتمد عليها المذهب التجريبي ثم المذهب الوضعي!، ولكن النتيجة كانت جموحًا في إبراز الذاتية الإنسانية، اضطر معه إلى تأويل بعض النصوص القرآنية تأويلاً تأباه طبيعتها. كما تأباه طبيعة التصور الإسلامي. لإثبات أن الموت ليس نهاية للتجربة، ولا حتى القيامة فالتجربة والنمو في الذات الإنسانية مستمران أيضًا، عند إقبال ـ بعد الجنة والنار. مع أن التصور الإسلامي حاسم في أن الدنيا دار ابتلاء وعمل، وأن الآخرة دار حساب وجزاء. وليست هنالك فرصة للنفس البشرية للعمل إلا في هذه الدار. كما أنه لا مجال لعمل جديد في الدار الآخرة بعد الحساب والجزاء»[٢] .

ومما يبدو أن إقبالاً في رأيه هذا متأثر تأثرًا ما، بفكرة التناسخ لدى الهندوس وبنظرية التطور الدائم المستمر لدى نيتشه، مع أنه يؤمن بانفصال الدارين، الدنيا والآخرة إيمانًا لا غموض فيه ولا شك، وذلك واضح من كتاباته وشعره. وقد تراجع إقبال عن رأيه هذا في آخر حياته على ما شهد به الأستاذ المودودي بأنه عاد صحيح العقيدة في أيامه الأخيرة (انظر إقباليات للمودودي ص٣٣).

*** مفهوم التجديد عند إقبال:**

«إن العمل العظيم الذي أداه الدكتور محمد إقبال في مجال الإصلاح له

---

(١) «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي (ص٤٢٥).

(٢) «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» لسيد قطب، الناشر دار الشروق ط١٩٨٠، (ص٢٣).

قيمة كبرى لا ينساها التاريخ الإسلامي، والعمل المهم الذي أنجزه محمد إقبال هو أنه أعلن حربًا لا هوادة فيها ضد الغرب وحضارته المادية، فقد كان الرجل الوحيد في عصره الذي لا يدانيه أحد في تعمقه في فلسفة الغرب ومعرفته بحضارته وحياته، فلما نهض يفند فلسفته وأفكاره المادية بدأ يذوب سحر الحضارة الغربية الذي كان يبهر القلوب ويستولي على النفوس»(١).

بهذه الكلمات وصف الأستاذ أبو الأعلى المودودي جهود محمد إقبال (١٨٧٧ ـ ١٩٣٨) في مجال الإصلاح والتربية وهي شهادة لها وزنها من رجل عاصره وعرفه. ويضيق نطاق هذه الدراسة عن تعداد إصلاحات إقبال، إنما نعرض هنا لأحد كتبه الذي لا يذكر اسم إقبال في العالمين العربي والغربي إلا ويقرن به. ذلك الكتاب الذي كان في الأصل ست محاضرات ألقاها عام ١٩٢٨ في الجامعات الهندية بطلب من الجمعية الإسلامية في مدراس وجمعت في كتاب باللغة الإنجليزية بعنوان:

(Reconstruction of Religious Thought Islam) وترجم إلى العربية بعنوان «تجديد الفكر الديني في الإسلام» فهذا الكتاب في بعض محتوياته يناقض ويهز الصورة التي رسمها العلامة المودودي لإقبال.

فهو في بعض فقرات الكتاب يحبذ صراحة تلك السرعة الكبيرة التي يتجه بها المسلمون روحيًا نحو الغرب، بعد أن ظل التفكير الديني راكدًا خلال القرون الخمسة الأخيرة، ويرى أنه لا غبار على هذا الاتجاه؛ لأن الثقافة الأوربية في جانبها العقلي ليست إلا ازدهارًا لبعض الجوانب الهامة في ثقافة الإسلام، ورغم أنه أضاف أنه يخشى أن ينخدع المسلمون بالمظهر الخارجي

---

(١) مجلة البعث الإسلامي ـ العدد الرابع ـ المجلد السادس عشر شوال ١٣٩١ هـ (ص١٥) واقرأ نفس الرأي للعلامة أبي الحسن الندوي في الصراع بين الفكر الإسلامي والفكرة الغربية (ص٨٢ ـ ٩٣).

البراق للثقافة الأوربية ويعجزوا عن إدراك كنهها وحقيقتها[١] ، إلا أنه لم يخف إعجابه البالغ بالإصلاحات التركية التي لا يماري أحد أنها كانت حركة تغريب وقعت فيما خشاه إقبال نفسه، وهو الانبهار بالمظهر الخارجي للحضارة الغربية، ولكن إقبال كان يعتبرها حركة (اجتهاد) لإعادة بناء الشريعة من جديد على ضوء الفكرة والخبرة في العصر الحديث، ويصفها بأنها أكثر اتفاقًا مع روح الإسلام[٢].

*** كلام لا يُقبل مطلقًا من إقبال: ثناؤه على ما فعله أتاتورك وأقزامه:**

ويشيد بالطريقة التي يمارس بها التركي (الاجتهاد) في قضاياه السياسية والدينية مستوحيًا على النحو الذي يفعله حقائق التجربة وحدها، لا التفكير الفلسفي المدرسي لفقهاء عاشوا وفكروا تحت ظلال أحوال من الحياة متباينة[٣].

ويقول: إن نهضة الإسلام المرتقبة لا بد أن تحذو حذو المثال التركي وأن تفعل ما فعله الترك فتعيد النظر في تراث الإسلام العقلي[٤].

ويستطرد للقول: إن معظم الأمم الإسلامية اليوم يكررون القول بالقيم التي قال بها السلف بطريقة آلية، أما تركيا فهي الأمة الإسلامية الوحيدة التي نفضت عن نفسها سبات العقائد الجامدة، واستيقظت من الرقاد الفكري وهي وحدها التي نادت بحقها في الحرية العقلية، وهي وحدها التي انتقلت من العالم المثالي إلى العالم الواقعي، وهذه النقلة وهذه الحياة الجديدة الفسيحة الأرجاء المفعمة بالحركة لا بد أن تستحدث لتركيا مواقف توحي بآراء جديدة،

(١) «تجديد الفكر الديني» إقبال (ص١٤) والطبعة الإنجليزية p.7

(٢) المصدر نفسه (ص١٨٠) والإنجليزية p.157

(٣) المصدر نفسه (ص١٨٢) والإنجليزية p.158

(٤) المصدر نفسه (ص١٧٦)، والطبعة الإنجليزية p.153

وتقتضي تأويلات مستحدثة للأصول والمبادئ، تلك الأصول والمبادئ التي كانت لها قيمة نظرية فقط عند قوم لم يمارسوا الانفتاح[1].

من هذه الآراء تتكشف معالم التجديد الذي يدعو إقبال الأمم الإسلامية إليه، فالتغير والحركة والنمو الذي يصيب العالم الإسلامي من اتجاهه نحو الغرب، يقتضي إعادة النظر في التراث وإعادة بناء الشريعة من جديد على ضوء الفكر والتجربة المعاصرة، واستحداث تأويلات جديدة للمبادئ والأصول. وهذه هي معالم العصرانية Modernism بعينها فهل كانت تلك حقًّا هي أفكار إقبال؟ وهل كان حقًّا يدعو إلى هذا النوع من التجديد؟

* تناقض إقبال:

تصف مريم جميلة هذه الآراء بأنها «من الأخطاء الفكرية التي وجدت طريقها إلى مؤلفات محمد إقبال النثرية باللغة الإنجليزية» وتقول: «إن أسوأ ما في الأمر في العالم الذي يتكلم الإنجليزية «ينبغي أن تضاف العربية أيضًا» والذي يجهل أشعاره بالأردية والفارسية[2] يعتقد أن هذا الكتاب يمثل بدقة أفكار العلامة محمد إقبال، وتؤكد أن إقبال نفسه اعترف في آخر حياته أنها خطأ كبير، وتسوق مقتطفات من شعره تناقض الآراء التي طرحها في الكتاب، وتعضد مريم جميلة أقوالها، برسالة شخصية بعثها إليها المودودي جاء فيها:

«.. ولكن محمد إقبال بكل عبقريته الشعرية، لم يكن ينجو من الأخطار، ولسوء الحظ فإن كتاباته لا تخلو كلية من المتناقضات، لقد كان إقبال يمر دومًا بمراحل مختلفة للتطور العقلي أثناء حياته، ولم يستطع أن

---

(١) المصدر نفسه (ص١٨٦) p.162

(٢) للشاعر إقبال سبعة دواوين شعر.

يكون فكرة صافية عن الإسلام إلا في السنوات القليلة الأخيرة من حياته، ففي السنوات الأولى من حياته تداخلت أفكار ومؤثرات غربية مع أفكاره الإسلامية»[١] .

ونمضي قدمًا في قراءات أخرى لفكر إقبال في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام. والكتاب في الأصل كتاب فلسفي وهو محاولة كما يقول عنه مؤلفه لإعادة بناء الفلسفة الإسلامية بناءً جديدًا آخذًا بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة[٢] ، ويبحث إقبال في هذا الكتاب المعرفة المكتسبة عن طريق التجربة الحسية، والمعرفة المكتسبة عن طريق ما يسميه التجربة الدينية (الصوفية)، ويقارن بين نوعي المعرفة هذين، ويناقش أيضًا حقيقة النفس وحريتها وخلودها والألوهية والنبوة وختم الرسالة ومبدأ التغير والحركة في الكون والمجتمع.

وأقدم مثالين يظهر بهما ما عند إقبال من نظرة عصرانية. ويطالعنا المثال الأول في تلك التأويلات التي يقدمها لبعض العقائد والتي تشابه تأويلات سيد خان والفلاسفة الأولين. يقول عن قصة هبوط آدم:

«وهكذا نرى أن قصة هبوط آدم كما جاءت في القرآن لا صلة لها بظهور الإنسان الأول على هذا الكوكب، وإنما أريد بها بالأحرى بيان ارتقاء الإنسان من الشهوة الغريزية إلى الشعور بأن له نفسًا حرة قادرة على الشك والعصيان[٣] .

---

(١) انظر «الإسلام بين النظرية والتطبيق» مريم جميلة (ص١٨٢ ـ ١٩٦) والطبعة الإنجليزية Islam in Theory & Practice, P. 246 - 259

(٢) «تجديد الفكر الديني» (ص٢).

(٣) «تجديد الفكر الديني» (ص٩٩) والطبعة الإنجليزية p.85

أما المثال الثاني للنزعة العصرانية عند إقبال فتظهر واضحة في الفصل الذي كتبه عن الاجتهاد وسماه «مبدأ الحركة في الإسلام»[١] ، ويقصد أن المبدأ الذي يواجه به الإسلام التغير والحركة هو الاجتهاد. ويعرف إقبال الاجتهاد ثم يقول: «وأصل الاجتهاد على ما أعتقد هو قول القرآن في آية مشهورة ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾، وهذا الاستدلال يكشف أن إقبال، لم يكن ـ آنذاك على الأقل ـ عميق المعرفة بالثقافة الإسلامية[٢] .

ويطرح إقبال في ذلك الفصل هذا السؤال الذي هو شغل العصرانية الشاغل «.. وأنتقل الآن إلى النظر فيما إذا كان تاريخ الشريعة الإسلامية وبناؤها يتبين فيهما إمكان تفسير الشريعة ومبادئها تفسيرًا جديدًا، وبعبارة أخرى الموضوع الذي أود أن أثير البحث فيه هل شريعة الإسلام قابلة للتطور؟».

وعنده أن الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى جهد عقلي عظيم، ويرى أن العالم الإسلامي عليه أن يواجه هذا السؤال بالروح التي كان يواجه بها عمر مشكلات الدين ويصفه بأنه أول عقل ممحص مستقل في الإسلام ولا ريب عنده أن التعمق في دراسة كتب الفقه والتشريع الهائلة العدد لا بد من أن تجعل الناقد بمنجاة من الرأي السطحي الذي يقول بأن شريعة الإسلام شريعة جامدة غير قابلة للتطور.

ثم يناقش تجديد أصول الفقه الإسلامي من أجل أن يتبخر الجمود المزعوم ويبدو للعيان إمكان حدوث تطور جديد.

٭ تجديد أصول الفقه:

إنه يرى أن القرآن هو الأصل للشريعة الإسلامية، وليس من شك في

---

(١) (ص١٦٨ ـ ٢٠٨) pp. 196 - 180

(٢) انظر «الفكر الإسلامي الحديث» لمحمد البهي (ص٤٨٣).

أن القرآن يقرر بعض المبادئ والأحكام العامة في التشريع، ولكن القرآن ليس مدون في قانون، فغرضه الأساسي هو أن يبعث في نفس الإنسان أسمى مراتب الشعور بما بينه وبين اللَّه وبينه وبين الكون من صلات. على أن الأمر الجدير بالملاحظة في هذا الصدد هو أن القرآن يعتبر الكون متغيرًا، ومن الواضح الجلي أن القرآن بما له من هذه النظرة لا يمكن أن يكون خصمًا للتطور، وأن المبادئ التشريعية في القرآن رحبة واسعة وأبعد ما تكون عن سد الطريق على التفكير الإنساني والنشاط التشريعي، وأن الرعيل الأول من الفقهاء اعتمدوا على هذه المبادئ واستنبطوا عددًا من النظم التشريعية، على أن مذاهبهم مع إحاطتها وشمولها ليست إلا تفسيرات فردية، وهم لم يزعموا أبدًا أن تفسيرهم للأمور واستنباطهم للأحكام هو آخر كلمة تقال فيها، وبما أن الأحوال قد تغيرت والعالم الإسلامي يتأثر اليوم بما يواجهه من قوى جديدة، فالرأي عنده «أن ما ينادي به الجيل الحاضر من أحرار الفكر في الإسلام من تفسير أصول المبادئ التشريعية تفسيرًا جديدًا، على ضوء تجاربهم وعلى هدي ما تقلب على حياة العصر من أحوال متغايرة هو رأي له ما يسوغه كل التسويغ».

ثم ينتقل إلى أحاديث الرسول المصطفى ﷺ التي هي الأصل الثاني العظيم للشريعة، وينقل رأي المستشرق جولد زهير بأن إخضاع الأحاديث للفحص الدقيق على ضوء القوانين المستحدثة في النقد التاريخي، يظهر أنها في جملتها لا يوثق بصحتها..

ثم يتناول بالبحث مسألة يعتبرها هامة، وهي أن الفرق بين الأحاديث التي تتضمن أحكامًا تشريعية والأحاديث التي ليس لها طابع تشريعي.. وحتى السنّة التشريعية يرى أن يبحث عن مدى ما تضمنته من عادات كانت للعرب قبل الإسلام، فتركها الإسلام دون تغيير، وأخرى أدخل فيها النبي

تعديلاً. وهل قبول النبي لها تصريحًا أو ضمنًا قد أريد بها أن تكون ذات صفة عامة في تطبيقها.

ويستشهد بأن أبا حنيفة لم يكن أحيانًا يعتمد على هذه الأحاديث، وذلك في نظره موقف جد سليم ثم يقول: «إذا رأى أصحاب النزعة الحرة في التفكير العصري، إنه من الأسلم ألا تتخذ هذه الأحاديث من غير أدنى تفريق بينها، أصلاً من أصول التشريع، فإنهم يكونون بذلك قد نهجوا منهج رجل من أعظم رجال التشريع بين أهل السنة».

□ والإجماع عند إقبال الذي هو الأصل الثالث من أصول التشريع الإسلامي قد يكون من أهم الأفكار التشريعية في الإسلام، وهو يرى ضرورة انتقال حق الاجتهاد من الأفراد إلى هيئة تشريعية إسلامية؛ لأن ذلك هو الشكل الوحيد الذي يمكن أن يتخذه الإجماع في الأزمنة الحديثة؛ لأن هذا الانتقال يكفل للمناقشات التشريعية الإفادة من آراء قوم من غير رجال الدين ممن يكون لهم بصر نافذ في شئون الحياة. وهو يتوقع لمثل هذه الهيئة التشريعية أن تخطئ خطأ فاحشًا في تفسير الشريعة؛ لأنها قد تتألف من رجال ليست لهم دراية بوقائع التشريع الإسلامي، ولكنه يستبعد أن يكون الحل تأليف لجنة دينية مستقلة، تكون لها سلطة الرقابة ويرى أن العلاج الوحيد الناجح للتقليل من وقوع الأخطاء في التأويل، هو إصلاح نظام التعليم القانوني وتوسيع مداه.

ثم يتساءل عن إجماع الصحابة، وهل إذا انعقد إجماعهم على أمر ما يكون ملزمًا للأجيال التي بعدهم؟ ويخلص إلى أن القول الجريء في ذلك هو أن الأجيال اللاحقة ليست ملزمة بإجماع الصحابة.

□ والأصل الرابع من أصول الفقه هو القياس ويرى إقبال أن القياس كان في الأصل ستاراً يتوارى خلفه الرأي الشخصي للمجتهد، وأن النقد

الدقيق الذي وجه لمبدأ القياس كان يهدف إلى كبح الميل إلى إيثار النظر المجرد والفكرة التي تدور في العقل على الأمر الواقع، على أن المنتقدين أنفسهم وقعوا في خطأ آخر، وهو أنهم رغم إدراكهم ما للواقع من شأن، إلا أنهم في الوقت نفسه جعلوه ثابتًا إلى الأبد وقصروا نظرهم على (السابقات) التي وقعت بالفعل في أيام النبي وصحابته، ثم يدعو إلى إحسان فهم وتطبيق مبدأ القياس وهو أنه حق طليق في حدود النصوص الملزمة»[1] .

*** ملاحظات على آراء إقبال حول الاجتهاد:**

وبعد أن استعرضنا آراء إقبال حول الاجتهاد والتشريع ومصادره الرئيسية المتفق عليها، يجب أن نعلق على نقاط الضعف في هذه الآراء بما رأيناه صوابًا وحقًا في ميزان التعليم الإسلامي الصحيح فنقول:

أولاً: ليست مشكلة الاجتهاد النظري مشكلة أساسية كما ظن إقبال بل المشكلة الأساسية هي العقبات القائمة في طريق تطبيق أحكام الإسلام وتحكيم الشريعة وتنفيذها في الأوضاع الحالية. فإن الغرب بجميع وسائله وعملائه وكامل سلطته ودهائه يحارب أي محاولة تقوم لتطبيق الشريعة ويفشلها فليس الإسلام في حاجة اليوم، إلى مجتهد نظري أو مقنن منطقي أكثر مما هو في حاجة إلى ما يقوم بتنفيذ الشريعة وتطبيق الأحكام المدونة في القرآن وكتب السنة والفقه. فإقبال يبدو متأثرًا إلى حد بالغ بدعاية المستشرقين الكذابين بأن الفقه الإسلامي لا يستطيع أن يتكفل بحاجات المجتمع المعاصر المتقدم في مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة وغيرها.

ثانيًا: لو فتح المجال للاجتهاد والاجتماع، كما يراه إقبال، بغض النظر عن الشروط والصلاحيات التي لا بد من توفرها في المجتهد عند الفقهاء

---

(١) «مفهوم تجديد الدين» لبسطامي محمد سعيد (ص١٣٥ ـ ١٤١) دار الدعوة ـ الكويت.

المتقدمين لكان ذلك فتحًا لباب الفتنة والفساد، فيأخذ كل متبع لهواه أو عميل لأعداء الإسلام يدعي لنفسه حق الاجتهاد ويبدي رأيه الفاسد باسم الاجتهاد والإصلاح، ويصير الدين عرضة للأهواء والفتن. فلا بد من الإصرار على توفر شروط الفقهاء عند من يدعي الاجتهاد. فالعودة إلى الاجتهاد مطلوبة، ولكن بنفس الشروط وبنفس الروح التي اجتهد بها فقهاؤنا القدامى الكبار.

ثالثًا: ما يراه إقبال حول السنة من أن بعضها ذو صفة عامة في تطبيقها والأخرى ليست كذلك، وحول الأمور التي أبقاها الإسلام دون تغيير، من تقاليد الجاهلية وكونها تعتبر تشريعًا أم أمورًا محلية، فهذا رأي خطير يفتح المجال للفتنة والفوضى والفساد؛ لأن كل شيء لم يغيره الإسلام من تقاليد الجاهلية عاد إسلاميًّا مصطبغًا بصبغة الإسلام، فإن الشريعة التي تركها لنا رسول اللَّه ﷺ إسلامية من أولها إلى آخرها. فإذا فتح المجال للتفرقة بين أمور الشريعة بأن بعضها من عادات العرب وتقاليد الجاهلية والأخرى ذات طابع إسلامي وأن بعضها ذو طبيعة وقتية وبعضها الآخر ذو صفة دائمة، يكون ذلك مدخلاً للفتن والأهواء والفساد على ما هو واضح فإنه لا يمكن وضع حد لهذا التمييز والتفرقة.

رابعًا: ردد إقبال ضمن هذا الباب غير مرة، كلمة الجمهورية والديمقراطية الروحية، فإذا كان قصده بذلك التآخي والتعاون الإسلامي وتشاور علماء الإسلام في أمور دينهم ودنياهم لكان من الأفضل أن يستخدم لذلك لفظ الشورى؛ لأن الشورى لها أصل ومكانة في الإسلام، وإذا قصد به تقليد أساليب الغرب في التقنين ووضع الأنظمة فذلك شيء ليس له مجال في الإسلام، فإن البشر ليس لهم حق في وضع القوانين. مهما بلغ عددهم ومهما تطورت علومهم.

وقد عارض هذه الفكرة إقبال نفسه وفندها في معظم شعره ومؤلفاته

فإنه كشف زيف الديمقراطية الغربية في مواضع لا تكاد تحصى، وقال في موضع أن مخ مائتي حمار لا تساوي مخ إنسان واحد.

وأخيرًا فإن إقبالاً بعرضه هذا البحث قد فتح مجالاً واسعًا، أمام طلبة الشريعة الإسلامية وعلمائها ليفكروا فيما يواجهه العالم الإسلامي من المشاكل والتحديات في العصر الحاضر، وما سيواجهه في المستقبل، وما يتحملونه من المسئوليات تجاه ربهم ودينهم وأمتهم. ولا حاجة بنا أن نسيء الظن في كون إقبال صادقًا، ولكنه متأثر بأفكار المستشرقين من جهة، ويبدو قليل المعرفة بروح الشريعة الإسلامية الخالصة من جهة أخرى.

☐ يقول الدكتور محمد البهي في هذا الشأن:

«ويلاحظ على إقبال أنه يقف في تفسيره لبعض آيات القرآن عند الحد العامي لمدلول اللفظ.. وقد يذهب في تفسير بعض آيات أخرى مذهبًا علميًّا أو فلسفيًّا ويبعد المعنى عن أن يكون في مستوى توجيه الإنسان المتوسط.. وحسن ظنه بالمستشرقين جعل فيه نقطة ضعف أخرى، وهي ثقته فيما يكتبون وتقبله له دون امتحان لما يكتبونه[1]».

*** ويُحمد لإقبال تحفّظه حين يقول:**

«إننا نرحب من أعماق قلوبنا بتحرير الفكر في الإسلام الحديث، ولكن ينبغي لنا أن نقرر أيضًا أن لحظة ظهور الأفكار الحرة في الإسلام هي من أدق اللحظات في تاريخه.. فحرية الفكر من شأنها أن تنزع إلى أن تكون من عوامل الانحلال..

أضف إلى هذا أن زعماء الإصلاح في الدين والسياسة قد يتجاوزون في تحمسهم لتحرير الفكر الحدود الصحيحة للإصلاح إذا انعدم ما يكبح

(١) «الفكر الإسلامي الحديث» للدكتور محمد البهي (ص٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٧).

جماح حميتهم الفتية . . »[١] .

* رأي بعض معاصري إقبال فيه :

☐ قال مولانا أبو الكلام أزاد عند وفاة إقبال: «إن الهند الحديثة لم تستطع إنتاج شاعر عظيم مثله، وإن وفاته خسارة للشرق بأكمله، وليست للهند فحسب» .

☐ وقال الشيخ أبو الأعلى المودودي ضمن مقابلته مع مندوب مجلة «سيارة» التي نشرت خلال فبراير ـ مارس ١٩٧٨م :

«إنه يوجد لدى إقبال تطور مستمر في الأفكار، فنجد مثلاً أنه يؤيد مصطفى كمال ويُظهر أنه رجل عبقري مثالي، ولكن عندما رأى تفاصيل الأحوال، عدّل رأيه . وفي الحقيقة هناك ثلاثة أطوار في حياة إقبال، وقد عاد قلبه، وفكره مسلمًا كاملاً في الطور الثالث والأخير من حياته»[٢] .

☐ ويقول الأستاذ السيد أبو الحسن علي الندوي تحت عنوان «صلتي بمحمد إقبال وشعره»: «أما بعد، فإني لا أعتقد في إقبال عصمة ولا قدسًا ولا إمامة ولا اجتهادًا في الدين . . إنني أعتقد أن الحكيم السنائي، وفريد الدين العطار، والعارف الرومي[٣] ، كانوا أرفع منه مكانة بكثير، في التأدب بآداب الشرع والجمع بين الظاهر والباطن، والدعوة والعمل، وقد كانت في محاضراته التي ألقاها في مدراس أفكار فلسفية وتفسيرات للعقيدة الإسلامية لا نوافقه عليها . . إنني لم أزل ـ والحق أحق أن يُقال ـ في كل دور من أدوار

---

(١) انظر «مفهوم تجديد الدين» (ص١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) «إقباليات» للمودودي ترتيب سميع الله وخالد همايون (ص٣٣).

(٣) هذا الجانب الصوفي والثناء على رجال الصوفية الذين عندهم الأخطاء الكثيرة في اعتقادهم مما يُعاب على الشيخ أبي الحسن الندوي .

حياتي وثقافتي معتقد أنه لا يزيد على أن يكون تلميذاً من تلاميذ الثقافة الإسلامية النجباء الأذكياء، درسها دراسة مخلصة، وكان لا يزال في حاجة إلى التعمق والرسوخ فيها، والاستفادة من معاصريه الكبار. وكانت في شخصيته الكبيرة النادرة جوانب ضعف لا تتفق مع عظمته العلمية وعظمة رسالته وشعره لم يجد وقتًا كافيًا وجوًّا ملائمًا لإكمالها وتسديدها. إن أجل ما أعتقده أن إقبال شاعر أنطقه اللَّه ببعض الحكم والحقائق في هذا العصر.. وأنه كان صاحب فكرة واضحة وعقيدة راسخة، عن خلود الرسالة المحمدية وعمومها، وعن خلود هذه الأمة وصلاحيتها للبقاء والازدهار، وعن كرامة المسلم، وأنه خُلِق ليقود ويسود، وعن تهافت المبادئ والفلسفات والدعوات التي ظهرت في هذا العصر، كالقومية الوطنية والشيوعية والرأسمالية، ووجدت فيه من وضوح الفكرة وشدة الاقتناع والتحمس لها، والشجاعة في نشرها، وفي نقد هذه الفلسفات، ما لم أجده مع الأسف في كثير من رجال الدين لعدم اكتناههم بحقيقتها واطلاعهم على نواياها وأهدافها وأسسها وتاريخها. وأخيرًا لا آخرًا، وجدته شاعر الطموح والحب والإيمان. وأشهد على نفسي أني كلما قرأت شعره جاش خاطري وثارت عواطفي، وشعرت بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسي، وبحركة للحماسة الإسلامية في عروقي، وتلك قيمة شعره وأدبه في نظري»[1].

* رجوع إقبال عن رأيه ومدحه أولاً لمصطفى كمال أتاتورك:

كان من رأي إقبال أن حركة التجديد ـ كما يزعمون ـ التي قام بها بعض الأتراك المحدثين ـ وفي مقدمة الدعاة لها الشاعر ضيا كوك آلب (١٨٧٥ ـ ١٩٢٤) ـ هي حركة مثالية في إصلاح الفكر الديني في الإسلام،

(١) «روائع إقبال» لأبي الحسن الندوي (ص٢٠ ـ ٢٢).

فقال: «وإذا كانت نهضة الإسلام أمرًا واقعًا، وأنا أعتقد أنها أمر واقع، فلا بد من أن نفعل يومًا ما فعله الترك، فنعيد النظر في تراثنا العقلي..»(١).

فكان هذا رأيه حول الثورة القومية التركية التي نادى بها الشاعر ضيا ومصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١ ـ ١٩٣٨م) ضمن محاضراته «تجديد الفكر الديني» التي نشرت في عام ١٩٣٠م، بينما أنه نبّه المسلمين كذلك في نفس المحاضرة إلى الأخطار التي يمكن حدوثها من حرّية الفكر وعدم التقيد بأحكام الشريعة فقال:

«إنا نرحب من أعماق قلوبنا بتحرير الفكر في الإسلام الحديث «يعني الفترة الحديثة في حياة الأمة المسلمة» ولكن ينبغي لنا أن نقرر أيضًا أن لحظة ظهور الأفكار الحرة في الإسلام هي أدق اللحظات في تاريخه، فحرية الفكر من شأنها أن تنزع إلى أن تكون من عوامل الانحلال، وفكرة القومية الجنسية ـ التي يبدو أنها تعمل في الإسلام العصري أقوى مما عُرف من قبل ـ قد ينتهي أمرها إلى القضاء على النظرية الإسلامية العامة الشاملة التي تشرّبتها نفوس المسلمين من دين الإسلام»(٢).

كما أنه أخذ كذلك في نفس المحاضرة على دعوة الشاعر ضيا إلى المساواة بين الرجل والمرأة في الزواج والطلاق والميراث، فقال:

أما فيما يتعلّق بما ينادي به الشاعر التركي (ضيا) فإني أخشى أنه يبدو قليل العلم بقانون الأسرة في الإسلام، كما يظهر أنه لا يفهم المعنى الاقتصادي لقاعدة التوريث كما جاءت في القرآن»(٣).

❑ وقد أُعجِب إقبال بمصطفى كمال أتاتورك وعلّق أمالاً كبيرة بعزمه

(١) «تجديد الفكر الديني» (ص١٧٦).
(٢) «تجديد الفكر الديني» (ص١٨٧).
(٣) المصدر السابق (ص١٩٤ ـ ١٩٥).

وإقدامه كما يتبيّن ذلك من نشيده الذي يتضمّنه ديوان بيام مشرق بعنوان «خطاب إلى مصطفى كمال باشا ـ أيدّه اللَّه ـ!! (يوليو ١٩٢٢ ـ بيام مشرق، ص١٣٨)، ولكنه عندما عرف حقيقة هذه الثورة ودعاتها، تراجع عن رأيه السابق فقال على لسان سعيد حليم باشا، في ديوان «جاويد نامه» الذي نشر في ١٩٣٢م «إن مصطفى كمال قد تغنّى بالتجدّد وقال: ينبغي أن تُنسخ الشريعة الإسلامية وتمسح الآثار العتيقة. ولكن يا صاحبي لن تتجدد الحياة في الكعبة المشرفة إذا استوردت الأصنام من لاة ومناة، إليها من أوروبا، فليس في قيثارة التركي (مصطفى كمال) لحن جديد فإن ما توهمه جديداً إنما هو نغمة تركتها أوروبا وراء ظهرها وأصبحت قديمة بالية لديها»[١].

وكذلك استنكر إقبال أعمال مصطفى كمال في ديوان ضرب الكليم الذي نشر في عام ١٩٣٦م، فقال: أنا شدوت حتى مزّقت شقائق النعمان جيوبها وجدًا، ونسيم الصبح لا يزال يطلب روضًا ينضر أزهاره، لا مصطفى كمال ولا رضا شاه بهلوي مظهر لروح الشرق، فإنها تطلب الآن شخصية تظهر فيها:

جيب الشقائق من شدوي غدا مزقا ... ونسمة الصبح روضا تطلب الآنا
ما «مصطفى» أو «رضا» جلّى حقيقتها ... فالروح في الشرق جسمًا تطلب الآنا[٢]

فعاد إقبال ـ وهذا حسن الظن ـ عن مدحه لأتاتورك الطاغية والعود أحمد.

* * *

(١) «جاويد نامه» (ص٦٦).
(٢) «ضرب كليم» (ص١٤٢).

الكفر ملة واحدة
عنوانها
العداء للإسلام

الكفر ملة واحدة عنوانها العداء للإسلام

*** المعلم «يعقوب» أو الجنرال يعقوب الخائن لمصر:**

في إطار المخادعة وإلباس التاج أو وضعه فوق رأس الخونة ومن لا يستحقون، يقدم لنا (لويس عوض) شخصًا نصرانيًّا اسمه (المعلم يعقوب) أو (الجنرال يعقوب) كما يسميه، علامة على نمو النزعة القوميـة لدى المصريـين - كما يزعم - نتيجة للثورة الفرنسية وحملة نابليون على مصر، ويخصص لويس الباب الرابع من «الخلفية السياسية» في كتابه «تاريخ الفكر المصري الحديث» للحديث عن يعقوب تحت عنوان «مشروع الاستقلال الأول»[١]، ويخبرنا أن (يعقوب) كان يحمل في جعبته مشروعًا خطيرًا كان في نيته عرضه على الإنجليز والفرنسيين، وهو مشروع استقلال مصر[٢]، ويوحي كلامه بأن (يعقوب) كان يمثل المسلمين والنصارى[٣]، ويربط بين الحركات الثورية التي قامت في أرجاء العالم العربي، وبخاصة الحركات الباطنية (الزنج والقرامطة والكورانية والنصيرية والشعشاعية وغيرها) وبين حركة المعلم يعقوب، كما يشير إلى تشابهها مع جمهورية همام التي قامت في الصعيد ويعدها نموذجًا لنظام الحكم الذي يقترح يعقوب قيامه في مصر[٤].

والسؤال هو: استقلال مصر عن من؟ ولماذا؟ ومن الذي كان يحكم مصر؟ وهل لا بد من أن يأتي الاستقلال على يد الخائن يعقوب؟

إن لويس يقصد باستقلال مصر انفصالها عن الخلافة العثمانية أو الباب

---

(١) نفسه (٨٠).

(٢) «تاريخ الفكر المصري الحديث» للويس عوض (ص١٤٩) وما بعدها.

(٣) السابق (ص١٥١)، وانظر «مقالات في النقد والأدب» (ص١١٧).

(٤) «تاريخ الفكر المصري الحديث» (ص١٥٥).

العالي؛ لأن ارتباط مصر بالشعوب الإسلامية، يجور على استقلالها، أما ارتباطها بالاستعمار الفرنسي، فهو بداية القومية المصرية والعصر الديمقراطي، وإذا كان المماليك والأتراك، يحكمون مصر، فلا بد من التخلص منهم أولاً - وليس من الحملة الفرنسية - ليكون نظام الحكم على غرار جمهورية الأمير همام في الصعيد الذي أعلن استقلاله بعد استنفار قواته لمواجهة الترك والمماليك جميعًا.. ومن ثم. فإن الاستقلال على يد الخائن يعقوب، يصبح هو طوق النجاة، الذي بشَّر به من خلال مشروعه الذي عرضه على الدول الأوربية..

ترى ما الذي جعل المعلم يعقوب يبدو بطلاً لاستقلال مصر كما صوره لويس عوض؟

كان المعلم يعقوب يعمل في مجال الصرافة (تحصيل الأموال من المصريين)، وعندما جاءت الحملة الفرنسية استغلت نفرًا من طائفة النصارى المصريين والشوام، واستمالتهم إلى جانبها والقتال معها أو تأمين قواتها، ويشير (عبدالرحمن الرافعي) إلى أن نابليون أصدر أمره بتكليف كتيبة من الأروام المقيمين في ذلك العهد بالقاهرة ورشيد ودمياط وعهد إليها حراسة السفن الفرنسية أثناء مرورها بالنيل، وأراد نابليون من هذا الأمر أن يوفر بعض الجنود الفرنسيين، وأن يستخدم في هذه المهمة الأروام الذين أظهروا ولاءهم للجيش الفرنسي، لكن الأروام لم يتطوعوا لهذه المهمة بالعدد الذي كان ينتظره الفرنسيون[٢].

ويلاحظ أن الرافعي لم يشر إلى تشكيل الفيلق القبطي بقيادة المعلم

---

(١) السابق (ص٢٦).

(٢) «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر» لعبدالرحمن الرافعي (١/ ٢٩٥).

يعقوب، الذي أسهب الجبرتي في الحديث عنه، وعن خيانته لوطنه. . يذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٥٢١ هجرية (١٨٠٠ ـ ١٨٠١م) أن «يعقوب القبطي لما تظاهر مع الفرنساوية، وجعلوه ساري عسكر القبطة، جمع شبان القبط وحلق لحاهم، وزياهم بزي مشابه لعسكر الفرنساوية، مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رءوسهم، مشابه لشكل البرنيطة، وعليها قطعة فروة سوداء من جلد الغنم. . في غاية البشاعة! وصيرهم عسكره وعزوته، وجمعهم من أقصى الصعيد وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى ـ التي هو ساكن بها ـ خلف الجامع الأحمر، وبنى له قلعة، وسورها بسور عظيم وأبراج، وباب كبير يحيط به بدنات عظام. وكذلك بنى أبراجًا في ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية، وفي جميع السور المحيط والأبراج طيقانًا للمدافع وبنادق على هيئة سور مصر الذي رمّه الفرنساوية، ورتب على باب القلعة ـ الخارج والداخل ـ عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلاً ونهارًا، وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية»[1].

هذا هو المعلم يعقوب الذي أعدّ أول مشروع استقلال لمصر كما يرى لويس عوض أنه يكوّن فيلقًا عسكريًّا على الطريقة الفرنسية يتكون من شباب النصارى ويشيّد التحصينات والقلاع ليحارب!! يحارب من؟ يحارب الفرنسيّين أم غيرهم؟ لو حارب الفرنسيّين، فإن مشروعه الاستقلالي يصبح ذا موضوع، ولكن الجبرتي يقول إنه: «تظاهر مع الفرنساوية»، أي صار ظهيرًا لهم، أي واحدًا منهم، أي عدوًّا لشعبه ووطنه الذي يزعم لويس أنه يريد أن يحقق له الاستقلال!.

والجبرتي ـ كما يصفه عبدالرحمن الرافعي ـ كان يتحرى الصدق والدقة

(١) «المختار من تاريخ الجبرتي» اختيار محمد قنديل (ص٤٢٤) ـ دار الشعب.

ويتوخى الحق، ولم يكن يتحيز لطائفة أو دولة، أو لأي إنسان مهما عظم نفوذه، ثم يقول الرافعي: «وإنك لتستطيع أن تتحق نزاهة الجبرتي من مطالعة كتابه وإمعان النظر فيه»[(١)] .

والجبرتي هو الذي يصف لنا ما أنزله يعقوب ـ تحت ظلال حملة نابليون ـ بالشعب المصري، من خلال نزعته الطائفية التعصبية، فقد «كرنك في داره بالدرب الواسع جهة الرويعي، واستعدّ استعدادًا كبيرًا بالسلاح والعسكر المحاربين، وتحصّن بقلعته التي كان قد شيدها بعد الواقعة الأولى (أي ثورة القاهرة الأولى ضد بونابرت وجيشه). فكان معظم حرب حسن بك الجداوي (من زعماء المماليك) معه»[(٢)] .

☐ ويذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٦ هجرية (٢٠ من المحرم = يونيه ١٨٠١م):

«توكل رجل قبطي يقال له عبدالله ـ من طرف يعقوب ـ بجمع طائفة من الناس لعمل المتاريس، فتعدّى على بعض الأعيان، وأنزلهم من على دوابهم، وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه.. فتشكى الناس من ذلك القبطي، وأنهوا شكواهم إلى «بليار» قائمقام، فأمر بالقبض على ذلك القبطي، وحبسه بالقلعة، ثم فردوا ـ لعلها فرضوا ـ على كل حارة رجلين يأتي بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة»[(٣)] .

ويشير الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٤هـ (٢٠ من ذي الحجة = ١٥

---

(١) «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر» (ص٤١٧) وما بعدها ـ ط٥ طبع دار المعارف.

(٢) «المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة» لأحمد حسين الصاوي (ص٢٦) ـ دار الفكر ـ القاهرة.

(٣) «المختار من تاريخ الجبرتي» (ص٤٣٦).

مايو ١٨٠٠م) إلى التعنّت الذي مارسه الفرنسيون بإرشاد القبطة وطوائف البلاد (أي بمساعدتهم) «لأنهم هم الذين تقلّدوا المناصب الجليلة، وتقاسموا الأقاليم، والتزموا بجمع الأموال، ويضيف «وانضم إليهم الأسافل من القبط والأراذل من المنافقين»[(١)] .

ويتحدث الجبرتي في حوادث السنة ذاتها إلى تطاول النصارى القبط والشوام على المسلمين بالسب والضرب والنيل منهم وإظهار الحقد عليهم «ولم يبقوا للصلح مكانًا، وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحّدين»[(٢)].

هذا هو المعلم يعقوب أو الجنرال يعقوب وجماعته الذين كوّنوا جيشًا يتحالف مع نابليون لإذلال المصريين، فهل يمكن لعاقل أن يفهم بعد ذلك طبيعة المشروع الاستقلالي الذي يتحدث عنه لويس عوض؟

لقد تناول عدد من الكتاب مسألة المعلم يعقوب بالشرح والتحليل، منهم محمد جلال كشك، في كتابيه «ودخلت الخيل الأزهر» الذي أشرنا إليه من قبل، و«الغزو الفكري» حيث خصص له فصلاً كاملاً (من صفحة ٨٤ إلى ص١٣٠)، ويردّ فيهما على مزاعم لويس حول يعقوب وبطولاته، واستشهد بما قاله «محمد شفيق غربال» الذي نقل عنه لويس ما قاله في يعقوب، واستشهد أيضًا بالجبرتي لدحض هذه المزاعم، ويعترف محمد جلال كشك أنه شارك في خطيئة الإشادة بالجنرال يعقوب عندما كتب مؤلفه «مصريون لا طوائف»، ويرجع ذلك إلى أنه كان صغير السن آنئذٍ»[(٣)] .

ويخصص (أحمد حسين الصاوي) كتابًا كاملاً عن يعقوب، ويتناول الآراء التي قيلت فيه، ويصل إلى نتيجة تقول: «إنه لم يكن مجرد خائن

---

(١) السابق (ص٣٧٠، ٣٧٢).

(٢) نفسه (ص٣٦٨، ٣٩٦، ٤٤٥).

(٣) «الغزو الفكري» (ص١٠٦).

لقومه وبلاده، فوصفه بذلك من قبيل إطلاق الأحكام العامة التي تفتقر إلى التحديد، والأدق أن يوصف بأنه منشق على نظام الحكم القائم وبنيته رافض له، ولكن ما أساء إلى موقفه أبعد الإساءة أن هذا الانشقاق والرفض اتخذ من البداية بُعْدًا طائفيًّا مذمومًا، فضلاً عما امتزج به من طموحات شخصية»[(١)].

ولا أدري بم نصف مواطنًا انحاز لعدوّ البلاد الذي قتل أبناءها واغتصب نساءها ونهب أموالها وخيراتها وأهلك قراها ومدنها.. ثم حارب إلى جانبه، وأسفر عن وجهه الطائفي المتعصّب، وآذى ـ كما أخبرنا الجبرتي ـ مواطنيه وشعبه؟ هل يكفي أن نصفه بالمنشق على نظام الحكم؟ أليست القرائن الدالة والسلوكيات التي مارسها يعقوب خير برهان على خيانته وعمالته؟

إن الصاوي نفسه يزيد هذه القرائن والسلوكيات توضيحًا عندما يقول:

«لقد رفض يعقوب إذ واتته الفرصة أن يستمر في الخضوع لنظام الحكم الإسلامي، الذي كان في رأيه يمثل طغيان الأغلبية على الأقلية، وفي ظلّه تضطهد طائفته القبطية وتمتهن حقوقها، وانشق يعقوب على أمته، فصانع ـ كما رأينا ـ الحاكم الفرنسي منذ البداية، وذهب في مصانعته إلى أبعد مدى، وكان له من رفضه وانشقاقه موقف لم يحد عنه، بل راح ينتهز كل فرصة لإثباته وتأكيده، وهو موقف اتسم بنظرة طائفية متطرفة كانت لها مظاهرها التعصبية الحادة»[(٢)].

والصاوي نفسه هو الذي يصفه يعقوب بالشذوذ عن مألوف طائفته، وارتداء الزّي المخالف، واتخاذ امرأة من غير جنسه بطريقة غير شرعية (كانت سورية)، ولم يكن رجال الدين راضين عن غروره وخروج تصرفاته معهم

(١) «المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة» (ص٨١).
(٢) السابق، الصفحة نفسها.

ومع الكنيسة عما تنبغي مراعاته من الأصول والتقاليد[(١)] .

لقد كان يعقوب خائنًا بكل المقاييس، والأمر ينطبق على أي مسلم ينضم إلى قوات العدو الغازية، أيًّا كانت الأسباب وراء هذا الانضمام، فما بالك برجل باع نفسه تمامًا للحملة الفرنسية، وقَبِلَ من أحد قادتها (كليبر) رتبة الجنرال، وبعد انهزام الحملة هرب معها؟

إن يعقوب ليس مجرد منشق، وإنما كان خائنًا، ألبسه (لويس عوض) تاج الوطنية، وأسند إليه شرف البطولة في البحث عن استقلال مصر عن الباب العالي ودولة الخلافة، وفضّله على واحد من أعظم أبطال مصر الحقيقيين وهو السيد (عمر مكرم) نقيب الأشراف الذي عزل (خورشيد باشا) وولّى (محمد علي) وألبسه الكرك ونزل الخليفة العثماني على رأيه ورأي علماء الإسلام، وإن كانت نتيجة بطولته أن نفي إلى دمياط!

ومع أن الذين ناقشوا آراء لويس حول يعقوب، قد اعتمدوا الأسلوب العلمي في مناقشته، وبيان تهافت ما ذهب إليه مع تفاوت آرائهم في الحكم على يعقوب، ألا أنه يكتفي بوصفهم بالرجعية والتعصب الديني، ويتوعدهم بحساب التاريخ، ويقول: وسوف يحاسب التاريخ الرجعية العربية حسابًا عسيرًا؛ لأنها سجدت أمام التمثال الذي أقامه شفيق غربال للجنرال يعقوب، ثم مزقتني إربًا لمجرد أنني رددت آراءه وترجمت وثائقه. ونقادي لا يستطيعون ادعاء الجهل؛ لأني أصلت لهم كل شيء قلته عن الجنرال يعقوب في شفيق غربال، فإذا كانوا قد رجعوا إليه، ومع ذلك تعمّدوا تمزيقي لطرق قضيّة (يعقوب اللعين) بهذه الحيدة أو بشيء من التعاطف، فإن هذا يثبت سوء نيتهم، وإذا كانوا لم يهتموا بالرجوع فهذا يثبت انحطاطهم لإصرارهم على

---

(١) السابق أيضًا (ص١٨).

الإدانة رغم وجود شهود النفي. وعلى كل فقضية الجنرال يعقوب أخطر من أن تصرف بكلمتين فلي إليها عودة في مكانها الطبيعي»[١] .

بالطبع، لم يعد لويس إلى القضية أبدًا، ولم يكن ردّه الانفعالي الذي سبّ فيه منتقديه، وصفهم بالانحطاط وسوء النية والرجعية والتعصب الديني، كافيًا لإثبات حسن نيته.. فالعلم حجة وأخرى مضادة.. ومن يملك الدليل والبرهان لا يرد عليه إلا بالدليل والبرهان.. وكون شفيق غربال قد سبق إلى الكتابة عن يعقوب وصديقه الحميم لاسكاريس بالفرنسية أو نقلاً عنها، فهذا لا يعفي لويس من المؤاخذة؛ لأن القضية التي يناقشها لا تقتصر على شخص يعقوب، بل تمس تاريخ أمة وكيانها وحاضرها ومستقبلها، ولويس أبدى آراءه القاطعة، وأحكامه الجازمة، بل جعل عنوان الحديث عن يعقوب «مشروع الاستقلال الأول»، وربط هذا المشروع بما زعمه من تقديم الحملة الفرنسية معالم حضارية حديثة لمصر القومية والديمقراطية.. فهل يحق له بعدئذ أن يصرخ من تمزيقه إربًا؟ وهل هذا اعتراف ضمني بهشاشة موقفه؟ ألم يكن من الأولى أن يحدثنا عن بشاعة الحملة الفرنسية ودمويتها وكيفية مقاومتها، وقبح الانضمام إلى المستعمر الغازي أيًا كانت الأسباب، وأيًّا كان الأشخاص المنضمين إليه؟»[٢] .

* الدكتور فيليب حتّي صاحب «تاريخ العرب» وتزييفه لتاريخ المسلمين والعرب:

«ما يزال كتاب «تاريخ للعرب» للدكتور فيليب حتى، مرجعًا من المراجع الهامة التي يعتمد عليها الباحثون وأساتذة الجامعات والكتاب،

---

(١) «أوراق العمر» (ص٥٩٧ ـ ٥٩٨).

(٢) «لويس عوض.. الأسطورة والحقيقة» (ص٢٤٠ ـ ٢٤٥).

كمصدر سهل ميسور بالرغم مما يحمل في تضاعيفه من أخطاء وشبهات، وقد حاول الدكتور عبدالعزيز الدوري مواجهة انحرافات هذا الكتاب في دراسة شاملة فأشار إلى أن تسمية مؤلفة (تاريخ العرب) تشعر بوجهة نظر مؤلفه الخاصة، فلم يسمه تاريخ الإسلام مثلاً، وهي تسمية تباين الكتاب في استعمالها بحسب تقديرهم لطبيعة هذا التاريخ، ومع أن نظرته لدور العرب الحضاري فيها مجال لإعادة النظر، إلا أنه يشعرك بأن العرب هم محور هذا التاريخ وقاعدته، أما مادة الكتاب فلا تشعر بوجهة نظر تاريخية، ولكنا نشعر أن مؤلفه وقع تحت تأثير مصادره أكثر مما تشعر بوجهة له، ونحن نرى في بعض النواحي الكتاب تلخيصًا لآراء حديثة لبعض المستشرقين أوردها لبعضهم تبين أنها واهية. لم يحاول المؤلف وضع مفهوم جديد للفتوحات ولم يخرج عن هيكل نظرية (كايتاني) رغم ما تعرضت له من هزات.

وتحدث المؤلف عن مناحي الحياة الفكرية في العصر الأموي وردد مع غيره أن العرب الفاتحين لم يكن لهم «أي ثقافة أو تراث فكري»، وأنهم تعلقوا بحضارة الأمم التي غلبوها فنقلوا عنها، وكانوا مهرة في النقل وأظهروا قابلية للغذاء العقلي. ويرى أن شجرة الفكر (العربي) التي ازدهرت في العصر العباسي تأصلت جذورها في ثقافات العهود السابقة في الإغريق والفرس واليونان. ونحن نعرف النشاط الفكري في العصر الأموي كما بان في عرف المؤلف نفسه ـ في الدراسات العربية الإسلامية، وظهر في مراكز عربية صرفة وهي المدينة والكوفة والبصرة، وأن الخطوط العامة لهذه الدراسات وضعت في العصر الأموي، أما الأخذ عن الحضارات القديمة فكان في حقل الإدارة (خاصة الضرائب)، وإن تسربت بعض الآراء فقد كان ذلك عرضًا وبطريق الاتصال الشفوي، ولم يحصل الأخذ المنظم إلا في زمن العباسيين، وهذا يصدق على «علوم الأوائل» ولا يمكن تعميمه على نواحي

الفكر المختلفة.

ويتابع (فيليب حتى) نفس الوجهة حين يتحدث عن (الأندلس) فهو يرى أن سبب تأخر أسبانيا في نشوء فقه اللغة العربية والعلوم الدينية وكتابه التاريخ؛ «لأنه لم يكن عند الأسبان أهل البلاد من العلم والفن ما يفيدون به العرب بخلاف ما كانت عليه الحالة في الشام والعراق حين دخلهما الفاتحون»، ونسي المؤلف أن مراكز الدراسات العربية الخالصة وليس في المدن القديمة كدمشق والإسكندرية، وأنها كانت على يد العرب ولم يشارك فيها غير العرب جديًا إلا بعد أن تعربوا. وبعد هذا يحق لنا أن نتساءل: هل أن العرب خرجوا من الجزيرة وهم دون أي ثقافة أو تراث فكري، وماذا حل بعرب المدن في جنوب الجزيرة وشمالها. إن النقوش تكشف لنا تدريجيًا عن نواح حضارية كانت مجهولة لدينا، كما أننا تحت تأثير مصادرنا ـ لم نعن بدراسة أثر عرب الجنوب في الحضارة العربية، وإذا كانت معلوماتنا الآن محدودة فإن هذا لا يخير لنا الحكم السلبي.

□ كتابة التاريخ عند العرب:

ويذهب (فيليب حتى) إلى أن لكتابة التاريخ عند العرب أصولاً شيدت على أسس الطريقة الفارسية.

□ ويقول الدكتور الدوري: وقد تبين لي من دراسة نشأة علم التاريخ عن العرب أن هذا العلم عربي النشأة والأصول، وأن خطوطه الأساسية تحددت قبل الترجمة عن الفارسية، ولذا فإن قول فيليب حتى بأن (المثال) الذي احتذاه المؤلفون فارسيًا في الأصل على طريقة (خذ اينامه) مردود لأننا نعرف أن كتابة التاريخ على أساس السير وعلى أساس الأسر الحاكمة عرف قبل ترجمة «الخد اينامه» وقد بدأ علم التاريخ عند العرب من أصول تتصل بدراسة الحديث (المغازي) من جهة، وبمتابعة الاهتمام الموروث من الجاهلية بالأيام كما ظهر لدى الإخباريين.

☐ ويقول: الدكتور الدوري: أن ما أورده حتى عن المذاهب الفقهية فيه قلق، ومن الحديث يشعر بأنه لم يدقق ولم يستفد من بعض الباحثين المبرززين، وما كتبه عن الإسماعيلية والقرامطة يعكس ببساطة بعض الروايات الشائعة، وكأنه لم يستفد من الدراسات الحديثة.

وحديثه عن الشيعة قلق، وهو أحيانًا يلخص بعض المعلومات عن المصادر الأولية دون نقد، وتفسيره لانتشار الإسلام بأسباب مادية (ص٤٤١) يحتاج إلى إعادة نظر، وقد فاته أن انتشار الإسلام في أدوار ضعفه السياسي كان أوسع من انتشاره قبل ذلك، ويكفي أن تشير إلى كتاب أرنولد «الدعوة إلى الإسلام». وتفسيره للشعوبية (ص٤٨٨) بعيد كل البعد عن تحليل دوافعها واتجاهاتها، فهو يراها مجرد دعوة للتسوية في حين أن الحركة لها جذور عميقة في الوعي القومي والديني للشعوب الأخرى، وخاصة الإيرانيين وأنها بدأت بنبرة التسوية في العصر الأموي فإنها سرعان ما انتقلت إلى تفضيل العجم على العرب وإلى مهاجمة التراث والكيان العربي الإسلامي، وكانت وثيقة الصلة بالزندقة. ولكنها برزت في حركة أدبية فكرية قوية.

☐ كما قبل المؤلف أسطورة العبّاسة لتفسير نكبة البرامكة دون تمحيص»[1] اهـ.

* غاندي.. الهندوسي المتعصب يسرق الحركة الوطنية من المسلمين:

«الهندوسي المتعصب الذي أخفى هندوسيته البغيضة وراء المغزل والشاة.

وكان أول سياسي طالب بتأجيل الاستقلال مناديًا بمهادنة السلطة، وعدم مناوأة حكومة الاستعمار.

وكانت فلسفة غاندي التي استقاها من تولستوي ولقنوها لنا في الشرق

(١) «مقدمات العلوم والمناهج» (١/ ٤٠٢ _ ٤٠٤).

هي التغاضي عن تصرفات المستعمر والاستسلام له.

□والحقيقة أن الزعماء المسلمين هم الذين أعلنوا استقلال الهند الحقيقي وعينوا قضاة المحاكم وحكام المقاطعات وتجاهلوا جميع كل السلطات وقد ظهرت آثار المسلمين واضحة في الحركة الوطنية وضعفت وطنية الهندوك فحاربوا المسلمين بكل سلاح حتى سلاح الفتنة الوطنية والدس الرخيص.

□كان السؤال: حول غاندي وتكريمه، والأحاديث التي تنشر عنه في الصحف، وتصويره بصورة البطل: ومحاولة القول بأنه كان رمزًا للمصريين إبان الحركة الوطنية المصرية بعد ثورة ١٩١٩ وكانت الإجابة كالآتي:

بدأت الحركة الوطنية لتحرير الهند في أحضان الحركة الإسلامية، وقد أزعجت الاستعمار البريطاني هذه الخطوة فعمدوا إلى القضاء عليها بأسلوب غاية في المكر والبراعة فقد نحى المسلمين عن قيادة الحركة الوطنية وأسلمها إلى الهندوس، وأجراها على الاسلوب الذي سيطر على الهند بعد ثورة ١٨٥٧ التي قادها المسلمون وكان الاستعمار البريطاني حريصًا على ألا تتحقق للمسلمين السيطرة على الهند بعد أن ظل الإسلام يحكم الهند أكثر من خمسمائة عام إلى أن أزاله الإنجليز.

والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعزفوا عنها حتى أتيح لهم إقامة نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد الإسلامية، انتشرت في «لاهور» و«لكنؤ» ولم تلبث أن حققت تقدمًا واضحًا واسع المجال. ثم اتجه العمل لتحرير الهند فألفت الجمعية الإسلامية العامة في الهند لكنؤ (بومباي) وكان يشرف عليها كبار المسلمين في الهند مطالبين بحقوق المسلمين في الهند كوطنيين وكان الهندوك قد أعلنوا إنشاء المؤتمر الوطني العام وسموه المجلس الملّي الوطني الهندي العام. وكان غايته أن ينالوا حقوقًا سياسية تخولهم السيادة على الأقليات (وهم لا يريدون من

كلمة الأقليات غير المسلمين)، وفي عام ١٩١٠ نبهت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود الحسيني أن يغادر الهند وقبض على أعوانه: أبو الكلام أزاد، حسرت مهاني، ظفر اللّه خان، محمد علي، شوكت علي. ولما عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها لإجراء إصلاحات في قانون الهند. فاتفق الفريقان (المسلمون والهندوس) على عقد مؤتمر في لكنؤ يجتمع فيه زعماء الفريقين.

وفي عام ١٩١٩ أطلقت الحكومة سراح المسجونين السياسيين المسلمين، فاجتمع زعماؤهم في لكنؤ بدعوة مولاي عبدالباري رئيس علماء أفرنجي محل فتداولوا في تأسيس جمعية إسلامية لتنظيم مطالب الاستقلال وكان قد ظهر في هذا الوقت تآمر الدول الكبرى على تمزيق شمل الدولة العثمانية. فأطلق على هذه الجماعة (جمعية إنقاذ الخلافة من مخالب الأعداء الطامعين) وتأسست جمعية الخلافة في بومباي (١٨ فبراير ١٩٢٠) برئاسة غلام محمد فتو، ميان حاجي خان. ودخل في عضويتها الزعماء المسلمون المعروفون في الهند، ودعت اللجنة المسلمين إلى جمع الإعانات للدفاع عن حوزة الخلافة، فأقبل المسلمون بسخاء وجمع ما لا يقل عن سبعة عشر مليون روبية إلى أضعاف ذلك كما يقول السيد عبدالعزيز التفالي الزعيم التونسي الأشهر في تقريره الذي قدمه للأزهر الشريف في يونيو ١٩٣٧ بعد زيارته للهند ودراسته لأحوال المسلمين هناك.

كان (غاندي) إلى تلك الآونة غير معروف في الهيئات السياسية في الهند، وكان متطوعًا في فرقة تمريض الجنود، ولما انتهت الحرب وانفصل عنها كانت جمعية الخلافة في بدء تأليفها فأقبل عليها وكان اسمه غير معروف إلا بين الأفراد القلائل الذين عرفوه في جنوب أفريقيا. فتيامن به زعماء المسلمين رغم تحذير المولوي (خوجندي) وكان على صلة به من قبل، ويعلم من أمره

ما لا يعلمون وبالأخص من ناحية تعصبه للهنادكة مع المسلمين. وشاءت الغفلة أن تنطوي هذه الحركة العظيمة على يديه. فقعد في جمعية الخلافة مقعد الناصح الأمين وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية، وندبوه للسعي إلى ذلك فقام وطاف الهند علي حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق ويقول المطلعون على خفايا الأمور أنه كان يتصل بالهنادكة، ويتآمر معهم على شل الحركة الإسلامية ولما عاد من الرحلة سعى إلى إقناع جمعية الخلافة بانضمام إلى الكونجرس (المؤتمر الوطني) الذي تأسس لملاحقة المسلمين وانتزاع حقوقهم في الهند فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة ارتكازًا على الثقة في (غاندي) وعقد الكونجرس اجتماعًا فوق العادة بعد انضمام المسلمين إليه في مارس ١٩٢٠ في بلدة باكبور حضره ٢٥ ألف مندوب أكثرهم من المسلمين ولما تُلي عليهم القانون الأساسي اقترحوا تعديل المادة التي تقول: بإصلاح حالة الهند إلى عبارة (استقلال الهند) فوافق على ذلك المؤتمر، وشرعت الأحزاب الهندوكية منذ ذلك الوقت تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة المسلمين، وكانوا قبل ذلك لا يطالبون إلا بإجراء إصلاحات. فارتاعت الحكومة (البريطانية) لهذا التعبير وعدته فاجعة في سياسة البلاد وعلى أثره ألقت القبض على الزعماء، وزجتهم في السجون.

واجتمع قادة الحركة وعرض أبو الكلام آزاد اقتراحًا باسم الأعضاء المسلمين يتضمن إعلان (الأمة الهندية) وبأن الحكومة الحاضرة غير شرعية. مع دعوة البلاد إلى مقاطعتها فوافقت الجمعية، وانعقد على أثره (مؤتمر جمعية الخلافة) فاعلن موافقته أيضًا بالإجماع. وبعد أن جرى تصديق المؤتمر على قرار المقاطعة قام غاندي خطيبًا وقال: إن اتحاد الهنادكة مع المسلمين يبقى متينًا ما لم يشرع المسلمون في مناوأة الحكومة، ويشهروا السلاح في وجهها.

ورد عليه أبو الكلام آزاد فقال:

«إن غاندي يتصور أن أعمال المسلمين في الهند لا تقوم إلا على مساعدة الهنادكة فقد آن له أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم غاندي أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد إلا اللَّه عز وجل وعلى أنفسهم».

وشرعت الأمة الهندية عقب ذلك في مقاطعة الحكومة، وإظهار العصيان المدني فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم، وتخلى المحامون عن الدفاع أمام المحاكم. وأعاد الناس الرتب والنياشين، والبراءات للحكومة، وأحرق التجار المسلمون جميع ما في مخازنهم من البضائع الإنجليزية، وترك المسلمون الموظفون مناصبهم في الحكومة فحل الهنادكة محلهم وهاجر كثير من المسلمين إلى الأفغان بعد أن تركوا أملاكهم وأرضهم في الهند واشتدت المقاطعة في البنغال اشتدادًا عظيمًا ليس له مثيل، فقد امتلأت سجونها بالمقاطعين من المسلمين حتى إذا أعيى الحكومة أمرهم صارت تقبض كل يوم على ألف شخص في الصباح وتطلقهم في المساء؛ لأن السجون لم تعد تتسع للمعتقلين. وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) في كلكتا فقال:

إنني شديد الحيرة من جراء هذه الحركة ولست أدري ماذا أصنع فيها.

ومن هذا السياق تستطيع أن تتصور قوة المسلمين في الحركة الوطنية، وضعفها في الهندوكية ولا شك أن الهندوكي بالغًا ما بلغ من النشاط السياسي لا يستطيع أن يجابه الحكومة، كما لا يستطيع أن يحارب المسلمين إلا بسلاح الدس. وقد اجتمع الزعماء المسلمون في عام ١٩٢١ وأعلنوا استقلال الهند استقلالاً فعليًّا وعينوا ولاة الولايات، وحكام المقاطعات، وقضاة المحاكم في جميع المدن.

فكان الوطنيون يرفعون قضاياهم أمامهم، ويتجاهلون محاكم الحكومة وبسبب ذلك تعطلت أعمال الحكومة والبوليس، وحدث ارتباك شديد في

الدوائر العالية بالهند غير أنها بدلاً من أن تستعمل سلاح القوة القاهرة لكفاح الشعب الأعزل لجأت إلى المناورات السياسية وهي أشد خطرًا، وكان بطل هذه المناورات المهاتما غاندي، فقد اتفق اللورد ريدنج مع غاندي على حل الوفاق القومي بين المسلمين والهندوك وقد أذيع الحديث بواسطة المصادر البريطانية بعد ستة أشهر. فقد نقل إلى اللورد الذي قال لغاندي:

«إن مصدر الحركة الاستقلالية في الهند هم المسلمون، وأهدافها بأيدي زعمائها فلو أسرعنا وأجبناهم إلى طلباتكم، وسلمنا لكم مقاليد الأحكام ألا ترى أن مصائر البلاد آيلة للمسلمين. فماذا يكون حال الهنادكة بعد ذلك؟ هل تريدون الرجوع إلى ما كنتم عليه قبل الاحتلال البريطاني وهل تفيدكم يومئذ كثرتكم وأنتم محاطون بالأمم الإسلامية من كل جانب، وهم يستمدون قوتهم منها عليكم. إذا كنتم تريدون أن تحتفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فعليكم أن تسعوا أولاً لكسر شوكه المسلمين وهذا لا يمكنكم بغير التعاون مع الحكومة وينبغي لكم أيضًا تنشيط الحركات الهندوكية للتفوق على المسلمين في جميع الأعمال الحيوية وفي بلوغهم الدرجة المطلوبة فإني أؤكد لكم أن حكومة بريطانيا لا تتمهل في الاعتراف لكم بالاستقلال».

وقبل انصراف غاندي أوعز اللورد إليه أن يشير على (مولانا محمد علي) كتابة تعليق على خطاب كان ألقاه في مؤتمر الخلافة، وحمل فيه على الحكومة حملة عنيفة. يقول في هذا التعليق:

«إن ما فهمته الحكومة كان مخالفًا لمرادي» فصدع غاندي بالأمر ودعا محمد علي لكتابة هذا البيان بعد أن أفهمه أن الكتاب سيكون سريًا لا يطلع عليه أحد غير اللورد فكتب البيان تحت التأثير السحري الذي كان لغاندي عليه. وما كاد الخطاب يصل إلى اللورد حتى أذيع في جميع أقطار الهند بعد أن صورته الحكومة بمقدمة قالت فيها:

إن محمد علي تقدم إلى الحكومة يطلب منها العفو عن الهفوة التي ارتكبها».

واتهم محمد علي من المسلمين بالتراجع، ورُمي بالخور والضعف غير أنه لم يحاول أن يصحح موقفه إلا حين عقد مؤتمر في كراتشي (أغسطس ١٩٢٠) حين أعلن سياسة المناوأة للحكومة لا موالاتها. فتلقى منه الهنادكة والمسلمون هذا التصريح بالارتياح التام ولكن عقب انفضاض المؤتمر أمرت الحكومة باعتقاله مع ستة آخرين من الزعماء، شوكت علي، حسين أحمد، كثار أحمد، ببرغلام محمد، الدكتور سيف الدين كتشلو. وساقتهم جميعًا إلى المحكمة المخصوصة للمحاكمة. فرفضوا الاعتراف بالحكومة وهيبة المحكمة عملاً بقرار المؤتمر السابق وامتنعوا عن الدفاع عن المتهم. ولكن المحكمة أدانتهم بمجرد الاتهام، وحكمت عليهم بالحبس عامين مع الأشغال الموجهة إليهم. وبعد الحكم أصدر محمد علي، وسيف الدين كتشلو منشوراً بتوقيعهما يخاطبان فيه الشعب وينصحانه بعدم الاهتمام بما حصل ويعدانه بأن الزعماء المعتقلين سيحضرون اجتماع الكونجرس القادم في ديسمبر بمدينة (أحمد أباد) سواء رضيت الحكومة أم كرهت لاعتقادهما أن الكونجرس سيعلن بصفة رسمية استقلال الهند، وتأليف حكومة وطنية هي التي ستقرر الإفراج عنهم. ولكن الحكومة لم تأبه لهذا المنشور؛ لأنها كانت واثقة من أن الكونجرس لن يفعل. ولما عقد اجتماع الكونجرس (ديسمبر سنة ١٩٢٠) حضر غاندي وقال:

«بما أن الزعماء معتقلون، ولا سبيل للدولة معهم في منهاج أعمال المؤتمر فأقترح عليكم تعييني رئيسًا للمؤتمر، وتخويلي السلطة المطلقة لتنفيذ ما أراه صالحًا من الإجراءات».

فوافقته اللجنة على ذلك دون أن تنتبه إلى ما كان يضمره هو من

المقاصد التي قد لا تتفق مع خطه المؤتمر، وتقرر فيها أيضًا إسناد رئاسة مؤتمر الخلافة إلى أجمل خان، ومؤتمر مسلم ليك إلى حسرت مهاتي. وقبل اجتماع مؤتمر الخلافة قال غاندي للحكيم أجمل خان:

«إن إعلان الاستقلال في الظروف الراهنة غير مناسب».

وما زال به حتى أقنعه بالعدول عن إعلان ذلك مع أن الزعماء المسلمين كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر، وكانت الحكومة تتوقع صدوره من أحزاب المسلمين بقلق شديد وما عساها تصنع لو تخلف غاندي عن الوفاء لها بوعده. وفي أغسطس ١٩٢١ أجمع الكونجرس تحت رئاسة غاندي في أحمد أباد فأعلن أن الوقت الذي يصرح فيه المؤتمر باستقلال الهند لم يحن بعد، فهاج الأعضاء وماجوا. وعقب انتهاء جلسات المؤتمر انعقد مؤتمر الخلافة، وتهيب الحكيم أجمل خان أن يثير عاصفة من قبل المسلمين فأمسك عن إعلان الاستقلال. أما حسرت مهاتي فقد أعلن في مؤتمر مسلم ليك أن الهند تريد أن تعرب بواسطتهم عن إرادتها في الاستقلال. فعلى الهنود أن يشعروا اليوم بأنهم مستقلون وألا يعترفوا بقوانين الحكومة الملغاة. فأمرت الحكومة بالقبض عليه وحكم عليه بالسجن عشر سنين مع الأشغال، وأجمعت الصحف الهندية على نقده ووصفه بالشدة وخفضت العقوبة إلى سنتين. وعقب ظهور هذا الفشل الكبير في سياسة البلاد اعترت المسلمين شكوك في تصرفات غاندي، واستيقنوا أن زعماء الهنادكة متفقون على ذلك فدب الانشقاق بين الطرفين.

هذا هو النص الذي أورده العلامة الزعيم عبدالعزيز الثعالبي عن دور المسلمين في الحركة الوطنية الهندية وكيف قضى عليه غاندي بالتآمر مع النفوذ البريطاني فانهار مخطط الاستقلال. وفي خلال سجن زعماء الحركة المسلمين تسلم غاندي الحركة وحولها إلى وجهة أخرى مخالفة مما دعا المسلمين من

بعد إلى المطالبة بكيان خاص لهم.

هذا هو غاندي في حقيقته التي لم تعرف في بلادنا وفي المشرق. والتي أخفيت عنا تمامًا خلال تلك الفترة التي كان المصريون بتوجيه من السياسة البريطانية يعجبون بغاندي وبدعوته إلى الاستسلام للنفوذ الأجنبي وقبول ما يعرض وعدم العنف.

وهذه هي الفلسفة التي استقاها غاندي من تولستوي وذاعت كثيرًا في بلاد المسلمين معارضة لمفهوم الإسلام الصحيح من الجهاد المقدس في سبيل استخلاص الحقوق المغتصبة إبان الحركة الوطنية المصرية حيث كانوا يجدون في غاندي وأخباره ما يؤيد النفوذ الأجنبي ويدفع الوطنيين المصريين ناحية التفاهم مع الاستعمار البريطاني، ولذلك فإن هذه الصفحات التي ينشرها بعض الكتاب لرسم صورة مزخرفة لغاندي يجب أن لا تخدعنا كثيرًا فإنه رجل هندوسي متعصب لهندوسيته كاره للمسلمين. وقد كان هو وتلميذه نهرو أشد عنفًا وقسوة في معاملة مسلمي الهند، وكانت أنديرا غاندي ابنة نهرو إبان حكمها قد حكمت على المسلمين في بعض المناطق بتعقيمهم عن طريق العمليات الجراحية عملاً على الحد من تعداد المسلمين في الهند.

فيجب علينا أن نعرف الحقائق ولا تخدعنا الأوهام الكاذبة والصور البراقة التي يراد بها تغطية حقيقة واضحة وجريمة كبرى هي أن غاندي في الحقيقة سرق الحركة الوطنية من الزعماء المسلمين وتآمر عليهم مع الحكومة البريطانية وأدخل أمثال محمد علي وشوكت علي وأبو الكلام آزاد وهم من أقطاب المسلمين، أدخلهم السجون، وسحب بساط الحركة الوطنية بالتآمر من تحت أرجلهم، وحال دون قيام حكومة هندية حرة يكون المسلمون فيها سادة.

وذلك لخدمة الاستعمار البريطاني وتسليم الهند إليه لتحويل المسلمين إلى أقلية فيها مما دعا المسلمين إلى العمل على قيام باكستان والتحرر من نفوذ

غاندي والهندوكية والاستعمار البريطاني.

راجع تقرير الشيخ عبدالعزيز الثعالبي (البلاغ ١٩٣٧)»[١].

*** بطرس غالي الجد.. والحفيد وسجل الخيانات القذرة:**

مسلسل لا ينتهي من مسلسلات الخيانة الصليبية..

آية ذلك أن بطرس (بيتر) غالي كان مع التصور الغربي الصليبي الاستعماري قلبًا وقالبًا، مما يمكن معه القول أنه كان تلميذًا مخلصًا للمدرسة الاستعمارية التي رعاها (كرومر) وكان جده من طلائعها».

□ «يحكي محمد إبراهيم كامل، وزير الخارجية السابق، في كتابه «السلام الضائع» عن فترة وجوده بكامب ديفيد برفقة أنور السادات عام ١٩٧٨م فيقول[٢]: «ومن النوادر التي حدثت في ذلك الوقت، كان بطرس غالي يحكي عن خطابات التهديد التي وُجِّهت له بعد مرافقته للرئيس السادات في القدس، ثم أردف قائلاً بالفرنسية: «إنهم يتهمونني بأني الجيل الثالث من الخونة في عائلة غالي» فقلت ضاحكًا: «كيف؟ إني لا أعرف إلا اثنين فقط، هما جدك، وأنت، فمن الثالث؟ «أجاب بطرس: «يقولون إن عمي نجيب باشا غالي، قد تورط مع الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى».

*** الجد بطرس قاتل المسلمين في دنشواي الجيل الأول من الخونة في عائلة غالي:**

□ يقول أرثر إدوارد جولد سميث (الابن)[٣].

---

(١) «جيل العمالقة» (ص٢٩٧ ـ ٣٠٤).

(٢) «السلام الضائع» لمحمد إبراهيم كامل (ص٥٢٩).

(٣) «الحزب الوطني المصري» ترجمة فؤاد دوارة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٣.

أطلق صيدلي شاب يدعى إبراهيم ناصف الورداني النار على بطرس غالي وأصابه بجراح خطيرة. على الرغم من نقله إلى المستشفى وإجراء عملية جراحية سريعة له لإخراج الرصاصات فقد أزهقت روحه، وتوفي في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي.

وقُبِض على الورداني في موقع الجريمة واستجوبته النيابة العامة، واعترف بجريمته، وقرر أن دافعه للجريمة هو خيانة بطرس للأمة بتوقيع اتفاقية الحكم الثنائي للسودان، وبرئاسته لمحكمة دنشواي، وإحياء قانون المطبوعات، والحث على قبول اتفاقية قناة السويس»[١] .

ورفض مفتي الديار المصرية إصدار فتوى تؤيد إعدام الورداني، وبُذِلت جهود عديدة لإنقاذ حياته، وبالرغم من أن الجميع توقعوا أن ينجو الورداني من الموت بطريقة ما، فإنه شنِقَ في سرية تامة في ٢٨ يونيو ١٩١٠.

بعد أربع سنوات تمامًا من تنفيذ أحكام دنشواي، وقبل أربع سنوات تمامًا من وقوع حادث اغتيال أخطر[٢] .

☐ وكان بطرس غالي وزيرًا للخارجية في وزارة مصطفى فهمي وظل يشغل هذا المنصب لمدة ١٣ عامًا، وكان طوال الخمس عشرة سنة السابقة حريصًا على إبقاء حسن الروابط سواء مع الاحتلال أو مع القصر[٣] .

ويقال إنه من قبل كان جاسوسًا على الحركة الوطنية لحساب الإنجليز[٤] ، «قبل أن يتولى وزارة الخارجية في وزارة الاستسلام والولاء المطلق للاحتلال

(١) المصدر السابق (ص٢٠٢) نقلاً عن محفوظات وزارة الخارجية البريطانية، من جورست إلى جراى، القاهرة ٢٤ فبراير ١٩١٠، رقم ٢٢.
(٢) «بطرس بيتر غالي» لأبي إسلام أحمد عبدالله (ص٣١) ـ بيت الحكمة.
(٣) «تاريخ الوزارات المصرية» للدكتور يونان لبيب.
(٤) «الحزب الوطني والنضال السري».

البريطاني»[١].

وقد رأس بطرس غالي بنفسه، المحكمة الإنجليزية الكافرة التي شُكلت للنظر في حادثة دنشواي، وكانت تضم في عضويتها:

مستر (وليم جود) المستشار القضائي بالنيابة.

ومستر (بوند) وكيل محكمة الاستئناف، والكولونيل (لاولو) القائم بأعمال المحاماة والقضاء في جيش الاحتلال.

و(أحمد فتحي زغلول)[٢] رئيس محمكة مصر الابتدائية الأهلية.

و(عثمان رفقي بك) سكرتير الجلسة[٣].

وكانت المشانق قد وصلت قرية دنشواي لإعدام المتهمين، قبل صدور حكم المحكمة[٤]، وكان هذا واحدًا من الأسباب الرئيسية التي دفعت (إبراهيم الورداني) لاغتياله وفقًا لما جاء بأقواله.

أما السبب الثاني فهو امتياز شركة قناة السويس الذي كان مقررًا انتهاؤه في عام ١٩٦٩، ولكن بطرس غالي إرضاء للقصر الحاكم من ناحية، ولسلطات الاحتلال من ناحية أخرى قد وافق على مشروع المستشار المالي البريطاني بول هارفي بحجة سد حاجة الحكومة المصرية إلى المال المستباح الذي يغترف منه الخديوي وحاشيته ووزرائه بلا رقيب أو حساب، فاتفق مع شركة القناة لمد عقد امتيازها لمدة أربعين عامًا، لقاء أربعة ملايين من الجنيهات تدفعها الشركة للحكومة إلى جانب جزء من الأرباح من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٦٨.

---

(١) «محمد فريد» لعبدالرحمن الرافعي.

(٢) أحد تلامذة محمد عبده!! وشقيق سعد زغلول.

(٣) أشهر القضايا المصرية.

(٤) «تراجم مصرية وعربية» للدكتور محمد حسين هيكل.

وقد ظل المشروع سريًا بينهم وكأن مصر عزبة خاصة بهم وحدهم يبيعون فيها ويشترون، حتى كشفه محمد فريد، عندما حصل على نسخة منه، ونشرها بجريدة اللواء ليشهد كل شعب مصر على طغمة ممن تآمروا عليه وخانوه.

وافتضح سر فكرة المشروع الذي نص على أن يُجدد عقد امتياز الشركة، بحيث تبدأ التسعة والتسعون عامًا، من تاريخ توقيع العقد الجديد، فيمتد أجل الامتياز حتى ٣١ ديسمبر سنة ٢٠٠٨.

أما ثالث خيانات بطرس، إعادة قانون المطبوعات القديم، الصادر أثناء الثورة العرابية ـ والذي أُبطل العمل به ـ لردع الصحف التي تجاوزت الحدود، وأجادت عملها في كشف المستور من الخيانات والمؤامرات، بحيث تحول التهم الصحفية إلى محكمة الجنايات مباشرة.

ثم تجيء رابع الخيانات الكبرى عندما وقع بطرس غالي اتفاقية السودان، التي أعطت الإنجليز حق الحصول على نصف حقوق مصر في السودان، وأصبح حاكم السودان تحت وصاية الخديوي، بناء على طلب حكومة إنجلترا.

ولذا كله، عندما سُئل إبراهيم الورداني عن دوافع ما فعله، قال:

«لقد قتلته؛ لأنه خائن وجزاء الخائن هو البتر»[١].

ومن قبل لما شرعت النظارة العدلية (وزارة العدل) المصرية عام ١٨٧٤م، في التحضير لإنشاء المحاكم المختلطة ـ استجابة لأطماع النصارى التي تتجدد في صمت ودهاء بلا هوادة ـ بعد أن كانت تطبق نظم الشريعة الإسلامية فقط، أسندت إلى الجد بطرس باشا غالي بمعاونة محمد باشا قدري، ترجمة قوانين هذه المحاكم ـ التي احتوت على كثير من التشريعات

(١) «الثائر الصامت» لعبدالعزيز علي.

الفرنسية ـ إلى اللغة العربية، وهي التي ما زلنا نُحكَم بها حتى اليوم[١] .

* **الجيل الثاني من الخونة في عائلة غالي: نجيب وواصف غالي:**

ظل نجيب غالي المسئول عن الخارجية المصرية طوال فترة الحماية البريطانية على مصر ومن أجل عيون الاحتلال، كان عينًا لهم بين صفوف الوطنيين، وكان عونًا لهم على تمثيل مصر في المحافل الدولية المشاركة في التآمر على تاريخ مصر.

ثم جاء شقيقه واصف بطرس غالي أفندي، ليشغل المناصب التالية على الترتيب في نفس التخصص:

- وزيرًا للخارجية في وزارة سعد زغلول باشا الأول.

(١٨ يناير ١٩٢٤ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤)

ولقد لعب دورًا ضخمًا في تحقيق أهداف الإنجليز لدى وزارة سعد الوفدية، والتي تمثلت في الاعتراف بوجود بريطاني فعال في مصر عن طريق المفاوضات، إذ أن مثل هذا الاعتراف أدى بشكل قوي إلى تحقيق مرمى الاستراتيجية البريطانية حينذاك في تثبيت دعاماتها بأرض مصر.

- وزيرًا للخارجية في وزارة النحاس باشا الأولى.

(١٦ مارس ١٩٢٨ ـ ٢٥ يونيه ١٩٢٤)

- وزيرًا للخارجية في وزارة النحاس باشا الثانية.

(١يناير ١٩٣٠ ـ ١٩ يونيه ١٩٣٠)

- وزيرًا للخارجية في وزارة النحاس باشا الثالثة.

(٩مايو ١٩٣٦ ـ ٣١ يوليو ١٩٣٧)

---

(١) «بطرس بيتر غالي» (ص٣٧).

ـ وزيرًا للخارجية في وزارة النحاس باشا الرابعة.

(أغسطس ١٩٣٧ ـ ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧)

ويلاحظ أن واصف بطرس غالي كان أول وزير خارجية ممثلاً لحزب الوفد مع سعد زغلول في وزارته الأولى، ثم اختفى ليعود ثانية ملازمًا للتشكيلات الأربع لوزارات النحاس، ثم انتهى بانتهاء النحاس ولم يُسمَع له صوتٌ بعد ذلك.

ولم يحتفظ له التاريخ بسطر واحد، يمكن أن يشهد له أنه كان لمصر قبل الإنجليز، أو أنه تمثل موقفًا وطنيًا أعلن من خلاله رفضه للاحتلال والوصاية.

وحتى لا تترك أسرة غالي مجالاً لتَلَمُّس براءاتها من هذه الأدوار المشبوهة في تاريخ مصر، أصدر (مترى بطرس غالي) عام ١٩٣٨ كتابًا على غاية من الخطورة في تلك الحقبة الخطرة، تحت عنوان «سياسة الغد» وضع فيه الخطوط العريضة للسياسة الوطنية المصرية تجاه الوجود الاستعماري، ظهرت من خلال سطوره، روح تعاونية مع البريطانيين، ثم تَذَمَّر من اهتمام المصريين وقادتهم، بالاستقلال والوطنية[١].

* بطرس غالي الحفيد ودوره الجهنمي في الصلح مع إسرائيل واليهود أصهاره:

قال الباحث عبدالعاطي محمد أحد تلاميذ بطرس غالي الأوفياء في حديث له بمجلة السياسة الدولية أن بطرس غالي كان «من أشد المتحمسين للسلام بين العرب وإسرائيل»[٢].

(١) المصدر السابق (ص٢٧ ـ ٢٨).
(٢) مجلة السياسة الدولية أبريل ١٩٩٢ (ص٧٧).

* بطرس غالي الخائن فرعون السلام مع اليهود :

□ومن مذكرات موشى ديان[١] يقول ديان :

«اقترحت على غالي أن يطلب من السادات ألا يتكلم في نقاشه مع الحكومة الإسرائيلية، عن اشتراك هذه المنظمة في المفاوضات؛ لأن رد الحكومة سيكون بالنفي، ووعدني بذلك، وفعلاً لم يذكر السادات منظمة التحرير الفلسطينية في خطابه الذي ألقاه في اليوم التالي.

.. وعند مدخل فندق الملك داود، استطعنا بصعوبة بالغة اختراق جموع المضيفين والصحفيين. وقد رافقت بطرس غالي حتى غرفته ثم تركته وذهبت»[٢] .

كما أشار ديان في مذكراته أيضًا، إلى أنه شعر بالارتياح لمحادثاته مع غالي، حيث قال: «إننا نظمنا خلافاتنا، وطالب ديان غالي عوضًا عن بحث المشاكل، الكلام عن العلاقات التي ترغب إسرائيل في إنشائها مع مصر.. فركز غالي على تحديد إطار للتسوية الشاملة»[٣] .

ولما تبادل ديان مع غالي الكلام حول مدينة القدس الشريفة.

□قال ديان لغالي :

«إننا عندما نبحث مستقبل القدس، فإننا سنعمل جيدًا إذا لم نبدأ البحث بسيادة القدس، بل نعالج مشاكل الأماكن المقدسة»[٤] .

وبدلاً من أن يغضب بطرس غالي في وجه ديان، والذي أثار دهشة

---

(١)«أيبقى السيف الحكم» ترجمة لكتاب «الاختراق» لموشى ديان ط٢ ١٩٩٠.
(٢)السابق (ص٦٥).
(٣)«بطرس غالي» (٧٥).
(٤)المصدر السابق.

ديان، أن بطرس علق قائلاً:

ـ نعم، إنه يجب أن نتطلع لمحاولة إيجاد مفهوم جديد يتعلق بسيادة القدس.

كانت الإجابة غامضة، لكنها على كل حال تسير في نفس اتجاه ديان، مما شجعه على طرح السؤال الأكبر.

ـ إذا كان بإمكانك أن تبحث مع (. . .) مسألة السيادة على القدس، ذلك أن اهتماماتهم ومفهومهم عن القدس قد أصبح مفهومًا قديمًا وقد طواه النسيان؟

فتأمله غالي ثم أجابه بهدوء:

ـ إنك على حق» ا. هـ.

«وشارك غالي في المركز الأكاديمي المصري ـ الإسرائيلي بالقاهرة كعضو عامل وفعال، من خلال محاضراته وجهوده الدءوبة لبث ثقة متبادلة بين الشعبين» وحث تلاميذه على ترسيخ مفاهيم التطبيع، وإنشاء المصطلحات السياسية والثقافية والفكرية التي تعمل على إذابة الجليد بين المصريين والصهاينة.

❑ ثم يضيف الدكتور نبيل السمان[1] قائلاً:

«وأَحَبَّ الدكتور غالي أن تُلتَقط له صور تمثل معركة قاديش التي جرت عام ٢٩٩ قبل الميلاد، والتي جرت بين مصر الفرعونية وإمبراطورية الحيثيين، ونتج عن هذه المعركة الفاصلة، قناعة لدى فرعون مصر، رمسيس الثاني، والذي تمتع بشهرة عالمية واسعة، وأول من وقع معاهدة سلام مع خصومه من منطق قوة، وليس ضعف، إذ كان يشعر بسطوته، وضعف أعدائه، ولكن

---

(١) في كتابه «بطرس غالي والحكومة العالمية».

السلام الذي أرسى رمسيس دعائمه، يمكن أن يمتد ليومنا هذا حسب ما يشير إليه الدكتور غالي:

«ما توصل إليه سكان المنطقة قبل ثلاثة آلاف سنة، يمكن لأبنائهم أن يحاكوه ويقلدوه»[١] .

ولكن مقولة الدكتور غالي، لا تنطبق على المصريين أو العرب، حسبما نرى ويرى هو، ولكنها تنطبق تمامًا ـ وهذا ليس بغائب عن فهم الدكتور ـ على الإسرائيليين الذين يملكون من أسباب المنعة والقوة من الأسلحة النووية، والتقليدية. . ما لا يملكه خصومهم العرب.

ونظرًا لكون الدكتور غالي آحد مهندسي معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني، والتي أدت إلى توقيع معاهدات كامب ديفيد ـ السرية والعلنية ـ فإنه يشعر أن من حقه وضع الفرعون رمسيس ـ كمثله الأعلى ـ في التسامح والسلام الواقعي ولذا، كان سباقًا ، فقبل مشاركته السادات في رحلته التاريخية إلى القدس وضع تصورًا كاملاً لتفاصيل اتفاقية السلام مع الصهاينة، وحدد نقاط اهتمامه بضرورة التعايش السلمي بين مصر الفرعونية (!!) والصهيونية ذات الأصول الفرعونية أيضًا، ويشير إلى ذلك قائلاً:

«لقد عملت في المفاوضات مع إسرائيل لسنوات طويلة، حتى أن الإسرائيليين اتهموني بأني المهندس الأكاديمي لمبادرة الرئيس السادات (. . .) لكن ما حدث أن الإسرائيليين بحثوا في مقالاتي، ووجدوا مقالاً كنت قد كتبته في مجلة السياسة الدولية، وذكرت فيه صراحة، أنه لا بد من إيجاد صيغة للتعايش السلمي مع إسرائيل.

ووجدوا أيضًا أنني قمت في عام ١٩٧٥ بعمل ندوة في مركز

(١) المصدر السابق (ص٦٦).

الدراسات السياسية والاستراتيچية (بمؤسسة الأهرام)، ودعوت فيها بعض العناصر الصهيونية، وعلى هذا الأساس بنوا افتراضهم هذا (. . .)» [(١)].

* بطرس غالي وما أدراك ما بطرس؟

كانت نقطة التحول الكبرى في حياته العملية، تدريسه في جامعة كولومبيا الأمريكية من خلال منحة فولبرايت الأمريكية وهي هيئة صليبية صهيونية ومركزها وتمويلها المالي من أمريكا.

وعندما تسلم بطرس ملف أفريقيا في الخارجية المصرية كانت الغالبية العظمى من الدول الأفريقية ملتزمة بقطع علاقاتها مع الكيان اليهودي ثم تغيّر الوضع على يد بطرس صدق أو لا تصدق؟!

ففي إحدى ندوات مركز الدراسات السياسية والاستراتيچية بجامعة القاهرة سأل أحد الباحثين بطرس غالي:

ـ كيف تذهب إلى إسرائيل في إطار العلاقات المصرية الإسرائيلية، وتطالب الأفريقيين بعدم إقامة علاقات مع إسرائيل؟!

كان السؤال في موضعه الصحيح حيث تزامن مع تهافت عدد من الدول الأفريقية لاستعادة علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني، استجابة للضغوط الأمريكية عليها، وكان رد بطرس عجيبًا، فقال:

ـ أنا أقول للأفريقيين أن مصر أقامت علاقاتها مع إسرائيل لاستعادة أراضيها، أما أنتم فإن إسرائيل لا تحتل أراضيكم، وبالتالي لماذا تقيمون معها علاقات!!

واندهش بطرس من طرح إحدى معيدات كلية الاقتصاد والعلوم

---

(١) «بطرس غالي والحكومة العالمية» (ص٦٧ ـ ٦٨).

السياسية يومها حول حتمية توظيف مصر للعنصر الإسلامي لمحاصرة التغلغل الصهيوني في القارة السوداء، وأنه بدون الاستناد إلى الظهير الإسلامي، فإن التنافس بين مصر والكيان الصهيوني في أفريقيا سيكون في صالح الأخيرة التي تحرص على توظيف عقيدتها اليهودية وتحظى بدعم الولايات المتحدة ومنظمات التبشير في آن واحد.

وكان مثار دهشة بطرس أن علاقات الكيان الصهيوني مع أفريقيا تنحصر في مجال التعاون الأمني والزراعي، حيث تقوم بتدريب أطقم الحراسة لعدد من الرؤساء الأفارقة، وترسل عددًا من خبرائها في الزراعة إلى عدد من الدول الأفريقية.. فقط ليس أكثر من هذا!! وهل هناك تعاون أكثر من هذا!![1].

* كفى كفى يا بطرس:

صدرت عن الدكتور بطرس غالي سكرتير الأمم المتحدة عدة تصريحات منذ بدأ مهام منصبه أثارت غضب واستياء الكثيرين؟ فقد صرح بأن القرار ٢٤٢ غير ملزم لإسرائيل. وقد قال هذه العبارة باللغة العربية، والمعنى واضح تمامًا، وليس هناك أي مجال للتحجج بأن الترجمة غير دقيقة.

وعلى مدى ٢٥ عامًا في صدور القانون ٢٤٢ تولى خلالها منصب السكرتير العام للأمم المتحدة عدة أشخاص، لم يصدر عن أي منهم مثل هذه العبارة التي قالها الدكتور غالي والتي تفتح الباب أمام إسرائيل لمزيد من التبجح والتهرب من تنفيذ قرار الأمم المتحدة.

(١) مجلة الإصلاح الخليجية/ عدد ١٩٩٢/١٢/٣٠، ويقصد بطرس هنا أن الكيان الصهيوني لم يعلن أنه يوظف تمسكه بعقيدته اليهودية في تدريبه لأطقم حراسة الرؤساء الأفارقة، أو خبراء الزراعة التابعين لجهاز الموساد الصهيوني مباشرة.

طلب المسئولون الفرنسيون من الدكتور بطرس غالي بعد انتهاء العدوان الهمجي البربري للصرب على جمهورية البوسنة والهرسك بأن ترسل الأمم المتحدة قوات لحفظ السلام ومنع اعتداءات الصرب على البوسنة والهرسك، فرفض الدكتور بطرس غالي إرسال قوات من الأمم المتحدة؛ لأن القدرات الحالية للأمم المتحدة لا تسمح بذلك! وهو أمر لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال.

ويثير الشكوك حول حياد الأمم المتحدة في التعامل مع دول العالم المختلفة، إرسال أكثر من أربعة عشر ألف جندي من القوات تحت أعلام الأمم المتحدة بسلاحهم ومدرعاتهم إلى كرواتيا قبل أن يصدر عن الدكتور غالي رفضه إرسال قوات إلى البوسنة والهرسك بأسابيع قليلة.

ثم رفض الدكتور غالي طلب مجلس الأمن بإشراف الأمم المتحدة على عملية تسليم الأسلحة الثقيلة بمقتضى اتفاقية لندن، وبعث بخطاب شديد اللهجة، لأعضاء مجلس الأمن يحتج فيه على عدم إشراكه في اتخاذ القرار، وقال: إنه لن يوصي بتنفيذه، موضحًا أن أحد أسباب رفضه يرجع إلى مسألة الأولويات.

وبعد ذلك بأيام تقدم الدكتور غالي يطلب من مجلس الأمن الموافقة على زيادة عدد قوات الأمم المتحدة في كرواتيا، وتمت الموافقة على ذلك، أي أنه بكل وضوح يكيل بمكيالين.

يرفض إرسال قوات عددها ألف ومائة رجل إلى البوسنة والهرسك للسيطرة على الأسلحة الثقيلة، وفي نفس الوقت يطلب زيادة القوات في كرواتيا التي يوجد بها بالفعل أكثر من أربعة عشر ألف رجل من قوات الأمم المتحدة.

إن الاختلاف الجذري الذي حدث في تقييم العالم للدكتور بطرس غالي

يوم توليه مهام منصبه كسكرتير عام للأمم المتحدة والتقييم الذي تردده الصحافة الدولية الآن، ليس من قبيل الصدفة، بل على ما أعتقد أنه عقاب من السماء للدكتور بطرس، على رفضه منذ شهور إرسال قوات من الأمم المتحدة لحفظ السلام في البوسنة والهرسك مثل ما تم في كرواتيا.

◻إن عشرات الآلاف من القتلى قد صعدت أرواحهم إلى اللَّه تشكو وأن عشرات الآلاف من الجرحى الذين يتألمون لا يكفون عن التوجه إلى اللَّه بالدعاء (. . .) وقد نقلت شبكة تلفزيونية أمريكية عدة مشاهد تصور فظائع معسكرات الاعتقال الصربية لأبناء البوسنة والهرسك من المسلمين، وصفها مراسل الشبكة التلفزيونية بأنها وحشية لا مثيل لها في التاريخ».

*** قبل أن نفقد الذاكرة:**

نشرت مجلة الدعوة السعودية (٢٥ / ٢ / ١٩٩٣) الخبرين التاليين:

◻ (جثمان) مجلس الأمن:

قام المبعدون الفلسطينيون في مخيم مرج الزهور بالجنوب اللبناني، بتشييع جثمان مجلس الأمن إلى القبر وذلك بعد أن رضخ المجلس لشروط ومطالب إسرائيل ورفض تنفيذ قراره رقم ٧٩٩ الذي يقضي بعودة جميع المبعدين إلى الأراضي المحتلة فوراً.

قام المبعدون بمسيرة في موقع إبعادهم، حملوا فيها (جثمان) مجلس الأمن، وقد كتبت عليه عبارة «مصداقية مجلس الأمن إلى مثواها الأخير» وألصق على وجه (الجثمان) علم الأمم المتحدة.

وتقدم المسيرة الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي المتحدث باسم المبعدين والدكتور عزيز دويك والشيخ حامد البيتاوي خطيب المسجد الأقصى.. نعم هذا هو مجلس الأمن!!.

* بطرس والمُبْعَدُون!!

من الواضح أن الأمين العام للأمم المتحدة بطرس بطرس صرف نظره عن قضية المبعدين، كما صرف نظره عن الأعمال الإجرامية البشعة التي يقوم بها الصرب ضد المسلمين. كما غفا بصره عن الأعمال الإجرامية التي تقوم بها الهند في كشمير والتي يقوم بها راموس في الفلبين ضد المسلمين، والتي تقوم بها السلطات البورمية ضد مسلمي أراكان.. ولكن بطرس بطرس متيقظ تمامًا لأي تحرك مسلم حتى ولو كان للدفاع عن النفس.. فمنذ أيام أصدر بطرس بيانًا شديد اللهجة ندد فيه بالهجوم الذي شنته القوات المسلمة على مواقع صربية قرب مطار سراييڤو.. وكان لسان حاله يقول: «على المسلمين أن يسلموا أعناقهم لتقطعها خناجر الصرب ولا يجوز لهم حتى التأوه».

القوات المسلمة في البوسنة شنت هجومًا كبيرًا على الصرب في منطقة ابليدزا القريبة من المطار..!!

* بطرس يذبح فلسطين على مذبح الأمم المتحدة الماسونية وفي ظل حكومته العالمية:

❑ نتيجة من النتائج:

إن قول بطرس بأن قرار الأمم المتحدة كانت رقم ٢٤٢ غير ملزم هو وصف لم تستطع إسرائيل نفسها أن تدعيه، بل كانت تلف وتدور حوله بالادعاء بأنها كانت في حالة دفاع عن النفس في حرب ١٩٦٧.

وكانت أول مرة تشير إسرائيل إلى شيء قريب مما قاله بطرس غالي، عندما خرج الإرهابي مناحم بيجين بعد اجتماعه مع السادات في الإسماعيلية ليقول في مؤتمر صحفي:

«إن الرئيس السادات اعترف لي بأن قرار عبدالناصر مطالبة سحب القوات الدولية من سيناء، يحمل معنى العدوان وأن إسرائيل كانت محقة فيما اتخذته من إجراءات».

ولم يعلق السادات على هذا الكلام وقتئذ!!

وكان هذا التقسيم لقرارات الأمم المتحدة إلى قرارات ملزمة وأخرى غير ملزمة هو الأول من نوعه في تاريخ المنظمة الدولية[(١)] .

* بطرس غالي صاحب فكرة جامعة سنجور التنصيرية:

❑ قال بطرس غالي: «إن الدائرة التي يجب أن تنال اهتمامنا يجب أن تكون الدائرة الأفريقية؛ لأن مصر دولة أفريقية بالأساس، ليس فقط كذلك، ولكنها دولة أفريقية ممتدة جنوبًا حيث تظهر منابع النيل».

ولم يكتف د. بطرس بطرح هذا التوجه السياسي المشبوه، على شعب مصر الإسلامية العربية لسلخ مصر عن الأمة التي تنتمي إليها، لغة وعقيدة وجغرافية وتاريخًا وحضارة، بل أراد وحقق ما أراد، بوضع أسس عملية لهذه العلاقة التاريخية»[(٢)] .

ـ فلقد أعاد الجسور بين الكنيسة المصرية وبعض الكنائس الأفريقية التي كانت قد اتخذت مواقف عكسية بعد انفصال الكنيسة الأثيوبية عنها.

ـ ثم إنه هو صاحب فكرة إنشاء الجامعة الدولية الناطقة بالفرنسية، على غرار الجامعة الأمريكية في مصر والتي تحرر عقد إنشائها في ٢٧/ ٥/ ١٩٨٩ بالعاصمة السنغالية داكار وبذل جهدًا جبارًا ليكون مقرها الإسكندرية، وأطلق

---

(١) «بطرس بيتر غالي» (ص١٧٣).

(٢) «بطرس بيتر غالي» (ص٨).

عليها اسم «جامعة سنجور» ومن مهامها الأولى بعد مهمة التنصير، صناعة زعماء المستقبل للدول الأفريقية في ظل النظام الدولي الجديد الذي تم التخطيط له منذ سنوات.

وقد قام الرئيس مبارك بافتتاحها في ٤/ ١١/ ١٩٩٠ وحضر الافتتاح الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، والرئيس السنغالي عبده ضيوف، والرئيس الزائيري موبوتو سيسي سيكو، وولي العهد البلچيكي، والرئيس السنغالي السابق ليوبولد سنجور الذي أطلق ـ بطرس ـ اسمه على الجامعة.

*** ضيوف بطرس يوم افتتاح جامعة سنجور التنصيرية:**

وإذا كانت فكرة إنشاء هذه الجامعة تشكل أهمية في التدليل على خيانات بطرس للتاريخ ودأبه على زرع هذه القلاع الكنسية في بلاد المسلمين، فإن الدليل الذي لا يصح إغفاله، هو تسليط الضوء بإيجاز شديد على ثلاثة ممن استضافهم بطرس لافتتاح الجامعة.

*** سنجور:**

هو (ليوبولد سنجور) الذي تحمل الجامعة اسمه تعبيراً من بطرس عن اعتزازه به وإشادة بدوره التنصيري في أفريقيا.

وهو صليبي متعصب يكره الإسلام والمسلمين.

ولد من أبوين مسلمين في السنغال، ثم خطف إلى فرنسا منذ صغره، وأُعد إعدادًا متميزًا ليكون هو أول رئيس لجمهورية السنغال بعد تحررها الشكلي من الاحتلال العسكري الفرنسي الصليبي، فمارس كل أشكال الإرهاب والقهر ضد المسلمين هناك، ومنع إنشاء المساجد، ولم يسمح بأي نشاط اجتماعي للمسلمين في غير الأطر التنظيمية التي تسمح بها الكنائس هناك.

وبذلك فإن اختيار اسم الجامعة التي أقيمت على أرض الإسكندرية، بأن يكون اسمًا لصليبي، ذي أصول إسلامية، فإنما يحمل رسالة ودلالة، لمسلمي مصر من ناحية، ولنصارى فرنسا وما يتبعهم من كنائس في بلاد المسلمين من ناحية أخرى.

* **موبوتو سيسي سيكو:**

هو القديس (٦٢عامًا) الذي تمر أشعة الشمس من خلال أشجار الغابة والزجاج الملون لنوافذ كنيسته، فتصنع حول رأسه هالة من الضوء متعددة الألوان، قابضًا يديه الاثنتين معًا على صدره، منحنيًا يصلي في صمت الرهبان.

تولى الحكم الديكتاتوري المطلق لأكثر من ٣٥ مليون زائيري منذ ٢٧ عامًا، لم يغب فيها مرة واحدة عن قُداس يوم الأحد إلا لسفره خارج بلاده، وما خرج يومًا من قداسه، إلا واجتمع بحاشيته في القصر الرئاسي المجاور للكنيسة، ليحتسي شرابه المقدس من الخمر (شمبانيا لوران بيرون الوردية).

اتخذ لنفسه اسمًا يصعب على أي بشر أن يحمله، أو يترك سلطانًا لحكم وقع تحت يديه، وهو: «موبوتو سيسي سيكو كوكو نغبيندو وازا بانغا».

ومعناها: المحارب شديد المراس الذي وبسبب قوة تَحَمُّله وصلابته، سيفوز خارجًا من نصر إلى نصر مخلفًا النار في أثره».

* **فرانسوا ميتران:**

أما عن فرانسوا ميتران ذلك الصليبي المتعصب، فيكفي أن نذكر عبارته الوقحه التي بثها عن طريق وكالات الإعلام الصهيونية في ديسمبر الماضي ١٩٩٢ وتناقلتها أجهزة الإعلام العربية بغباء شديد قوله:

«إنني لا أرضى على ما يحدث في البوسنة من جرائم بشعة، لكنني لن

أسمح بأن تكون البوسنة دولة إسلامية في قلب أوربا».

* بطرس وميوله الصليبية للغرب :

في ندوة نظمتها جمعية القانون الدولي في لاهاي عام ١٩٥٦ «وقف بطرس غالي الأستاذ بكلية الحقوق جامعة القاهرة وقتها؛ ليؤيد التدخل الفرنسي والإنجليزي في قناة السويس.. وعندما كرر بطرس غالي ترديد هذه الآراء غير الشريفة لم يتمالك الدكتور عز الدين فودة ـ أستاذ المنظمات الدولية في جامعة القاهرة نفسه، وطرح بطرس غالي أرضًا، وانهال عليه ضربًا بالأيدي والنعال، ولم يخلّصه منه إلا عـم «حسّان» مسئول المطـبعة بالكـلية»(١) .

* اختيار بطرس سكرتيراً وأميناً عاماً للأمم المتحدة بيت صهيون :

❑تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)(٢) :

«إن الذي قد يغيب عن الوعي العام، هو أن هيئة الأمم المتحدة هي البديل الصهيوني الأمريكي من عصبة الأمم المتحدة، التي قامت بعد إعلان هدنة الحرب العالمية الأولى في الحادي عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨، ونيط بها تنفيذ الميثاق الذي أعلنه مؤتمر السلام من قصر فرساي بجنيف في العالم التالي للهدنة، وفيه تقرر وضع فلسطين تحت انتداب بريطانيا العظمى التي سبق أن أعلنت (وعد بلفور) من لندن في نوفمبر سنة ١٩١٧.

من شهود العصر، الكونت دي سان أوكلير (السفير الفرنسي بلندن وقتئذ) وقد سجل في كتابه : «في جنيف نحو السلام» نص برقية من ألف

(١)مجلة الإصلاح الخليجية ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٢.
(٢)صحيفة الأهرام ٤/ ٢/ ١٩٩٣.

كلمة تلقاها «الرئيس الأمريكي نيلسون» - رئيس مؤتمر السلام - يوم ١٨/ ٣/ ١٩١٩م من (يعقوب شيف) ممثل المنظمة اليهودية في الولاية المتحدة الأمريكية، عن القضايا الخمس المعروضة على مؤتمر السلام، وأولاها قضية فلسطين.

وأكد السفير أن النصوص التي تضمنتها معاهدة فرساي، هي من وضع (يعقوب شيف) وأبناء جلدته، وذلك ما صرح به (حاييم وايزمان) في خطابه في المؤتمر الصهيوني في بودابست سنة ١٩١٩، قال:

«إن منظمتنا ستلعب دورها في تنظيم العالم الجديد بعد الحرب، إننا نحن الذين صنعنا عصبة الأمم، وسوف نتابع السير وراء هذه المنظمة الدولية لتوجيهها (. . .).

ومن ثم كانت المنظمة الصهيونية وراء نقل عصبة الأمم من چينيف إلى نيويورك باسم هيئة الأمم المتحدة، مقيدة بمجلس الأمن، الذي يحكم العالم الجديد بحق (الڤيتو)، ينقض ما لا ترضاه الشرعية الدولية لهيئة الأمم المتحدة.

وجاء في محاضر مؤتمر المحافل الماسونية العالمية المنعقد في ٢٨، ٢٩، ٣٠/ ٦/ ١٩١٧ - أي قبل أن يفكر أحد من غير اليهود في تأسيس عصبة الأمم:

«إنه لمهم جداً أن نبني مدينة المستقبل السعيدة. ومن أجل تلك المهمة الماسونية الصادقة دعيتم اليوم. لقد حولنا هذه الحرب إلى نزاع رهيب بين الديمقراطيات المنظمة والقوى العسكرية الجبارة. لقد تحطمت في هذا الإعصار القوى القديمة (القياصرة) ولسوف تجرف رياح الحرية (المزيفة) بقية الحكومات، فلا مندوحة إذن من صنع سلطة عالمية عليا. إن الماسونية صانعة السلام، تطرح على بساط البحث موضوع هذه الهيئة الجديدة: عصبة الأمم».

* **بعد قيام عصبة الأمم:**

◻ قال اليهودي جسي سامتر في كتابه «الدليل إلى الصهيونية»: «إن عصبة الأمم فكرة يهودية قديمة».

◻ وقال اليهودي الماسوني لينهوف في جريدة «واينر فريمور رازايتنج» عدد ٦ عام ١٩٢٧م:

«لقد صدق الذين يربطون بين عصبة الأمم والماسونية؛ لأن عصبة الأمم كما هي اليوم مشتقة من تعاليم الماسونية وأفكارها».

◻ وقالت جريدة (Judische Rundschau) اليهودية في عددها ٨٣ عام ١٩٢١م.

«المكان الصحيح لعصبة الأمم ليس «چنيف» أو «لاهاي».. لقد حلم جينزبرج بهيكل على جبل صهيون حيث يدشن ممثلو جميع الأمم الهيكل (المزعوم) في المكان الأبدي. ولا يمكن أن يقوم سلام ما لم يتوجه جميع الناس في العالم لزيارة ذلك الهيكل كسيّاح».

◻ وقال المؤرخ اليهودي إسرائيل زانجويل في جريدة «الجويش جارديان» اللندنية بتاريخ ١١/٦/١٩٢٠م: «إن معاهدات الأقليات هي المحك لعصبة الأمم، وذلك هو اهتمام اليهود وطموحهم».

وقال الصهيوني ناحوم سوكولوف في المؤتمر اليهودي الذي عقد في كارلسباد بتاريخ ٢٧/١٨/١٩٢٢م ونشرته جريدة نيويورك تايمز في اليوم التالي:

«إن عصبة الأمم فكرة يهودية، لقد صنعناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة. وستكون القدس يومًا ما عاصمة للسلم العالمي. إن ما حققناه نحن اليهود بعد كفاح ٢٥ سنة، يرجع الفضل فيه إلى زعيمنا الخالد تيودور هرتسل».

* الأمم المتحدة:

أنشأ اليهود عصابة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى التي دبروها وخططوا لها، لتقرر بدء عملية تهويد فلسطين، ولتشرف على تنفيذ تلك العملية الإجرامية.

ثم دبر اليهود وخططوا للحرب العالمية الثانية، وبعد انتهائها أنشأوا الأمم المتحدة لتقوم بالمرحلة الثانية في جريمة اغتصاب فلسطين، بإصدار قرار تقسيمها وإنشاء دولة لليهود على أرضها المقدسة.

ومنذ إعادة تأسيس بيت صهيون باسمه الجديد (الأمم المتحدة) وهي تضم ٦٠٪ من موظفيها من اليهود الصهاينة مع أن نسبة عدد اليهود إلى سكان العالم لا تزيد على ٥,٪ أي نصف في المائة.

وكانت الأمم المتحدة من إنشائها حتى يومنا هذا أداة في خدمة فكرة الصهيونية، وكل قرار لها يتعارض مع رغبة اليهود يُجمَّد، ولا تجد من يثيره أو يطالب بتنفيذه؛ لأن أكثر من ١٠٠ دولة تعترف بإسرائيل وتتبادل معها التمثيل السياسي والقنصلي وترسل سفراءها إلى مقر الحكومة اليهودية في القدس.

وليس هذا فقط وحسب، بل إن الأخطبوط اليهودي المحتل ينشب أظفاره في كيان الأمم المتحدة، يوجه نشاطها إلى مصلحة الصهيونية العنصرية، والإحصائية التالية تثبت جانبًا من قوة ذلك الأخطبوط، وهذه الإحصائية عن السنوات الأولى التي أعقبت تأسيس هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م تثبت جانبًا من قوة ذلك الأخطبوط، الذي ما زال باسطًا أذرعه على كل إدارات الجمعية، ومسيطرًا على كل مناطق النفوذ والقرار فيها، وبيانها كما يلي:

تريجفي لي	أول سكرتير عام للمنظمة، يهودي ويظن الناس أنه عميل يهودي فقط.

بنجامين كوهين	مساعد السكرتير العام لشئون الإعلام ـ يهودي.
ك. ويتز	مدير المكتب الإداري ـ يهودي.
أ. روزنبرج	مستشار خاص للإدارة الاقتصادية ـ يهودي.
د. وينتروب	مدير الإدارة الاقتصادية ـ يهودي.
بنويت ليڤي	مدير قسم الأفلام ـ يهودي.
ماكس أبراموفتش	نائب مدير الهيئة الإدارية ـ يهودي.
أ. فيلر	مدير الإدارة القانونية ـ يهودي.
د. زابلودسكي	مدير إدارة المطبوعات، قسم الوثائق ـ يهودي.
ج. رابينوفتش	مدير قسم الترجمة ـ يهودي.
ج. شابيرو	مدير مركز الأمم المتحدة في چنيڤ ـ يهودي.
م. بيرجمان	مدير التنفيذات ـ يهودي.
دُ. مورس	مدير عام مكتب العمل الدولي في چنيڤ ـ يهودي.
م. مندلز	سكرتير البنك الدولي ـ يهودي.
ك. جت	مدير إدارة الاعتمادات المالية الدولية ـ يهودي.
و. التمان	مساعد إدارة الاعتمادات المالية الدولية ـ يهودي.
م. برنشتاين	مدير الأبحاث في الاعتمادات المالية الدولية ـ يهودي.
جوزيف جولد	المستشار الثاني في الاعتمادات المالية ـ يهودي.
ج. ماير	المدير الفني لهيئة الصحة العالمية ـ يهودي.
م. كوهين	مدير مؤسسة اللاجئين الدولية ـ يهودي.

* * *

* وتم تعيين بطرس غالي أمينًا عامًا للأمم المتحدة وهذه أقوال صحف الغرب:

□نشرت صحيفة الفيجارو الفرنسية مقالاً تحت عنوان:

بيتر غالي الأمين العام الجديد (الرجل الذي قاد السادات إلى القدس)[1].

□وفي مقال لصحيفة «انترناشيونال هيرالد تريبيون»[2] تحت عنوان:

(اختيار مصري من قِبَل الأمم المتحدة. . .).

حدد الكاتب ثلاثة عناصر أساسية، هي التي أهَّلت الدكتور (بطرس) للنجاح وهي:

١ ـ انتماؤه إلى المسيحية:

وهو أمر جعله «مقبولاً لدى العديد من الأعضاء في الأمم المتحدة».

٢ ـ أن زوجته يهودية:

وهو أمر جعله مقبولاً لدى اللوبي الصهيوني الذي يحكم بيت الأمم هذا.

٣ ـ دوره الجهنمي:

أثناء مرافقته للرئيس السادات في زيارته التاريخية للقدس ١٩٧٧م، ثم محادثات كامب داود، ثم تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني.

□وهي العناصر الثلاثة نفسها التي ذكرها الكاتب الإنجليزي چيمس بون في صحيفة «التايمز» اللندنية تحت عنوان: بطرس غالي يواجه تحدي الإصلاح.

---

(١) «بطرس بيتر غالي» (ص٨٩ ـ ٩٣، ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) في ٢٤/١١/١٩٩١.

* قصاصات من الصحافة العربية والدولية:

◻ مجرد تساؤل: ماذا يريد بطرس غالي؟

نعم نتساءل: ماذا يريد بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة؟ قبل مدة ومع تصاعد مذابح القوات والميلشيات الصربية ضد مسلمي البوسنة والهرسك اعتذر الأمين العام للمنظمة التي يفترض فيها أن تكون «دولية» عن عدم تمكن المنظمة من إرسال قوات سلام إلى الجمهورية «المسكينة»؛ لأنه لا يملك المال الكافي لتمويل إرسال تلك القوات، مع أن الأمين «المحترم» كان قد أرسل قبل ذلك ما يقرب من ١٤ ألف جندي إلى كرواتيا لحمايتها من الصرب! فهل مسيحو كرواتيا أكثر إنسانية من مسلمي البوسنة حتى يستحقوا إرسال قوات سلام إليهم؟!

واليوم يعلن بطرس غالي بعد اطلاعه على تقرير مبعوثه إلى يوغسلافيا «أنه لا يمكن إرسال قوات دولية إلى البوسنة بسبب غموض الموقف. كما أنه ليس بالمستطاع تلبية طلب المسئولين في البوسنة في شأن نشر هذه القوات ما دام القتال مستمرًا».

ونحن لا نفهم لماذا يصر الأمين العام على أن الموقف في البوسنة غامض؟! فأي غموض هذا الذي يتحدث عنه؟! آلاف من الأبرياء يحاصرون ويذبحون ذبح النعاج وهم لا حول لهم ولا قوة ولا يزال الموقف غامضًا؟!

ثم إذا لم يكن مستطاعًا نشر قوات السلام ما دام القتال مستمرًا، فمتى تنشر، بعد أن يبيد الصرب آخر مواطن مسلم في البوسنة ويدمروا كل قرية فيها، ويسقطوا عاصمتها؟! إنه منطق عجيب.

وأخيرًا ـ وليس آخرًا في عجائب بطرس غالي اقتراحه أن تترك جهود التفاوض وأنشطة صيانة السلم في البوسنة للمجموعة الأوربية وليس لمجلس الأمن والأمم المتحدة ولا يستنفر مجلس الأمن لحماية مسلمي البوسنة، كما

يفعل المجلس مع شعوب أخرى ليس آخرها كرواتيا وكمبوديا، أم أن مسلمي البوسنة لا يستحقون اهتمام المنظمة «الدولية» لمجرد أنهم مسلمون؟!

نعم نتساءل: ماذا يريد بطرس غالي؟ إنه يتعلل بأن المنظمة «الدولية» لا تملك المال الكافي لإرسال قوات سلام إلى البوسنة مع أن مصادر مطلعة في جامعة الدول العربية تؤكد أن السعودية عبرت عن استعدادها عبر منظمة المؤتمر الإسلامي للإسهام في توفير الإمكانات المالية اللازمة لعمليات الأمم المتحدة في البوسنة (١).

* بطرس غالي وإريتريا المسلمة:

لم يلتفت هذا الصليبي أبدًا إلى كفاح الشعب الإريتري المسلم، مع أن كثيرين طالبوه بذلك، ولكنه عندما تأكد أن «أسياس أفورقي الصليبي» قد حسم الموقف لصالحه في إرتيريا، بدأ يهتم بالشعب المظلوم على أساس نظرته الطائفية (٢).

* بطرس الصليبي ودوره الكالح في مأساة البوسنة:

أما موقفه من البوسنة فلا يحتاج إلى إيضاح؛ لأن الدنيا كلها تعلم أن بطرس الحفيد تآمر مع سادته الذين يخدمهم حتى تم تحقيق الهدف الصليبي المرحلي للصرب والغرب.. لقد استقال رئيس المحكمة الدولية في «لاهاي» لمحاكمة مجرمي الصرب والكروات عندما تأكد من المؤامرة، ولم يحتمل ضميره أن يستمر في متابعة المهزلة» (٣).

«□ إن الذي لم تُفصح عنه الصحافة الغربية ولا العربية، أن القرار

---

(١) جريدة المسلمون العدد ٣٨١ (٢٢/ ٥/ ١٩٩٢).

(٢) «دفاعًا عن الإسلام والحرية» لحلمي القاعود (ص١٣٦).

(٣) المصدر السابق (ص١٣٦ ـ ١٣٧).

الدولي الصادر عن بيت صهيون بمنع السلاح، يسري على البوسنة فقط، وتلتزم به كافة الدول الإسلامية، برغم تدفق السلاح في نفس الوقت على الصرب من جمهوريات صربيا وروسيا.

كما أن طلب وقف إطلاق النار المفروض قهرًا، إنما هو للمسلمين فقط، حتى أن الرئيس البوسني على عزت، قد اتهم مباشرة، مبعوث الأمم المتحدة (سايروس فانس) بأنه يساعد الصرب للقضاء على المسلمين، بعد أن أقر خطة الغرب لتقسيم البوسنة، وضم كل أرض يقف عليها الصربيون.

❑ فنقلاً عن صحيفة الاتحاد القطرية ١٧/ ١٢/ ١٩٩٢:

وجه الأمين العام للأمم المتحدة رسالة خاصة إلى وزراء الخارجية ورؤساء وفود ٣٤ دولة، المجتمعون أمس في چنيف لمناقشة قضية البوسنة.

«دعا فيها لاستمرار المفاوضات، وتجنب أي شيء من شأنه تصعيد أعمال العنف ـ!!! ـ وقال: أنه يعارض الإجراءات التي قد تدفع قوى أجنبية ـ يقصد إسلامية ـ إلى التدخل في الحرب، وطالب الدول الكبرى بعدم الاستجابة للضغوط المتزايدة من أجل التدخل العسكري ضد الصرب» هكذا بوضوح شديد.

كما ناشد (سيروس فانس) مبعوث (بطرس غالي) الدول الكبرى، عدم اتخاذ أي إجراء لوقف الانتهاكات الصربية للحظر المفروض على الطيران العسكري فوق البوسنة». ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

* ومن أفضح أشكال مكرهم:

أنهم عندما قرروا إسقاط المعونات الغذائية جويًا للمسلمين المحاصرين في البوسنة من ارتفاعات عالية (في أول فبراير الماضي ١٩٩٣)، ففرح وهلل المسلمون بذلك القرار، فلما جاء وقت التنفيذ، سقطت كل المعونات فوق

معسكرات الصليبيين الصرب، إذ اكتشف فجأة الخبراء الأمريكان الصهاينة، أن إمكاناتهم التكنولوچية التي حددت ماركة الملابس الداخلية لصدام حسين أيام عاصفة الصحراء (!!)، لم تستطع أن تحدد موقع المتضورين جوعًا تحت حصار مجرمي الصرب والكروات على أرض البوسنة المسلمة»[١].

※ قرارات الأمم المتحدة غير محترمة:

عمرو موسى ـ وزير الخارجية المصري[٢].

❏ قال عمرو موسى:

قضية البوسنة والهرسك لفهمها، تحتاج إلى أن نستخدم بعض النقاط البسيطة في التوضيح:

النقطة الأولى: ودعنا نبدأ من استقلال الصرب عن يوجوسلافيا، فإن البوسنة والهرسك تطلعت هي الأخرى إلى الحصول على الاستقلال، ولكن عند النظر إلى أرضية البوسنة والهرسك، نجد أن داخلها جالية صربية يقدر عددها بنحو ١٨ في المائة من إجمالي السكان، بينما يصل عدد المسلمين إلى نحو ٥٥ في المائة والباقي من الكروات.

هذا التوزيع في السكان، لا يقابله توزيع مماثل في ملكية الأرض، فالـ١٨٪ من الصرب استطاعوا بالقوة الاستيلاء على ٨٠٪ من مساحة الأرض، بينما الـ ٥٥ في المائة من المسلمين لا يملكون سوى خمسة في المائة من الأراضي، والباقي للكرواتيين، وهذا بالطبع وضع شاذ، وهو في حقيقته أساس المشكلة، فالصرب من ناحيتها تتطلع إلى ما تسميه صربيا الكبرى،

---

(١) «بطرس بيتر غالي» (ص١٢٤ ـ ١٢٥).

(٢) في حوار صحفي بمجلة أكتوبر ٢٧/ ٢/ ١٩٩٢. أجرى الحوار معه الكاتب الصحفي/ صلاح منتصر، رئيس تحرير مجلة أكتوبر.

ولذلك فهي تؤيد الأصراب في البوسنة والهرسك لتكرس الوضع الحالي، بحيث تكون مكونة من ثلاثة كانتونات، كانتون صربي وآخر مسلم وثالث كرواتي، وفي النهاية فيما بعد يمكن ضم الكانتون الصربي الذي له تقريبًا كل أراضي البوسنة والهرسك. وهذا وضع غير عادل لا يمكن قبوله.

نقطة ثانية: وهي أن الصرب في تأييدها للصربيين في البوسنة الهرسك بدأت ممارسة سياسة اسمها التطهير العرقي، هدفها القضاء على المسلمين الذين تمارس ضدهم عمليات تعذيب وقتل وحشية.

مجلس الأمن من ناحيته تدخل وعارض سياسة الصرب وفرض عليها عقوبات حظر اقتصادي، ولكنها عمليًّا غير محترمة، فليست هناك أي رقابة لتنفيذ هذه العقوبات، وبالتالي فإن الصرب رغم قرار الحظر الاقتصادي، فإنها لا تعاني عمليًّا أي نقص في إمداداتها سواء كانت هذه الإمدادات تصل إليها بالجو أو بالبحر أو بالبر.

جاء مجلس الأمن بعد ذلك وفرض حظر وصول السلاح على كل الأطراف، ولكننا اكتشفنا أن هذا الحظر أضر بالمسلمين ولم يؤثر على الصرب؛ لأن الصرب تصنع حاجتها من السلاح، أما المسلمون فيستوردون احتياجاتهم من السلاح، وبالتالي أصبح قرار حظر السلاح وكأنه عقوبة مفروضة على المسلمين أضعفت مقاومتهم وزادت من عمليات الوحشية التي ترتكب ضدهم، وكان رأينا، ضرورة رفع حظر جزئي على السلاح ليساعد المسلمين على حصول ما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم، إلا أن (سيروس فانس) و(دافيد أوين) ممثلي مجلس الأمن، يرفضان هذه الفكرة على أساس أن الحرب في صورتها الحالية وبرغم ما فيها من صعوبات، فإنها محصورة بين أطرافها، وأنه إذا تم رفع الحظر عن طرف، فإن الطرف الآخر لا بد أنه سيجد من يمده بالسلاح أيضًا، ومن ثم ترتفع حدة النزاع أكثر مما هي عليه

ويمكن أن تتوسع لتشمل كل منطقة البلقان، ولكن هذا الرأي يظلم المسلمين، ولا بد عدلاً من تمكينهم من الدفاع عن أنفسهم وفرض رقابة صارمة على تنفيذ العقوبات، وفي الوقت نفسه عدم الأخذ بنظام الكانتونات القائم على استغلال الوضع الحالي، الذي يسيطر فيه الصرب على أغلبية الأرض» اهـ.

* **اتهامات للدكتور غالي:**

سلامة أحمد سلامة ـ الكاتب الصحفي بصحيفة الأهرام

لقد حركت مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك قلوب لم يكن في الحسبان أن تتحرك من أجل قضية طرفاها مسلمين ونصارى، لهولها وبشاعتها من ناحية، ولتخلف بيت صهيون وممارسة الشراسة والعناد في التغافل والتآمر من ناحية أخرى، إلى حد أن كُتاب كثيرون رسميون في بلادنا، هزتهم الفجيعة فتبنوا المشاركة في طرح القضية. ومن بين هؤلاء، كان هذا المقال للكاتب المتميز، سلامة أحمد سلامة.

«تواجه الأمم المتحدة وأمينها العام الدكتور بطرس غالي، اتهامات خطيرة من جانب زعماء البوسنة المسلمين. بأن هناك تواطؤًا مؤكدًا للحيلولة دون تدخل صريح وفعال من جانب الأمم المتحدة بوقف عدوان الصرب وفظائع قواتها ضد أهالي البوسنة، وبمنع استيلائها على أراضيها.

والاتهام الموجه إلى الأمين العام للأمم المتحدة أنه وقف في وجه الاتفاق الأوربي الذي كان يسعى إلى وضع الأسلحة الثقيلة تحت رقابة القوات الدولية، وأثار أزمة مع المجموعة الأوربية بحجة أن القرار اتخذ دون الرجوع إليه، وأن حجم القوات الدولية لا يكفي للقيام بهذه المهام الجديدة.

ومن الواضح أن الأمم المتحدة وأمينها العام لم تتخذ بعد ذلك أي خطوة جادة لوقف العدوان المستمر ضد جمهورية البوسنة، مما حدا بنائب رئيسها إلى التحذير أخيرًا من أن بلاده توشك أن تختفي من فوق

خريطة البلقان.

وقد أصبح من المؤكد الآن أن مصير جمهورية البوسنة بمن فيها من المسلمين قد حسم لغير صالحهم وأن الصراع الراهن في البلقان يتجاوز مجرد الرغبة في اقتسام أراضي البوسنة والاستيلاء عليها من جانب الصرب أو الكروات وأن ثمة خلافًا عميق الجذور يقسم الدول الأوربية ويحمل بين جوانبه عوامل التنافس القديمة.

ويتضح الآن يومًا بعد يوم أن قرارات العقوبات الاقتصادية وحظر السلاح التي اتخذتها الأمم المتحدة ضد الصرب، وعمليات مراقبة السواحل والحدود، ليست غير إجراءات وهمية، وأن عمليات الإغاثة وإرسال الإمدادات وقبول اللاجئين والهاربين من المعارك الوحشية ليست غير مسكنات وقتية، وأن المساعدات التي تتلقاها القوات الصربية من بعض دول أوربية ما زالت تتدفق لمواجهة مساعدات مماثلة تتلقاها القوات الكرواتية والبوسنية من دول أوربية أخرى.

فالوقود والذخيرة والإمدادات العسكرية تتدفق على الصرب من رومانيا وبلغاريا واليونان والدبابات والطائرات تتدفق على الكروات من ألمانيا والنمسا والمجر.. ومعنى ذلك، أن الانشقاق الأوربي الذي ظهر منذ بادرت ألمانيا بمفردها إلى الاعتراف بسلوفينيا وكرواتيا، دون موافقة الجماعة الأوربية، يتخذ الآن أبعادًا تترجم على أرض المعارك الدائرة، في محاولة لتحديد التوازنات الأوربية الجديدة مع ألمانيا وضدها.

وإذن: هل الصراع القومي والمذابح الدامية ضد المسلمين في هذه البلاد مجرد مظهر خارجي لصراع أوربي دفين له جذوره التاريخية وحساباته الأوربية؟

وهل هذا هو السبب في عدم تدخل أمريكا؟

ومن المسئول عن شلل الأمم المتحدة؟

وهل لنا في هذا الصراع ناقة أو جمل؟؟

أسئلة يحسن الإجابة عنها من الآن؟؟» اهـ.

* أيقظوا بطرس غالي:

كتبت جريدة الرياض في ١٥/ ١/ ١٩٩٣:

شنت صحيفة «مليت» الواسعة الانتشار أمس حملة ضد بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة الذي تعرّض لغضب عام في تركيا بسبب ما يُنسب إليه من لا مبالاة بنزيف الدماء الذي تعاني منه جمهورية البوسنة والهرسك من جرّاء العدوان الصربي المستمر. فتحت عنوان «أيقظوا هذا الرجل» دعت الصحيفة التي يبلغ توزيعها نحو مليون نسخة قراءها إلى إرسال خطاب معد مسبقًا باللغتين التركية والإنجليزية إلى غالي بالتليفاكس حول البوسنة.

وكتبت الصحيفة شرحًا تحت صورة كبيرة ملونة لغالي تقول فيه: «يقتلون المسلمين وبطرس غالي لا يرى، الصرب يغتصبون السيدات والأطفال وغالي لا يسمع، الصرب يحرقون ويمزقون كل شيء ويجعلون الناس يتضورون جوعًا وغالي لا يتكلم».

* بطرس غالي حصاد سنة مرة![1]:

بقلم: فهمي هويدي - كاتب مصري عربي بارز

كانت مناسبة مرور عام على تعيين الدكتور بطرس غالي أمينًا عامًا للأمم المتحدة فرصة استغلها كثيرون لتقييم تجربة أول عربي يشغل منصب دبلوماسي في العالم. وفي هذه المناسبة قرأت كتابات كثيرة عن الرجل،

---

(١) مجلة المجلة (العدد ٦٧٩) ١٠/ ٢/ ١٩٩٣، و«بطرس بيتر غالي» (ص٢٠٠).

بعضها ركز على شخصه، وانتقد موقفه من قضية البوسنة والهرسك بوجه أخص، انطلاقًا من تحيزه العقيدي، بينما سجل البعض الآخر انطباعات عن إدانات تراوحت بين الإيجابية والسلبية.

وجدتني متحفظًا كقارئ على هذين النهجين، فقد تمنيت أن يتم تقييم تجربة الرجل على أساس موضوعي وليس شخصي أولاً، وبناء على معلومات وليس انطباعات ثانيًا.

وإذ لا أغفل الاعتبارات الإنسانية في تقييم المواقف، إلا أن حجم الدور الذي تؤثر به تلك الاعتبارات يختلف من شخص إلى آخر، وقياس ذلك الدور يقتضي غوصًا في النوايا والأعماق، وهي مساحات مجهولة يتعذر سبرها على كثيرين.

من ناحية ثانية فالانطباعات عادة تعتمد كثيرًا على تقدير قد تلعب فيه المشاعر والعواطف الإيجابية والسلبية دورها في هذا الاتجاه أو ذاك.

بسبب ذلك، فقد تمنيت أن يتم أولاً «تحرير» موضوع المناقشة على طريقة فقهائنا، بمعنى إثبات حقائقه وتقديم معلوماته الأساسية، قبل أي تقييم أو اجتهاد في تفسير الوقائع وظل ذلك بدوره انطباعًا من جانبي ساد حينًا، حتى قرأت مقالاً كتبه الدكتور غالي في إحدى الصحف الفرنسية حول وجود الأمم المتحدة في الصومال، وبعده حديثًا أجرته معه مجلة تايم الأمريكية.

وجدت كلامه ظاهر التغليظ بحيث يحتاج إلى رد ومناقشة، الأمر الذي دفعني إلى الكتابة في الموضوع، ومن ثم فتح ملف الدكتور غالي في الأمم المتحدة.

ثمة انطباع شائع خلاصته أن الرجل يعرف إنه لكبر سنه انتخب لمرة واحدة، من ثم فإنه لن يبقى في منصبه أكثر من خمس سنوات، ولذلك فهو حريص على أن يتصرف بشكل مستقل، لا يبالي فيه بآراء الدول الكبرى، ولذا يبدو فيه الإصرار على ترك بصماته على جدران المنظمة الدولية؛ ولأن

الولايات المتحدة هي الدولة صاحبة التأثير الأقوى على الأمم المتحدة الآن، فإن المروجين لمقولة الاستقلال أوحوا بأن الدكتور غالي لا يهمه رضا واشنطن أو سخطِها، وأنه سيحدد مواقفه في ضوء تصرفاته الشخصية أولاً وأخيراً.

غير أننا عندما نختبر تلك المقولة على المحك، فسوف نلاحظ أن الأمين العام يطبّق المواقف والأولويات الأمريكية بحذافيرها، وأنه طيلة العام الذي أمضاه في وظيفته كان شديد الالتزام بكل الخطوط السياسية المرسلة من واشنطن.

لقد فوجئنا به في أول مؤتمر صحافي عقده بعد توليه منصبه، وهو يعلن أن قرار ٢٤٢ (ليس ملزمًا)، وعندما صدم الرأي العام العربي وأثار تصريحه الضجة المشهورة، أعاد مكتبه شرح موقفه، فقال: أنه قصد القول: بأن القرار ليس قابلاً فرض تنفيذه، نظرًا لعدم تبنيه بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

وكانت نتيجة ذلك أن الأمين العام الجديد بدأ مهمته بإضعاف مرجعية أساسية في المفاوضات العربية ـ الإسرائيلية.

وانعكست إفرازات ذلك الموقف على تدهور القرار ٢٤٢ على المسار الفلسطيني، وذلك عندما رفضت واشنطن «بعد مضي حوالي ستة أشهر على تصريح الدكتور غالي إلزام الجانب الإسرائيلي بتطبيق القرار ٢٤٢ على الشأن الفلسطيني.

لوحظ أيضًا أن الأمين العام الذي عُرِف بحرصه على إصدار التقارير التي يطلبها مجلس الأمن في أي موضوع أو مسألة، لم يستجب حتى الآن لطلب المجلس في القرار ٦٨١، المعني بحماية الفلسطينيين تحت الاحتلال، وانطباق اتفاقات جنيف الرابعة المعنية بحماية المدنيين على الأراضي الفلسطينية المحتلة. وكان ذلك القرار قد طُلِب من الأمين العام في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٠ أن يقدم تقريرًا دوريًا كل ثلاثة أشهر بشأن هذه المسألة.

وقدم (خافيير بيريز دي كويار) تقريرًا واحدًا أما الدكتور بطرس غالي فلم يقدم أي تقرير حتى الآن.

يضاف إلى ذلك أن تقليد ذكر القرار ٤٢٥ في تقارير الأمين العام السنوية عن أعمال المنظمة، غاب عن تقرير الدكتور غالي، وهذا الغياب يتعذر تفسيره تحت أي ظرف، خصوصًا وأن القرار يطالب بانسحاب إسرائيل بالكامل من لبنان، وهو جزء مهم في المفاوضات اللبنانية الإسرائيلية.

ويؤثر على المفاوضات اللبنانية يقينًا، ألا يساهم الأمين العام في إغفال قرار بهذه الأهمية، أصدره مجلس الأمن، خصوصًا وأن إسرائيل تتملص منه، والولايات المتحدة تغض الطرف عنه في المفاوضات.

يلاحظ كذلك أن الأمين العام قَدَّم تقارير عدة في شأن مختلف فقرات القرار ٦٨٧، الذي وضع شروط إطلاق النار على العراق، لكنه تجاهل الآن الإشارة إلى الفقرة التي نصت على أن إزالة أسلحة الدمار العراقية تمثل خطوة نحو هدف جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل، وهذا الإهمال يتم في الوقت الذي يتأكد فيه خلل موازين القوى في المنطقة لمصلحة إسرائيل.

❑ على الصعيد الأفريقي هناك نموذج آخر يثير المزيد من علامات الاستفهام حول موقف الدكتور غالي، بل ويعزز الشك في مصداقية مقولة استقلاله عن الخط الأمريكي.

فالمعروف أن ثمة صراعًا قائمًا من أكثر من ١٦ عامًا بين الحركة الشعبية لتحرير أنجولا التي يقودها «خوزيه سانتوس»، وبين حركة يونيتا التي يقودها (جوناس سافيمي) غير أن الطرفين وقعًا في نهاية المطاف اتفاق سلام بينهما في لشبونة عام ١٩٩١، واتفقا على إجراء انتخابات في البلاد خلال سبتمبر (أيلول) من العام الماضي، لكن الذي حدث أن الحركة الشعبية لتحرير

أنجولا، هي التي فازت في الانتخابات رغم أنها تمت تحت إشراف دولي. الأمر الذي دفع سافيمي إلى رفض النتيجة والعودة إلى القتال مرة أخرى.

واللافت للنظر أنه رغم أن حكومة سانتوس الراهنة تُعد حكومة شرعية ثبتتها الانتخابات الديمقراطية، ورغم أن سافيمي زعيم يونيتا هو الخارج على الشرعية الرافض لنتيجة الانتخابات بل والرافض للاشتراك في ائتلاف حكومي، فإن الأمم المتحدة وأمينها العام يمارسان ضغطهما على الحكومة الشرعية للتفاوض مع سافيمي وليس العكس، وذهب الأمين العام في ضغطه إلى حد التهديد بسحب مجموعة المراقبة الدولية، إذا لم يستطع الرئيس المنتخب أن يصل إلى حل وسط مع سافيمي المتمرد والمنشق عليه.

وليس هناك من تفسير لذلك التدليل السافر لزعيم (يونيتا) سوى أن الرجل محسوب على الولايات المتحدة، وأن حركته تلقى تأييدًا ودعمًا مستمرين من واشنطن!

لأجل ذلك فإن الأمين العام بدا مستعدًا لتجاهل نتيجة الانتخابات، وضاربًا عرض الحائط بما أسفرت عنه عمليات التصويت، ومكثفًا ضغوطه وتهديداته على الطرف المنتخب، لمجرد أنه لا يلقى تعاطفًا أو تأييدًا من واشنطن.

الموقف في البوسنة كان أفدح وأغرب، فمنذ اللحظات الأولى لاندلاع القتال، الذي كان واضحًا فيه تمامًا أن الصرب مدعومون بترسانة الجيش اليوغسلافي العسكرية، وأن البوسنيين المسلمين لا يملكون أي شيء يدافعون به عن أنفسهم، مع ذلك فقد وقف الأمين العام والدول الكبرى بطبيعة الحال، ضد إرسال أية قوات تحمي المسلمين العزل من العدوان، ومع حظر السلاح على الجميع بمن فيهم الطرف المجني عليه.

وإذا أرسلت قوات رمزية، كانت مهمتها تأمين وصول الغذاء فقط، ولم

تكن بمقدورها حتى أن تدافع عن مهمتها تلك، فإنه عندما كانت العملية تواجه بأية انتهاكات من جانب الصرب، فإن الرد الوحيد كان يتمثل في إغلاق مطار سراييڤو، ووقف الرحلات الجوية التي كانت تحمل المعونة إلى البوسنيين المحاصرين، وهو ما يعني: أن العقاب كان ينزل بالمسلمين البؤساء؛ لأنه كان يحرمهم من الطعام والمؤن!

لقد التزم الأمين العام الصمت، عندما كانت القوات الدولية تمنع المسلمين من ضحايا التطهير العرقي من العبور إلى كرواتيا ليفروا بحياتهم من الجحيم.

يقودنا إلى ذلك ما كتبه وصرح به الأمين العام للأمم المتحدة حديثًا، في مقاله الذي نشرته الصحيفة الفرنسية «لوجورنال دو ديمانش» في شهر ديسمبر (كانون الأول) الماضي.

قال الدكتور غالي أن التدخل الدولي في البوسنة ليس ميسورًا بالمقارنة بالصومال، ففي البوسنة تتقاتل جيوش حديثة فائقة التدريب ويدعمها المواطنون بقوة وبسبب ذلك التشابك العسكري الكبير، فإن التدخل الدولي قد يزيد الأمر سوءًا.

وفي حديثه الأخير إلى مجلة «تايم» في ١٨ يناير (كانون الثاني) سئل عن مبرر دعمه للتدخل الدولي في الصومال، ومعارضته التدخل في البوسنة فقال ما نصه:

هناك فرق بين الحالتين ففي الصومال كنا عاجزين عن تقديم المساعدات الإنسانية؛ لأنه لم تكن هناك سلطة في البلاد يمكن الحوار معها حول قضية السلام، أما في يوغوسلافيا فقد كانت هناك أطراف تَحدثنا إليها وأمكننا أن نتفق على مبادئ لحل النزاع، وإطار عام لتحقيقه.

ومن أسف أن ما قاله الدكتور غالي يفتقد الصواب ولا أقول الأمانة!

فالقدر المتيقن أن القتال الدائر في البوسنة لا يتم بين جيوش حديثة فائقة التدريب، وإذا صح ذلك بصورة نسبية على القتال بين الصرب والكروات فإنه لا ينطبق بأي حال على البوسنويين المسلمين، الذين يعرف القاصي والداني أنهم عُزل لا يملكون سلاحًا، وأن بعضهم يحارب ببنادق الصيد، وأكثر من ذلك فالمسلمون لم يكن لهم جيش أساسًا، حيث لم يكن ذلك مسموحًا لهم، وكان ممنوعًا عليهم إذا ما انخرطوا أو جندوا في الجيش اليوغسلافي أن يرتقوا إلى مراتب الضباط، ومن ثم فقد كتب عليهم أن يظلوا جنودًا يؤمرون فيطيعون، بسبب من ذلك فإن نواة المقاتلين البوسنويين كانوا بضع مئات معدودة من رجال الشرطة.

هذه المعلومات يعرفها القاصي والداني وهي منشورة في جهات الكرة الأرضية الأربع، فما من تقرير عن الوضع العسكري في البوسنة إلا وأشار إلى أن المسلمين أصبحوا يملكون دبابتين فقط. بينما الصرب وراءهم كل مخازن الجيش اليوغسلافي، فضلاً عن أن السلاح الجوي هو أداتهم الفعالة التي مكنتهم من هزيمة المسلمين.

هل يعقل أن يصبح الأمين العام للأمم المتحدة الوحيد في الكرة الأرضية الذي لا يعلم أن البوسنويين لا يملكون جيشًا حديثًا وفائق التدريب، بل إنهم لا يملكون جيشًا على الإطلاق؟.

كلامه في مجلة «تايم» يثير الدهشة بذات القدر حين برر التدخل في الصومال بانهيار السلطة في البلاد، وقال: إن ما حدث في يوغسلافيا عكس ذلك.

لأنه لم يذكر ما هو موقف تلك السلطة القائمة في يوغوسلافيا، التي ماطلت وتجاهلت مختلف قرارات الأمم المتحدة، حتى قتلت نائب رئيس وزارة البوسنة بينما كان في حراسة القوات الدولية وهو ما لم يحدث في الوضع المنفلت في الصومال!

نعم وجود السلطة مهم، ولكن الأهم منه هو موقف هذه السلطة واستعدادها لإقرار السلام والامتثال لقرارات الأمم المتحدة، ففي العراق على سبيل المثال هناك سلطة قائمة، ومع ذلك فقد فرض عليه الالتزام بالشرعية الدولية بالقوة المسلحة وجرى تأديبها وقمعها عدة مرات.

إن الذرائع التي ساقها الدكتور غالي هي ذاتها التي مكنت الصرب من التوسع وممارسة التطهير العرقي، وغير ذلك من الآثام والفظائع التي أرجو أن يكون الأمين العام للأمم المتحدة قد سمع بها.

قد كان استقبال الدكتور بطرس غالي في سراييڤو ومقديشيو ناطقًا بحقيقة المشاعر التي تبلورت إزائه بعد سنة من توليه منصبه، وأدع وصف الزيارة للصحف الأمريكية التي رافقته في رحلته وسجلت وقائعها بدقة.

فتقرير الواشنطن بوست نشر تحت عنوان:

«المسلمون البوسنويون يتهمون بطرس غالي بالإسهام في بؤسهم».

وتحت العنوان ذكرت أن الأمين العام

«استقبل بعاصفة من الاستنكار والشتائم من مدينة سراييڤو المحاصرة، والتي اعتقد أهلها أن الأمم المتحدة ضاعفت من محنتهم، وذلك خلال زيارة استغرقت ست ساعات ناشد فيها البوسنويين أن يضعوا ثقتهم في المفاوضات التي تجريها الأمم المتحدة، وقال: إن استخدام القوة ضد الصرب الذين يقصفون العاصمة ليس مستحبًا الآن!

وبينما كان بطرس غالي يشرح ذلك لممثل الحكومة البوسنية، تعالى الهتاف من الشارع:

«مُجرِم قَاتِل فاشي، ساعِدنا أو عد لبلادك».

وخرج بطرس غالي من المبنى تحت حراسة مشددة حيث ذهب لزيارة المستشفى، وعلى الطريق قابلته هتافات أكثر عدائية من السكان الجياع في

المدينة المنكوبة الذين يتعرضون لقصف مستمر من الصرب لمدة تسعة أشهر ويعيشون بلا تدفئة ولا كهرباء ولا مياه جارية منذ ثلاثة أسابيع.

❑ وفي المؤتمر الصحفي وقفت صحفية من البوسنة وقالت للأمين العام:

«أنت أيضًا مذنب ومسئول عن كل سيدة اغتصبت، وكل رجل قتل».

ـ وسألته:

كم تطلبون من ضحايا في سراييڤو قبل أن تتحركوا، ألا يكفيكم ١٢ ألفًا؟

ـ ورد بطرس غالي:

إذا كنت مجرمًا فهذه مشكلتي، أنا أشاركك آلامك ولكن حالكم أفضل بكثير من عشرة أماكن يمكن بيانها لكم.

ـ وقد علقت صحيفة واشنطن تايمز على هذا الرد بقولها:

«إذا كان هذا هو كلام الصديق فلا لوم على العدو».

جاء ذلك في افتتاحية شديدة اللهجة ضد الأمين العام تحت عنوان «ليست قضية معنويات»، وقالت:

«إن زيارة الدكتور غالي للمدينة التي أراد أن يعلن بها عن تضامنه مع شعبها المحاصر زادت آلامهم»، أو بنص ألفاظ الجريدة: «وَضَعَت ملحًا في جراحهم».

إذ بينما يؤيد غالي بشدة التدخل العسكري في الصومال، نراه يعارض نفس الإجراء في البوسنة! إنه يطالب بفرصة لمحادثات السلام[1] في چنيف، ولكن على

(١) محادثات سلام وكل دقيقة يموت مسلم إما برصاص الخنازير أو قنابلهم أو بالتجويع أو بالقهر والتعذيب، ألم أقل إن مفهوم سلام المسلمين، لا ينبغي قبول خلطه بسلام القردة والخنازير.

ضوء التجربة لا يجوز أن نتوقع نجاحًا، والحقيقة المؤكدة هي استمرار وحشية القرون الوسطى في قلب أوربا المعاصرة.

وعندما حاول الدكتور مجاملة جريح في مستشفى سراييڤو، فسأله عن معنوياته رد الرجل:

إنها ليست قضية معنويات.

أوقف القصف. يا بطرس.

أنت المسئول عن استمرار محنتنا.

من ناحية ثانية فقد نقلت وسائل الإعلام العالمية مظاهر الاستقبال الغاضب الذي لقيه الدكتور بطرس في العاصمة الصومالية (مقديشيو) الأمر الذي اضطره إلى اختصار زيارته.

❑ قالت الواشنطن بوست: إن المتظاهرين وهم من أنصار الچنرال عيديد، إلا أنهم يتمتعون بتأييد الصوماليين الذين يعتقدون أن الأمم المتحدة قد خذلتهم. وهي أول مرة في تاريخ المنظمة العالمية يستقبل سكرتيرها على هذا النحو من بلدين يفترض أنهم يحظيان بمساعدة المنظمة.

❑وقد حاولت «الأسوشيتد برس» تفسير عزلة الأمين العام بنقلها عنه قوله:

إنه سياسي وليس دبلوماسيًا، وقالت: إنه نقد ذاتي صريح من الرجل الذي يشغل أعلى منصب دبلوماسي في العالم! واستعرضت بعض مظاهر قصوره الدبلوماسي فقالت:

«إنه بينما يشكر الأمين المصري من أجل جهوده في سبيل السلام، إلا أنه أثار ضده قوى كان يفترض أن تكون إلى جانبه سواء في الغرب أو الشرق أو دول العالم الثالث فمثلاً:

أغضب سكان سراييفو عندما اعترض على تدخل الغرب العسكري.

وأغضب الأفريقيين والعالم الثالث كله عندما صرح لصحيفة ألمانية قائلاً: «أريد أن أوضح تمامًا للرأي العام في الغرب إنني لست شديد الاهتمام كما تظنون بتوفير المساعدات المالية والفنية للعالم الثالث، إن مواطنيكم يشعرون بالقرف من مطالبتهم بالتبرع بالمال والطعام».

وأغضب الحكومات الغربية في الصيف الماضي عندما اتهمها بالاهتمام بحرب الأغنياء.

وأزعج الدول العربية بتصريحه عن القرار ٢٤٢ إلى آخره.

❑ هذا هو حصاد سنة واحدة آمضاها الدكتور بطرس غالي في منصبه، فما بالكم به إذا استمر على منواله طيلة السنوات الأربع المتبقية له؟!

اللَّهم إنا لا نسألك رد القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه.

❊ نقابة الأطباء تكشف: طائرات الأمم المتحدة تزود الصوماليين بالأسلحة(١):

كشف وفد نقابة الأطباء الثاني، الذي عاد من الصومال مؤخرًا، عن قيام طائرات الأمم المتحدة بتزويد القوى المتحاربة في الصومال بالأسلحة والمعدات الثقيلة.

شاهد وفد النقابة أثناء وجوده في الصومال في مهمة إنسانية، طائرات الأمم المتحدة وهي تلقي بالأسلحة والبنادق الآلية والذخائر والقنابل إلى الفصائل المتحاربة في الصومال.

أضاف وفد النقابة أن أمريكا هي التي زودت طائرات الأمم المتحدة

(١) «جريدة النور المصرية» ١٦/ ١٢/ ١٩٩٢.

بالسلاح حتى تدخل الصومال تحت شعار الرحمة الإنسانية، لتطوق العالم الإسلامي.

من ناحية أخرى كشف الوفد الطبي عن عمليات النهب والسرقة من جانب قوات الأمم المتحدة، حيث تقوم هذه القوات بالاستيلاء على الأغذية والأدوية وكافة إمدادات الإغاثة.

بسرعة يتحسر عليها أبناء البوسنة في مواجهة مجازر الصليب فيهم، صدر القرار ٧٩٤ الذي أجاز بموجبه مجلس الأمن التدخل العسكري الأمريكي السافر في الصومال، تحت غطاء إنساني يحمل اسم عملية «إعادة الأمل».

وبموجب هذه الإجازة التآمرية، انتشرت قوات المارينز (أكثر من ٣٠ ألف جندي «جاءوا تحت مظلة بيت صهيون «الأمم المتحدة» وبموافقة القديس بيتر رسول السلام الصليبي الجالس على كرسي الطاغوتية الدولية الأزرق بعد مبادرة واتصالات أجراها بطرس بنفسه مع ١٢ رئيسًا ومسئولاً دوليًّا، تجاوزت هذه العاصفة الأمريكية أهدافها الإنسانية المعلنة.

❏ وكما تقول الكاتبة الصومالية راكيا عمار المديرة التنفيذية لمنظمة أفريكا روتش والكاتب إليكس ديوعال المدير المساعد لمنظمة أفريكاروتش «أي مسئول[١] يتحمّل مسئولية السماح بحدوث المجاعة معرّض لاحتمال الترقية وليس الإدانة إن هذه فضيحة»[٢].

❏ ربما يكون ربع أطفال الصومال قد ماتوا هذا العام، وعدد مماثل يواجهون الموت الوشيك جوعًا، وكان هذا الأمر متوقعًا منذ العام الماضي

---

(١) من مسئولي الإغاثة في الأمم المتحدة العاملين بالصومال والذين نهبوا مواد الإغاثة.

(٢) صحيفة الاتحاد القطرية ١٩٩٢/٨/٢٨، نقلاً عن صحيفة لوس أنجلوس تايمز.

(١٩٩١م) من قبل وكالات إغاثة مجربة وعلى دراية بمجريات الأمور، وبالذات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وصندوق إنقاذ الأطفال، واليونيسيف، وبرنامج الغذاء العالمي، وآخرين[١] للعمل بسرعة على تجنب وقوع الكارثة، لكن تلك الوكالات لم تفعل شيئًا، ووقعت الكارثة كما كان متوقعًا.

وليس ثمة مبررات ولا أعذار لوكالات وهيئات المنظمة الدولية تحول بينها وبين البدء في العمل الإنساني في الصومال. لقد كان المال متوفرًا، لكنهم اختاروا عدم إنفاقه.

وأسوأ ما في الأمر، أن هذه ليست المرة الأولى، فكل عامل إغاثة مجرب يمكنه أن يسرد حكايات مروعة عن العجز والتردي وحتى الفساد الذي تعاني منه وكالات الأمم المتحدة، وليس هذا سوى مأساة في طابور طويل من المآسي المماثلة.

إن الناس لن يطالبوا فقط باتخاذ الإجراءات الفورية لإنقاذ حياة الأطفال الباقين على قيد الحياة، وإنما كذلك بإجراء تحقيق عام في الخطأ الذي وقع، وطرد أو محاكمة الأطراف المخطئة»[٢].

* الخلاف بين عصمت عبدالمجيد وبين غالي بسبب الصومال:

تفجرت الأوضاع بين دكتور بطرس غالي والدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام للجامعة العربية، بسبب موقف كل منهما من هذه المشكلة، فالدكتور غالي يصرّ على ضرورة حل الأزمة عن طريق الأمم المتحدة فقط، فيما يرى الدكتور عبدالمجيد أن يأتي الحل من خلال الجامعة مع إمكانية اشتراك الأمم المتحدة كطرف مساعد وليس رئيسيًا.

---

(١) كالمنظمات التنصيرية أو الكنائس الدعوية.

(٢) صحيفة الاتحاد القطرية ٢٨/٨/١٩٩٢ نقلاً عن صحيفة لوس أنجلوس تايمز.

وقد علمت «المجلة» أن عدد كبيرًا من الفصائل الصومالية وافق على حضور مؤتمر المصالحة التمهيدي في الوقت الذي تحدده الجامعة العربية، كما أعلنت جماعة عيديد رفضها حضور أي مؤتمر مصالحة أو حوار تدعو إليه الأمم المتحدة، والتنسيق الدائم مع أمانة الجامعة العربية في أي خطوات تقرر اتخاذها. وأكدت مصادر الجامعة العربية أن التعليمات قد صدرت إلى ممثل الجامعة في الأمم المتحدة برفض جميع أشكال التنسيق والتشاور مع الأمم المتحدة وأمينها العام فيما يختص بحل الأزمة الصومالية[١].

* إعلانهم الوقح عما يريدون:

لقد كتب (مايكل كلان) من مجلس العلاقات الخارجية في واشنطن في صحيفة لوس أنجلوس تايمز (عدد ٨/ ١٢/ ١٩٩٢) يقول صراحة:

«إن الخطوة الأمريكية الراهنة تفتح الباب لاحتمال عودة الاستعمار من جديد إلى أفريقيا، ولكن بوجه إنساني هذه المرة، وهو احتمال يراه قويًا».

«لا سيما أن هناك في الغرب شبكات واسعة من المنظمات الكنسية والخيرية التي يمكن أن تصبح مماثلة لجمعيات التنصير ومحاربة الرقيق التي شهدها القرن التاسع عشر، ومن المحتمل أن ينشأ تحالف شاذ غريب بين تلك المنظمات والمؤسسة العسكرية الأمريكية، التي تبحث عن مهمات دولية جديدة لتبرير تدخلها».

❑ إن التنصير وجاذبية المعادن الثمينة مثل الذهب واليورانيوم في أرض الصومال هي التي دفعت الأمريكيين والأوربيين إلى التدخل في الصومال، وقد جرت تغطية هذا الجانب المشع باعتبارات إنسانية وهي إغاثة أطفال الصومال فماذا كانت النتيجة؟ النتيجة موت ربع أطفال الصومال جوعًا، ومد

(١) مجلة «المجلة» ـ القاهرة ـ ١٧/ ١١/ ١٩٩٢م.

الفصائل المتصارعة بالسلاح عن طريق الأمم المتحدة وأمينها الصليبي الغالي في صليبيته لقد قامت أمريكا بدورها الصليبي في مأساة الصومال.

☐ واخترقت القارة الأفريقية التي لم يكن للولايات المتحدة وجود عسكري على أرضها لاستلاب المعادن من أرض الصومال، وحصار المد الإسلامي الذي ظهر في المنطقة خصوصًا بعدما برز دور «جماعة الوحدة الإسلامية» في شمال الصومال، التي سيطرت على بلدة (بوساسو) وإدارة مينائها المطل على خليجي عدن، والضغط على النظام القائم في السودان عن طريق تهديده باحتمالات تدخل مماثل في جنوبه، فضلاً عن إبطال مفعول النفوذ السوداني المتزايد في شرق أفريقيا.

* رئيس جمهورية قبرص الشمالية المسلمة يفضح بطرس غالي الصليبي

ويقول: «بطرس طلب مني التنازل عن مدينة كاملة للنصارى»:

اعلن رءوف دنكتاش رئيس جمهورية قبرص الشمالية المسلمة أنه لا مجال لمساومة المسلمين في قبرص على شبر واحد من أرضهم. وأن شعب قبرص المسلمة مستعد لكافة الاحتمالات جاء ذلك ردًا على دعوة الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي الذي دعا دنكتاش للاجتماع في نيويورك مع الرئيس الجديد لقبرص الجنوبية النصرانية.

ويقول دنكتاش: إن الدكتور بطرس قدم مشروعًا يقضي بتنازل القبارصة المسلمين عن مدينة (جوزيل يورت) بكاملها للقبارصة النصارى بدعوى أن هذه المدينة نصرانية. كما اقترح بطرس على الرئيس دنكتاش أن تدفع له قبرص الجنوبية تعويضات مادية إذا ما تنازل عن هذه المدينة.

ويرى المراقبون أن بطرس غالي من خلال مشروعه هذا يقوم بدور السمسار ولا يبحث عن حل يرضي طرفي النزاع كما أنه بذلك يهدف إلى

تغليب الطرف الأرثوذكسي على الطرف الإسلامي في قبرص.

ويذكر أن مدينة (جوزيل يورت) تعتبر موقعًا استراتيجيًّا مهمًا وتوصف بأنها أجمل المدن القبرصية.

وفي تطور آخر طالبت أحزاب المعارضة التركية لحضور ما أسموه بمسرحية الدكتور غالي(١).

* أحزان كشمير على يد بطرس اللئيم:

بقلم د. عبدالقادر طاش - رئيس تحرير صحيفة «المسلمون»

من الحقوق التي أقرها القانون الدولي حق تقرير المصير للأمم والشعوب، وقد استفادت أمم كثيرة من هذا الحق فنالت استقلالها وأقامت دولاً وكيانات يعترف بها المجتمع الدولي، ولكن يبدو أن المسلمين هم الوحيدون في هذا العالم الذين لا ينطبق عليهم دائمًا هذا الحق!

والشواهد التي تؤكد ذلك كثيرة، ولكن أبرزها وأشدها مفارقة هو ما يعانيه الشعب الكشميري المسلم في ظل العنف الطائفي الهندي المستمر الذي ينتهِك صباح مساء، أدنى حقوق الإنسان في ذلك البلد المنكوب.

أما وجه المفارقة فهو أن منظمة الأمم المتحدة - وهي المنوط بها حماية الحقوق التي أقرها القانون الدولي - لا تزال تتباطأ في حل القضية الكشميرية، وتحاول التخلي عن مسئوليتها التي تحملتها عام ١٩٤٧م عندما أصدرت قرارها الخاص بتقسيم شبه قارة جنوب آسيا الذي ينص على أن:

«المناطق ذات الأغلبية الإسلامية تنضم إلى جمهورية باكستان الإسلامية على أن تنضم المناطق ذات الأغلبية غير الإسلامية إلى دولة الهند العلمانية».

---

(١) جريدة «المسلمون» (٥/ ٣/ ١٩٩٣).

وقد كان طبيعيًّا أن تنضم ولاية جامو وكشمير المسلمة إلى باكستان، وهو ما طالب به حزب مؤتمر مسلمي كشمير الذي كان يعد بمثابة البرلمان الشعبي الكشميري آنذاك، وذلك في ١٩ يوليو ١٩٤٧م.

كما أن الأمم المتحدة أصدرت قرارًا آخر حول كشمير في ٥ يناير ١٩٤٩م يقضي بإجراء استفتاء عام بين الكشميريين لتقرير مصير الولاية بين انضمامها إلى الهند أو إلى الباكستان.

وقد وافقت الهند على إجراء الاستفتاء ولكنها تراجعت عن موافقتها وبدأت تماطل في تنفيذ الاستفتاء، ثم ادعت ـ دون مسوغ قانوني ـ أن قضية كشمير قد أصبحت قضية داخلية متجاهلة بذلك قرارات الأمم المتحدة.

وتبلغ المفارقات ذروتها المأساوية بالموقف العجيب للأمين العام للأمم المتحدة (بطرس غالي) ـ وما أكثر عجائبه منذ تولى هذا المنصب الدولي! ـ

◻ حيث قال في تصريح له:

«إن قرارت هيئة الأمم المتحدة غير ملزمة إلا إذا صدرت عن مجلس الأمن استنادًا إلى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة».

مع أن البند رقم ٣٤ من ذلك الميثاق ينص على أنه «يحق لمجلس الأمن التحقيق في أي نزاع أو أي وضع ينذر بنشوب نزاع أو خلاف دولي».

وقضية كشمير هي قضية دولية، وليست قضية داخلية، وقد اتخذت فيها المنظمة الدولية عدة قرارات سابقة، فلماذا يتنصل (بطرس غالي) من مسئولية الأمم المتحدة في قضية واضحة المعالم؟!

إن كشمير قد أصبحت ولاية إسلامية منذ أسلم ملكها البوذي (رينجن شافي) عام ١٢٢٠م، ولكن طائفة (السيخ) الهندية استولت على الولاية عام ١٩١٨م، ثم سيطر عليها الاستعمار البريطاني الذي قام ببيع كشمير ـ وكأنها

سلعة يتاجر فيها - إلى طائفة (الدوجرة) الهندوسية بمبلغ سبعة ملايين ونصف المليون روبية . .

«أي أن سعر المواطن الكشميري لم يتجاوز سبع روبيات».

وهو ما يعادل ثلث الدولار الأمريكي!!

وقد سميت هذه الصفقة المخزية باتفاقية (امرتسار)، وهي صفقة غير قانونية؛ لأن البائع فيها هو المحتل الذي لا يملك الأرض التي باعها؛ ولأن الشعب الكشميري وهو صاحب الحق لم يستشر في هذه الصفقة، بل إن هذا الشعب المجاهد عبر عن رفضه للخضوع للملك الهندوسي عندما انطلقت حركة تحرير كشمير عام ١٩٣١م.

ولما اشتدت مقاومة المسلمين للحكم الهندوسي الظالم اضطر الملك الهندوسي (هري سنغ) إلى الفرار، حيث قدم للحاكم العام للهند طالبًا للموافقة على انضمام الولاية إلى الهند، وهو أمر مرفوض وغير قانوني، إذ لا يملك الحاكم الهندوسي الحق في بيع كشمير مرة أخرى إلى الهند، فهو لم يكن حاكمًا شرعيًا للولاية.

كما أن الشعب الكشميري كان غائبًا عن الصفقة، بل عبر عن رفضه مرة أخرى لهذه الصفقة وواصل جهاده ضد الاستعمار الهندي منذ أول يوم وحتى الآن.

لقد تحولت كشمير التي كانت تسمى «جنة اللَّه في الأرض» إلى سجن كبير لشعب أعزل يبلغ تعداده ١٢ مليونًا (٨٥٪ منهم مسلمون).

ويمارس الهنود على مرأى ومسمع من العالم أجمع أبشع ألوان الظلم والقتل والإبادة. وتنقل بعض المصادر الصحفية إلى العالم تقارير مفجعة وصورًا مأساوية لما يجري لأبناء الشعب الكشميري المسلم في السجن الكبير.

فقد نقلت صحيفة «تورنتو صن» الكندية عن مراسلها في سرينجار ـ عاصمة كشمير ـ أن إحدى فرق القوات الهندية قامت مؤخرًا باقتحام قرية «كونن بوشبورا» فاعتقل أفرادها كافة الرجال في القرية، ووضعوهم في أحد معسكرات التحقيق وأخضعوهم للضرب والتعذيب لعدة ساعات، ثم عاد جنود تلك الفرقة إلى القرية واقتحموا البيوت وقاموا باغتصاب النساء بما فيهن كبار السن والفتيات اللاتي لا تزيد أعمارهن على عشر سنوات!!.

ويتعاون الجيش الهندي النظامي مع المنظمات الهندوسية المتطرفة لقمع انتفاضة الشعب الكشميري المسلم ضد التسلط الهندي.

إن هذه الصورة الدامية: ما هي إلا واحدة من سلسلة طويلة من الصور التي تتكرر يوميًا.

وما تقدمه بعض وسائل الإعلام من صور وأخبار عن هذه المأساة، ليس إلا غيضًا من فيض، وهو ـ على محدوديته ـ يدمي القلب ويثير الغضب..

ومع كل ذلك فلا تزال المأساة تتوالى فصولها دون أن يحرك ذلك ساكنًا، فهل كتبَ على المسلمين أن يعانوا في صمت. وأن يكتموا أحزانهم إلى ما لا نهاية[1].

مسلسل من الحقد الصليبي أفرزه بطرس (بيتر) غالي لكل قضية أساء فيها إلى الموحدين كل الإساءة.. ﴿**قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر**﴾.

* وأخيرًا:

أقول للذين يحاولون أن يثيروا الشبهات حول الإسلام، إنهم كمثل

---

(١) «بطرس بيتر غالي» (ص٢١٣ ـ ٢١٦).

الذين يحاولون أن يثيروا التراب على السماء، فلسوف يثيرونه على أنفسهم، وتبقى السماء هي السماء ضاحكة السن بسّامة المحيا. واللَّه تعالى يقول لهم ولأمثالهم إلى يوم القيامة ﴿**قل اللَّه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾ تباركت وتعاليت فإنهم في غيهم يعمهون وفي غيّهم يترددون ﴿**وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٢١-١٢٣].

ما يضرُّ البحر أمسى زاخرًا   أن رمى فيه غلام بحجرْ

أو:

وما ضرّ الورود وما عليها   إذا المزكوم لم يطعم شذاها[1]

* * *

(١) انظر «كلمتنا في الرد على أولاد حارتنا» (ص٣٤٩) للشيخ عبدالحميد كشك.

صليبيون حتى النخاع
قد بدت البغضاء من أفواههم

صليبيون حتى النخاع

قد بدت البغضاء من أفواههم

من أصدق من اللَّه قيلا؟! ومن أصدق من اللَّه حديثًا؟!

* قال اللَّه عز وجل وكلام الملوك ملوك الكلام: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ..**﴾ [البقرة: ١٢٠].

* وقال تعالى: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ..**﴾ [آل عمران: ١١٨].

قلوب سوداء لا تحمل للإسلام إلا التحقير وإثارة الشبهات وخلق أجواء الريبة والاتهامات وهم طوائف مختلفة يجمعهم الحقد الشديد على الإسلام وأهله، هم رُوّاد حركة التغريب وكبار مخططيها وأبرز دعاتها الذين حملوا لواء العمل في ميادين التبشير والاستشراق والكتابات السوداء عن الإسلام منهم الحكام: ككرومر وليوتي، ومنهم دعاة التبشير أمثال لافيجري وزويمر وولكوكس، ومنهم كتّاب متعصبون للجنس الأبيض أمثال دوق داركور وهانوتو، ولويس برتران وفولتير، ومنهم مشرفون على التعليم في البلاد المستعمرة أمثال دنلوب، ومستشرقون أمثال فنسك ولويس شيخو، وهنري لامنس ومرجليوث ورينان.

وهذه المجموعة تضم الفرنسيين والإنجليز وغيرهم رابطة العقد بينهم القضاء على مقومات هذه الأمة عن طريق إثارة الشبهات في ثقافتها وفكرها وعقيدتها، ولقد تصدى لهم وسمهم الزعاف رجالات الإسلام مَنْ دينهم أغلى عندهم من الحياة وما فيها حملوه في سويداء قلوبهم يعطرها وينقلهم

إلى الحياة الآخرة ونعيمها وهم ما بعد في دار الدنيا، فكشفوا زيف هؤلاء الدجاجلة وفندوا أخطاءهم وادعاءاتهم وكشفوا شبهاتهم.. التي ما زال العبيد والأقزام وأذناب الغرب يضعونها أمام عوام المسلمين لزعزعتهم عن دينهم.. ومكر صبيان الغرب الذين يصدق فيهم قول القائل:

يرمرم من فتات الكفر قوتًا ... ويشرب من كئوسهم الثمالهْ
يقبــل راحــة الإفــرنج دوما ... ويلثـم دونما خجـل نعـاله

ومكر أولئك هو يبور.. ويبقى الإسلام بنوره وبهائه وأصالته وجذوره القوية وكلماته الطيبة وعقيدته الصافية النقية.. تزول الدنيا بأسرها ولا يزال الإسلام بتعاليمه من صدور أبنائه ومحبيه ما بقيت الدنيا.

لا تهيئ كفني يا عاذلي ... فأنا لي مع الفجر مواثيقٌ وعهد

وها هم حملة السموم والحقد الواضح لا الدفين الذي تطفح به مواقفهم وكتاباتهم (١).

* **فولتير وتعصبه الفجّ وتطاوله على رسول اللَّه ﷺ في «تمثيلية محمد»**:

أصدر الكاتب الفرنسي المشهور بحرية الرأي (فولتير) عام ١٧٤٥م تمثيلية أسماها «محمد والتعصب»، وأهداها إلى البابا في محاولة جريئة تكشف عن حقيقة دعوى حرية الفكر عنده، وقد واجه (توفيق الحكيم) هذه القصة فقال: قرأت قصة فولتير التمثيلية (محمد) فخجلت أن يكون كاتبها معدودًا في أصحاب الفكر الحر، فقد سب فيها النبي سبًا قبيحًا عجبت له وما أدركت له علة، لكن عجبي لم يطل فقد رأيته يهديها إلى البابا بنوا

---

(١) هذا الفصل هو تلخيص لكتابات الأستاذ أنور الجندي في معظم أماكنه وبالأخص كتابه «مقدمات العلوم والمناهج» (١/٢٤٦ ـ ٣٠٧) وكتابه «الفكر الإسلامي والثقافة الغربية المعاصرة» (ص٩٥ ـ ١٥٧).

الرابع عشر. وعلمت أن روسو كان يتناول بالنقد أعمال فولتير التمثيلية فاطلعت على ما قال في قصة (محمد) علّني أجد ما يرد الحق إلى نصابه فلم أر هذا المفكر الحر أيضًا يدفع عن النبي ما ألصق به كذبًا، كأن الأمر لا يعنيه، وكأن ما قيل في النبي لا غبار عليه ولا حرج منه، ولم يتعرض للقصة إلا من حيث هي أدب وفن، وقد قرأت بعد ذلك رد البابا بنوا على فولتير فألفيته ردًّا رقيقًا كيسًا لا يشير بكلمة واحدة إلى الدين، وكله حديث في الأدب، فعظم عجبي لأمر فولتير وسألت نفسي طويلاً: أيستطيع عقل مثقف كعقل هذا الكاتب العظيم أن يعتقد ما يقول، دين يتبعه آلاف الملايين من البشر، على مدى الأجيال، هو في نظره حقًّا دين كاذب، ومبادئ إنسانية كالتي جاء بها الإسلام هي عنده حقًّا مبادئ بربرية، أم أنه التملق والزلفى والنفاق، وأن الزمن والتاريخ يضعان أحيانًا أقنعة زائفة على نفوس تزعم أنها خلقت للدفاع عن حرية الفكر.

منذ ذلك اليوم وأنا أحس كأني فجعت في شيء عزيز لدي: الإيمان بنزاهة الفكر الحر، ولقد كنت أحيانًا ألتمس الأعذار لفولتير وأزعم أنه قال ما قال لا عن مجاملة أو ملق، بل عن عقيدة، وحسن طوية استنادًا على علم خاطئ بأخبار النبي، ولكن كتابه إلى البابا كان يتهمه اتهامًا صارخًا، ولا يدع مجالاً للشك في دخيلة أمره، إني قرأت لفولتير كتبًا أخرى كانت تكشف عن آراء حرة حقًّا في مسائل الأديان وتنم عن روح واسعة الآفاق تكره التعصب الذميم فما باله عندما عرض لذكر «محمد والإسلام» كتب شيئًا هو التعصب بعينه، تعصب لدينه ذهب فيه إلى حد السجود وتقبيل الأقدام، لا لرب العزة والخلق، بل لبشر هو رئيس الكنيسة التي ما أرى أن فولتير كان ذات يوم من خدامها المخلصين.

وإنما هي الأطماع التي كانت تدفع فولتير ـ فيما أرى ـ إلى التمسح بأعتاب

الملوك والبابوات، ولقد يقدم ثمنًا لذلك أفكاره الحرة أحيانًا، منذ ذلك الحين وفولتير عندي متهم، ولن أبرئه أبدًا، ولن أعده أبدًا من بين أولئك العظام الذين عاشوا بالفكر وحده، وللفكر، وأحسب أن التاريخ العادل سوف يحكم عليه هذا الحكم، فينتقم للحق بما افتراه على نبي كريم ظلمًا وزورًا.

على أن الذي يدعو إلى الدهش أكثر من كل هذا أن الشرق والإسلام وقفا من هذا الأمر موقف النائم الذي لا يعي ولا يشعر بما يحدث حوله، فلم نر كاتبًا من كتاب الإسلام قام في ذلك الوقت يدفع عن دينه هذا الهراء الذي قاله فولتير، ويقذف في وجه هذا الكتاب بالحقائق الباهرة القاطعة، أو أن مؤلفًا وضع كتابًا يبرز فيه شخصية النبي الخيرة العظيمة واضحة جلية، لقد كان الشرق في ليل هادئ بهيم لم تثر فيه حركة فولتير يومئذ ساكنًا.

ولكن الأمر قد تغير اليوم ولاحت في أفق الشرق خيوط الفجر، وقام في هذا القرن كتاب يمجدون عقيدتهم وهم يعلمون أن ذلك تمجيد للحق وللشرق، فإن المسألة ليست مسألة دين فقط، وإنما هي مسألة جنس وقومية[١]، وإذ تقول أوروبا «الإسلام» قائمًا تعني في غالب الأحيان «الشرق» إن الحرب الصليبية لم تكن في حقيقتها إلا حرب الغرب على الشرق[٢]، وهذا المد والجزر بين الغرب والشرق يفهمه مفكرو الأوربيين تمام الفهم، ويحسبون له الحساب فالدفاع عن شخصيتنا وعقيدتنا دفاع عن حياتنا.

* كرومر وكتابه (مصر الحديثة) وتغريب الفكر الإسلامي:

يعد افيلنج بارنج (كرومر) من كبار دعاة التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي وواحدًا من الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها

(١) لا للجنس ولا للقومية وإنما الدين والدين فقط.

(٢) هي حرب الكفر على الإسلام.

الاستعمار ولا يزال، في محاولة القضاء على مقومات العالم الإسلامي والأمة العربية جزء منه، والإيمان بأن هذا العمل الفكري هو أهم الأعمال القادرة على دعم نفوذ الاستعمار وتركيز قوى الغرب في قلب المنطقة، وتمثل كتاباته في تقاريره وفي كتابه «مصر الحديثة» خطة عمل كاملة، وأيدلوجيا شاملة للقضاء على مقومات الفكر العربي الإسلامي وتمزيق وحدة العالم الإسلامي، ومقاومة القيم والمفاهيم العربية والإسلامية.

ولقد أمضى لورد كرومر في مصر ما لا يقل عن ربع قرن قابضًا على زمام السلطات (١٨٨٢ ـ ١٩٠٦) وأتيح له من قبل أن يمضي وقتًا في الهند، درس في خلالها مناهج الاستعمار البريطاني هنالك، وقد عمل أول أمره في مصر مندوبًا في صندوق الدين المصري ١٨٧٧، ثم ما لبث أن عين بعد الاحتلال البريطاني مباشرة مندوبًا ساميًا، ومعتمدًا لبريطانيا، ويهمنا في هذه الدراسة أن نتناول آثاره في مجال الفكر العربي الإسلامي ومخططه الذي سار عليه من بعده كل دعاة التغريب والذي اتخذته منظمات التبشير ومعاهد الإرساليات وكل من اشترك في مخطط العمل (دستورًا) من أجل تأكيد النفوذ الأجنبي عن طريق الفكر.

□ وقد تبلورت حملات كرومر في نقاط هامة قليلة:

١ ـ إثارة الشبهات حول الإسلام، وذلك بالادعاء بأنه دين مناف للمدنية ولم يكن صالحًا إلا للبيئة والزمان اللذين وجد فيهما.

٢ ـ أن المسلمين لا يمكنهم أن يرقوا في سلم الحضارة والتمدن إلا بعد أن يتركوا دينهم وينبذوا القرآن وأوامره ظهريًا؛ لأنه يأمرهم بالخمول والتعصب، ويبث فيهم روح البغض لمن يخالفهم والشقاق وحب الانتقام وأن المانع الأعظم والعقبة الكئود في سبيل رقي الأمة هو: القرآن والإسلام.

٣ ـ إن الإسلام يناقض مدنية هذا العصر من حيث المرأة والرقيق وأن

الإسلام يجعل المرأة في مركز منحط.

٤ ـ الطعن في شريعة الإسلام وسياسته ومعاملاته.

٥ ـ أن الشاب المصري المسلم أثناء ممارسته التعليم الأوربي يفقد إسلامه، أو أفضل قسم منه ويقطع حبل المرساة الذي يربطه بمرفإ إيمانه. وأن الشبان الذين يتلقون علومهم في أوربا يفقدون صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم، ولا يستطيعون الالتجاء في نفس الوقت إلى البلد الذي منحهم ثقافته، فيتأرجحون في الوسط ويتحولون إلى مخلوقات شاذة ممزقة نفسيًّا.

٦ ـ هاجم القرآن، وقال: إنه ينافي العمران وهاجم الإسلام؛ لأنه أباح الطلاق، وأنه حرم الربا والخمر.

٧ ـ قال: إن الإسلام خال من التسامح ويغلب عليه التعصب، وأنه يغرس في العقول الانتقام والكره اللذان يجب أن يكونا أساسًا للعلاقات بين الرجل والمرأة بدلاً من المحبة والإحسان.

٨ ـ دعا إلى إطلاق الحرية للمرسلين والمبشرين في مصر والسودان، وأن ينشئوا مدارسهم، وضمن تقاريره إحصائيات عن أعمال التبشير في جنوب السودان وفي تقريره عام ١٩٠٤ أعلن أنه كتب إلى جمعية تبشيرية إنكليزية يحضها على بعث مرسليها إلى جنوب السودان، وقال: إن جنوب السودان سكانه وثنيون، وإن اتصالهم بالمسلمين إنما يذكرهم بفضائح الدراويش والنخاسين من العرب، وطالب بأن يتاح للمرسلين في أن ينشئوا مدارس في الخرطوم ويدخلوا ما شاءوا من التعاليم الدينية، وقال: إن أعمال المبشرين في الجنوب (جنوبي كودوك ـ فاشوده) سائرة سيرًا مستمرًا، وقال: إنه لم يطلب منه حتى الآن أي ترخيص لإنشاء مدارس في جنوب السودان تعلم فيها فرائض الإسلام.

٩ ـ دعا إلى خلق طبقة من المتفرنجين المستغربين من الوجهة الأوربية.

والمدنية الحديثة، وقال: إن هؤلاء جديرون بكل تنشيط ومعاونة يمكن أن تعطى لهم، وقال: إن هؤلاء هم حلفاء الأوربي المصلح ومساعدوه، وسوف يجد محبو الوطنية المصرية أحسن أمل في ترقي أتباع الشيخ محمد عبده، للحصول على مصر مستقلة بالتدريج.

وهذه النصوص المنقولة من كلمات كرومر تمثل جماع ما دعا إليه المبشرون والمستشرقون دعاة التغريب والشعوبيون وما يزالون يدعون إليه حتى الآن، وهي مجموعة من الأكاذيب المنبعثة من التعصب واستخدام سلاح الشبهات للقضاء على مقومات الأمة وقيم فكرها، بعد أن تأكد الاستعمار والنفوذ الأجنبي من أن هذه المقومات هي مصدر القوة في العالم الإسلامي لمقاومة كل ضغط أجنبي.

وقد استهدفت هذه الحملة أساسًا قتل روح المقاومة والحملة على الاستعمار وخلق روح تدعو إلى تقبله والرضا به والاستسلام له، على أساس أنه أمر لا يمكن مقاومته، ومن المصلحة الانتفاع بالمستعمرين وقبول فكرهم وحضارتهم، وتقبل الحرية والاستقلال على مراحل، وهذا التيار الذي دُعي فيما بعد بتيار التعقيل أو الالتقاء مع الإنجليز في منتصف الطريق، وقد ارتفع هذا الصوت في السنوات الأخيرة لكرومر، وحاول خلق فلسفة قوامها تقبل الاستعمار وصداقته وعدم معارضته، وذلك بتصوير الاحتلال على أنه حقيقة واقعة، وكانت حجة دعاة هذه الحركة التي تعد خطوات التغريب والشعوبية القائمة الآن في العالم الإسلامي امتدادًا لها، كانت حجة هذه الحركة في (الاعتدال)، أو التعقيل على أساس فهم سلبي قوامه أن التخلص من الاحتلال يحتاج إلى قوة ليست موجودة لدى المصريين، وأن الدعوة إلى مقاومة الاستعمار هو إنفاق للوقت فيما لا طائل تحته، وما دام الإنجليز هم الذين يمسكون زمام الأمور وحدهم فلا سبيل إلى الإصلاح إلا بمصادقتهم

والتفاهم معهم وقبول ما يتنازلون عنه.

وقد أشاد كرومر بهذه الدعوة التي حمل لواءها لطفي السيد في الجريدة. ومن هنا تعمقت الحملة على الوطنيين وعلى دعاة الجلاء والحرية وعلى أصوات الدعوة المتحمسة وهوجمت أبشع هجوم، وقد حملت هذه الدعوة: الإيمان بالفكر الغربي إيمانًا كاملاً ونقله، والتشيع له، وتحقير كل مقومات الفكر العربي الإسلامي ورميه بالضعف والجمود والتخلف، كما حملت لواء التقدير لأمثال كرومر ووصفه بالبطولة والإعجاب ببريطانيا وأوربا واعتبارها رأس الأمم العظيمة، وبذلك انحرف ميزان المفاهيم بين القيم الأساسية والمفاهيم المستوردة، وقد أيد كرومر هذا الاتجاه وأطلق عليه اسم (المدرسة) وتمثل هذا الاتجاه في كتابات الجريدة، التي أنشأها الباشوات والإقطاعيون والموالون للإنجليز، وأصبح شعار هذه الدعوة: (الاعتدال، المحاسنة، التعقيل).

□ثم كان أن اتجه المخطط إلى نهايته في ظل هذه الحركة وكانت الدعوة إلى:

١ ـ الإقليمية الضيقة، مصر للمصريين، نحن لسنا عربًا، وليس لنا بالمسلمين أي روابط، ولا دخل لنا في أمورهم ومن هنا لا يجوز لنا أن نشارك في معارك طرابلس التي وقعت مع إيطاليا في سبيل مقاومة الاستعمار.

٢ ـ التعليم، لا يكون إلا لطبقة معينة من الأمة هي الطبقة الثرية التي تتأهل لولاية الحكم وإن أبناء الطبقات الفقيرة لا يجوز أن يتعلموا إلا (فك الخط).

٣ ـ اللغة العربية الفصحى هي مصدر التخلف، ولذلك لا بد من تحسين اللغة العامية حتى تصبح لغة الكلام والكتابة معًا.

٤ ـ الإنجليز يعملون لتمديننا وحمايتنا، فلا خصومة بيننا وبينهم ولكن مودة وصداقة.

٥ ـ الوطنية لا تكون اندفاعًا عاطفيًا، ولا ينبغي أن يتعلق بأوهام الإسلامية أو الرابطة العربية وإنما تقوم على سياسة المصالح فمصر أولاً وقبل كل شيء. وبذلك حقق كرومر هدفه في خلق تيار واضح في تعميق دعوته ونشر سمومه وقبول آرائه في ازدراء الفكر العربي الإسلامي واحتقار الإسلام والعروبة واللغة العربية والشك في صلاحية هذه المقومات لبناء أمة أو نهضة. فاستطاع أن ينشر هذه الآراء عن طريق صحيفتين: صحيفة لها طابعها العلني في تأييد الاستعمار «المقطم» وصحيفة لها طابعها المصري الغامض «الجريدة» وقد مضى كرومر خلال فترة إقامته في مصر إلى آخر المدى في تنفيذ مخططه الاستعماري التغريبي الذي يتركز على عدة أعمال أساسية:

١ ـ الحملة على مركز الرابطة التي تجمع العالم الإسلامي وهي السلطنة العثمانية والخلافة والسلطان عبدالحميد وتأييد خصومها وفتح أبواب مصر لهم وإتاحة الفرصة لهم للحملة على الجامعة الإسلامية والخلافة والدولة العثمانية.

٢ ـ الحملة على الإسلام باعتباره تركيا وباعتبار أن الكيان القائم في تركيا بكل أخطائه ومساوئه هو «الإسلام» والتركيز على الخلافة الإسلامية باعتبارها نقطة الالتقاء للعالم الإسلامي رغبة في القضاء عليها.

٣ ـ الاتفاق مع فرنسا وتوقيع الاتفاق الودي وذلك حتى لا يجد المصريون مجالاً للحملة على بريطانيا ومقاومة نفوذها، وقد كشف ذلك عن أن الاستعمار ملتق على هدف واحد هو السيطرة على العالم الإسلامي.

٤ ـ استقدام عديد من الأجانب ومن السوريين واللبنانيين خصوم الدولة العثمانية ليصبحوا (ركائز) في دعم الحكم وإتاحة الوسائل الكفيلة لهم

بالكتابة والتجارة والسيطرة على مجالات الاقتصاد والفكر والصحافة.

٥ ـ نشر اللغة الإنجليزية والثقافة الإنجليزية على حساب اللغة العربية والثقافة الفرنسية في محاولة القضاء على الفكر الإسلامي العربي، وبذلك أمكن تجميد اللغة العربية في المدرسة المصرية والجامعة وتجميدها عن النمو في العالم العربي والإسلامي كله.

وقد حاول كرومر تنفيذ تجربة الاستعمار البريطاني في الهند للقضاء على اللغة العربية بها، وذلك بنشر اللغة الإنجليزية حتى تكون لغة تخاطب، ففرض التدريس بها، ولقد كان الإسلام هو العامل الأساسي الذي استطاع أن يحمي اللغة العربية بوصفها لغة القرآن ولولاه لانتهت اللغة العربية في مصر.

٦ ـ خلق روح الإقليمية وتمصير القيم بعد أن كانت عربية أو إسلامية، وذلك لعزل كل قطر عن القطر الآخر وأقام حدود فكرية بين أجزاء الوطن العربي والعالم الإسلامي.

وقد استطاع هذا التيار أن يبتعد عن جذور الفكر العربي الإسلامي، وأن يشجبه شجبًا كاملاً، ويجعل الحديث عنه جمودًا ورجعية، كما انتشرت الحملة العنيفة المستمرة على رجال الأزهر ووصفهم بأنهم رجال الدين وإلقاء اتهامات الأكليروس على علماء المسلمين، كما نقلت الاتهامات التي وجهها الفكر الغربي إلى المسيحية الغربية على الإسلام. ولم تمر حملات كرومر دون أن تواجه بمعارضة ونقد وتشريح وكشف لما بها من أخطاء ومغالطات وتعقيب، وأبرز ثلاثة تناولوا كتابات كرومر بالرد هم: فريد وجدي، ومصطفى الغلاييني، ورشيد رضا.

وعندما صدر كتاب مصر الحديثة (مارس ١٩٠٨) نشرت اللواء والمؤيد ردودًا تفصيلية، مما جاء فيها قول المؤيد: «لم يكن كرومر من رجال العلم والفلسفة، ولا من رجال التأليف إنما كان جنديًّا يؤمن بمجد الإمبراطورية،

تعود بحكم وظيفته أن يكتب، ونظرته استعمارية تنبع من وجهة نظر سيطرة بريطانيا، وهي قائمة على كراهية الشرق والعرب والمسلمين واحتقارهم والإيمان بأن الرجل الأبيض له حق تمدينهم».

١ ـ وقال فريد وجدي في رده على كرومر: إنه مما لا خلاف فيه أن الإسلام كان وحده سبب يقظة الأمة العربية والروح التي بعثتها لتكوين وحدتها الاجتماعية والسياسية وأنها باسمه وبتأثير تعاليمه اتصلت من بين شعابها وهضابها الرملية لمنازعة دولتي الرومان والأعاجم حق السيادة الأرضية، وباسمه أسست تلك المملكة الباهرة في الأندلس التي كانت سبباً في إيصال نور المدنية إلى أوربا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، فهل يصح أن توصف المبادئ التي كونت هذه الدول بأنها مبادئ تميت الشعوب التي تسود فيها.

٢ ـ أما مصطفى الغلاييني فقد أصدر كتاباً في ٢٢٤ صفحة باسم «الإسلام روح المدنية» صدر ١٩٠٨ في بيروت وأعيد طبعه في مصر بعد ذلك. وقد رد فيه مفصلاً على آراء كرومر عن:

(١) التعصب في الإسلام.

(٢) الرق في الإسلام.

(٣) المرأة في الإسلام.

(٤) المدنية الإسلامية.

وأجاب على ثلاثة أسئلة هي:

(أ) هل الشريعة الإسلامية لا توافق هذا الزمان؟

(ب) هل الإسلام مدن الإنسانية أم أخرها؟

(جـ) هل القرآن منافٍ للعمران؟

٣ ـ أما الشيخ رشيد رضا فقد رد في المنار مجلد ١٠(١٩٠٧) على ما

ذكره كرومر وأعاد إلى الذاكرة ما وجهه إلى المستشار الإنجليزي عام ١٩٠٥ عندما هاجم الشريعة الإسلامية، وقد جاء في ذلك قوله إلى كرومر: «هل عنيت بما قلت في تقريرك الأخير عن الحكم بالشريعة الإسلامية التي وضعت منذ أكثر من ألف سنة الدين الإسلامي نفسه الذي هو عبارة عن القرآن الكريم والسنة النبوية أم عنيت بذلك الفقه الإسلامي الذي وضعه الفقهاء؟!.

وقد رد كرومر في مكر ولؤم، فقال: إنه إنما قصد الفقه ولم يقصد الدين الإسلامي نفسه».

□ وكان كرومر في تقريره ١٩٠٦ قد هاجم الإسلام والفكر العربي الإسلامي في ثلاثة مواضع:

١ ـ إباحة الاسترقاق.

٢ ـ المرأة.

٣ ـ اجتماع الأصول المدنية والقانونية في الإسلام.

وقد رد عليه كثيرون في مقدمتهم فريد وجدي، ومصطفى الغلاييني والدكتور شبلي شميل.

وقد نشر فريد وجدي رده باللغة الإنجليزية في جريدة اجبيشيان ستندر حتى يهيئ للورد كرومر فرصة قراءته بنفسه وبلغته، غير أن كرومر لم يلبث بعد عامين بعد خروجه من مصر أن أصدر كتابه «مصر الحديثة» وعاد فاتهم الإسلام والثقافة العربية الإسلامية مرة أخرى باتهامات جديدة فعاد فريد وجدي إلى الرد عليه مفندًا رأيه بأدلة جديدة في بضعة وعشرين مقالاً نشرها في جريدة الدستور عام ١٩٠٨ ثم جمعها في كتابه «اللورد كرومر والإسلام».

ومما جاء فيها قول فريد وجدي: صغر في عيني جدًا من حيث معارفه التاريخية والاجتماعية والدينية وكنت أظن أنه بعد أن قرأ ردي عليه في أجبيشان ستندارد الإنجليزية يؤوب إلى الحق، فيتنازل عما اختزنه ذهنه عن

الإسلام عن طريق الوراثة والتقليد فإذا به ازداد تعسفًا وجنى على الحقيقة. ويظهر أن السياسة قطعته عن العلم فلم يدرس في فلسفة الأديان كتابًا واحدًا. ويسوءنا أن نجاريه في تعديه على الإسلام فنكيل له الصاع بالصاع ونريه من أقوال قادة الفلسفة الأوربية مبلغ ما أتت به المسيحية للعلم والمدنية، ولكن يردنا عن ذلك أدب إسلامي أفاضه علينا القرآن فنمتنع عن تناول النصرانية بالقول تفاديًا من استياء الآخذين بذلك الدين.

ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نذكره بقول العلامة «درابر» أن المسيحية لبثت في أوربا ألف سنة فلم تنجب عالمًا واحدًا، ولم يلبث الإسلام غير سنين معدودة حتى نبغ فيه ألوف من أراكين العلم وأساطين الفلسفة. إن المصري يعتبر من أكثر العالمين أدبًا وظرفًا وكرمًا، وماذا رأى كرومر من سوء أدبنا حتى يحط من قدرنا إلى هذا الحد، إن ذنب الإسلام في نظر أهل السياسة من أوربا أنه دين يحمل الآخذ به على الإباء والشمم، ويحميه من أن يكون مضغة للمستعمرين من الأمم، مم يكفر المسلم المعتصم، أيكفر من وجدانه دينًا لا يجافي العقل ولا يحجر عليه، دينًا يفتح باب الحرية المعقولة في وجه كل ميل من أميال جسده وبصره، دينًا يدعو للقوة الدنيوية كما يدعو للمنزلة الأخروية.

لا بد أن يكون من الذين يحومون حول كرومر رجل أو رجال دسوا له الدسائس، فما كان كرومر يستطيع أن يقول هذا الكلام ما لم يقم قوم من المسلمين يدعون أنهم آخذون في إصلاح الإسلام وكلمة إصلاح التي هي في لغتهم Reform تذكرهم بانقلاب أساسي للدين من نوع الانقلاب الذي أحدثه لوثر وكالفان من مؤسسي البروتستانية، فلما رأى كرومر أن في مصر رجالاً يدعون هذه الدعوى، ولم يثمر أعمالهم سنين ثمرة تذكر، زعم أن الإسلام غير قابل للإصلاح.

أما الإسلام في ذاته فلا يعوزه إصلاح ما ، وكل ما يشاهد في أهله من

آثار الحياة عنه، أسبابه الجهل والبعد عن أصوله وفروعه، فانشر العلم بين طبقات المسلمين تنتهي كل هذه الخرافات. فثم يطلب الإسلام الإصلاح.

هل يحجر على المتعلم العلم، قال: يصد الباحث، هل يأمر بإحراق المتكلمين في الطبيعيات، هل يزجر أهله عن السعادة المادية، هل يكبح الآخذين به عن الملذات البدنية المعتدلة، هل يقيم لهم الوسطاء والشافعين من الكهنة، هل يأمر الناس بالذلة والمسكنة، هل يحسن للإنسان قتل الناس بمجرد مخالفتهم له في العقيدة، هل يبيع حملته الجنة والرحمة الإلهية، كل ما في الأمر أن جهال المسلمين غلوا في تعظيم الصالحين وفي استعمال البيارق والطبول في الأذكار، وافرط أغنياؤهم في كثرة التزاوج والطلاق، وهي أمور سببها الجهل، وأوجبها سكوت العلماء وغداً تنتبه العقول فلا يوجد لها عين ولا أثر.

يقول اللورد: إن الإسلام فشل في تكوين نظام اجتماعي وهذه كلمة تضحك الصخر وتبكيه في آن واحد، فيا ليت شعري إذا خاب الإسلام في تكوين نظام اجتماعي فكيف جمع العرب المشتتين وكون منهم أمة دحرت الرومان والفارسيين وما زالت تمتد حتى بلغت أقصى ما بلغته دولة الرومان في قرون وصار ملكها أكبر من ملك إنجلترا اليوم، ألم يقرأ نظام الأندلسيين في غرب أوربا في القرن السابع والثامن والتاسع والعشر والحادي عشر من الميلاد حيث كانت أوربا تتعلم منهم العلوم وتقتبس منهم المدنية.

أتريد دليلاً على فساد مزاعم اللورد كرومر أقوى من قوله: إن الإسلام خاب في تكوين نظام اجتماعي في الوقت الذي أجمعت فيه التواريخ أن الأمة الإسلامية اجتمعت بالإسلام وارتقت به وكونت لنفسها في ممالك متعددة مدنيات باهرة تفضل مدنية اليوم من أكثر الوجوه؟!. ولكن الأغرب في كل ما مر من تعليلات كرومر لإخفاق النظام الاجتماعي الذي وضعه الإسلام قوله: إنه حط من قدر المرأة، كيف حط الإسلام من قدر المرأة، وهو

الذي أثبت لها روحًا وقد نفتها عنها أوربا في مجمع ديني مقدس، وأثبت أن لها أن تضحك وأن تأكل اللحم وأن تلبس ما تشتهي وقد حرمت عليها الكنيسة الأوربية ذلك في العصور الوسطى، وأباح لها حق التملك والتصرف بمالها والتكلم في شئون المسلمين العامة، وتولي القضاء والإفتاء وفرض لها في بيت زوجها كل كرامة حتى لم يكلفها بإرضاع ولا بخدمة منزلية.

هذه المرأة الأوربية المعطاة قشور الحرية دون لبابها، ولم تزل، لا تمتلك حرية للتصرف بمالها.

ويصور الدكتور سامي النشار دور اللورد كرومر في تغريب الفكر العربي الإسلامي على نحو أشد وضوحًا وقوة وذلك بعد مرور أكثر من ثلاثين عامًا على كتابات فريد وجدي يقول: إن كرومر قد أتى وكان إليه جماع الحروب الصليبية، وفيه حقيقتها، أضغان الصليبيين القدامى وأحقادهم وسخائمهم العتيقة، إنه حين أتى أعلن أنه سيهدم في مصر ثلاثًا: القرآن، والكعبة، والأسرة الإسلامية، وظن هذا الصليبي الصغير أنه قادر على هدم حقيقة الكون الكبرى، وأنه إله صغير في يده الأمر والنهي، ولكنه حاول وحاول، واستخدم ببراعة نادرة حلقة معينة وقد استطاعت هذه الحلقة أن توجه الفكر الإسلامي إلى الاتجاه الذي أراده كرومر.

*** المارشال ليوتي أول حاكم فرنسي للمغرب عمل على هدم اللغة العربية وإحلال الفرنسية محلها، وخلق الخصومة بين العرب والبربر:**

لا تستطيع أن تقرأ تاريخ المغرب الحديث دون أن ترى اسم المارشال (ليوتي) بارزًا واضح الأثر بوصفه الرجل الذي مهد للاحتلال الفرنسي للمغرب وقعد قواعده، مثلة مثل كرومر في مصر، فهو أول حاكم للمغرب (ديسمبر ١٩١٢) ويعده مواطنوه الفرنسيون أنه منشئ المغرب الحديث، وأبرز أعماله هو خلق الخصومة وتأريثها بين عنصر الأمة المغربية العرب والبربر،

كما خلق كرومر الخلاف بين المسلمين والمسيحيين في مصر، وقد حارب اللغة العربية وحارب جامعة الزيتونة وظل يعمل في همة حتى عام ١٩٣٥ حينما بلغ السبعين من عمره وقد استطاع أن يكسب بعض شيوخ الطرق الصوفية إلى صف الحماية واستعان بهم على تركيز النفوذ الفرنسي عن طريق الفكر والدين، وكان ليوتي بارعًا في استغلال الحزازات القبلية واستطاع أن يكسب إلى صف الاستعمار أرباب الطريقة الدرقاوية التي حملت لواء تثبيط مقاومة الشعب للاحتلال فقد أوصى دعاتها الأهالي بالطاعة والتسليم للسلطات الفرنسية، وقد بلغ مولاي عبدالرحمن غاية ما أملت فرنسا في هذا وقد ربط مستقبله بمستقبل فرنسا على حد تعبير روم لاندو في كتابه «تاريخ المغرب في القرن العشرين» في أنه لم تكد جنود الحلفاء تنزل المغرب حتى اتصل شيخ الدرقاوية بهم وطلب أن يصبح مواطنًا، وقد قام الطرقيون بدورهم في ترجيح استسلام الأمير عبدالكريم في حرب الريف عام ١٩١٦، وقد أشار لاندو إلى أن الطريقة التيجانية هي أيضًا قد نفعت فرنسا بنفوذها القوي في جنوبي المغرب وموريتانيا والريف، وكذلك الطريقة الكتانية وكان الفضل في ذلك إلى المارشال ليوتي الذي كان عمله الفكري من أكبر الأعمال التي مهدت للنفوذ الغربي الفرنسي في العقل العربي الإسلامي المغربي، وقد أولى ليوتي اهتمامه الأكبر إلى مقاومة جامعة الزيتونة حتى قال لأحد أعوانه أنه: إذا تم لفرنسا القضاء على القرويين فقد ضمنت فرنسا لنفسها الخلود في المغرب؛ ذلك لأن خريجي القرويين كانوا أهم عنصر في المقاومة التي واجهت الاستعمار الفرنسي، ولقد تعرضت جامعة القرويين منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى حملة ضخمة قادها كتاب الأفرنج وطعنوا في معارف أهلها وكفاءاتهم، وكان هذا تمهيدًا للتدخل في مناهجها ومحاولة إماتتها والقضاء عليها. وأبرز أعمال ليوتي هي حركة الفصل بين العرب والبربر، وقد صور هذا الدور فيكتور بليه في كتاب «الشعب المغربي أو العنصر البربري» فقال:

لما حفظنا للقبائليين (البربر) في الجزائر حالهم، اتخذوا اللغة الفرنسية بدلاً من العربية، ولا بد لبربر المغرب أن يتبعوا تلك الخطة، ومن الواجب علينا إعانتهم على ذلك، وقانونهم الخاص لا علاقة له بالقرآن، فيجب أن نثبته ونتممه ونرقيه بكيفية بربرية، إن لم تكن فرنسية، ولا نترك القرآن يثبت في أوطانهم، ولقد جعلنا برنامجًا للتعليم البربري في فكرة فرنسية، وجعلنا المدرسين من القبائليين وذلك من أحسن الوسائل لمصادرة اللغة العربية».

◻ وهكذا كشف مخطط ليوتي وحلفائه هدفهم في القضاء على اللغة العربية والإسلام والقرآن أساسًا باعتبارها وسائل المقاومة للغاصب، وقد أشار الجنرال مارتي في كتابه (مغرب الغد) إلى هذا المعنى حين قال: «لا حاجة لنا في تعليم العربية إلى المستغنين عنها، والعربية رائد الإسلام، ويجب علينا أن نمدن البربر خارج طور الإسلام ويجب علينا أن نمر من (البربرية) إلى (الفرنسية) بدون واسطة، ولا بد لنا من فتح مدارس فرنسية بربرية تتعلم فيها الشبية البربرية اللغة الفرنسية، ويجب علينا أن نأخذ الاحتياط في المذاكرة معهم في شأن الدين؛ لأن الإسلام ما وضع على البرابر إلا صبغة سطحية».
وصور مارتي هذه المدرسة الفرنسية البربرية.

◻ فقال: «إنها فرنسية باعتبار ما يقرأ فيها وبربرية باعتبار تلاميذها فلا حاجة إلى واسطة أجنبي حيث إن التعليم العربي، وتدخل الفقهاء، وكل المظاهر الإسلامية ستبعد عنها ابتعادًا، وبذلك نبعدهم قسرًا عن كل ما يطلق عليه لفظ إسلام».

◻ وقد أشار فيكتور فيكي إلى إنه يهتدي في ذلك بتعليمات المارشال ليوتي التي تهدف إلى مصادرة اللغة العربية وكتابة البربرية بحروف فرنسية.
وأشار جان جيرو في مجلة المغرب الكاثوليكي إلى أن الجنرال ليوتي فهم أن إثارة التناقض بين العنصرين البربري والعربي هو الكفيل بجلب المصالح لدولة فرنسا وأنه قد اندفع إلى ذلك بما له من ذكاء حاد يكشف به جانب

المنفعة.

وكما أولت فرنسا الجنرال لافيجري اهتمامًا خالدًا بإقامة تمثاله الضخم في مدخل تونس، كذلك أقيم للمارشال ليوتي مدفنًا على ربوة تشرف على مدينة رباط الفتح بالمغرب.

وقد أشارت جريدة المقطم إلى الرابطة بين أهداف كرومر وليوتي، فقال خليل ثابت رئيس تحريرها: إن كرومر وليوتي كانا يمثلان سياسة من أكبر السياسات في القرن التاسع عشر فإنهما مع عنايتهما بالإصلاح الإداري والمالي والاقتصادي، لم ينسيا أنهما وكيلا دولتين لهما أغراض ومقاصد لا بد من مراعاتها والسهر عليها وأنهم كانوا من أعظم رجال الاستعمار.

❏ وبعد فقد كان ليوتي عاملاً على هدم ثلاث قواعد هامة:

١ ـ اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية مكانها وتشجيع اللهجة البربرية.

٢ ـ تحويل التعليم إلى اتجاه الفكر التونسي والثقافة التونسية والقضاء على القرآن والدراسات الإسلامية.

٣ ـ إقامة المحاكم البربرية، وذلك للقضاء على النظم القضائية المستمدة من التشريع الإسلامي.

*** الكردينال لافيجري طبّق ما وصّى به لويس التاسع وهو مؤسس جمعية الآباء البيض المبشرين في الجزائر وتونس وهو أكبر دعاة التغريب في المغرب العربي:**

يعد الكردينال لافيجري من أكبر دعاة التغريب والعاملين على تثبيت قواعد النفوذ الأجنبي في المغرب العربي كله، وعندما توفي ١٨٩٢ كان عملاً ضخمًا قد تم في الشمال الأفريقي لتركيز دعائم النفوذ الفرنسي حتى نسب

إليه وارتبط به المؤتمر الأفخارستي الذي عقد في مدينة تونس ١٩٣٥ بعد أن أقيم تمثال له في مدخل المدينة عام ١٩٢٥ يمثله وهو آخذ الصليب بيده اليمنى والإنجيل بيده اليسرى.

وما زال قائمًا في مكانه إلى اليوم، وهو مع الجنرال ليوتي من طلائع الاستعمار في المغرب أشبه بكرومر وزويمر في المشرق وقد حاول من جاء من بعده أن يربطوا بينه وبين لويس وحملته الثامنة على تونس فقال أسقف قرطاجنة: «إن الفكرة العظمى التي كانت تدور بين جني سان لوي (لويس التاسع). والتي ورثها الكردينال لافيجري هي التي تدفعنا إلى عقد المؤتمر الأفخارستي، إن مؤتمر قرطاجنة سيكون حملة صليبية جديدة أو الحملة الصليبية التاسعة والكردينال لافيجري هو مؤسس جمعية الآباء البيض المبشرين في الجزائر وتونس، وكان مصدر العمل كله تقرير حقيقة تقول: إن الوسيلة الوحيدة لبقاء الاحتلال والنفوذ الفرنسي دوامه هو تحويل أهالي المغرب إلى فرنسيين وتغيير دينهم إلى دين الغرب.

ومن أبرز ضربات الكردينال لافيجري محاضرته المشهورة عن الرقيق في الإسلام والتي رد عليها المؤرخ العربي المصري أحمد شفيق صاحب الحوليات بكتاب ضخم باللغة الفرنسية ترجمه أحمد زكي باشا إلى اللغة العربية.

ومنذ مطالع شباب الكردينال لافيجري المولود عام ١٨٣٥ كان اتجاهه إلى دراسة العلوم اللاهوتية حتى وصل إلى مناصب الأكليروس إلى رتبة (الكردينالية) وقد جال جولات واسعة في بلاد المغرب وبلاد أفريقيا من أجل تدعيم إرساليات التبشير، والمعروف أن تونس احتلت سنة ١٨٨١ وأن عمله كان تمهيدًا لهذا الاحتلال الذي كانت فرنسا تتطلع إليه منذ احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ ثم تأكيدًا ودعمًا لهذا الاحتلال.

▭من أهم الأعمال التي وضع لافيجري أسسها:

١ ـ إقامة مدارس تبشيرية ومنها مدارس للراهبات استطاعت من بعد أن تضم كثيرًا من حفيدات الباي والمفتي الأكبر وكبار الشخصيات المتصدرة للقيادات السياسية.

٢ ـ محاربة اللغة العربية والإسلام والقرآن.

٣ ـ الدعوة إلى إعادة الغرب إلى أصله الروماني.

٤ ـ توسيع نطاق التبشير في أفريقيا كلها وأقام جمعية الآباء البيض ذات التاريخ المعروف في مواجهة انتشار الإسلام.

وقد خلفه يونس وفوكو وجول سيكار ولهم مؤلفات خطيرة في الدعوة إلى تقويض أركان الإسلام والفكر الإسلامي واللغة العربية. وجملة رأي الكردينال لافيجري واتباعه أن هذه البلاد (المغرب) بلاد رومانية أصلاً، ولا بد من إرجاعها إلى طابعها الروماني القديم. وفي نفس الوقت الذي كان المؤتمر الأفخارستي يعقد في تونس على أثر حملة التجنيس ودعوة التونسيين إلى الجنسية الفرنسية، كان الظهير البربري الصادر في المغرب (مراكش) يدعو إلى فصل العرب عن البربر، وفي نفس العام ١٩٣٠ كان احتفال فرنسا في الجزائر بمرور مائة عام على احتلالها، واعتباره احتفالاً بمرور قرن على إقرار الكنيسة المسيحية في الجزائر.

وفي هذه الحركات جميعًا كان اسم لافيجري لا يفارق الكتاب والمتحدثين متخذًا منه نقطه البدء إلى توسيع نشاط التبشير في شمال أفريقيا، ولقد أثار المؤتمر الأفخارستي ضجة لا حد لها، فقد اعتمد له مليونًا من الفرنكات من ميزانية الحكومة التونسية، وتقرر عقده في قرطاجنة، فلما اقترب موعده قدمت إلى العاصمة جماعات كثيفة من الرهبان وأخذت تتجول في الشوارع، صفوفًا متراصة تتقدمها كشافة ترتدي ملابس الحروب الصليبية، وهي قمصان بيضاء رسم عليها الصليب من أمام ومن خلف ينشدون الأناشيد

الكنائسية، وكان حديث الرهبان إلى المسلمين لا يخرج عن أنهم من أرومة مسيحية ورومانية وأنهم لا بد أن يعودوا إليها، وأن هذه البلاد «ستدخل في حياة جديدة بعد ليل الإسلام الطويل».

١ ـ الرقيق في الإسلام: هاجم الكردينال لافيجري الإسلام في محاضرة له عن الرقيق، أثارت كاتبًا عربيًا مصريًا هو المؤرخ أحمد شفيق صاحب الحوليات الذي كان في باريس في هذه الفترة:

❑ قال أحمد شفيق باشا في مذكراته: في أول يوليو ١٨٨٨ ذهبت إلى كنيسة سان سوليبس لأستمع فيها إلى محاضرة عن الرقيق. وهو موضوع يهمني بصفتي مسلمًا، وكان بصحبة الكردينال سوداني صغير قال: إنه أنقذه من الرق وقد تكلم عن سير الرق في أفريقيا ولفت الأنظار إلى انتشاره ومما قال: لقد زاد الرقيق في أفريقيا منذ عشر سنين وأصبح يقدر بمليون نسمة في السنة فإذا استمرت هذه الحال خمسين عامًا أخرى فلن يبقى في تلك الأنحاء إنسان حر، وما يزال ذائعًا عند حدود مصر وفي زنجبار وبلاد العرب، وعلى ساحل البحر الأحمر، وبالرغم من رقابة السفن الإنجليزية فإن النخاسة يعبرون هذا البحر في جوف الليل فلا يراهم أحد. ثم تكلم عما يلاقيه الرقيق من المر والذل وتعرض إلى الإسلام في هذه النقطة فقال: إن سوء معاملة الرقيق أمر يبيحه الإسلام. وقد عقدت العزم منذ عودتي من باريس على أن أرد بالفرنسية على المزاعم التي وردت في محاضرة الكردينال لافيجري.

وقد رددت على الكردينال سنة ١٨٩٠ في مؤلف بالفرنسية ترجم إلى اللغتين التركية والعربية عنوانه «الرق في الإسلام».

❑ وقال شفيق باشا: الذي حملني على الشروع في هذا البحث على الاسترقاق إنما هو الخطأ الشائع في أوربا بخصوص الديانة الإسلامية إذ يزعم

القوم أن نصوصها تحض على ارتكاب الفظائع الحاصلة في أفريقيا الوسطى، فلما أقدمت على هذا العمل رأيت الواجب على أن أحيط علم الجمهور بخلاصة تاريخ عن الاسترقاق وموقف الإسلام منه.

❑ وقال أحمد شفيق: إن الدين الإسلامي الحنيف لا يبيح في أي حال من الأحوال معاملة الرق إذا كان أبواه مسلمين حرين، ولا يكون الاسترقاق إلا في الحرب ومع ذلك فهو مقيد بشروط وروابط معلومة منها أن يتم على وجه المقرر له، ومنها أن يكون مع أقوام يؤمنون باللَّه ورسوله على أنهم إذا رضوا بالإسلام دينًا أو دفعوا الجزية تخلصوا من ربقة العبودية. إن الشريعة الإسلامية تأمر تابعيها بالتزام الرفق والرأفة مع المملوكين واستشهد على ذلك بالمأثور عن النبي فقد قال: «اتقوا اللَّه في الضعيفين المرأة والمملوك».

وأمر ﷺ بأن يلبس المملوك من لباس سيده ويتغذى من غذائه، ولا يُحمل فوق طاقته وإن كان سيده مقترًا في معيشته فلا يسري عليه ذلك.

إن الكتاب والحكم والأحاديث النبوية تبيح للسيد أن يتزوج مملوكته إذا أعتقها وأمهرها.

وقال: إن الكردينال لافيجري وأتباعه قد اتهموا الديانة الإسلامية بأنها تدعو إلى النخاسة وتوصي أهلها بارتكاب الفظائع والقبائح التي يرويها عن أواسط أفريقيا. وبلغ من حكمة أحمد شفيق أنه لم يشر إلى الكردينال لافيجري في كتابه الذي لقي بالغ التقدير من الكتاب الغربيين أمثال: مسمو، رنيو، أندري لوبون، ماسيجلي. وقالت جريدة الربيو بليكان أوليانز الفرنسية: أن لافيجري زعم أن المسلمين يعتقدون أن الزنجي ليس من العامة البشرية والهيئة الاجتماعية الإنسانية بل هو واسطة بين الحيوانات العجم وأنهم يعلمون هذه المعتقدات لأطفالهم ويبثونها في أذهانهم وقد حققنا بالبراهين الدامغة أن الكردينال لافيجري قد استعمل في دعواه طريق الغش والتدليس

لكي يجتذب تعضيد الفرق الدينية ماديًا وأدبيًّا قد يرقش رأيه ودعوته بصفة الدين فنهج منهجًا مناقضًا لطريقة تمثيل الحقائق بالصفة التي من حقها أن تكون عليها.

* القس المبشر دنلوب وتغريب التعليم في مصر:

يعد (دنلوب» واضع المخطط الأساسي لتغريب التعليم والتربية وإقصاء الإسلام عن برامج التعليم في المدرسة المصرية، باعتبار أن التعليم والتربية لها أكبر الأثر في مخطط التغريب والشعوبية والتبشير والاستشراق إن لم تكن هي جوهر هدف الاستعمار الأساسي.

فإن خلق طبقة من المتفرنجة الذين ينكرون الدين والخلق معًا (الإلحاد والإباحية) هو عمل أساسي فعلى هؤلاء يعتمد الاستعمار مستقبلاً في تنفيذ مخططه، وتكوين ركائزه التي يعتمد عليها بعد جلاء القوات المحتلة، وقد قام دنلوب بدور كبير في تعميق مخطط التغريب وهدم مقومات الفكر الإسلامي، وكان أبرز ما عمل له: نزع اعتقاد الشباب المسلم في القرآن وكان مذهبه «متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة».

وكان دوجلاس دنلوب قد عين سكرتيرًا عموميًا للمعارف في ٨ مارس سنة ١٨٩٧ ثم مستشارًا في ٢٤ مارس سنة ١٩٠٦، وقد كان في أول أمره قسًا مبشرًا عمل في وظيفة مدرس للغة الإنجليزية والخط الإفرنجي في مدرسة رأس التين الثانوية ثم لفت نظر كرومر فدفعه إلى العمل في نظارة المعارف فما زال يترقى به حتى أصبح مسيطرًا سيطرة تامة على شئون التربية والتعليم.

ولد دنلوب في اسكوتلانده ١٨٦٠ وتخرج من القسم اللاهوتي في إحدى كلياتها، وجاء إلى مصر مبشرًا ١٨٨٩ وعين مدرسًا في مدرسة سنت أندرو التابعة للمجتمع التبشيري لاسكوتلانده بمرتب فرنكات معدودات،

وسعى لدى كرومر بمساعدة السير فونكريف وكيل الأشغال حتى عين مدرسًا للغة الإنجليزية في مدرسة المهندسخانة فالمعلمين الخديوية.

❑ وكانت أبرز أعمال دنلوب:

١ - العمل على محاربة اللغة العربية والإسلام والأزهر لذلك عمل على اضطهاد معلمي اللغة العربية من الأزهريين.

٢ - نشر لواء اللغة الإنجليزية وتأهيلها للسيطرة الكاملة على كل شئون التعليم، وبذلك أمكنه القضاء على نفوذ اللغة العربية ولقد مضى في ذلك إلى حد أنه جعل تعليم سائر العلوم كالرياضيات والتاريخ، والكيمياء والجغرافيا والرسم باللغة الإنجليزية، وضيق على اللغة العربية تضييقًا كبيرًا.

ومما يذكر أنه كان يسافر كل صيف إلى بريطانيا ثم يعود في أول العام الدراسي، وقد استقدم معه عددًا كبيرًا من الإنجليز حملة الشهادات الأهلية الذين كانوا يعينون بمرتب لا يقل على ثلاثين جنيهًا، وقد اختارهم بنفسه، وقد كان أبرز كتابات هؤلاء المدرسين الكراهية للغة العربية والعداء للحرية، ومحاولة تحطيم آمال الأمة العربية وتغريب التلاميذ واتهام تاريخ العرب والمسلمين وإثارة الشكوك حوله، واتهام الحضارة الإسلامية العربية بالاتهامات المختلفة وذلك لخلق شعور عام بكراهية هذه الأمجاد والنفور منها والسخرية بها، وكانوا يطعنون روح الوطنية في الشباب والقضاء على حماستهم وتهديدهم، وكانوا يصفون الأمة بأنها نصف متحضرة، وقد داسوا على كل عاطفة وطنية واضطهدوا كل شاب أظهر ميلاً أو عاطفة نحو دين أو وطن وأنشئوا نظامًا من التجسس في المدارس يطاردون به الشباب الوطني، وكان محرمًا على كل أستاذ مصري أن يتحدث عن تاريخ مصر أو تاريخ الإسلام بما يبرز عظمة أمتنا، وكان أهم ما يقال إذ ذاك أن مصر بلد زراعي، وأنها ظلت محتلة طوال تاريخها بالفرس والرومان والأتراك والعرب. وأنها لن

تحكم نفسها أبدًا، وأن جيشها قد هزم في التل الكبير وأن الجنود المصريين ذبحوا ليلة ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ التي كانت قمرية كما يذبح الخراف وكان محرمًا أن تقرأ جريدة وطنية أو تاريخ الإسلام أو العربية.

وقد قاوم (دنلوب) بنشر التعليم العالي في مصر وقد سجل ذلك كرومر في تقريره سنة ١٩٠٧ «أن إنجلترا لا تريد نشر التعليم العالي في مصر، وأنها لا تريد إلا إعداد جمهور من طبقة الأفندية ليشغلوا الوظائف الثانوية في الحكومة وأن المصريين لا يصلحون للعلوم العالية، وأن زيادة التعليم تصرف عن فلاحة الأرض وتعود على مصر بالإفلاس».

وقد حرص دنلوب بتوجيه كرومر وبريطانيا على تنفيذ خطة واضحة المعالم للعمل على وقف انتشار التعليم أو ترقيته وسبيلهم إلى ذلك تقليل اعتمادات المعارف، وصرف أغلب المبالغ المعتمدة في بناء القصور المشيدة واقتناء الأثاث الفاخر للمدارس.

وكان دنلوب منفذ هذه السياسة يقول: «إن سياستي في التعلم هي الجودة لا الكثرة»، وهذه مغالطة واضحة.

وكان دنلوب يعمل على قلب المدارس الابتدائية إلى أولية راقية اكتفاء بالمدارس الأميرية في كل مديرية، كما شجع انتشار المدارس الأجنبية وفق غايات سياسية تسير في نفس الاتجاه الاستعماري، وهم بتحطيم كيان الأمة وإفساد معنويتها.

وحرص دنلوب على معاملة الطلبة الوطنيين بمنتهى القسوة فعدل في ١٩١٠ المادتين ٨٨ و١٠٠ من قانون نظام المدارس بفرض عقوبات على التلاميذ، وفصل كل تلميذ لا يحصل على ٢٠ درجة في السلوك واتخذ من ذلك القانون سلاحًا لخنق الشعور بالحرية وقد سجل مسيو (إدوار لامبير) ناظر مدرسة الحقوق في تقريره الذي نشره في جريدة الطان ١٩٠٧ بعد أن

أبعده كرومر ودنلوب صورة الصراع بين الفرنسيين والإنجليز على المناصب الكبرى في التربية والتعليم وكشف عن الخطة التي رسمها كرومر ونفذها دنلوب في إقصاء الفرنسيين عن المناصب الكبرى في المدارس العالية وتعيين إنجليز بدلاً منهم، دون أن يكونوا في مستواهم من الناحية الفنية، وأنه قد أخرج الأساتذة الفرنسيين من القضاة من مدرسة الحقوق واستبدل بهم شبانًا من الإنجليز عينوا بمجردت تخرجهم من الكليات البريطانية دون أن يكون لهم أي قدر من الكفاية التي تمكنهم من دراسة القانون.

كما أشار إلى الأنظمة الاستبدادية التي اتخذها بالنسبة للطلبة، وكيف عاملهم بقسوة متناهية، واضطهدهم وجرح كرامتهم، مما أحال مدرسة الحقوق معقلاً للوطنية المصرية بحيث أصبح كل طلابها الأربعمائة تابعين للحزب الوطني.

وأن كرومر حين اضطر تحت ضغط الرأي العام إلى تعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف، وعمل على سلب سلطته الفعلية وأشار إلى الخطط التي كان دنلوب يدبرها مع نظار المدارس وكبار الموظفين للاتصال به شخصيًا وتلقي أوامره وتعليماته قبل أن يكتبوا تقاريرهم الرسمية.

وقال لامبير في تقريره: إن الموظف القابض على الإدارة الحقيقية لوزارة المعارف دوجلاس دنلوب.

وفي ظل هذه الفترة التي قضاها دنلوب في وزارة المعارف وقد امتدت إلى عام ١٩٣٠، ثم تبعه خليفة له في تنفيذ خطة التغريب الكاملة للتعليم على النحو الذي استمر يشق طريقه من بعد، وكان هدف هذا المخطط أساسًا هو تغريب ثقافتنا ومحاولة تدمير شخصيتنا العربية وإحالتها إلى مزيج مضطرب من نتف الثقافات المختلفة ومحاولة التشكيك في عظمة تراثنا الفكري وأمجادنا العربية وتاريخنا الباهر الحافل بالمواقف الخالدة في الدفاع

عن الحرية ومقامة الغالب والمشاركة في الحضارة والمدنية وحماية آثارها والإضافة إليها وكان هدف التعليم أساسًا تخريج موظفين، وأدوات، وليس التثقيف العام. وقد أبطل دنلوب عديدًا من الكتب المقررة؛ لأنها تتحدث عن القيم العربية الإسلامية وقد كشفت جريدة المؤيد (٢٥ يوليو ١٨٩٩) عن نماذج من هذا العمل، وقالت: إن هذه الكتب غير موافقة لهدفه من الوجهتين الدينية والسياسية، وذلك بإيرادها قواعد الإسلام، وأركانه مصحوبة بالحكم والآيات والقرآن والأحاديث التي تحث على حب الوطن والتعاون وإصلاح ذات البين، وفي سبيل شجب هذه الكتب أعلن دنلوب أن مثل هذه الكتب غير وافية بحاجات التعليم وأوعز إلى بعض المدرسين الموالين له بأن يضعوا كتبا بديلة لها، تضم بعض خرافات لافونتين، وفي عبارة سقيمة وأسلوب نازل، وأشارت المؤيد إلى أن الشيخ حمزة فتح اللَّه ناضل في سبيل إحباط رأيه، فأعلن دنلوب أن كتب المطالعة يجب أن تكون مجردة خالية من كل ما له مساس بالدين».

ومثل هذا حدث مع عبدالعزيز جاويش الذي عاد من بريطانيا بعد الدراسة وقد ناقش دنلوب في منهج مدرسة المعلمين وكان رأيه أن يكون المنهج عامًا واحدًا، فاعترض جاويش، وقال: إن في مدرسة المعلمين في بريطانيا برنامجًا من أربع سنوات فأشار دنلوب إلى أن مدرسة المعلمين تهدف إلى تخريج مدرسين يؤدون واجبًا محدودًا لا يزيد عن إعداد موظفين. كان ذلك متمشيًا مع قول كرومر: «عقل بريطاني وأيد مصرية».

وقد واجهت مؤلفات عبدالعزيز جاويش نفس مصير مؤلفات علي مبارك وعبداللَّه فكري فقد أقصيت فعلاً وأُلفت كتب أخرى بدلاً منها تحقق هدف (دنلوب) وهدف التغريب أساسًا.

ولم يجد (دنلوب) قبولاً لعمله ومخططه فقد ظلت الصحف الوطنية توالي مهاجمته وقد تعرضت له اللواء في ٩ أكتوبر سنة ١٩٠٧ فقالت: إن

المصريين يعلمون أن دنلوب هو أقوى آلة وضعها اللورد كرومر لتعطيل التعليم في مصر وأكبر مقاوم لرقي البلاد من باب المعارف، ومحاولة سد الطرق التي يرقى بها، وأنه يستعمل كل ما أوتي من سلطة وقوة لمحاربة المصريين حتى بالسطو على ذمم الموظفين معه لتجد من ضعفها قوة ومن التلاعب بها السلاح القاتل للأمة».

وقد أبطل دنلوب عام ١٩٨٨ كتاب علي مبارك وعبداللَّه فكري «طرق الهجاء»؛ لأنه تحدث فيه عن الفضائل الإسلامية، ورأى أن هذا الكتاب غير موافق لغرضه من الوجهتين الدينية والسياسية بإيراده قواعد الإسلام وأركانه بالحكم والآيات والأحاديث التي تحث على حب الوطن وتعاونه وإصلاح ذات البين وكان هذا الكتاب مقرراً منذ عام ١٨٩٤ ولكنه بمكره أعلن أن هذا الكتاب غير واف بحاجات التعليم وأوعز إلى بعض أوليائه من المدرسين أن يضع كتابًا يتفق مع المواصفات الاستعمارية فألف الكتاب الجديد حافلاً بخرافات لافونتين في أسلوب سقيم وعبارة نازلة.

كما ألغى دنلوب الباب الوارد في المنهج تحت عنوان العقائد والعبادات الإسلامية، وناضل الشيخ حمزة فتح اللَّه في سبيل إحباط رأيه فكان من قول دنلوب أن كتب المطالعة يجب أن تكون خالية من كل ما له مساس بالدين.

*** أرنست رينان يطعن في الإسلام ويصفه بأنه عدو العلم والعقل ويصف الرسول محمداً ﷺ بالخداع والدجل:**

لم تكن خصومة (رينان) للإسلام والفكر العربي الإسلامي إلا خصومة للأديان والروحية جميعًا، وقد حمل حملات عنيفة على المسيحية، ولم تكن آراء (رينان) إلا صورة عميقة لشكوك عصره وشبهاته التي صنعتها مراحل طويلة من تطور الفكر الغربي. وقد طعن (رينان) في الإسلام ووصفه بأنه عدو العلم والعقل، ووصف العرب بأن عقولهم قاصرة بطبعها، غير مستعدة

لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة، ومع ذلك فإن آراء رينان حافلة بالتناقض والاضطراب فبينما هو يمقت الفكر العربي الإسلامي ويحمل عليه وينتقده انتقاداً مراً يعترف برهبة هذا الدين وعظمته.

وفي دراسة لجرجي زيدان يقول: إن رينان قد اشتهر بمقاومة النصرانية فبينما كان أبواه يعدانه لخدمتها انقلب حتى أصبح من أشد الناس انتقاداً عليها، فألف سلسلة مؤلفات في هذا الشأن صدرها بكتاب (حياة يسوع) وألحقه بأبحاث في تاريخ الرسل وأصل النصرانية والقديس بولس شدد فيها لهجة الانتقاد حتى أصبح مكروهاً من كل الفئات الدينية، ومن مؤلفاته (اللغات السامية) الذي تناول فيه تاريخ اللغات السامية ومقابلتها بعضها ببعض، وقد بسط تاريخ اللغات العبرانية والفينيقية والآرامية بفروعها، وقال عن الشعوب السامية: إنهم يميلون بفطرتهم إلى التوحيد وأنهم أول من قال بوحدانية الخالق بينما عبدت الشعوب الأخرى آلهة شتى كاليونان والرومان والمصريون.

ورأى رينان في النبي محمد رأي متعصب فقد وصفه بالخداع والدجل وقرر أن الذي أسس الإسلام وشيد صرحه هو عمر؛ لأنه يماثل القديس بولس في المسيحية، وقال: إن الفلسفة الإسلامية ما هي إلا الفلسفة اليونانية مخطوطة بحروف عربية، ولم يهضمها العرب لأن الإسلام دين لا يسمح بحرية الفكر وروح النقد، كما هاجم ابن رشد، وقال: إنه لا يعرف كيف يكتب ولا كيف يفكر، وأن لغته همجية، ومؤلفاته لا قيمة لها، وقال: إن الإسلام يعادي العلم والفلسفة وأنه صارم يتحكم في العبد وفي دنياه وفي آخرته، وأنه ذلك القيد الثقيل الذي لم تصب بمثله الإنسانية في تاريخها.

والواقع أن رينان لم يثبت في نظر مؤرخيه بأنه باحث مستقر الفكر، بل عرف باضطراب الرأي وقد وصفه بيكافيه أكبر الباحثين في إثارة: بأنه رجل يقلب أوضاع الأشياء والمسائل وذلك لاختمار النزعة الصليبية في عقله الباطن

وتملكها على أفكاره في الحكم على من يخالف تعاليم دينه الأول قبل إلحاده وكفره.

وقال مؤرخوه أنه أفسد الاستشراق الفرنسي بهذه الآراء وقد سار على نهجه (منك) في كتابه الفلسفة العربية واليهود، وكليمان هور في كتابه تاريخ العرب، وكازنوفا في كتابه محمد ونهاية العالم.

والواقع أن رينان مدان برأيه في الإلحاد والتدين أساسًا فهو الذي يقول في كتابه «مقالات ومحاضرات» أقول دائمًا، ولست بحاجة إلى أن أكرر أن العقل البشري يجب أن ينزه من كل المعتقدات الدينية وأن يحصر جهوده في مجاله الخاص وهو إقامة العلم الوضعي.

وقد كان كتابه «حياة يسوع» قد أجج ثورة جامحة في فرنسا في القرن الثامن عشر، وقد انتزعه هذا الكتاب من كرسيه في كوليج دي فرانس بتهمة الإلحاد والكفر، وكان منذ مطالع شبابه قد أثار حنق الأساقفة ورؤساء الدين عليه ورُمي بالزندقة، حين انتزع نفسه من العقيدة الكاثوليكية وآمن بمذهب الدهريين، فقد قدس الطبيعة في كل مظاهرها، ولرينان محاضرة مشهورة ألقاها في ٢٩ مارس ١٨٨٣ في جامعة السربون عنوانها «الإسلام والعلم». حمل فيها على الإسلام حملة متعصبة عنيفة، وقال: إن الدين الإسلامي عقبة في سبيل تقدم العلم بسبب التعصب. وقال: إنه اضطهد العلم والفلسفة، ووصف العقلية السامية بأنها مجدبة كالصحراء التي نبتت فيها، وقال: إنها لا تقوى على التحليل والتعمق. وقد وجه رينان في محاضراته اتهامات واضحة تتلخص في:

١ ـ نشأ من التساهل الواقع في التعبير بعلوم العرب وفلسفة العرب وفنون العرب وتمدن العرب وعلوم الإسلام آراء فاسدة وخطأ عظيم عمل به.

٢ ـ انحطاط بلاد الإسلام في العالم واضح.

٣ ـ سبب هذا الانحطاط هو أن عقول المسلمين بلغت من الحمق غايته حتى كأن دينهم صار حجابًا على قلوبهم منعها من أن تعي شيئًا من العلوم.

٤ ـ العجز عن التقدم ناتج عن دين الإسلام.

٥ ـ دين الإسلام قد نجح، ولكن لشقائه فإنه لما قبل الإسلام الفلسفة قتل نفسه وحكم عليها بالانحطاط التام. وقد رد على رينان رجال من أبناء جلدته منهم غوستاف لوبون الذي قد أشار إلى محاضرة رينان ووصفها بالتناقض وأنه أراد أن يثبت عجز العرب.

وقال لوبون: ولكن ترهاته كانت تنقضي بما كان يجيء في الصفحة التي تليها فبعد أن قال رينان: إن تقدم العلوم مدين للعرب وحدهم عدة ستمائة سنة ذكر أن عدم التسامح مما لا يعرفه الإسلام إلا بعد أن حلت محل العرب شعوب متأخرة كالبربر والترك، ثم عاد فادعى أن الإسلام اضطهد العلم والفلسفة وقضى على العقل في البلاد التي دانت له.

*** دوق داركور وكتابه «مصر والمصريون» وزعمه أن الإسلام هو سر تأخر الفكر في مصر:**

أصدر دوق داركور كتابًا بالفرنسية عام ١٨٩٣ هاجم فيه الإسلام والثقافة العربية الإسلامية وكان مما قاله: أن السر في تأخر الفكر في مصر يرجع إلى الإسلام.

فالدين هو السبب الأساسي في التأخر الذي لحظه في كل بلد إسلامي، وعنده أن الإسلام لا يحض على البحث في العلوم غير الدينية، لذلك احتقر المسلمون علوم الغرب، واعتقدوا أن القرآن قد حوى بين دفتيه علوم الأولين والآخرين وأن كل ما عداه باطل، أنكر دوق داركور أن للعرب الأولين مدنية خاصة وعنده أن المدنية لا تقوم إلا على أساس علمي والعلم عندهم لم يكن

يخرج عما أتى به القرآن لذلك أمر عمر بإحراق مكتبة الإسكندرية، ثم إن العرب لم يحاولوا استكشاف علوم الدنيا؛ لأنهم تعصبوا لأصول دينهم وآمنوا بالقضاء والقدر، لذلك قامت مدنيتهم على قوائم المدنيات العتيقة.

وقد واجه قاسم أمين هذه الحملة بكتاب رد فيه على الدوق الفرنسي صدر ١٨٩٤ تحت عنوان «المصريون»(١) ، وقد بدا قاسم أمين فأشار إلى أن الإسلام لم يعترض تطور العقل الإنساني، ولا تقدم العلوم ولا الآداب ولم يحل دون استكشاف الحقائق العلمية، وقد مضت فترة كان العلماء المسيحيون ينقلون العلم عن العلماء العرب. وفي القرآن آيات تحض المسلم على أن يفكر في خلق السماوات والأرض، وأن يبحث ماهية هذه العوالم والعوالم الأخرى، وقال: إنما عاق التقدم قوم من الجهلة حاولوا تفسير القرآن حسب ما يمليه عليهم الهوى، وعند ذلك تسربت إلى الدين فئة من الأوهام والخرافات هي التي يحسبها السائحون من أصول الدين وليست في الواقع من الدين في شيء، وقال: إنه سيأتي يوم تجتمع فيه الإنسانية تحت راية الإسلام حينما يتبينون أنه دين العلم ودين السياسة ودين الاجتماع.

ودحض قاسم في رده على داركور ما عرض له من أن الإسلام هو الذي أقام ذلك الاختلاف بين الطبقات، وقال قاسم: أن الإسلام قد سوى بين الناس جميعًا، وليس من قواعد الجماعة المسلمة أن يرث الرجل امتيازًا خاصًا؛ لأنه من أسرة أو من طبقة خاصة، بل لقد سبق الإسلام كل النظم السياسية الثورية بألف سنة أو يزيد حين أنكر امتيازات الميلاد أو الثروة. وهو من بين الأديان جميعًا يفسح المجال لكل ذي عمل أن يحسن عمله فيرقى من أدنى الدرجات حتى يبلغ أسماها، ثم ليس في الإسلام طبقة تمثل السلطة

---

(١) كان هذا قبل كتابة كتابه المنحرف «تحرير المرأة». وقد يؤيد اللّٰه الدين بالرجل الفاجر من موقف من المواقف يذب فيها عن الإسلام.

الروحية التي كانت للكنيسة، وليس في الجماعة المسلمة فئة تتمتع بالسلطة الدينية على حساب الآخرين، وللفقراء والمحرومين حق معلوم في أموال الأغنياء فلهم جزء من أربعين جزءاً من كل مال مقبول، وقال: لقد انحدر إلينا من تعاليم الإسلام ما يؤيد الإخاء والمساواة. وقال: إن ذلك النظام الاجتماعي والسياسي قد هوى في حال من الانحلال والتدني حينما اضطرب المسلمون وأصبح الأمر فوضى ليس له أساس من علم ولا دين، فقد قام على الجماعات المسلمة طغاة لا يعرفون إلا صالحهم الشخصي. وقد عبرت مصر قرونًا يستغلها وحوش في صورة آدميين، أقبلوا عليها من كل بقاع الأرض، فكانت مسرحًا لفظائع الظلم والقسوة.

وأشار إلى أن أوربا قد أقامت العثرات في طريق التقدم والنهضة في الزمن الحديث، وأن القناصل في بلادنا يكونون ممالك مستقلة تحمي المجرمين واللصوص وسفاكي الدماء من رعاياهم.

* جبرائيل هانوتو يأمر الأوربيين بقطع الصلة بين المسلمين والإسلام ويدعي أن الإسلام يدعو أتباعه إلى الكسل:

نشر هانوتو أحد وزراء خارجية فرنسا في الجورنال الفرنسية ١٩١٠ بعض مقالات هاجم فيها الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، وقد ترجم هذه المقالات محمد مسعود في المؤيد (٢ ـ ١٥) إبريل ١٩٠٠ وقد نشر الشيخ محمد عبده على الأثر مقالات رد فيها على اتهامات هانوتو كما نشر فريد وجدي فصلاً مطولاً.

وقد حملت كلمات هانوتو عبارات غاية في العنف والتعصب، ومن ذلك قوله: الإسلام دين بشري يثقل معتقده دائمًا ويغريهم بالكسل أو التسكع والتبرؤ من شر الفسوق، وأن السياسة التي تجب على أوربا المستعمرة في الشرق أن نجتذبها مع المسلمين هي تلقيح أفكارهم بجانب من الأخلاق

الأوربية وقطع الصلة بينهم وبين كعبة الإسلام.

وأشار إلى كلمات كيمون ورددها وقال: إن كيمون دعا إلى نسف الكعبة، ونقل قبر محمد إلى متحف اللوفر، وهاجم هانوتو أصول الإسلام، ودعا قومه إلى قتال المسلمين والقضاء عليهم، وقال الشيخ محمد عبده في الرد عليه: لو لم يتعرض مسيو هانوتو إلى الطعن في أصل من أصول الإسلام ما حركت قلمي لذكر اسمه وكان حظي من النظر في مقاله هو العظة والاعتبار. يرى الناظر في كلام مسيو هانوتو لأول وهلة أنه مقلد في التاريخ كما هو مقلد في العقائد وأنه جمع خليطًا من الصور وحشرها في ذهنه ثم هو سلط قلمه ينثرها كما يشاء القدر ليدهش بها من لا يعرف الإسلام من الفرنساويين، وقال: يجب على الباحث في الإسلام أن يطلبه في كتابه كما يجب عليه أن يطلب آثاره، والإسلام إسلام والمسلمون مسلمون، لا أنكر أن الزمان تجهم للمسلمين كما كان قد تنكر لغيرهم وابتلاهم بمن فسد من المتصوفة من عدة قرون فبثوا فيهم أهامًا لا نسبة بينها وبين أصول دينهم فلصقت بأذهانهم لا على أنها عقائد ولكنها وساوس، قد تملك الجاهل وتربك العاقل، إذا لم يغلبها بعوامل الدين الصحيح، فنشأ الكسل بين المسلمين بفشو الجهل بأصول دينهم، أما لو رجع المسلمون إلى الحقيقة من دينهم لأدوا فرضهم واستنبتوا أرضهم واستعزوا من الثروة، واعتمدوا في نجاح أعمالهم على معونة القدر وأيقنوا في صولتهم علمًا أن ليس من الموت مفر، ثم صال صائلهم على مكان العزة منها ونال ما ينال القوي من الضعيف.

أما لو رجع المسلمون إلى كتابهم واسترجعوا باتباعه ما فقدوه من آدابهم لسمت نفوسهم من العيب وطلبوا من أسباب السعادة ما هداهم اللَّه إليه في تنزيله وعلى لسان نبيه واستجمعت لهم القوة. ودبت فيهم الروح قوة وكان ما يلقاه هانوتو وكيمون من دين صحيح شرًا عليهما مما يخشوه من دين

شوهته إليها.

ويرى كيمون أن يخلى وجه الأرض من الإسلام والمسلمين ويستحسن رأي هانوتو لولا ما يقف في طريق ذلك من كثرة عدد المسلمين وبئسما اختارا لسياسة بلادهما أن يظهرا ضغنهما ويعلنا رأيهما وضعف حلمهما.

أما فليعلما وليعلم كل من يخدع نفسه بمثل حلمهما أن الإسلام إن طالت به غيبة فله أوبة، وإن صدعته النوائب فله نوبة.

وقد يقول عنه المصنفون اليوم من الإنكليز مثل إسحاق طيار وهو قس شهير ورئيس كنيسة: «أنه يمتد في أفريقيا ومعه تسير الفضائل حيث سار، فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره والشجاعة والإقدام من أنصاره، ثم هو لا يزال ينتشر في الصين وغيره من أطراف آسيا وسترشده الحوادث إلى طريق الرجوع إلى إظهاره وتنثني به الملمات إلى ما كان عليه لأول نشأته وتدرك عند ذلك الأمم منه خير ما ترجو إن شاء اللَّه».

*** رئيس الشياطين وكبير المبشرين في القرن العشرين صمويل زويمر:**

لعب صمويل زويمر دورًا ضخمًا في حركة التغريب بوصفه رئيسًا للمبشرين في الشرق الأوسط منذ أوائل هذا القرن وأجرأ الدعاة المقاومين للفكر الإسلامي والرجل الذي استطاع أن يقتحم الأزهر، ويوزع منشوراته، وقد اتيح له أن يطوف بالصين والهند وأفريقيا والهند والصحراء ومدغشقر وأن يكتب دراسات مطولة عن البعثات التبشيرية والإرساليات في هذه المناطق وكيف تحاول أن تنافس الإسلام وتقضي عليه وقد رأس مؤتمرات التبشير التي عقدت في القاهرة ولكنؤ (الهند) والقدس، وأدلى فيها بتقارير ضافية عن الخطوات التي حققتها محاولته في تغريب العالم الإسلامي ونزع مقومات فكره عن طريق التعليم والصحافة والمستشفى.

وهو في تقدير بعض الباحثين أول من قدم من الغرب في أوائل هذا

القرن من دعاة التغريب، قدم إلى البحرين، وانتقل إلى الأحساء، وتردد بينهما وكان يلقب نفسه (ضيف اللَّه) فتح في أول أمره حانوتا في السوق لبيع الكتب المختلفة، ثم تخصص بالتدريج في بيع الكتب التي تفرق بين الأديان، ثم لم يلبث أن أسس مدرسة ومستشفى صغيرًا للتبشير، ثم استقدم عددًا كبيرًا من المراسلين والدعاة إلى بلاد البحرين من رجال ونساء أمريكيات، واستخدم الفقراء من العرب والمسلمين في العمل معهم، وادعى أنهم قد تركوا دينهم، قالوا عنه: أنه الرجل الذي لا يهزم؛ لأنه درس الفكر الإسلامي سنين طويلة بعد أن عاش سنين أطول في غمار الشعوب الإسلامية، وقد ظل ينتقل بين البحرين ومسقط والكويت والبصرة حتى عام ١٩١٣ وكان قد قدم إلى القاهرة ١٩٠٦ وأقام مؤتمرًا للتبشير في بيت أحمد عرابي في باب اللوق، تحديًا لشعور المسلمين، ثم في ١٩١١ في (لكنؤ) معقل الفكر الإسلامي في الهند ومقر جماعة العلماء التي يرأسها شبلي النعماني، ثم رأس مؤتمرًا في القدس ١٩٢٤ ثم في ١٩٢٦، وتولى تحرير مجلة «العالم الإسلامي» التي أنشأها مع مكدونالد، وله عشرات الكتب عن الإسلام تحمل وجهة نظره منها: داخل عالم الإسلام، المسلمون اليوم، الإسلام في العالم، ترجمات القرآن، أمية النبي، الحديث القدسي وقد أشار نجيب العقيقي الذي ذكره في كتابه «المستشرقين» وعده واحدًا منهم، إلى أن له من المصنفات في العلاقات بين المسيحية والإسلام ما «أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية»، وقد أشار المقتطف في باب الكتب (مجلد ٥٠) إلى كتابه «صراخ المستغيثين من أبناء الشرقيين»، وقال: إن مدار بحثه في هذا الكتاب عن أطفال المسلمين وأحوالهم الصحية وتربيتهم العقلية والأدبية والدينية، ألفه بالإنجليزية الدكتور زويمر المراسل الأمريكي في هذا القطر وعربه الشيخ متري حبيب الدويري. وقد نقد محمد محمد سعفان (بالقضاء الشرعي) اهتمام المقتطف بهذا الكتاب وأشار إلى ما فيه من تعصب واعتساف على الفكر

العربي الإسلامي، وقد سارع الدكتور صروف فنشر خطابه وعلق عليه متنصلاً وقال: إننا مع استحساننا قيام أناس من أصحاب كل دين ومذهب لانتقاد ما يرونه فيه مما يستحق الانتقاد، نستهجن جداً أن يقوم أناس من غير دينهم ومذهبهم وينقدون ما يعتقدون أن خطأ فيه؛ لأن التنديد بمعتقدات الغير لا يصلحها بل يزيد أصحابها تشبثًا بها، ناهيك أن الخارج على المذهب قلما يفهم حقيقة ما يحسبه خطأ؛ لأنه لا يعرف ملابساته فيخطئ في حكمه أكثر مما يصيب» ومجمل ما ذهب إليه (زويمر) هو اتهام الفكر العربي الإسلامي بأنه لم يؤلف كتبًا للأطفال وقال: «إن العرب عنوا بفروع العلم والآداب كلها ووضعوا فيها عشرات والمئات والألوف من المؤلفات، ولكنهم مع وفرة ما ألفوا وترجموا أهملوا أطفالهم وصغارهم فلم يضعوا كتبًا لتعليمهم»، وهذا ولا شك من أكبر مغالطات زويمر وهو ليس صحيحًا على إطلاقه، فإن الفكر العربي الإسلامي حافل بما يصلح للأطفال في باب التربية والتعليم وإن أعلام المسلمين ومفكريه قد تناولوا بالبحث شئون التربية ورسموا لها مخططًا ما زال حيًّا نابضًا بالحياة وقد شهد بذلك علماء التربية المحدثين وقد صور الدكتور زويمر مذهبه في إثارة الشبهات في الفكر الإسلامي على نحو ماكر مليء بالتعصب والكراهية. عدم المجادلة بالبراهين العقلية، بلا استجلاب العواطف واستمالة الأهواء. إن المسلمين يعتقدون بأن القرآن لم يحرف، من دون الكتب السماوية كلها، فيجب علينا أن نثبت لهم أن فيه متناقضات. إن للإرساليات التبشيرية في البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد ومزية هدم، أو بالحري مزيتي تحليل وتركيب، والأمر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه. العمل لمنع اتساع نطاق الإسلام بين الشعوب الوثنية وقد أشار (زويمر) في تقريره ١٩١١ إلى أن الإسلام قد بدأ يتنبه لحقيقة موقفه من الحملة عليه، ويشعر بحاجته إلى تلافي الخطر، وهو يتمخض الآن بثلاث

نهضات إصلاحية:

١ ـ إصلاح الطرق الصوفية.

٢ ـ تقريب الأفكار من الجامعة الإسلامية.

٣ ـ إفراغ العقائد والتقاليد القديمة في قالب معقول، ومصدر هذا الشعور بالحاجة إلى الإصلاح واحد، وهو التغيير الذي حدث في الإسلام عندما اكتسحت أهله الأفكار العصرية والحضارة الأفرنجية ولا يمنع أن يكون الشعور مؤديًا إلى عاطفة الاحتجاج والحذر، أو إلى التوفيق والتحكيم؛ لأن كلا العاطفتين تجتمعان عند جعل الإسلام في مستوى الأفكار العصرية.

وفي العالم الإسلامي الآن حركتان متناقضتان: يحمل لواء الحركة الأولى: رجال الصوفية والمشايخ من اليمن والصومال والبوادي وشعارها الرجوع إلى التعاليم المحمدية، والحركة الثانية يتولى زعامتها أنصار الإصلاح ومبشرو الدين الجديد في مصر والهند وجاوه وفارس، وهؤلاء يبنون أساسهم على رسم الطرق المعقولة ثم يقول زويمر: إن أشياع الإسلام الجديد يريدون أن يرموا من السفينة مشحونها لينقذوها من الغرق. وعنده أن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين فإذا كان في أفريقيا عوامل أخرى فهي الأحوال المساعدة التي يتصف بها الإسلام ومركز بلاده الجغرافي وارتقاء الشعوب الإسلامية في السودان، وقال: إن التجارة في هذه الأصقاع كلها بين القبائل الإسلامية ـ ومن المحقق أن التاجر المسلم يبث في هؤلاء المواطنين مع بضاعته التجارية دينه الإسلامي وحضارته الراقية.

وللإسلام في أفريقيا صديق يساعد على انتشاره هو الاستعمار الأوربي؛ فإن الذي يفعله الاستعمار بعد أن يسلب من الأمراء المسلمين سلطتهم السياسية هو أن يقرر الأمن ويمهد السبيل للمسلمين فالاستعمار

يسلب عن المستعمرات السلطة الإسلامية السياسية، ولكنه يزيد الإسلام نفوذاً وما زال الشيخ والدرويش هما صاحبا النفوذ في أفريقيا ولقد كانت كتابات زويمر كلها ترمي إلى إثارة الشبهة حول إمكانية مجاراة تيار الحضارة مع الاحتفاظ بمبادئ القرآن وتعاليمه، وكان يرى أن اتساع نطاق الحضارة من شأنه أن يقضي على مفاهيم الإسلام، وكان يعلن دائمًا أن هدف بعثات التبشير ليس إدخال المسلمين في المسيحية، وإنما إثارة الشبهات أمامهم فيحتقروا أمتهم، ويتنكروا لقيمهم الأساسية ويصبحوا ملحدين إباحيين ومن ذلك قوله: لقد تساءل اللورد كرومر مرة: هل يبقى الإسلام إسلامًا إذا دخل عليه الإصلاح، فأنا أقول بصفة قطعية أنه لا يبقى كذلك؛ لأن الإصلاحات تجهز عليه فالأركان الأساسية الموجودة في الإسلام كالحج وتعدد الزوجات والطلاق لا تستطيع الثبات في وجهة تيار المدنية الجارف والواقع أن كل ما وصل إليه دعاة التغريب من آراء هي في أساسها أهواء، وما وضعوه منها في صبغة «التقرير» قد ثبت بمرور الأيام أنه ليس صحيحًا، وأن الفكر الإسلامي العربي استطاع أن يوائم بينه وبين الحضارة والفكر العصري، وقد كان دائمًا قادراً على التلقي والامتصاص ودومًا كان قادراً على الحركة، مرنًا لا يجمد، وما يزال الإسلام قائمًا والفكر الإسلامي حيًّا إلى اليوم وبعد أن كتب زويمر ما كتب بنصف قرن وفي كتابه «الإسلام: ماضيه وحاضره ومستقبله»، أورد معلومات مضللة عن نفوذ المبشرين في أفكار الإسلام وعن تعداد المسلمين.

ومن رأيه عدم مجادلة المسلمين بالبراهين العقلية بل الدخول عليهم من الجهة القلبية لاستجلاب عواطفهم واستمالة أهوائهم ومع أنه بروتستانتي فقد كان يستجمع البعثات الكاثوليكية والأثوذكسية ويدعو إلى توحيد العمل في شن الغارة على الإسلام وانتهاز فرصة الضعف التي مر بها العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الأولى وقد أولى زويمر اهتمامًا بأواسط أفريقيا والنيجر ودعا إلى توسيع نطاق العمل بها وأبدى تخوفه من اتساع نطاقها.

وسجل في تقاريره تقدم الإسلام في هذه المناطق، «من مركزه الواسع في الشمال ومعاقله التي في السواحل إلى الجنوب والغرب الأفريقي»، وقال: إن المبشرين قد أخطأوا في تقديراتهم السابقة؛ لأنه تبين لهم فيما بعد أن بعض البلاد التي كانوا يحسبونها خالية من الأديان المعروفة، هي إما إسلامية محضة، أو أنها على أهبة الدخول في الإسلام»، وفي مؤتمر ١٩٢٤ المنعقد في القدس كشف زويمر عن خطته الجديدة وصاغ خلاصة تجاربه في عمل جديد، هو ما ألمحنا إليه من الاتجاه إلى التحول في الأساليب لا في الغايات، وإخفاء التبشير وإبراز التغريب، والاعتماد على الأساليب الخفية الحتمية عن طريق المناهج الدراسية والصحف وإثارة الشبهات حول قضايا الدين واللغة والتاريخ والتراث وهذا مجمل خطته: «لقد صرفنا من الوقت شيئًا كثيرًا، وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة، وألفنا ما استطعنا أن نؤلف وخطبنا ومع ذلك كله فإننا لم ننقل من الإسلام إلا عاشقًا بنى دينه الجديد على أساس الهوى.

فالذي نحاوله من نقل المسلمين عن دينهم هو باللعب أشبه منه بالجد وقال: وعندي أننا يجب أن نعمل حتى يصبح المسلمون غير مسلمين. إن عملية الهدم أسهل من عملية البناء في كل شيء إلا في موضوعنا هذا؛ لأن هدم الإسلام في نفس المسلم معناه هدم الدين على العموم وأعلن أن الأحوال السياسية في جميع البلاد الإسلامية أصبحت ملائمة لأعمال التبشير، وأن العراقيل من بعض الحكومات قد أزيلت، وأن الحرب العظمى جعلت العديد من المسلمين على صلة مباشرة بالحضارة الغربية، وهم يزورون الأقطار الأوربية زرافات، وألوف من الطلاب المسلمين يهاجرون من آسيا ليتعلموا في أوربا وسيل من العمال والصناع يتدفق من شمال أفريقيا على فرنسا ويبلغ عدد الذين يزورون باريس سنويًا أكثر من الذين يحجون إلى مكة، وأنه لا بد من عمل مجهود لإيجاد الاستعداد الفكري والذهني لقبول جهود المبشرين

عن طريق إدارات التربية والتعليم والمعارف والصحف والكتب والسينما والمسرح وقد وسعت وسائل النشر الحديثة المجال لنمو الصلة بين المسلمين والحضارة الغربية.

وقال: إن التطورات الحديثة الحادثة بنطاق واسع في جميع أنحاء العالم الإسلامي قد دعت بالضرورة لأن يتخذ «التبشير» شكلاً جديدًا ملائمًا للحالة الجديدة في الشرق الإسلامي وقد أمكن أن نتبين بدلائل قاطعة أن الإسلام قد انتقض غزله وحلق به الضعف وتفككت حزمته، وعلى الإجمال أصبحت الروح القومية تدحر روح الجامعة الإسلامية وتحل محلها، فإن المسلم التركي على سبيل المثال أخذ ينقلب ليصير تركيًّا أكثر منه مسلمًا.

وكان لإلغاء الخلافة تأثير عميق ليس فقط في تركيا بل في جميع العالم الإسلامي، وقد أخذت الظواهر تتكاثر في النواحي لتدل بصفة قاطعة على انحلال الرابطة الاجتماعية في الإسلام وآثار هذا الانحلال نراها جلية في تطور مكانة المرأة وعلى الأخص في المدن. ومن ثمار هذا الانقلاب النسائي على الزواج المبكر والتوسعة في الحرية على المرأة.

أما الانقلاب الفكري في الإسلام فظاهر لا يحتاج إلى بيان، فأينما أدار الإنسان وجهه وجد تعطش المسلمين للمعارف، وطلب العلوم، وتتكون الآن عقلية جديدة في المسلمين هي نتيجة الاحتكاك والاتصال بالعلوم الغربية والحضارة الغربية، وفوق كل هذا، الأمر العظيم الذي يقف الإنسان عنده حائرًا معتبرًا هو انحلال العروة الدينية في الإسلام، حتى أنك ترى من المسلمين من قد أصبحوا في عماية من أمرهم لا يدرون كيف يتقدمون، ولا كيف يتأخرون لوقوعهم في الحيرة.. اهـ.

هذه هي أفكار (صمويل زويمر) المبشر الأكبر الذي رسم مناهج الدعوة إلى تغريب الفكر العربي الإسلامي، وعمل في الميدان أكثر من ٣٥ عامًا

وعقد عديداً من المؤتمرات في الجزائر والقدس والقاهرة.. ولكن كيف تبدو آراؤه اليوم بعد أكثر من ثلاثين عامًا..؟ أنها في الحق تبدو مجرد أوهام وتكهنات لم تصدق، فإن الإسلام لم تنحل عروته، والتجار المسلمون والطرق الصوفية استطاعوا غزو أفريقيا غزواً قويًّا وبعثات التبشير المزودة بالجاه والمال لم تحقق إزاءه تقدمًا يذكر.

ولم تؤثر القومية على روح الأخوة الإسلامية بل زادتها قوة، ولدينا في العالم الإسلامي الآن منظمة الوحدة العربية ممثلة في الجامعة العربية ومنظمة العمل الإسلامي الثقافي الموحد ممثلة في رابطة العالم الإسلامي ومجمع البحوث والمؤتمر الإسلامي وكلها تسير في هدفها دون تعارض. ولم تصدق آراؤه التي استقاها من الخبرة الطويلة في نتائج بث الأفكار المسمومة والمغرضة عن الإسلام واللغة العربية واستطاع العرب والمسلمون أن يكشفوا زيفها، وأن يردوا عليها وأن يتجنبوها. والهدف الأكبر الذي سعى إليه وهو إثارة الشكوك عن طريق الطلاب الذين يسافرون إلى أوربا قد باء بالخسران، فإن أكثر الذين حملوا لواء الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه والذين آمنوا بمقومات الفكر العربي أساسًا تعلموا في أوربا، ولا زلنا نذكر الدكتور يحيى الدرديري، ولطفي جمعة والدكتور غلاب وعلي مظهر، ومنصور فهمي، والدكتور هيكل، وعمر الدسوقي ومالك بن نبي، أو ممن تعلموا في معهد الإرساليات: كالدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدي فضلاً عن أنه قد تحول كثيرون ممن أثرت فيهم خدعة الاستعمار، والغزو الثقافي، وبقي الآخرون في الظل وقد كشفهم العرب المسلمون وتحاموهم، ولم يضعف الإسلام بانحلال الخلافة بل قامت دولة إسلامية هي الباكستان وزاد عدد المسلمين حتى بلغ الآن ألف مليون مسلم. وبذلك سقط منهج الفكر والبحث في الإسلام عند أمثال هؤلاء الدعاة الذين كشفوا عن هدفهم في القضاء على روح الإسلام وقيمه ومفاهيمه.

* مع رئيس الشياطين زويمر مرة أخرى:

من أهداف التبشير التي أعلنها زويمر في مؤتمرهم قبل الحرب العالمية الأولى «هدم الإسلام من قلوب المسلمين، حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتي بعدنا أن يبنوا النصرانية في نفوس المسلمين، أو في نفوس من يتربون على أيديهم»(١).

❑ وقال زويمر لتلاميذه: «إنكم أعددتم شبابًا في ديار الإسلام لا يعرفون الصلة باللَّه، ولا يريدون أن يعرفوها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء طبقًا لما أراده له الاستعمار».

❑ ولما انعقد مؤتمر القدس الأول التبشيري في يافا ١٩٢٤ بإشراف ورئاسة زويمر هاج المسلمون وتناولوا زويمر في قصائدهم ومن أبرزها قصيدة الشاعر الصاوي علي شعلان بعنوان «كيف نودع رئيس الشياطين؟» إلى الدكتور زويمر جاء في مطلعها.

ألا أبلغْ زويمر والعذارى — كأمثال الظبا أبت القفار
ترتل في كنائسها صلاة — فتبعث من فؤادك ما توارى

❑ وبلغ من نشاط هذا الشيطان أنه ذهب إلى الأزهر الشريف مع ثلاثة من الأجانب من بينهم امرأة، فتبعه مراقبو الجامع الأزهر لعلمهم بنشاطه التبشيري، ودخل المبشرون معه حلقة درس الشيخ سرور الزنكلوني وفي أثناء شرحه لسورة «التوبة»، وزع على الطلبة ثلاث رسائل تتضمن تفسيرات نصرانية لآية الكرسي وأسماء اللَّه الحسنى، ثم ترك الحلقة إلى غيرها يوزع رسائله، وأهاج هذا الأمر نحوًا من ثلاثة آلاف طالب أزهري كانوا موجودين وقتها، ومزقوا الرسائل. وكتبت صحيفة «الفتح» متعجبة أن تبلغ الجرأة

(١) مجلة الفتح، عدد ٩١ ـ ٢١ شوال ١٣٤٦هـ ـ ٢ أبريل ١٩٢٨.

بالمبشرين أن يدخلوا معقل الدعوة الإسلامية في مصر وهو الجامع الأزهر الشريف ويوزعوا الكتب التبشيرية بين طلابه، الأمر الذي أحدث ردود فعل واسعة النطاق في أروقة الجامع الأزهر، إذ طالب علماؤه بالتصدي لهذه الزمرة من المبشرين الذين يهاجمون الإسلام في عقر داره»[١] .

❑ وانظر إلى علو كعب زويمر في التبشير:

كتب القس زويمر في مجلة «العالم الإسلامي» التبشيرية والتي يشرف على تحريرها في عدد أبريل ١٩٣١م تحت عنوان «المساحات التي لم تحتل بعد» ذكر فيها أن الأقاليم التي لم يزرها المبشرون للآن يجب أن تكون موضع اهتمام الكنيسة وميدان جهادها، ولا ينبغي أن يبقى في هذا القرن العشرين للتاريخ المسيحي مكان على وجه الأرض لا تطأه قدم المبشر «وأشار إلى أن أكثر البلاد التي لم يحتلها المبشرون إنما تقع في دائرة العالم الإسلامي»[٢] .

ومن أبرز الكتاب الذين هاجموا التبشير في الصحف الإسلامية: الشيخ محب الدين الخطيب والشيخ رشيد رضا، والدكتور عبدالحميد سعيد والشيخ عبدالرحمن الساعاتي والأستاذ حسن البنا وشكيب أرسلان وعجاج نويهض والشيخ حسن الطويل[٣] .

* مرجليوث وكتابه العفن «محمد وظهور الإسلام» وقوله: أن النبي كانت تنتابه النوبات العصبية «الصرع» كثيراً:

يعد مرجليوث من كبار المستشرقين الإنجليز، وكان أستاذ الدراسات

(١) الفتح، عدد ٦٤ ـ ٤ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ـ ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧.
(٢) «صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر فيما بين الحربين العالميتين» للدكتور جمال عبدالحي النجار (ص٣٩٦ ـ ٣٩٧) ـ دار الوفاء.
(٣) انظر المصدر السابق (ص٤١٧) بتصرف.

الإسلامية في جامعة أكسفورد، وله اتصال واسع المدى مع المصريين بعد الاحتلال البريطاني. وقد اتصل به الشيخ عبدالعزيز جاويش وهاجمه عندما أصدر كتابه (محمد وظهور الإسلام).

ومنذ عام ١٩٠٧ تناولت الصحف في مصر آراءه فقد أصدر في ذلك الوقت كتابًا عن النبي محمد وجعله حلقة من سلسلة عظماء الأمم، وصفه سليمان الندوي فيما بعد بأنه لم يؤلَّف بالإنجليزية كتابٌ أشد تحاملاً على النبي منه، حاول فيه مرجليوث أن يشوه كل ما يتعلق بالسيرة، وأن يشكك في أسانيدها، ولم يأل جهدًا في نقض ما أبرمه التاريخ ومعارضة ما حققه المحققون من المنصفين. وقد أشار الشيخ جاويش إلى آراء مرجليوث، وقال: إنه ـ أي مرجليوث ـ حارب التاريخ كما حارب الإنصاف وحمل على الرسول حملات منكرة وأشار إلى قول مرجليوث: «إن المسلم معناه في الأصل الخائن، وعلل ذلك بأن هذه الكلمة مشتقة من اسم مسلم»، وادعى مرجليوث أن النبي كانت تنتابه النوب العصبية كثيرًا وزعم المؤلف أن النبي عاشر بعض النصارى فاستفاد كثيرًا من القصص واقتبس بعض أساليب التعبير، وعلل زواجه بخديجة بطمعه في مالها». وقد صارت آراء مرجليوث مصدرًا للمتعصبين من الكتاب الغربيين ومن ذلك ما نقله عنه مستر سكوت وأثار كثيرًا من الاعتراضات. وقد أشار رضا إلى أن السبب في أكثر غلط مرجليوث وخطأه في السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجزئي وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الأقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية ونقص فهمهم. كما أشار صاحب المقبس (محمد كرد علي) إلى كتابه عظماء الأمم فقال: إنه لم يؤلف كتاب بالإنجليزية أشد تحاملاً على النبي مما جاء بهذا الكتاب فقد حاول مرجليوث أن يشوه كل ما يتعلق بالسيرة الشريفة، وأن يشكك في أسانيدها ولم يأل جهدًا في نقض ما أبرمه التاريخ. ويعارض ما حققه من المثقفين ومرجليوث له فرض في الشعر الجاهلي نشره

في يوليو ١٩٣٥ في إحدى المجلات الاستشراقية، وفي ١٩٢٦ نقله طه حسين في كتابه المشهور عن الشعر الجاهلي، يقول مالك بن نبي: ربما لم يكن فرض مرجليوث ليحتوي على شيء خاص غير عادي لو أنه حين نشر لم يصادف ذلك الترحيب الحار من المجلات المستغربة، ومن بعض الرسالات التي يقوم بها دكاترة عرب محدثون، حتى لقد كسب هذا الفرض قيمة المقياس الثابت في دراسة الدكتور صباغ عن (المجاز في القرآن) وقد رفض الدكتور صباغ رفضًا مقصودًا مغرضًا الاعتراف بالشعر الجاهلي كحقيقة موضوعية في تاريخ الأدب العربي».

وكتب مرجليوث مقالاً نشر عام ١٩٠٤ فردد قول برايس من أن الإسلام لم يبق من عمره إلا قرنان كما أعاد ما قاله أحد المبشرين من أن الإسلام لا يلبث أن يذوب ذوبان الثلج بين يدي العلم والتمدن والنصرانية كما نقل رأي الدكتور بروين الذي قال: إن الإسلام يذهب بذهاب الدولة العثمانية ومضى يردد الكلمات التقليدية التي يرددها المتعصبون وخدام الاستعمار من أن الإسلام لن يبقى بعد احتكاكه بالتمدن الحديث ويموت لا محالة كما ردد ما قاله أحد كتاب التغريب من أن الانحطاط الذي يعيشه المسلمون ـ في هذه الفترة ـ يرجع إلى أسباب متصلة بالإسلام نفسه؛ لأنه لا يوافق روح التمدن وهكذا يتكشف في كتاباته جماع منسق لما تورده حملات التشكيك التي لا يرقى كتابها إلى مقام العلماء ونقد العلامة عبدالعزيز جاويش هذا الكتاب (محمد وظهور الإسلام) لمرجليوث فقال: كتاب وضعه مستر مرجليوث: ظهر هذا الكتاب من نحو سبعة أعوام ونفوس الإنجليز والأمريكيين ترقبه لما لذلك الرجل عندهم من المكانة العلمية الرفيعة ولا سيما وهو مشغوف بدعوى أنه محيط بأكثر لغات العالم، فتراه يدعي العلم بالإسبانية والفرنسية والإيطالية والألمانية والعربية والفارسية والعبرانية، وقد كنت إبان ظهور الكتاب في مدينة أكسفورد حيث المؤلف، لما ذكرت له رغبتي

في شراء كتابه وعد أن يقدم لي منه نسخة ثم جعل يتباطأ تارة ويتناسى أخرى حتى مللت وعوده، وظننت أنه لا بد لهذا الكتاب من سر يريد إخفاءه عني ولا سيما والمؤلف يعلم أنني ضعيف الثقة بكثير من المستشرقين سيئ الظن بهم وقد كنت في الواقع كذلك، ولكن بعد أن خبرتهم وسبرت غور معلوماتهم وتتبعت مبلغ كفاءتهم، ولولا أنني وجدت من بينهم أفذاذًا قليلين جدًّا لما اطمأنت نفسي إلى أحد منهم فلما حصلت على الكتاب وتصفحته ثم درسته بابا بابًا وكلمة كلمة، حتى جئت على آخره فوجدته عند ظني به، وجدته حارب التاريخ كما حارب الإنصاف وحمل على الرسول عليه السلام حملات منكرة، ويظهر أن المؤلف توقع أن لا يقع كتابه إلا في أيدي البله ولا يطلع عليه إلا الأغرار، فلم يبال إن جاء فيه بمحدثات لو أنه تدبر لما اجترأ على الإقدام عليها فمن ذلك أنه يقول: إن المسلم معناه في الأصل (الخائن) وعلل ذلك بأن هذه الكلمة مشتقة من اسم مسلمة، ثم زعم أن المسلمين سموا أنفسهم بذلك من غير تدبر ثم حولوا هذه المادة إلى معنى التسليم المشهور اليوم وادعى المستر مرجليوث أن النبي ﷺ كانت تنتابه النوب العصبية كثيرًا، وفسر بذلك ما كان يصيبه ﷺ من الجهد خلال نزول الوحي مع أنه عليه السلام لم يعرف في تاريخ حياته أنه كان يصاب بأمثال تلك النوبات العصبية قبل زمن البعثة ومقدماتها.

وزعم أن ما كان من بلاغ النبي ورسالاته لم يكن وحيًا يُوحى وإنما آراء وأنباء يجيئه بها جواسيسه وعيونه.

وقال أن محمدًا ﷺ والذين آمنوا به قد كونوا جماعة سرية على نحو ما يفعل الماسون، وأن هذا الجمع السري قد اتخذ له بضع رموز منها قولهم: «السلام عليكم»، وللمستر مرجليوث عدة تأويلات من أعجب ما يرى الراءون فمن ذلك ما قاله في التوحيد الذي هو روح الإسلام فلقد زعم

أن النبي ﷺ نظر في تعاليم النصارى واليهود فأخرج منها ما لا يقبله العقل وكان (اللَّه) أحد أصنام الكعبة قبل الإسلام فوفق بين إله اليهود والنصارى وجعلهما واحدًا، فكيف يكون التوحيد هو عين التثليث إلا في نظر من يغالطون في القضايا الحسابية العقلية. ولو أن الكاتب أراد أن ينصف الحق والتاريخ لقال بما قال به القرآن في أكثر من آية من أن التوحيد هو دين جميع رسل اللَّه وأنبيائه. ومما ورد في الكتاب في تعليل إسلام عمر بن الخطاب بأن سر انقلاب عمر من اضطهاد أخته وضربها إلى مجاراتها والمبادرة باعتناق الإسلام بأنه تأثر من رؤيتها مجروحة بسبب قسوته وتسرعه فأحب أن يكفر عن سيئته هذه فأظهر إعجابه بالقرآن ورضي الإسلام دينًا يتصفح الناقد هذا الكتاب فيتمثل صاحبه إذ أخذ يدافع عن اليهود كأنه يهودي المنبت، وإذا كتب للدفاع عن النصارى فكأنه هو نصراني صميم. وإذا ذكر حوادث الوثنيين من العرب، وما أصاب النبي من أذاهم وكيدهم طرب طربه ممن دبر تلك الحكاية وأمعن في إيصالها إلى الرسول قد اشتهر مستر مرجليوث بقدرته البليغة وعمله الواسع باللغة العربية، وأنا لا أريد أن أذكر هنا رأيي في هذا المستشرق الشهير اكتفاء بحادثة وقعت لنا في جامعة أكسفورد. ذلك أنني كنت مدعوًّا معه في بعض المنازل فلما كنا على المائدة سألني بعض الحاضرين: هل سبق لي أكل لحم الجزور، فأجبته أنني لا أذكر ذلك، وربما اتفق لي هذا وأنا صغير، فلما سمع الأستاذ مرجليوث هذا الكلام قال: كيف ذلك، وعلى كل مسلم فرض أن يأكل لحم الجمال ولو مرة واحدة في حياته؛ لأنه من قواعد الإسلام، عند ذلك أجبته وأنا دهش مما قال: يا سيدي إنني أعرف أن قواعد الإسلام خمس، أما هذا السادس فلا أعرفه، بيد أني أستميح الأستاذ عفوًا أن يذكر لي مأخذ هذا الحكم فقال: أنه ورد في «صحيح البخاري» إنه قد جاء أحد اليهود إلى رسول اللَّه ﷺ وقال له: إني جئت أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه، فأجلسه الرسول ﷺ

وأمر له بلحم جزور، ومن هنا استنبط مستر مرجليوث أنه يجب على كل مسلم أن يأكل لحم الجزور وأن هذا من العوائد الإسلامية التي ينهدم الدين بانهدامها، فلما فرغ قلت له: إن صح وجود هذا الحديث في البخاري فالذي يفهمه المسلم الذي يفقه اللغة العربية منه أحد أمرين: فإما أن يكون الرسول ﷺ أراد يقدم لذلك اليهودي شيئًا من الطعام؛ لأنه ضيفه في بيته، وإما أنه أراد أن يمتحن إيمان اليهودي بإطعامه شيئًا مما حرمه اللَّه على بني إسرائيل في التوارة من أجزاء اللحم، ثم تلوت الأدلة المفيدة لذلك، فبهت الأستاذ، ولكن لم تجسر قوة المكابرة وشدة العناد التي فطر عليها الأوربيون ولا سيما المستشرقون منهم على أن تحوله عن رأيه وبمثل كلام هذا الأستاذ يقتدي واضعو الكتب التاريخية القانونية وعن مثله ينقل أمثال مستر سكوت آداب الإسلام ودقائق أسراره.

* **لورانس الخائن للعرب والمسلمين وكتابه «الأعمدة السبعة»:**

إن الجانب الذي يهمنا من دراسة هذا المغامر البريطاني في هذا المجال هو كتاباته عن العرب في كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» فقد كشف في كتابه عن حقد وكراهية للعرب والمسلمين ولتاريخهم، وحاول التقليل من شأنهم ورميهم بالجهل والتخلف. فضلاً عن مغالطاته المتعددة وأخطائه التاريخية وأبرز ما يؤكد ذلك قوله بالنص: «لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب فإن عهودنا للعرب ستصبح «أوراقًا ميتة» غير أن الاندفاع العربي كان وسيلتنا الرئيسية في كسب الحرب الشرقية، وعلى ذلك فقد أكدت لهم أن بريطانيا سوف تحافظ على عهودها نصًّا روحًا فاطمأنوا إلى هذا القول وقاموا بالكثير من الأعمال المدهشة، ولكني في الواقع بدلاً من أن أشعر بالفخر لهذا الذي فعلته، كنت أشعر دائمًا بنوع من المرارة والخجل، لقد ذهبت إلى الصحراء غريبًا لا أملك أن أفكر على طريقة أهلها ولا أن أشاركهم معتقداتهم، ولكنه

كان علي أن أقود العرب، وأن أستخدم حركتهم إلى أقصى حد لصالح بريطانيا في الحرب، وإذا لم أكن أقدر على التطبع بطباعهم فعلي على الأقل أن أخفي ما عندي وأن أتسلل بنفوذي بينهم، إن الرجل إذا ألقت به الظروف إلى من لا يماثلونه عاش بينهم ولا ضمير له؛ لأنه قد يعمل ضد صالحهم أو يستميلهم إلى غير ما يحبون لأنفسهم، وهو يتحايل بدهائه ليغلب دهاءهم وهكذا كنت مع العرب، كنت أقلد أحوالهم فيقلدونني حكاية واقتداء، وكنت أخرج علي مألوفي وأتظاهر بمألوفهم، لقد كان بعض الإنجليز وعلى رأسهم كتشنر يعتقدون أن ثورة يقوم بها العرب على الأتراك تساعد إنكلترا وهي تحارب ألمانيا على دحر خليفتها تركيا، إنني لم أبلغ درجة من الحمق تجعلني لا أدرك أنه لو قُضي للحلفاء أن ينتصروا وأننا لو كسبنا الحرب فإن هذه الوعود سوف تكون حبرًا على ورق، ولو كنت مناصحًا شريفًا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم وسرحت جيشهم وجنبتهم التضحية بأرواحهم ودعوتهم إلى عدم المخاطرة بحياتهم في مثل هذه الحرب، أما الشرف فقد فقدته يوم أن أكدت للعرب بأن بريطانيا ستحافظ على وعدها لقد كان قواد الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهمًا عشائريًّا بدويًّا، وكانت طبيعة قلبهم وصفاء نيتهم وانعزالهم عن العالم الغربي تخفي عليهم ملتويات السياسة وأخطاءها وتشجع البريطانيين والفرنسيين على القيام بمناورات جريئة يعتمدون في نجاحها على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم.

وكانت لهم بساطة في التفكير وثقة في العدو إنني أكثر ما أكون فخرًا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها؛ لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد، لقد جازفت بخديعة العرب لاعتقادي أن مساعدتهم كانت ضرورية لانتصارنا القليل الثمن في الشرق، ولاعتقادي أن كسبنا للحرب مع الحنث بوعودنا أفضل من عدم الانتصار» اهـ.

وأعتقد أن هذه النصوص كافية لكي تكشف حقيقة لورنس والدور الذي قام به في العالم العربي، وآية خداع لورنس وتآمره على العرب ما سجله (وايزمان) في كتابه «التجربة والخطأ» قوله: وأود أن أعلن في هذا المجال تقديري للخدمات الجليلة التي أسداها لقضيتنا الكولونيل لورنس، لقد اجتمعت به في مصر وفلسطين، وقابلته فيما بعد مقابلات عدة، إن علاقته بالصهيونية علاقة إيجابية على الرغم من تظاهره بالميل للعرب وقد ظل اسم لورنس يدوي مصوراً تلك المغامرة السحرية الجريئة التي قام بها والعمل البطولي الذي وصف من أجله بأنه سلطان الصحراء العربية، وملك العرب غير المتوج حتى توفي في ١٩ مايو ١٩٣٥. ثم ظهرت بعد ذلك كتابات كشفت وجهه الحقيقي، كتبها أمثال ريتشارد الدنجتون في كتابه «لورنس الدجال» وجان بيروفيلار الكاتب الفرنسي، ولويل توماس، وروبرت جرنفر، والكابتن ليدل هارت، فكشفوا عن حقيقته وأظهروا عشرات المغالطات التي ملأ بها كتابه، وعزوا سر اندفاعه ومحبته للظهور إلى سبب باطني، ذلك أنه كان ابنًا غير شرعي لأمه، ووصفوه بأنه كان متحمسًا للقضاء على الإمبراطورية العثمانية لتأكيد سطوة الاستعمار البريطاني وحده.

وإن ما ادعاه من محبته للعرب ومقابلته للملك البريطاني مع فيصل بالعباءة والعقال العربي ورفضه قبول الوسام إنما كان هذا كله تغطية لموقفه، وبلوغًا بالمسرحية إلى غايتها. وقد دحض ريتشارد الدنجتون في كتابه هذه الأسطورة البطولية، ليحل محلها إنسان مليء بالعقد والشذوذ.

وعنده أن لورنس هو الذي عمل على اجتماع فيصل وحاييم وايزمان في باريس ١٩١٩ وهو الذي كتب الاتفاقية التي وقعها كليهما. وكان لورنس يطلق على الثورة العربية «تقطيع أوصال الدولة العثمانية»، وهدفه إيقاع الخلاف وتعميقه بين العرب والترك وقد عرف أنه لم يصل إبان الحرب العالمية مصادفة، ولكن العمل الذي قام به كان بدء ربيع ١٩١٤ عندما وصل إلى

الشرق، متخذًا من (فن البناء العسكري الصليبي) موضوعًا لدراسته، وكان قبل ذلك ملتحقًا ببعثة أوفدت إلى وادي الفرات للبحث عن آثار الحيثيين، وهكذا كانت خطته في دراسة الصحراء تختفي وراء عمل علمي بحت، هو دراسة البادية والمدن العربية والإلمام باللهجات التي يتكلمون بها والوقوف على عاداتهم، ثم استخدمه الإنجليز في ديوان الاستخبارات بعد ذلك حتى وصل جدة ١٩١٦ واتصل بفيصل وعمل معه.

* هنري لامنس الراهب اليسوعي المؤرخ الكذاب:

يعد (هنري لامنس) من أشد المستشرقين تعصبًا على الفكر العربي الإسلامي وقد بالغ في التعصب على الإسلام حتى أعلن المنصفون شكهم في أمانته العلمية، وقالوا: إنه لا ينسى عواطفه فيما يكتب عن النبي والإسلام، وإنه كان داعية ولم يكن عالمًا، وقد عرف بتهكمه على النصوص العربية، كما وصف بإرهاقه للنصوص وتحميلها أكثر مما تحتمل، فإذا وجد في الإسلام موضعًا للفضل ذهب بنسبته إلى مصدر غير إسلامي. ولد عام ١٨٦٢ في بلچيكا واتخذ لبنان موطنًا ودرس في الكلية اليسوعية ببيروت، واشتغل بالتدريس فيها من ١٨٨٦ وتخصص في تاريخ الشرق الأدنى وحضارة أهله، وأتقن اللغة العربية وعين ١٩٠٧ أستاذًا في معهد الدراسات الشرقية في الكلية اليسوعية ببيروت، وتوفي في (مايو ١٩٣٧) ووصف بالراهب المؤرخ وأخذ عن جولد زيهر ونولدكه وكيناني وولهوزن وله كتاب عن حياة محمد لم توافق دوائر الفاتيكان على نشره خشية أن يؤدي ما فيه من طعن وتهجم إلى احتجاج الأمم الإسلامية، وله كتاب «فاطمة وبنات محمد»، وكتابه عن الثلاثة: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة (ومغزى الربط بينهم هو ادعاؤه بأنهم تآمروا على الخلافة بعد وفاة النبي دون علي)، ويقول: فييت: إن كتابه عن فاطمة وبنات محمد يسوده التعصب والاتجاه العدائي.

◻ وقد تحيز لامنس للأمويين ووقف جانبًا كبيرًا من جهوده العلمية لدرس تاريخهم السياسي وخلافهم مع العباسيين، ومصدر إعجابه ببني أمية أن دولتهم كانت في تقديره ـ لا دينية ـ ولأنهم أقاموا ملكهم في الشام وتأثروا بالمدنية القديمة التي أقامت في ربوعه.

◻ يتهم الأب لامنس في جميع مؤلفاته رواة السيرة بأنهم مخترعون ولكنه لا يحجم عن الاعتماد على رواية من رواياتهم إذا استطاع أن يلمح فيها مطعنًا على الإسلام.

◻ وهو إن تكلم عن السيدة عائشة لم يجد من مفردات الفرنسية إلا كلمة (Favorite) ليصف بها زوجة النبي، وأقرب ترجمة لها بالعربية (محظية).

◻ ويذكر هذا المجرم أن رقية ابنة النبي ﵂ كانت جميلة وأن عثمان ابن عفان ﵁ إنما اعتنق الإسلام ليتزوجها.

◻ وقد سجل عليه تعصبه زملاء له من أعلام الاستشراق في مقدمتهم: بيكرودسو، وجور فروا، وبمومبين، وماسيه، وقال (فييت) في نعي لامنس بجلسة ١٠ مايو ١٩٣٧: إنه من الصعب أن نقبل كتاب «فاطمة وبنات محمد» في ثقة ودون تحفظ فإن التعصب والاتجاه العدواني يسودانه إلى حد كبير. وهكذا ترى أن الأب لامنس كان من أشد المتعصبين على الإسلام، وكان المستشرقون يعرفون في لامنس هذا العيب الكبير ويأخذونه به.

◻ وادعى هذا الكاذب أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة ﵃ اجتمعت كلمتهم في أواخر عهد النبي ﷺ أن يحتكروا الحكم بعد وفاته ويتداولوه واحدًا بعد واحد. وأن اثنتين من أزواج النبي ﷺ، هما عائشة وحفصة ﵄ مهدتا لهم السبيل، وأن هذه المؤامرة قد نجحت إلى حد بعيد، وقد ردّ عليه الأستاذ عبدالحميد العبادي فأفحمه، وممن ردّ على لامنس فأجاد الأستاذ

كرد علي.

❑ وقد ذكر أن عالم قريش خالد بن يزيد تلميذ راهب ولم يقل كلمة واحدة في أثر هذا الراهب عليه.

❑ وادعى أن شيخ الإسلام ابن تيمية هو صاحب «المذهب الارتجاعي» وأن عمله مختل، وأنه كان لا يفتر عن مقاتلة البدع، وقضى حياته وهو يسوق أبناء أمته في سبيل التعصب.

❑ وادعى هذا الدجال بأن الفقه الإسلامي قد تأثر بالفقه اليوناني. ووصف صلاح الدين الأيوبي بالطمّاع ووصف وقائع الحروب الصليبية بالبسالة، وصوّر ملوك الصليبيين على الغاية من النجدة والعقل، وقال: إن ترك صلاح الدين للأسرى الصليبيين يوم فتح بيت المقدس أحياء ولم يعمل السيف فيهم مثلما فعلوا هم يوم أخذوا القدس قال: إن هذا العمل كان عن «عجز وخوف». واعتذر عن فعلة الصليبيين في بيت المقدس بأن هذه المدينة عوملت بما تقضي به الأخلاق الحربية في ذلك العهد.

وقال: إن دور الأكراد الأيوبيين كان قليل البهاء.

❑ ولا يعترف لامنس الدجال بأنه قامت للعدل سوق في ديار الشام منذ فتحها العرب.

❑ وقال كرد علي: إن (لامنس) ألف تاريخًا مختصرًا للشام لم يذكر فيه للإسلام ولا للعرب محمدة من ثلاثة عشر قرنًا ونصف قرن، ووصف العربي بأنه ليس شجاعًا وأنه على استعداد للنهب. كما تمدح الصليبيين ـ وهم بشهادة المؤرخين ـ من أهل الخبث والفجور، وادعى أن الصليبيين عاملوا الأهالي في الحروب الصليبية معاملة حسنة. وفي تقدير الباحثين أن لامنس أضعف من شأن أكثر مؤرخي العرب أمثال الطبري والبلاذري وابن سعد والأصفهاني وابن الأثير وابن خلدون وأبي الفداء، ووثق بعض القصاص

الوضاع، وقد ذكر إميل درمنجم وهو من كتاب الغرب الأب لامنس باللوم، وقال: إن كتبه قد شوهت محاسنها بما بدأ في تضاعيفها من كراهية الإسلام ورسوله وأنه استعمل إلى التاريخ طرقًا بالغ فيها بالنقد».

◻وقال كرد علي: إن لامانس نشر أخطاءه وأكاذيبه في دائرة المعارف الإسلامية، ومن عمله تحريف آيات القرآن، وحذف ما لا يروقه من كتب المسلمين وخلط الآيات القرآنية بأبيات من الشعر، وبجعل الأحاديث النبوية من كلام بعضهم، ومن ذلك اقتطاع جملة واحدة من نص طويل وإيراد الخرافات المنقولة من كتب الوضاعين والقصاصين، مدعيًّا أنها منقولة من كتب الثقات الأثبات.

◻وادعى هذا الدجال الراهب أن رسول اللَّه ﷺ كان رجلاً غير أمين!!! قليل الشجاعة أكول ونؤوم قال هذا في كتابه «هل كان محمد صادقًا»، ووصفه بأنه أسلم نفسه للتمتع بلذات العيش، وأنه مصروع، وادعى أن النبي لم يكن له ولد يُسمّى القاسم وأن فاطمة عليها السلام تزوجت في سن متقدمة وأنها لم تكن حسنة الصورة.

◻ولقد أبدى هذا الراهب إعجابًا كبيرًا في مقال له «نظرة في حاضر الإسلام» نشره في المشرق سنة ١٩٣٠ لما بلغ إليه الأمر من أن التعليم القرآني في تأخر مستمر ومطرد في البلاد الإسلامية المستقلة، وأن تطور التعليم الرسمي في المعاهد العالية والثانوية يتحرر شيئًا فشيئًا من تأثير الدين حتى يصبح لا دينيًّا محضًا، وأن دعاة التطور قد مدوا أصابعهم داخل الجامع الأزهر، والزيتونة، وأشار إلى أن ذلك سيؤدي إلى اضطراب الشبيبة الإسلامية في مبادئها وعقائدها وأن ذلك سيؤدي إلى صدمة قوية يعانيها الإسلام.

* القس اليسوعي لويس شيخو الصليبي المتعصب ورسالته «خرافات القرآن»:

يعد لويس شيخو من أقسى المستشرقين على الإسلام والفكر الإسلامي وفي مجلة المشرق التي أصدرها منذ ربع قرن حملات متصلة وإثارة مستمرة للشبهات، وفي مجال دراساته الأدبية لا ينسى خصومته وتعصبه ففي عشرات المجالات والأبحاث يتناول الإسلام والفكر الإسلامي على نحو لا يشرف العالم أو الباحث. ومن أبرز آثاره رسالة أسماها «خرافات القرآن» ترجمها زويمر عام ١٩١٤ وانتفع بها دعاة التبشير في مصر والبلاد العربية في الطعن على الإسلام ونشرها في مجلة العالم الإسلامي.

ولويس شيخو قس يسوعي ولد بماردين وتعلم بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير بلبنان وانتظم في سلك الرهبانية اليسوعية وتنقل في بلاد أوربا والشرق، وقد عهد إليه بتعليم الآداب العربية في جامعة القديس يوسف وأنشأ مجلة المشرق (١٨٩٨) وتوفي في بيروت (١٨٥٩ - ١٩٢٧) وله مؤلفات متعددة أهمها شعراء النصرانية. وقد وجه إليه النقد من زملائه المستشرقين لتعصبه ومما ذكره إميل درمنجم عنه قوله: «وشيخو مثل لامنس، لم يأل جهدًا في إثبات دعواه أن العرب قبل الإسلام وبعده لا شأن لهم في المدنية وإذا كان هناك حضارة، فإن أصحابها هم نصارى العرب، وقد لفق كتابًا ادعى فيه أن معظم شعراء العرب قبل الإسلام كانوا نصارى وبراهينه على دعواه واهية.

وقال كرد علي: إن لويس شيخو كتب معظم مقالات مجلته مدة خمس وعشرين سنة ونشر فيها أولاً أمهات تآليفه وراعى في كتبه نظام رهبانيته فجاءت كتاباته إلا قليلاً أشبه بكتب الدعايات المذهبية، منها بكتب علمية مشتركة، وما خالف قط طريقته الدينية إلى ما يسمونه الطريقة العلمانية، ولو

خلت من هذه النزعة لكانت في الغاية من جودة التأليف. ولم يرزق ذوقًا عاليًا في الأدب العربي، وظلت كتاباته إلى آخر أيامه كما كانت في أول عهده نمطًا واحدًا لا تتناسب مع مقدرته على التأليف ووقوفه على أدب العرب والإفرنج وعلوم العصر، وهكذا يقال في ذوقه في الشعر، وقضت عليه الصنعة أو البيئة على ما يظهر أن يغمط حق العرب في مدنيتهم، وكان في الأغلب ينظر إليها من الوجه الذي لا يستحسن، لذا يعد شعوبيًا وشديد الشعوبية بأفكاره وتصريحاته لا صلة بينه وبين العرب إلا بما نشره من آثار علمهم وآخر أثر له من هذا القبيل أنه ذكر جملة من آباء المسلمين - وهو مولع في التفريق بين المسلمين والمسيحيين - في الربع الأول من القرن العشرين لم يتجاوز في عدهم العشرات في الأمة العربية، مع أن من وضعوا المصنفات والتآليف ولهم مكانة في الشعر والأدب لعهدنا لا يقلون عن ثلاثمائة رجل، اعتذر بجهله أسماءهم مع أن من اشتهرت بين قراء العرب مصنفاتهم وفيها الممتع لا يصعب السؤال عنهم ويستغرب أن لا يطلع مثله على أعمالهم.

* **لويس برتران الصليبي المتعصب وكتابه «إمام الإسلام»:**

أصدر الكاتب الفرنسي لويس برتران عضو الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٢٦ كتابًا بعنوان «إمام الإسلام» تناول فيه المصريين والشرقيين والمسلمين واتهمهم بالتأخر والتعصب، وقال: إنه لا قابلية لهم للتمدن، وردد العبارات المعروفة التي تدعي أن للغرب حق تمدين العالم.

وقد واجه الدكتور هيكل هذا الكتاب وما تضمنه من آراء فقال: «إنه أشد ما ظهر في السنين الأخيرة صراحة في عدوانه على المسلمين والمصريين وأشدها إمعانًا في الطعن عليهم والنيل منهم، وهو فوق ذلك صيحة لإعلان الحرب بين الشرق والغرب والنصرانية والإسلامية والكتاب لا يشتمل على شيء جديد غير هذه النزعة الرجعية التي أدت إلى الحروب الصليبية في

القرون الوسطى.

وقال: إن واحدًا من أربعين بيدهم قيادة الرأي والفكر في فرنسا، وقد حمل على أهل الإسكندرية؛ لأنه رآهم يبدو عليهم الاعتداد بالنفس والاعتقاد بأنهم مسايرون للأوربي، وقال: هذه هي الجريمة في نظر برتران. وكتابه هو عصارة روح الكراهية والحنق، ثم قال: إذا كان مسيوا برتران يريد أن يعتقد أن قومه أكرم عنصرًا وأشرف مقامًا في الإنسانية من الشرقيين ومن المسلمين، فليعلم أن الزمن الذي أتاح لأوربا أن تحكم العالم من الزمن، قد أتاح من قبل لأمم آسيا ولأمم أفريقيا ومصر التي نالها المؤلف بحقده وكراهية قد حكمت العالم عصورًا عديدة، وقد صبغت العالم بمدنيتها، ولعل أهلها يومئذ كانوا يعتقدون أن الأجناس التي تقطن أوربا كلها همج وبرابرة متوحشون وأن أمم الإسلام قد نظرت لأمم أوربا ردحًا من الزمن على أنها أمم الموت والتقهقر.

* وليم ويلكوكس والدعوة إلى العامية:

في يناير ١٨٩٣ ألقى المهندس الإنجليزي وليم ويلكوكس محاضرة في نادي الأزبكية (انجلوا اجيبشيان كلوب) موضوعها: لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟ زعم فيها أن قوة الاختراع تأتي من القوة المفكرة ويرثها الإنسان من آبائه والقوة الخيالية ويرثها الإنسان من الأمهات. وقال: إن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى، ولو ألفوا وكتبوا باللغة العامية لصاروا مخترعين، واستدل على ذلك بأن الإنجليز كانوا يؤلفون باللاتينية فلم يكونوا مخترعين، فلما اختاروا لغة الفلاحين الإنجليز، وكتبوا بها صاروا مخترعين، ويرجع ذلك إلى الزمن الذي نبغ فيه شكسبير وبيكون..». ولم يتوقف وليكوكس عن هذا الحد، بل اشترى ترخيص مجلة اسمها الأزهر من منشئيها إبراهيم مصطفى وحسين

رفقي، وأصدرها بالاستعانة بالشيخ أحمد الأزهري وراح يردد فيها هذه الدعوة. ومضى فاتجه إلى الإنجيل فترجمه إلى اللغة العامية، ثم ما كاد يحال إلى المعاش وكان من أكبر مهندسي الري والخزانات حتى عمل مبشرًا، يجادل الناس في عقائدهم ويحمل إلى القرى النائية الأدوية والتبشير، وظل يعمل في مستشفى مصر العتيقة (هرمل) المعروف إبان حملات التبشير التي أثارت الرأي العام وقد كتبت مجلة اللطائف عنه أنه اعتكف سنة ١٩٢٦ في داره بحلوان وخرج منه أخيرًا مبشرًا يجيد اللغة العربية وبدأ حركة التبشير في مسكنه الحالي الصغير في جهة الزمالك حيث وضع كتابين أو ثلاثة كتبها باللغة العامية وأطلق على آخرها اسم «الأكل والإيمان» ووزع كتابه بنفسه مجانًا على العامة في المدن وسكان القرى وكان ينتقل بينها ويجالس أهلها. وقد ردد سلامة موسى في مجلة الهلال دعوة ويلكوكس إلى العامية وتحدث معه، وقال: إن الهم الذي يقلق ويلكوكس هو اللغة التي نكتبها فهو يرغب في أن نهجرها ونعود إلى لغتنا العامية فنؤلف بها وندون بها آدابنا وعلومنا وأن ويلكوكس يرفض التسوية أي قيام لغة مشتركة من العامية والفصحى - ويدعونا إلى هجرة اللغة الفصحى هجرة تامة واصطناع العامية. وقد نشر موسى ذلك عام ١٩٢٦ أي أن ويلكوكس ظل مقيمًا على دعوته أكثر من ثلاثين عامًا. ولما توفي في يوليو ١٩٣٣ أشارت جريدة الأهرام إلى دوره هذا فقالت: كان يقوم باستخدام اللغة العامية لأنها أقرب إلى الأفهام وأنه أنشأ لإذاعة هذه الفكرة بمعاونة سكرتيره أحمد بك الأزهري مجلة باسمه هي مجلة الأزهرولكن الرأي العام قاوم فكرته فأبطل تلك المجلة ولكنه ظل هو ذاته يؤلف باللغة العامية المصرية فكتب في ذلك حياة المسيح وأعمال الرسل وترجم كتب العهد الجديد إلى اللغة العامية المصرية.

* * *

* فنسنك المرتد عن الإسلام و«دائرة المعارف الإسلامية»:

يعد فنسنك من أبرز المستشرقين، وقد ولي تحرير القسم الأكبر من دائرة المعارف الإسلامية وهو تلميذ (سنوك هيجرونيه) سافر قبل الحرب الأولى إلى جاوه، واعتنق الإسلام، وما كاد يعود إلى بلاده بعد الحرب الأولى حتى ارتد عن الإسلام ومضى يهاجمه في عنف وأخذ طريق مرجليوث ونيكلسون والأب لامنس ودي كاستري وكازنوفا. وقد رشح عام ١٩٣٣ عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة غير أن الدكتور حسين الهراوي تصدى لكشف مواقفه من الإسلام مما عمل على شطب اسمه وإقصائه وقد أشار الدكتور الهراوي إلى أن فنسنك إذا أراد أن ينال من الإسلام، فإنه يفرض فرضًا، ثم يبحث عن الآيات التي قد تتناسب مع هذا الرأي الذي فرضه، فإذا وجد آية تدحض رأيه حذفها، وأنكرها إنكارًا حتى يخرج بالنتيجة التي تؤدي إلى نزوع الشك في فؤاد من يطلع على أقواله من غير تمحيص، وقال: إن هذه هي طريقة المستشرقين الذين يتبعونها في مباحثهم عن الإسلام أو حياة محمد ﷺ أو عندما يريدون أن يستقصوا مسألة في القرآن، وهذه الطريقة لم يبتدعها فنسنك بل هي طريقة قديمة من أقدم ما ورد في كتب المستشرقين، والغرض منها ظاهر جلي، وهو تزويد جماعة المبشرين والمستعمرين بحجج شبه منطقية يزعزعون بها عقائد المسلمين ويقللون من تمسكهم بدينهم، وهي إحدى الطرق التي وضعها رواد الاستعمار من زمن قديم، وكانت إحدى وسائلهم مع تقوية اللغات العامية حتى لا يتفاهم المسلمون ولا يفهمون لغة قرآنهم، وقديمًا اطلعنا على تقرير لجنة العمل المغربي، وفيه يقول المستشرق سيكاردا: «إن الإسلام في روحه الخاص قوة مخالفة لاحتياجاتنا ورغباتنا ونزعاتنا» إلى أن قال: «فمن مصلحتنا التقليل منه بين الشعوب الخاضعة لسلطتنا».

وفي تقرير بورينو الذي يدرس اللغة العربية لفريق من طلبة أوربا: إنني سأعلمك لغة القرآن، فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد فهي (لاتينية) العربي، وهذه اللغة المستعملة في جنة محمد وسأحبب إليك دراستها في المستقبل إذا أردت أن تتذوق حلاوة الاجتماع بالحور العين» فأمثال هذه المبادئ هي التي رسمها المستشرقون لدراسة اللغة العربية، وأكثر من ذلك أن بعضهم مثل مرجليوث يغالي في الطعن في نسب (محمد) فيقول: إن اسم أبيه (عبداللَّه) معناه أنه (مجهول الأب) وتتمثل لك نتيجة عمل المستشرقين جليًا في كل كتاب علمي أو عمراني أو اجتماعي، يكتب شيئًا عن الشرق وعن الإسلام، فإنك لا تكاد تقرأ أي هذه الكتب حتى ترى إجماعًا على الجهل بالإسلام، وإجماعًا على الطعن في النبي الكريم، وقد أنتج ذلك أن بعض المسلمين الذين لم يلموا إلمامًا كافيًا بدينهم أخذوا يتبعون خطا المستشرقين ويقتفون أثرهم وقد اخترعوا لنا اسمًا غريبًا لهذه الجهالة هو (حرية الفكر). بمثل تلك النواحي أصبحنا لا نقرأ للمستشرقين شيئًا إلا ونحن نحرص على تفكيرنا وأن نعنى بتعرف الغرض الذي يرمي إليه قبل أن نثق بما يكتب وأن نقتفي أثره فيما يبحث وفي مستنداته».

□ وقال الدكتور الهراوي: إن من أخطر آراء فنسنك رأيه في كلمة إبراهيم، ورأيه في كلمة كعبة (في دائرة المعارف الإسلامية). فقد أشار تحت لفظ إبراهيم: إن الآيات المكية ليس فيها ذكر لنسب إسماعيل لإبراهيم، ويقول: إنه لا يعرف شيئًا عن شعور محمد نحو الكعبة في شبابه وبعد الرسالة إلا بعد أن هاجر بعام ونصف، وأن ما لديه من تاريخ حياته لا يصح أن يؤخذ أساسًا تاريخيًا . ونسب (فنسنك) إلى النبي محمد ﷺ أنه لم يشذ عن الجماعة في العبادة المكية، أي بعبارة أصرح: أنه كان وثنيًا قبل البعثة وأن فنسنك لا يعرف شعور محمد نحو الكعبة.

ويرد الدكتور الهراوي على هذه الشبهة فيقول: إن عبادة محمد كما وردت في كتب السيرة معروفة تمامًا فقد كان في الغار شهرًا، ثم يطوف بالكعبة ويوزع الصدقات.

وكان يحترم الكعبة ويتجنب الأصنام، وكانت عبادته بالغريزة والوراثة تتصل بعبادة جده الأعلى إبراهيم.

ومما أورده الدكتور الهراوي ردًا على فنسنك القائل: بأن الآيات المكية ليس فيها إشارة إلى علاقة محمد بالكعبة، قال: إننا نذكره بالآية ﴿**إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا**﴾ إلى قوله: ﴿**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم**﴾. وقال: هلا يفهم فنسنك أن الحج هو استجابة لهذا الدعاء إن لم يكن بناء البيت في هذا المكان لغرض الحج. وفنسنك يعرض بالاختراع في الدين ويصرح بأن ملة إبراهيم اخترعت اختراعًا، ويزعم أن محمدًا أراد بهذا الاختراع أن يتصل بيهودية إبراهيم والواقع أنه: ﴿**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما**﴾، وأشار الدكتور الهراوي إلى أن لفنسنك زميل هو إميل درمنجم يزعم أن محمدًا كان يتعبد على طريقة اليهودية والمسيحية تمهيدًا لدين هو الإسلام، ومثله مرجليوث، ويقول الهراوي: فأنت ترى أنهم اختلفوا في أسانيدهم التاريخية واتفقوا على أن محمدًا كان يخدع ويدس ويطلب علاقات اليهود.

*** دائرة المعارف الإسلامية:**

وقد واجهت دائرة المعارف منذ بدأت ترجمتها عام ١٩٣٢ كثيرًا من النقد، لما تضمنته من شبهات واتهامات، تناولتها أقلام (رشيد رضا) صاحب المنار. و(كرد علي) رئيس المجمع العلمي العربي وأحد أقطاب دراسات دوائر الاستشراق، و(فريد وجدي)، كما تناولها الدكتور (تقي الدين الهلالي) الباحث المغربي المسلم الذي قال: إن في دائرة المعارف الإسلامية أخطاء

ودسائس ناشئة عن التعصب الأوربي، وقال: إن كتابات بروكلمات مثل ذلك وأقبح.

وقد أشار كثير من الباحثين أن أغلب كتاب دائرة المعارف قسس مبشرون يهمهم أن يخنقوا الإسلام لا ينصفوه، وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب وضيق الأفق، وليس كتاب الدائرة وحدهم على هذا النمط، بل جل المشتغلين بالدراسات الإسلامية وهم لا يتجاوزون صناعة التبشير، تعرفهم من لحن القول.

ومن هؤلاء توماس باترك هيور صاحب قاموس الإسلام، وهو مرجع متداول لا تكاد تخلو منه مكتبة أوربية، وقد قضى القس المؤلف في وظيفته التبشيرية في بلاد الهند بين المسلمين والبوذيين والبرهميين أكثر من عشرين سنة، ونشر معجمه هداية للموظفين الإنجليز ممن كانوا يتولون الحكم ببلاد الإنجليز في أواخر القرن الماضي ومساعدة للمبشرين بالمسيحية ممن يجادلون علماء الإسلام.

وأشار الباحثون إلى أن أهم نواحي الخطر في هذه الدائرة أن ما يترجم منها لا يتعرض بالتحليل والإيضاح لما فيها من أخطاء وشبهات، وأنها تسطر البدع الدخيلة على الإسلام باستفاضة مثيرة. وقد أمعن مؤلفو الدائرة في تسجيلها وشرحها وكأنها أصول مقررة لا بدع دخيلة.

١ ـ أخطاء دائرة المعارف الإسلامية: قال رشيد رضا: إنه معجم لفقه طائفة من علماء الإفرنج المستشرقين لخدمة ملتهم ودولتهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معاقل الإسلام وحصونه بعد أن عجز عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الصريح على كتاب اللّه ورسوله وبعد أن عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن بترجماتهم الباطلة، والذين شوهوا التاريخ الإسلامي بمفترياتهم، ذلك أن هؤلاء الملفقين لهذا المعجم الذي سموه دائرة المعارف لم يتركوا شيئًا من

عقائد الإسلام ولا من فضائله، ولا من الشريعة ولا من مناقب رجاله إلا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف الصورة الصحيحة من بعض الوجوه، إما بصورة مشوهة أو بصورة عادية لا مزية لها.

وفي هذه الدائرة عيوب علمية وتاريخية أخرى أهمها أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لأجل بيان آرائهم وأهوائهم والإعلام بما سبق لهم ولعلمائهم فيها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتفرقة. وكان على الذين شرعوا في ترجمة هذا المعجم وضع حواشي لتصحيح ما فيها من الأغلاط التاريخية والعلمية والدينية وبيان الحق فيما دسوه فيه من عقائدهم وآرائهم الباطلة، وقد نيط هذا وذاك بالعلماء الإحصائيين، وقد ذيل الجزءان الأول والثاني ببعض الحواشي من هذه التصحيحات والانتقادات إلا أنها غير كافية في موضوعها ثم أعرض المترجمون عن ذلك فيما بعد، وطفقوا ينشرون الأجزاء غفلاً من التعليق على مواردها المشوهة للإسلام وتاريخه بعد أن ظننا أنهم سيزيدونه استقصاء وتحقيقًا، أقول ولا أخشى لا آثمًا ولا مخالفًا أن نشر هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الأغلاط والمطاعن ومخالفة الحقائق هو أضر من شر كتب دعاة المبشرين وصحفهم؛ لأن هذه كلها لا تخدع أحدًا من أعلام المسلمين بما فيها من الباطل، أما هذا المعجم المسمى بدائرة المعارف الإسلامية المعزو أكثر ما نقل فيه إلى كتب المسلمين فإنه يخدع أكثر القارئين له ممن يعدون من خواص المتعلمين؛ لأنه يقل فيهم من يفرق بين الحق والباطل مما فيه ويقل فيهم من يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة من خصوم العرب والإسلام واللغة العربية.

٢ ـ رأي فريد وجدي في دائرة المعارف الإسلامية: أن هذه الدائرة تشمل على السيِّئ الكثير من التهم الباطلة على الإسلام ورسوله ورجالاته الصالحين ولا يدفع ببعض هؤلاء المستشرقين إلى التورط مع هذه الخطة الحربية

إلا ما يحملونه في صدورهم من البغضاء لهذا الدين فلا يصح والحالة هذه أن يحمل المترجمون أنفسهم إثم نقل هذه السفاسف إلى لغتهم وبأقلامهم ليقرأها الناس في جميع بلاد المسلمين فالذي أراه أن يمتنعوا عن ترجمة ما يصادفونه من هذه الأباطيل وأن يكتفوا بالإشارة إليه مشفوعة بما يدحضها ويبين فسادها بكل دليل. أليس من البلاء أن يضطر أحدنا أن يصف أطهر نساء العالم وهي في الوقت نفسه أمة في الدين بالطيش والفجور، أي فائدة أدبية ترجى من إذاعة هذه الفرية بين المسلمين في عبارات وقحة يسمح بها لنفسه رجل أجنبي عن الدين، لذلك أرى الامتناع عن ترجمتها والإشارة إليها بدلاً من ترجمتها على غير وجهها وتلطيفها بما يخرجها عن صيغتها التي أراد لها كاتبها. والملاحظ أن مترجمي الدائرة لم يعقبوا على التهم التي وجهها الكاتب إلى خاتم النبيين.

*** جلوب قائد القوات العربية في حرب ١٩٤٨م وكتابه «الفتوحات العربية الكبرى»:**

عاش (جون جلبرت جلوب) ثلاثين عامًا يجوب الصحاري العربية مختلطًا بأهلها، وتعلم اللغة العربية ولا سيما لهجات البدو فأجادها وعاش مع العرب في خيامهم ثم، عاد إلى بلاده عام ١٩٥٦ وكان قائدًا للفيلق العربي في الأردن وله تاريخ لا يشرف في مقاومة الوحدة العربية ومهاجمة الإسلام والعروبة، وقد كتب بحثًا في تاريخ العرب من الزاوية العسكرية. أطلق عليه اسم «الفتوحات العربية الكبرى» وقد استمد الكتاب من سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري والبلاذري. وقد كتب (خيري حماد) مترجم الكتاب إلى اللغة العربية تعليقات إضافية على الأخطاء والانحرافات ورد على الشبهات التي وردت فيه فقال: «إن أهم ما في الكتاب هي المحاولة البارزة في كل ناحية من نواحيه للتشويه والتضليل ورسم الصور الزائفة التي تشكك القارئ في

الشخصيات العربية العظيمة ابتداء من النبي ﷺ وانتهاء بصغار القادة، عبوراً بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وخالد وأبي عبيدة وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص ﷺ. وقال: إن المؤلف قد استند في عملية التشويه على ذكاء نادر، وعلى روايات ابتكرها من خياله أو وجد أثراً منها في بعض الكتب الصفراء التي وضعها الشعوبيون في مختلف العصور.

وقال: إنه اتضح لنا من قراءة الكتاب، تشيعه لليهود والصهيونية تشيعاً كاملاً لا شك فيه. وكانت هذه الناحية خفية على الجميع ذلك أن جلوب كان يتظاهر بحب العرب حبًّا شخصيًّا قويًّا جعل الكثيرين ينخدعون به. فهو يظهر في كتابه مؤيداً لليهود كل التأييد وإن لم يعلن تأييده هذا صراحة، فهو يروي قصص إجلاء النبي لليهود من يثرب ومن خيبر كبني النضير وبني قريظة وبني قنيقاع، دون أن يذكر الأسباب التي دفعت النبي إلى اتخاذ هذه الخطوات، ومنها: نقضهم لعهودهم معه وخياناتهم لاتفاقاتهم ومحاولتهم طعن المسلمين في ظهورهم إبان غزوة الأحزاب وحصار المدينة أو أثناء معركة أحد على الرغم من وجود اتفاقات معقودة بينهم وبين النبي أو سعيهم إلى اغتيال الرسول ﷺ.

٢ ـ تصوير النزاع في فلسطين على أنه نزاع بين العرب واليهود، وهي الصورة التي ضللت العرب مدة طويلة وخدمت مصالح الاستعمار ومكنته من أن يقيم قاعدته إسرائيل في قلب الوطن العربي مع أن مشكلة فلسطين مشكلة استعمارية لا طائفية[1].

٣ ـ تعبير «الشعوب الناطقة بالعربية» تعبير استعماري ماكر يقصد منه تجزئة الأمة العربية الواحدة إلى مجموعة من الشعوب تشترك في لغة واحدة.

---

(١) هذا خطأ من المترجم، بل مشكلة فلسطين مشكلة دينية بحتة بين المسلمين واليهود.

٤ ـ ما يقوم من الجزيرة العربية والشمال الإفريقي من فروق أو تباينات فهو يصفها بأنها كبيرة للغاية، ولكننا لا نرى أنها تزيد بأية حال على الفروق التي تقوم بين أهل اسكوتلندة مثلاً وأهل ويلز، فاللغة واحدة تقريبًا. والتاريخ واحد إلى حد كبير.

٥ ـ أراد أن يظهر أن كل من اعتنق الإسلام إنما كان بدافع الانتهاز والتقرب من الحاكمين والتساوي بهم وهو قول خطأ كل الخطأ إذ لو صح دافع الانتهاز لانقلب المسلمون على دينهم في البلاد التي خضعت لهذا الإسلام.

٦ ـ محاولة التفرقة بين العرب والبربر في المغرب العربي، وهي تفرقة غذاها الاستعمار الفرنسي طيلة وجوده في المغرب، إذ حاول أن يجعل من البربر أقلية مميزة.

٧ ـ يصر جلوب على إخفاء الدور الذي لعبه الشعوبيون وفي مقدمتهم اليهودي عبداللَّه بن سبأ وأتباعه في المؤامرة ضد الإسلام.

وقد علق الباحث العربي: محمد عبدالغني حسن على هذه الدراسة فقال: إن جلوب قد حمل على المؤرخين العرب في تواريخهم واتهمهم بسوء التقدير، ونسي أن تواريخ اليونان والرومان القديمة فيها كثير من هذا الذي عابه على العرب وقال: إن جلوب قصد إلى رسم صورة فيها تشكيك وتضليل ورسم الصورة الزائفة التي تشكك في النبي وقادة الإسلام[1] .

*** اليهودي جولد تسيهر ودجله الواضح في كتابه «العقيدة والشريعة»:**

أثار جولد تسيهر عدة شبهات وشكوك حول السنة والفقه والتشريع

(١) ومن العجيب أن توكل قيادة الجيوش العربية إلى الملك عبداللَّه بن حسين الذي عين عليها هذا الخائن الصليبي لتحرير فلسطين.. واسلمي أيتها الأمة البلهاء الغافلة.

الإسلامي فقد حاول التشكيك في قيمة الأحاديث النبوية وذلك بالقول بأن السنة بدأ تدوينها بعد وفاة النبي بتسعين عامًا، وقوله في كتاب «العقيدة والشريعة» أن التوحيد الإسلامي ينطوي على غموض في حين أن التثليث واضح في فهم الألوهية ومن ذلك قوله: إن الشريعة الإسلامية تأثرت بالقانون الروماني في بداية عهد تكوينها.

وجولد تسيهر مستشرق يهودي ولد ١٨٥٠ وتوفي ١٩٢١، ودرس في مدارس اللغات الشرقية ببرلين وليبزج وفيينا ورحل إلى سوريا ١٨٧٣ وتتلمذ على الشيخ طاهر الجزائري، ونزح إلى مصر وتضلع في الدين على شيخ الأزهر، وبدأ حياته بالتأليف عن الظاهرية ومذهبهم وتاريخهم وله في ذلك دراسات إسلامية ومحاضرات، وقد اشتهر بكتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام» الذي ترجمته له دار الكاتب المصري التي أشرف عليها الدكتور طه حسين، ولم يعن مترجمو هذا الكتاب بالرد على الشبهات التي أثارها المستشرق على نحو يعصم قارئها من الخطأ، وله كتاب «مذهب المسلمين في تفسير القرآن». وقد واجهت كتاباته المتعصبة كثيرًا من المجاراة من كتاب وأساتذة الجامعات المدنية والأزهرية، كما وجدت تفنيدًا من كثير من الكتاب اليقظين في مقدمتهم: مصطفى السباعي، ومحمد الغزالي، وسليمان الندوي. وقد تابع جولد تسيهر كثير من المستشرقين في آرائه المتعصبة في مقدمتهم المستشرق اليهودي شاخت (جامعة ليدن) بهولندا وقد التقى به الدكتور مصطفى السباعي وباحثه طويلاً في تعمده تحريف النصوص التي ينقلها من كتب المسلمين وقد حاول شاخت أن ينكر ذلك فكشف له الدكتور السباعي عن بعض الأمثلة في هذا التحريف الذي تورط فيه.

وجولد تسيهر يحاول في مجمل رأيه أن يصور الفقه الإسلامي بأنه من صنع الصحابة والتابعين، ولا شك أنه رأي مصدره الخطأ الناتج عن قصور

الاستقصاء، أو العجز عن فهم أصول الإسلام وأمرها يسير، ويمكن المراجعة فيه والنظر، إذا كان صاحبه حريصًا على بلوغ الحق، أما حين يكون الاتهام صادرًا عن التعصب أو الخصومة المغرقة، فإن المراجعة لا قيمة لها.

وإذا كانت عبارات جولد تسيهر في مجموعها ترفض صلاحية الإسلام الفقهية لكي يشرع للأمم والأجناس، فليس معنى هذا هو عجز الرجل عن الفهم، وإلا فإن أمامه ذلك الفيض الضخم من ثقافة الإسلام وهو قادر على أن يرده عن هذا الرأي، لو كان منصفًا ولكنه هو أساسًا ليس قابلاً للوصول عن طريق البحث العلمي إلى الحقيقة؛ لأنه يفترض أساسًا أن القرآن من وضع محمد نقلاً عن غيره، وأن السنة من وضع الصحابة والتابعين نقلاً عن الشريعة الرومانية. ومن هنا فهو يسد الطريق على كل سلامة في تقدير، أو بلوغ وجه الصدق أو تقبله. ولقد واجه أخطاء جولدتسيهر عالم غربي منصف هو العلامة (فتز جيرالد) في كتاب عنوانه «الدين المزعوم للقانون الروماني على القانون الإسلامي» فعرض آراء جولد تسيهر ومن جرى مجراه، فقال: إنه كان مدفوعًا في كتاباته بغرض سياسي خاص هو إظهار أن التشريع الإسلامي كان قابلاً للمؤثرات الغربية، وقال: أنه إذا أخذت فكرة عند شعب إلى شعب آخر، ظهر في لغة وكتابات الشعب الآخر أثر لهذه الفكرة. وهذا واضح مثلاً فيما أخذ عن اليونان في القانون الروماني، كما هو واضح كذلك في شريعة «التلمود» اليهودية المملوءة بالكلمات والمصطلحات اليونانية واللاتينية. أما في الإسلام فإنه لا يوجد لفظ واحد مستعار من اللغة اللاتينية أو اليونانية في القاموس الضخم للفقه الإسلامي وتشريعه، كما لا يوجد في جميع المؤلفات الفقهية الإسلامية أدنى ذكر لمصدر روماني علمي، وهذا أيضًا وحده مما ينفي فكرة كل استعارة من القانون الروماني، لذلك كله ترى أنه لا داعي مطلقًا الافتراض أن مصادر هذا التشريع كانت شيئًا آخر غير ما قاله

الكتاب المسلمون أنفسهم، والقول بغير هذا يعد افتراضًا لا حقيقة له، وقولاً بغير علم ولا دليل، ومن ثم يجب رفضه وعدم الاعتداد به.

▢ والتشريع الإسلامي يختلف أساسًا في طابعه ومقصده عن القانون الروماني، وهذا القانون الذي هو من وضع رجال حذقوا لغة القانون ومصطلحاته أما الشريعة الإسلامية فهي نظام من المسائل الفقهية الدقيقة، وقد نظر إليها من حيث علاقة الإنسان بالله أولاً، ولهذا تشمل ما يُسمى بـ (العبادات) من صلاة وصوم وزكاة وحج، وغير ذلك، وحتى عندما تعالج المسائل المدنية، كالبيع والرهن مثلاً، نجد فيها أثر الدين واضحًا» اهـ.

✍ هذا غيض من فيض مما طفحت به كتابات كبار رواد الصليبيين وعتاة مخططيهم ويكفيهم هذا البيت من الشعر:

يا ناطح الجبل العالي لتُكلمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

※ محاولات التشكيك وإثارة الشبهات من قبل المستشرقين الصليبيين:

▢ جرت محاولات التشكيك والإثارة في خمسة مجالات كبرى:

١ ـ رسول الإسلام.

٢ ـ الإسلام.

٣ ـ الفكر الإسلامي العربي.

٤ ـ القرآن واللغة العربية.

٥ ـ التاريخ العربي الإسلامي.

▢ وقد ترددت هذه الشبهات في محاولة لتمييع القيم الأساسية للفكر العربي الإسلامي واتهامها:

١ ـ بأنها قيم دينية صرفة قاصرة في مجال العقيدة.

٢ ـ قيم تاريخية قاصرة في مجال الزمن.

٣ ـ اتهام الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة غير أصيلة وذلك في محاولة لإسقاطها من مجال تطور الحضارة الإنسانية وتجاهل فترة الألف عام الإسلامية بين الحضارتين الرومانية والحديثة.

٤ ـ ترديد الاتهامات التي تنقض أصالة الفلسفة الإسلامية على أنها يونانية مكتوبة باللغة العربية.

٥ ـ اتهام مفهوم الإسلام بأنه لم يعد قوة محركة تهدي الناس إلى الوجهة الصحيحة.

٦ ـ جحود التراث.

٧ ـ إثارة الشبهات حول الغيبيات.

٨ ـ اتهام الفكر العربي الإسلامي بأنه فكر تجريدي.

٩ ـ الزعم بأن العقلية العربية عقلية سامية قاصرة عن الخلق عاجزة عن استنتاج المعاني المجردة.

١٠ ـ القول بأن الفكر العربي الإسلامي يحمل دعوة التزهيد في العالم الأرضي ويجعل مسألة الموت والتطلع إلى الآخرة مسألة رئيسية.

١١ ـ محاولة خلق الفوارق بين العرب والبربر كوسيلة لخلق خلاف جذري في العالم الإسلامي والأمة العربية.

١٢ ـ اتهام القرآن بأنه موضوع، وليس وحيًا من اللَّه وأن القرآن مرآة لأفق خاص من الحياة: أفق عقيدة صحراوية في الجزيرة العربية.

١٣ ـ القول بأن شرائع الإسلام اقتبست من الأديان السابقة له.

١٤ ـ القول باختلاف الشعوب.

١٥ ـ اتهام اللغة العربية بأنها لغة ميتة، عاجزة عن التعبير غير قادرة

على الاستجابة للحضارة.

١٦ ـ الدعوة إلى اتخاذ اللهجات العامة لغات محلية إقليمية.

١٧ ـ تزييف التاريخ العربي الإسلامي وإثارة الشبهات حوله، واتهامه بأنه مليء بالثغرات.

١٨ ـ الفصل بين العروبة والإسلام.

١٩ ـ اتهام العرب والمسلمين بأنهم لم يستيقظوا حتى أيقظهم الغرب.

٢٠ ـ القول بأن الإسلام عائق عن التقدم والحضارة.

٢١ ـ إبراز جوانب الانحراف والتأكيد عليها كقضايا الباطنية والشعوبية والاهتمام في دراسات التصوف بدعاة الحلول ووحدة الوجود. هذا مجمل سريع للشبهات التي أثارها التغريب وأثارتها الشعوبية في الفكر العربي المعاصر.

*** رينولد نيكلسون وهنري جونستون وجب وكرومر وطعنهم في القرآن:**

واجه «القرآن الكريم» حملة من أعنف الحملات وأثيرت حوله شبهات متعددة. كانت تهدف في مجموعها إلى القول بأن:

١ ـ القرآن من نظم النبي محمد، وأنه موضوع وليس منزلاً من عند اللَّه.

٢ ـ أنه كتاب مضطرب وغير متماسك وفيه تعارض.

٣ ـ أنه صعب الفهم وركيك.

٤ ـ أنه غير منظم أو مبوب.

٥ ـ أنه العقبة الكئود في سبيل ارتقاء الأمم الإسلامية والمسئول عن تقهقرها.

٦ ـ أن القرآن مقتبس من التورة والإنجيل.

٧ ـ القرآن مرآة لافق خاص من الحياة.

٨ ـ كتاب مواعظ وحكم وإنذارات. فهذا (رينولد نيكلسون) يقرر أن مؤلف القرآن مضطرب غير متماسك في معالجة كبار المعضلات وأنه نفسه لم يكن عالمًا بوجود هذا الاضطراب والتعارض، وأن بيان صحابة الرسول الساذج قد دفعهم إلى الإيمان بأن القرآن كلام اللَّه. وأن الفرق الإسلامية قامت بسبب التعارض الذي يحتويه القرآن.

◻ ويقول (هنري جونستون): القرآن ليس سوى مجموعة أقوال مقتبسة من التوراة والإنجيل وبعض تعاليم المجوس، وأنه يحتقر المرأة، وقد اشتهر الإسلام بكونه غير قابل للتكيف لما يطابق أحوال الزمان والمكان.

وقد أشار مستر جب كبير المستشرقين الإنجليز في كتاب «الأدب العربي» الذي أصدره عام ١٩٦٣ إلى أن القرآن من صياغة محمد. وقد ردد هذه الشبهات كثير من كتاب التغريب والشعوبية، ونشرها بيننا عدد ممن يكتبون باللغة العربية في صحف مشبوهة تصدر في بعض عواصم العالم العربي كما حاول آخرون أن يزجوا بهذه الشبهات في بعض الرسائل والأطروحات والمؤلفات.

وقد كان مصدر هذه الحملة على القرآن الكريم أساسًا هو الإيمان الأكيد بأن القرآن هو المصدر الأول والأساسي لمقومات الفكر العربي الإسلامي وأن إثارة الشبهات حوله إنما هو هدف كبير في سبيل القضاء على هذه المقومات، وقد بدأ ذلك في عبارات الاستعماريين أمثال (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا الذي حمل المصحف أمام أعضاء مجلس العموم البريطاني وقال: ما دام هذا الكتاب باقيًا في الأرض فلا أمل في إخضاع المسلمين.

ويتصل بهذا ما ذكره كرومر من اتهامات للقرآن من أنه هو المصدر الأول لتأخر المسلمين، غير أن هذه الشبهات لم تكن صادرة إلا عن تعصب أو خصومة أو دوافع استعمارية، وروح صليبية.

* قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

* وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨ - ٩].

□ هل رأوا إلا كلامًا تضيء ألفاظه كالمصابيح، فعصفوا عليه بأفواههم كما تعصف الريح، يريدون أن يطفئوا نور اللَّه وأين سراج النجم من نفخة ترتفع إليه كأنما تذهب تطفيه، ونور القمر من كف يحسب صاحبها أنها في حجمة فيرفعها كأنما يخفيه! وهيهات هيهات دون ذلك درج الشمس وهي أم الحياة في كفن، وإنزالها بالأيدي وهي روح النار في قبر من كهوف الزمن.

* الاستشراقيون الصليبيون ومؤامرة ابتعاث الفكر الوثني الهليني والباطني والصوفي الفلسفي والشعوبي وتمجيد الفرق الضالة لضرب فكرة التوحيد في الصميم:

لقد كان من أخطر التحديات التي واجهت الإسلام في العصر الحديث ما قام به الصليبيون والاستشراقيون ودعاة التغريب من إحيائهم للفكر الوثني والغنوصي القديم الذي كان معروفًا قبل ظهور الإسلام والفكر الذي يجمع بين الوثنية والإلحاد والإشراق والمادية والذي عرفه العرب والمسلمون بعد ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية وظهر أثره في الفلسفة وعلم الكلام والتصوف والدعوات الباطنية المتجددة عن المجوسية وغيرها. وكذلك ما فعله هؤلاء الصليبيون وأذنابهم من إعادة كتابة تاريخ القرامطة والزنج وغيرهم من الحركات الضالة على أنها ثورات عدل وحرية، وكذلك إلقاء

السموم بنشر كتب التصوف الفلسفي وأخبار الحلاج وابن عربي والسهروردي وابن سبعين وطبع كتب وحدة الوجود والاتحاد والحلول ونشر شعر ابن الفارض وتجديد صفحات هذا الركام المضطرب العفن كمحاولة خسيسة (لاحتواء الإسلام)، ثم محاولات من تربوا على مائدة الفكر الغربي وخانوا أمتهم في الصميم وكانوا أذنابًا للمستشرقين مثل محاولات زكي نجيب محمود بتحسين كتابات الاعتزال وابن الراوندي، أو كتابات عبدالرحمن بدوي بإعلاء التصوف الفلسفي والحلول والاتحاد، أو كتابات محمود إسماعيل بإعلاء حركات القرامطة والزنج أو اتجاه الدكتور محمود الشنيطي إلى إحياء ابن عربي، أو طه حسين إلى إحياء رسائل إخوان الصفا، أو ماسينون وصلاح عبدالصبور إلى إحياء الحلاج، أو عباس صالح وعبدالرحمن الشرقاوي وطه حسين إلى تفسير إحياء الإسلام تفسيرًا ماركسيًّا أو ماديًّا ، كل هذه المحاولات تدخل في نطاق المؤامرة على الإسلام أو إعادة محاولة «احتواء الإسلام الأولى» التي كانت في القرن الرابع الهجري وابتعاثها في القرن الرابع عشر الهجري، كذلك فإن الدعوات القاديانية والبهائية والروحية الحديثة هي أيضًا محاولات جديدة في نفس الطريق.

□ اهتم الاستشراق ودعاة التغريب والغزو الثقافي بالمعتزلة ووصفوهم بأنهم أغارقة الإسلام الحقيقيون أو المعتزلة العظام.

وتصدى لهم قديمًا أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ثمانية عشر عامًا ووقف سدًا منيعًا أمام الاتجاه إلى الفكر الفلسفي المتهور الذي قال عنه الشافعي «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا بتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس».

ثم يأتي أحمد أمين ويقول: إن المسلمين ضعفوا وتخلفوا؛ لأنهم لم يأخذوا بأسلوب المعتزلة العقلاني.. وتصدى أئمة السلفية لتقديم العقل على النقل وانتصر المذهب الفلسفي.

* إحياء الفكر الصوفي الفلسفي على يد المستشرقين الصليبيين:

«أسدل الزمان ستار النسيان على كتب التصوف الفلسفي القديمة حتى جاء المستشرقون ينقبون عن مادة جديدة للفتنة يؤججون بها نيران الخلاف بين المسلمين من جديد فوجدوا ضالتهم في آثار الصوفية الفلسفية فأقبلوا عليها وقرأوا في ضوء العقلية المسيحية وطقوس الرهبنة أخبار المتصوفين الفلاسفة وكتاباتهم واستهوتهم أفكارهم فجمعوا من أقوال الصوفية الفلاسفة كل شاردة وواردة وعنوا بتنظيم موضوعاتها وترتيبها حتى يمكن القول: أن بحوث التصوف الحديثة وكتاباته كلها ترجع إلى عمل المستشرقين الذين اهتموا فوق ذلك بالتعليق على موضوعاته وتوجيه مسائله الوجهة التي يرضونها بما عُرِف عنهم من مهارة وصبر للتشكيك في عقيدة المسلمين وطعن المسلمين في أغلى مقدساتهم وهو التوحيد، وابتعثوا من جديدة الفكر الصوفي الفلسفي ممثلاً في نظريات وحدة الوجود والحلول والاتحاد والفناء والتناسخ والاستشراق وهي مفاهيم دخيلة على عقيدة المسلمين.

❑ وقد تخصص عدد من المستشرقين في هذا النوع من الفكر الإسلامي أهمهم: ماسينون وجولد زيهر، وجب، وبرون، وماكدونالد، ومارجليوث اليهود، ونيكلسون وفون كريمر.

ودرس المستشرقون الفرق المنحرفة، فدرس ماسينون التصوف الفلسفي والباطنية والقرامطة والنصيرية واهتم بأهل الباطن والتأويل، واهتم أكثر من غيره بدراسة الاتحاد والحلول والإشراق ووحدة الوجود.

❑ ولا شك أن التصوف الفسلفي يتعارض تمامًا مع المفهوم الإسلامي الأصيل، والذين قالوا به تأثروا بالأفلاطونية المحدثة وبالعناصر التي أدخلها إخوان الصفا من إغريقية ومسيحية وفارسية الأصل ومنها المذهب المانوي والزرادشتي وفلسفة فيلون اليهودي وفلسفة الرواقيين.

□ آسين بلاسيوس وكتابه عن ابن عربي «مفكر الإسلام المتنصر».

وقد أشار آسين بلاسيوس في كتابه عن محيي الدين بن عربي إلى تأثير النصرانية في مفاهيمه.

* **لويس ماسينون والكتابة عن الحلاج وإحياء فكره طيلة أربعين سنة:**

لقد عُني لويس ماسينون بأخبار الحلاج أربعين سنة يبحث عنها ويمليها ويعيد طبعها ويضعها سمومًا بين أيدي المثقفين في هذا العصر، حريصًا أشد الحرص على أن ينفي الصلة بينه وبين القرامطة، وقد واجه الدكتور محمود قاسم هذه القضية وكشف وجه الحق فيها قال: بدأ ماسينون شديد الحرص على نفي الصلة بين الحلاج والقرامطة وظل يؤكد على أن هذا المتصوف لم يكن داعية سياسيًّا إلا أنه انتهى به الحب الإلهي إلى التضحية بنفسه على مذبح الحب، كذلك يؤكد لنا دون ملل أن الحلاج كان متصوفًا سنيًّا أراد تعميق الروح الدينية في بيئة جفّت عاطفتها الروحية، وقد ظن ماسينون وبعض تلاميذه أن الحلاج الذي قال بحلول الله فيه يعد جسرًا بين المسيحية والإسلام السني. ومع ذلك فإن هذا الحرص الشديد على نفي الصلة بين الحلاج والقرامطة قد يؤذن على عكس ذلك بوجود هذه الصلة بينه وبينهم، وقد اعترف ماسينون في موطن ما من كتابه عن الحلاج بأن موقف هذا المتصوف من فريضة الحج كان سببًا في إدانته ومصرعه، وأنه جرد مكة من أفضليتها مما شجع القرامطة على مهاجمتها والفتك بالحجاج ومحاولة هدم الكعبة ونزع الحجر الأسود منها ثم إرساله إلى هجر حيث بقي هناك نحوًا من اثنين وعشرين سنة.

وقد قال الإمام الجويني إمام الحرمين أن الحلاج كان من دعاة القرامطة. وكانت قائمة اتهامات الحلاج التي حوكم بسببها في أيام الخليفة المقتدر أنه

اتهم بمعارضة القرآن، وذكر إمام الحرمين في كتابه «الشامل» إنه كان بين الحلاج وبين الجنابي رئيس القرامطة اتفاق سري على قلب الدولة وأن هذا هو السبب الحقيقي في قتل الحلاج، وقوله بالحلول.

* بروكلمن وا.رتين وفادي برج وماسينون وكراوس وهنري كوربان والاهتمام بمذهب الإشراق وصاحبه السهروردي:

ومذهب الإشراق مذهب يوناني مستفاد من نظرية الأفلاطونية المحدثة قال به السهروردي وهو جماع شطائر من الفلسفة اليونانية الوثنية والفلسفة المجوسية الفارسية، وجماع آراء وتيارات راجت عن السريان وانتقلت إلى الفكر الإسلامي في عصر الترجمة، وتنسب الحكمة الإشراقية إلى أفلاطون ثم إلى دعاة الأفلاطونية الجديدة في مدرسة الإسكندرية، ومذهب الإشراق خارج تمامًا عن مفهوم الإسلام ويعبر عن اللَّه بالنور ويصف العوالم بأنها أنوار مستمدة من اللَّه، وهو ما لم يقل به القرآن أو رسول اللَّه ﷺ أو الصحابة ولقد اهتمت طائفة من المستشرقين بالسهروردي ونظريته، ونبشوا الكتب القديمة التي كشف المسلمون عن زيفها، فأعاد المستشرقون طرحها في أفق الفكر الإسلامي لإثارة الشبهات والشكوك في نفوس بعض المسلمين الذين لم يتسلحوا بدراسة عقيدة السلف أهل السنة والجماعة.

وكان بروكلمن وا.رتين، وفادي برج من أوائل هؤلاء، فترجموا «هياكل النور» للسهروردي، وقام ماسينون صديق الحلاج بالاهتمام برسائل السهروردي التي جمعها تحت اسم الحكمة المشرقية، وأولى ذلك اهتمامًا كبيرًا باول كراوس، وهنري كوربان وقال هؤلاء: إن شخصية السهروردي وكتبه تمثلان لحظات جوهرية في تاريخ الفكر الإسلامي، وتابعهم في ترجمة ذلك والاهتمام به عبدالرحمن بدوي وإبراهيم مدكور وأحمد أمين.

ومذهب السهروردي زائف مضلل ووافد وليس من الإسلام في شيء، والسهروردي معطل في عقيدته انحلال وانحراف بل وردة، يقول: إن اللَّه قادر على أن يرسل نبيًا بعد محمد وأنه يعني بذلك نفسه، وهو يصف اللَّه بأنه نور الأنوار، ويستعمل نظرية العقول العشرة الوثنية اليونانية تحت اسم الأنوار، وقد دافع عنه ونشر فكره سامي الكيالي. وقد كان دنس الثياب، وسخ البدن، لا يغسل له ثوبًا ولا بدنًا وقُتل عام ٦٣٢هـ بأمر من الناصر صلاح الدين الأيوبي.

* إميل درمنجم وكتابه «خمرية سلطان العاشقين» وابن الفارض والحلول والاتحاد:

أَوْلى المستشرقين ابن الفارض اهتمامًا واسعًا، وترجم إميل درمنجم ما أسماه «خمرية سلطان العاشقين» وقدّم لها مقدمة عن التصوف، وقال: إنها ستلقى ما لا يقلّ عما لقيته رباعيات الخيام من الحظوة. وقد تُرجِم شعر ابن الفارض إلى اللاتينية منذ القرن السابع عشر، وإلى الإيطالية والألمانية والإنجليزية.

وقد ناقش فكر ابن الفارضُ وأدانه البقاعي في كتابه «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد»، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وعز الدين بن عبدالسلام وابن دقيق العيد والبلقيني، وتقي الدين السبكي وبدر الدين بن جماعة وزين الدين الحنفي.

* الاستشراقيون وإحياء الفكر الفلسفي:

وقف الإسلام من تراث الفلاسفة المترجم من اليونانية والفارسية والهندية موقفًا واضحًا وهو أن هذه المدرسة التي اشتغلت بالفلسفة وعلى رأسها الكندي وابن سينا والفارابي هي امتداد للمدرسة اليونانية الإغريقية

وأنها ليست نتاجًا إسلاميًّا خالصًا.

وذهب طه حسين ولطفي السيد وإبراهيم بيومي مدكور من أن منطق أرسطو سيطر على بعض دوائر الفكر الإسلامي.

ومنذ جاء المستشرقون يدرسون مادة الفلسفة في الجامعة وهم يفرضون مفهومًا زائفًا هو أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية.

❑ وظن بعض التغريبيين أن للفكر اليوناني مكانة وأثرًا في الفكر الإسلامي من قَبْل جديرة بأن تجعل لوليده الفكر الغربي أثرًا في الفكر الإسلامي الحديث. وتلك هي أخطر الدعاوي التي حملها طه حسين وهي قمة المؤامرة على الإسلام.

❑ وحاول أهل التغريب إحياء أرسطو وتكوين هالة ضخمة حوله (طه حسين ولطفي السيد وإبراهيم بيومي مدكور)، وردّ عليهم أهل الأصالة أصحاب الفكر الإسلامي الصحيح.

* إحياء الفكر الباطني الشعوبي:

بدأت كتابات المستشرقين تدافع عن الباطنية والقرامطة والزنج وتعتبر هذه الحركات دعوات إصلاحية، وتصورها على أنها ثورات قامت باسم الإسلام.

وتوزع التغريبيون على مجالات الأدب والتاريخ فوجدنا من يموه ويكذب ويزيف ويبث سموم دجله ويعيد الكتابة في فضل أبي نواس وبشار ابن برد وحماد عجرد ومطيع بن إياس، وهناك من أعادوا الكتابة عن حركات القرامطة والزنج والراوندية، وهناك من جدد فكر إخوان الصفا وبعث رسائلهم كطه حسين، وهناك من قدم ابن سينا والفارابي على أنهم قمم من

أعلام الفلسفة والفكر. ولا يراد من وراء هذا كله إلا ضرب الإسلام في الصميم ونشر الوثنيات والإباحيات.

*** الاستشراقيون نيكلسن وجولد زيهر وأوليري وكازنوفا وتعريب «رسائل إخوان الصفا»:**

كان لبول كازانوفا السبق في إظهار رسائل إخوان الصفا في العالم الغربي ١٨٩٩، ولا ريب أن اهتمام الاستشراق والتغريب بهذه الرسائل كان بالغًا، ولذلك فإن جماعة منهم (نيكلسن - جولد زيهر - أوليري) بالإضافة إلى كازانوفا قد وضعوا عددًا من الأبحاث حولها.

□ يقول أوليري: هناك ما يُغري بأن حركة إخوان الصفا كانت حركة إصلاح من جانب بعض الإسماعيليين أرادوا الرجوع إلى تعاليم الإسماعيلية القديمة.

□ ويقول جولد زيهر: أعتقد أن رسائل إخوان الصفا كانت الأساس الذي بُنيت عليه معتقدات الإسماعيلية.

ولذا قامت المطبعة الكاثوليكية في بيروت بإعادة طبع هذه الرسائل، ثم جاء الدكتور طه حسين من أوربا ١٩٢٩م ليعيد طبع رسائل إخوان الصفا وادعى الدجال طه حسين أن إخوان الصفا قوم مجددون مصلحون قدموا للمجتمع الإسلامي الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية لإنشاء ثقافات جديدة، وهي الثقافة التي يجب على الرجل المستنير أن يظفر بها وكان على طه حسين أن يبين للناس أن هذه الرسائل تعارض مفهوم الإسلام الأصيل في عدة أمور:

أولاً: إنكار البعث بالأجساد.

ثانيًا: تفسير الجنة والنار تفسيرًا مخالفًا لما تواتر عند المسلمين.

ثالثًا: تفسير الكفر والعذاب تفسيرًا باطنيًا معنويًّا.

رابعًا: قولهم بأن النبوة يمكن اكتسابها عن طريق الرياضة.

خامسًا: قولهم بإسقاط التكاليف.

ومن أشد فساد عملهم محاولتهم صهر الأديان والعقائد كلها في صورة زائفة، ومن ذلك قولهم: الرجل الكامل يكون فارسي النسب عربي الدين عراقي الآداب عبراني المخبر مسيحي النهج شامي النسك يوناني العلم هندي البصيرة صوفي السيرة ملكي الأخلاق.

تعبوا وما أغنوا، ونصبوا وما جدوا، وحاموا وما وردوا، ونسخوا فهلهلوا، ومشطوا ففلفلوا، حصلوا على خرافات وتلفيقات وتلزيقات ولوثات قبيحة ولطخات ناضجة، وألقاب موحشة، وعواقب مخزية، وأوزار مثقلة.

*** المستشرقون وأذنابهم ودعاة الباطنية كابن المقفع وابن سينا والفارابي وابن الراوندي:**

حظي دعاة الباطنية الذين حملوا سموم هذه النحلة بتقدير كبير من رجال التغريب، وكان لهم القدح المعلى لدى حركة الاستشراق والتبشير، فكتبت الأبحاث الطول حول عبدالله بن المقفع، وابن سينا، والفارابي، وابن الراوندي، ووضعوا جميعًا موضيع التمجيد والتقدير، واحتفل بهم في ميادين مختلفة منها ميادين الأدب والتاريخ والفلسفة.

□ وألف طه حسين كتاب الفتنة الكبرى لتبرئة اليهودي عبدالله بن سبأ.

□ ويأتي ابن المقفع الزنديق فيُعلي من شأنه طه حسين وأحمد أمين وبطرس البستاني ويقرر طه حسين كتاب كليلة ودمنة مع ما فيه من سموم على طلاب المدارس الثانوية.

❑ قال الخليفة المهدي عن ابن المقفع: ما وجدت كتاب زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع ووصف دعاة التغريب ابن المقفع بأنه من أعلام الفكر الحر وأنه مصلح اجتماعي. وهم يعلمون أنه أكبر طاعن على الإسلام، قدّم أول ما قدم للقضاء على نظام الإسلام الاجتماعي «كتاب مزدك» ثم كتاب «بروزيه» ليثبت تناقض الأديان وبخاصة الإسلام.

وكشف إبراهيم أبو القاسم في كتابه «الرد على اللعين عبداللَّه بن المقفع» أنه كان يعارض القرآن.

ويكفي لزندقته «باب بروزيه» الذي أضافه إلى كتاب «كليلة ودمنة» قاصدًا به تشكيك الناس في دينهم.

ثم اتصالاته بخلفاء الشعوبيين والمجان المتهمين بالزندقة من أمثال إقبال البقلي (الذي أنكر البعث والقيامة) وعمار بن حمزة وأبان اللاحقي وسهل بن هارون وحماد عجرد. ولقد ارتبط اسم ابن المقفع بالزندقة عند ابن خلكان والبيروني والصفدي.

❑ ومما يردده دعاة التغريب الثناء على الباطنية أنها حاولت أن تعيد للمرأة حقوقها وحريتها وكذلك وصفت المشاعية والدعارة التي دعت إليها وأقرّتها هذه الجماعات بأنها حركة تقدمية للمرأة[١].

كيف يمكن من يستخرج فكر بابك الباطني ويقدمه مرة أخرى للمسلمين على أنه فكر تقدمي أو اشتراكي، وكيف يمكن أن توصف هذه الحركات الباطنية المتآمرة بأنها حركات عدل اجتماعي كما صورها طه حسين وجماعة المستشرقين ودعاة التغريب[٢].

---

(١) «مقدمات العلوم والمناهج» (١/ ٥١٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥١٨).

*** وهكذا اتسع نطاق المؤامرة على الإسلام:**

عمدوا إلى إحياء هذا الركام العفن الذي مرّ سابقًا وإعادة طبعه ونشره.

بدأت هذه المرحلة عام ١٩٠٩ بكتاب ماسينون حتى حمل لواءها طه حسين ١٩٢٦ بعد سقوط الخلافة ثم جددها عبدالرحمن بدوي ١٩٤٦ ثم جاء زكي نجيب محمود منذ عام ١٩٦٧ وفي ظل النكسة لإحياء هذا التراث على نحو جديد:

١ - نشر لويس ماسينون كتابات الحلاج والسهروردي وفريد الدين العطار وابن سبعين.

٢ - نشر جولد زيهر كتابات صالح بن عبدالقدوس.

٣ - نشر كريمسكي عن أبان بن عبدالحميد اللاحقي.

٤ - نشر فرنسسكو جيريلي وباول كراوس عن ابن المقفع.

٥ - نشر باول كرواس عن ابن الراوندي.

٦ - نشر فرنسسكو جبريلي عن بشار بن برد.

٧ - نشر باول كراوس عن محمد بن زكريا الزنديق.

٨ - ما كتبه آسين بلاسيوس عن ابن عربي.

*** ثم جاء دور التغريبيين:**

فقاموا بدورهم على أتَمِّ وجه:

١ - كتب طه حسين عن الزنادقة بشار بن برد وأبي نواس وحماد وأبان ابن عبدالحميد وجدد طبع آثار ابن المقفع ورسائل إخوان الصفا.

٢ - كتب عبدالرحمن بدوي كتابيه «شخصيات قلقة» و«من تاريخ الإلحاد في الإسلام» تناول فيهما الحلاج والسهروردي وابن المقفع وابن الراوندي والرازي، وقدم شطحات الصوفية عن أبي يزيد البسطامي ورسائل

ابن سبعين وترجم ما كتبه آسين بلاسيوس عن ابن عربي، وبذلك أحيا قدرًا كبيرًا من ذلك التراث الغنوصي المجوسي القديم، وإن كان ما قدمه كمترجمات لآثار المستشرقين.

٤ ـ أما الدكتور زكي نجيب محمود في كتابيه «تجديد الفكر العربي»، و«المعقول واللامعقول في التراث العربي» فقد أعاد صياغة الفكر البشري الوثني الغنوصي صياغة جديدة.

وتتمثل حركة تجديد الفكر البشري في عدة ظواهر:

أولاً: إعادة كتابة تاريخ القرامطة والزنج والباطنية على أنها حركات عدل وحرية أو ثورات إسلامية ومن ذلك ما كتبه محمود إسماعيل عن الحركات السرية في الإسلام.

ثانيًا: إعادة الدعوة للاعتزال والراوندية على النحو الذي حاوله زكي نجيب محمود.

ثالثًا: إعادة طبع كتب وحدة الوجود والحلول والاتحاد مثل طبع كتب ابن عربي والحلاج.

رابعًا: محاولة فرض منهج التفسير الماركسي للتاريخ كما فعل أحمد عباس صالح فيما أسماه اليمين واليسار في الإسلام.

خامسًا: محاولة لطفي السيد ترجمة كتاب الأخلاق لأرسطو والقول بأن فلسفة أرسطو هي مصدر النهضة العربية الحديثة.

وترجمة تمام حسان لكتاب «مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب» تأليف أوليرى.

وكتاب «الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام» لإبراهيم بيومي مدكور.

□ وهناك شطحات الصوفية لعبدالرحمن بدوي، ورسائل ابن سبعين.

□ وجدد عبدالرحمن بدوي في كتابه «تاريخ الإلحاد في الإسلام» الحديث عن الزنادقة وترجم لهم بتوسع، وأرخ لهم ووضع فكرهم مجدداً أمام المثقفين العرب ويتحدث عن طالوت ونعمان وصالح بن عبدالقدوس، وعبدالكريم بن أبي العوجاء وأبي عيسى الورّاق وبشار وحماد وأبان بن عبدالحميد وأبو العتاهية ويؤلف سيد حسين نصر الإيراني عن ابن سينا والسهروردي وابن عربي كتابًا تحت اسم حكماء مسلمين.

* مرة أخرى مع الحداثي أحمد عبدالمعطي حجازي:

متى يكف الشاعر الكبير عن تصدير أفكاره؟

عبدالمعطي حجازي انتقد كل ما هو ديني «حتى السلام عليكم»!

في منتدى الحوار بمكتبة الإسكندرية والذي استضاف الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي.

□ بدأ حجازي حديثه بالدفاع عن (نصر أبو زيد) ودعوته لتبني خطاب عقلاني جديد بدلاً من الخطاب الموحد للأزهر ودار الإفتاء وما أسماه الجماعات المتطرفة، ولم ينس حجازي الإشادة بالمؤتمر الذي عقده المجلس الأعلى للثقافة وإعلان (القاهرة الثقافي)!! وقال: إن الكلام عن تجديد الخطاب في وادٍ والعمل على تجديده في وادٍ آخر؛ لأن الكثيرين من علماء الدين يمنعهم الكسل العقلي من متابعة التطورات الفكرية فيخلطون بين تجديد الخطاب وتجديد لغة الخطاب اعتماداً على المقولة الشائعة «خاطبوا الناس على قدر عقولهم». ويبدو أن حجازي خانته الذاكرة فلم يعرف أن صاحب المقولة هو سيدنا علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ!!

□ وبدأ حجازي وصلة هجوم على البرنامج الشهير (العلم والإيمان)

قائلاً: إن (السيد) الذي كان يقدمه في التليفزيون يعرض لقطات تسجيلية من عالم النباتات والحيوانات والنجوم ويكتفي فقط بالتعجب قائلاً (سبحان اللّه) يقصد الدكتور مصطفى محمود ولم يشأ حجازي ذكر اسمه.

❑ ويقول حجازي إن البرنامج (يزعم) وجود علاقة بين العلم والإيمان وهي غير موجودة بالطبع!!! وأكد حجازي أن هناك خلطًا واضحًا بين العلم والدين بدليل وجود لفظ شائع اسمه (الطب النبوي) وهو غير صحيح أيضًا ـ على حد زعم حجازي ـ وهاجم حجازي صحيفة (الأهرام) التي يكتب بها مقالاً أسبوعيًّا؛ لأنها تخصص صفحة كاملة تحت عنوان (الإعجاز العلمي للقرآن) مشيرًا إلى أنه موضوع غير صحيح ولا يستحق المناقشة لأن من يكتبون فيه يزعمون أن القوانين التي اكتشفها علماء العصور الحديثة في الطبيعة والفلك والكيمياء موجودة في القرآن وهذا بالطبع غير صحيح ـ على حد زعم حجازي ـ لأن النصوص الدينية تخاطب القلب وإن كانت تخاطب العقل أيضًا ولكن لتجعله ينظر في السموات والأرض لا لكي تلقنه نظريات العلم وإلا لو كانت النظريات والقوانين موجودة في القرآن فلماذا لم نعرفها قبل غيرنا؟ ولماذا لا نغلق الجامعات ونكتفي بالتعليم في الكتاتيب؟! والعجيب ـ كما يشير حجازي ـ أن المهتمين بموضوع الإعجاز في القرآن تجند لهم أجهزة الإعلام لكي يقنعونا بأن العلم ليس إنسانيًّا وإنما مرتبط بالدين وأن العلم ليس جُهد الإنسان واكتشاف العقل ولكنه موجود وعلى هؤلاء أن يستخرجوه من النصوص الموجودة سلفًا ويريدون أن ينزعوا عن الإنسان كل مجد ويحرموه من كل فضيلة ويصوروه متلقيًا فقط عاجزًا عن المعرفة والإضافة والإبداع من منطلق مقولة: «**إن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**».. ويبدو أن حجازي نسي أنه حديث شريف يتحدث عن البدعة وليس الإبداع!!! ـ وهذا في رأيه خطاب العصور الوسطى لحصر العمل في العبادة

والتسليم والنتيجة هي الوجود السلبي في الحياة، يساعدهم على هذا الزعم أنهم يخاطبون في الناس ما يحبون وأننا نحتاج لمن يقول لنا أننا قد سبقنا إلى كل شيء مع إننا في الحقيقة لم نسبق لشيء، وإن كنا سبقنا فقد تركنا السبق وغرقنا في عصر الانحطاط!!

❑ هاجم حجازي أيضًا (أسلمة العلوم) ووصفها بأنها نشاط محموم تنفق عليه بعض الدول العربية بسخاء ليكتسب العلم صفة الإيمان ويصبح سلاحًا من أسلحة العقيدة وهي في الحقيقة دعاية سياسية ومحاولة كسب الحصانة من الدين.

والأغرب من ذلك.. أن حجازي هاجم أيضًا تحية الإسلام (السلام عليكم) قائلاً إننا لكي نثبت وجودنا في ثورة الاتصالات نحاول إلغاء الصيحة العالمية المتفق عليها (آلو) ونستبدلها بكلمة (السلام عليكم) وأنا لا أفهم كيف أتصل بشخص تليفونيًا ويرد قائلاً: (سلامو عليكو) لماذا؟!!!!!!

❑ وقال حجازي: إننا ما دمنا نشك في قدرة العلم والإنسان والعقل البشري على انتهاك كل الاسرار والحجب فنحن نعيش في العصور الوسطى ونخاف الحياة ونعجز عن التحكم في مستقبلنا ونشعر بالنقص ونكتفي بالحديث عن التميز والخصوصية واعتزال (الآخر) وأصبحنا عالة على غيرنا من الغرب الذين يحبون الحياة ويفهمون أسرار الطبيعة ويتحكمون فيها ويخضعونها بينما نحن نحتقر الحياة ونتصورها مجرد (حياة عابرة) يجب أن نمر مرورًا سريعًا إلى الحياة الباقية؛ لأن الحياة التي نعيشها (لهو ولعب) ونكتفي بالفخر أن لنا (الحياة الباقية) ولهم (الحياة الفانية)!!(١).

الإسكندرية ـ جيهان حسين

(١) مقال لجيهان حسين ـ جريدة الأسبوع العدد ٣٤٢ ـ ٢٥ رجب ١٤٢٤هـ، ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٢م.

* خليل عبدالكريم و«سنوات التكوين»:

كتب وائل لطفي:

أصدر مجمع البحوث الإسلامية يوم الأربعاء الماضي قرارًا بحظر تداول وطبع كتاب «سنوات التكوين في حياة الصادق الأمين» لمؤلفه خليل عبدالكريم بناء على تقرير قدمته إدارة الثقافة والبحوث في المجمع وكتبه الشيخ عبدالعظيم المطعني الأستاذ بكلية اللغة العربية.

اعتمد الأعضاء في اتخاذهم للقرار على تقرير الشيخ المطعني الذي اتهم الكتاب بإنكار الديانات السماوية والإساءة للرسول ﷺ»[١].

* الحداثيون إباحيون يضج من إباحيتهم قوم لوط عاملهم الله بما يستحقون:

هؤلاء الحداثيون الاستعلائيون الظلاميون الإرهابيون فقدوا كل شيء بعد أن اتُّهم أبو زيد أكاديميًا بـ «الجهل وتزوير النصوص» وقضائيًّا بـ «الردة»، وأكدت ما ذكره (أدونيس) وهو واحد من أكثر الحداثيين العرب تطرفًا، عندما قال: «إن الحركة الحداثية، تمتلئ بالحواة والمهرجين»[٢] .. بيد أن اكتمال المحنة التي أجهزت على «الحداثة»، في عالمنا العربي تقريبًا، جاءت بعد إسدال الستار على قضية (أبو زيد)، بخمس سنوات، عندما أصدرت وزارة الثقافة المصرية، رواية «وليمة لأعشاب البحر» للسوري (حيدر حيدر)، وهي من النوع الذي ينتمي فنيًا إلى ما يسمى بـ «أدب الجسد»، والأخير يمثل رافدًا من روافد «الحداثة»، في الشعر والرواية، والمسرح، والسينما. ويرجع هذا النوع إلى آواخر ثلاثينيات القرن الماضي، عندما ظهرت مجموعة من الأعمال

---

(١) روز اليوسف العدد (٣٨٠٩) (ص١٨) ١٥/٦/٢٠٠١.

(٢) ذُكر هذا النص في كتاب «شعر الحداثة في مصر دراسات وتأويلات» لإدوارد الخراط (ص٦٢٢).

تناولت حياة (البغايا) وطقوسهن في العوالم السفلية والمخملية، ابتداء من اللبناني (توفيق يوسف عواد) في روايته (الرغيف) عام ١٩٣٩، ومرورًا بالشاعر العراقي (بدر شاكر السياب)، في قصيدته «المومس العمياء» عام ١٩٥٣، وصولاً إلى المصري (نجيب محفوظ) في ثلاثيته «بين القصرين» عام ١٩٥٦، وفي «قصر الشوق» و«السكرية» عام ١٩٥٧.

كان هذا المنحى - في بداياته الأولى - يتحفظ في الولوج إلى وصف (تضاريس الجسد)، بشكل مبتذل ورخيص ومسموم، على النحو الذي بلغه في الثلاث عقود الأخيرة من القرن الماضي باسم «الحداثة»، ويكفي في هذا السياق أن نعرض قائمة سريعة ببعض العناوين لهذا النوع من (الأدب): «شهوة ملتبسة» لـ نضال حمرانة، «أوهام أيروسية» لـ مي زيادة، «لواطيات الجنابي» لـ عبدالقادر الجنابي، «رائحتي شهية كالنعناع» لـ ليلى العثمان، «عن صبي يفوح جنسًا» لـ غالب هلسا، «جسد سعاد حسني» لـ عناية جابر، «في سرير الرفيقة» لـ سعدي يوسف، «هكذا أفهم الجسد» لـ صباح خراط، «أنا والعادة السرية» لـ حميد العقابي، «اغتصبت في صباي» لـ خالد المعالي، «ملح على ثدي يرتعش»، «خواطر سحاقية» لـ عالية شعيب، «حلمت بحيوان يضاجعني» لـ دني طالب!! مع ذلك فإن هذا «التحفظ» - الذي ميّز جيل خمسينيات القرن الماضي - لم يعفه من مسئولية التأسيس، لنوع من الكتابات تعتمد على «لغة الجسد»، وإطلاق حريته في تلبية شهواته، ووصف مواقعة الذكر للأنثى من جهة، ومواضع العفة لديهما من جهة أخرى بلا حياء، وهو منحى يترتب عليه بالتبعية، الاستهزاء والاستخفاف بكل ما يعتبره معوقًا من معوقات التعبير عنه، وعلى رأسها التقاليد الاجتماعية المحافظة، والثقافة الدينية الحاضنة لها.

□ ورغم أنه في سبعينيات القرن الماضي، ومع ما لاقته الحداثة من تَبَنٍّ

وترحاب ودعاية، قد تنامت النظرة إلى هذه «القوالب الفنية»، باعتبارها أنساقًا فنية تنتمي إلى منظومة التقاليد القديمة، التي تقتضي الحداثة تجاوزها بل وتدميرها، إلا أن الأعمال الروائية ـ التي رضعت من ثدي الحداثة، اتخذت من «الجسد» قوام موضوعها الأساسي ـ أبقت على هذه الكراهية لـ «الشرعية الدينية»، بل واتخذتها هدفًا انتوت إنجازه كما فعلت القاصة الكويتية «عالية شعيب»، في قصتها القصيرة «ملح على ثدي يرتعش»، تروي بين سطورها تفاصيل علاقة سحاقية.

إن الفارق بين الجيلين (الذي عاش وكتب في النصف الأول من القرن الماضي، ونظيره الذي مارس الكتابة في نصفه الثاني)، كان في تمرس الأخير بـ «المجاهرة بالمعاصي»، باعتبارها «فعلاً حداثيًا»!، فيما بينت التجربة، أنها كانت لإخفاء الضعف المهني والفني، الذي كان قاسمًا مشتركًا لجُل هذا الجيل.

□ يقول الشاعر المصري فاروق جويدة: «منذ شهور تلقيت مجموعة قصصية لكاتبة.. وعندما بدأت أقرأ فيها، اكتشفت أن الكاتبة، غير قادرة على صياغة جملة عربية سليمة وكانت أفكارها مشوشة القصص جميعها تنحصر في تجربة امرأة تمارس الجنس مع نفسها»(١).

ثم إن كان هناك بعد «تبشيري ـ غربي»، ساعد على إنعاش مثل هذه «المجاهرة»، يفسر ذلك فاروق جويدة يقول: «إن هذه الكتابات تجد صدى واسعًا في الدوائر الغربية حيث تترجم كل يوم، ويتلقى أصحابها التهاني والورود والدعوات ويشاركون في المؤتمرات، والسبب في ذلك أن هناك تجارة رابحة في الغرب الآن ويستطيع أي كاتب عديم الموهبة، أن يقدم نفسه من

---

(١) الأهرام المصرية ٧/ ٥/ ٢٠٠٠.

خلالها أن يكتب في الجنس ولغة الجسد.. أو يهاجم الإسلام»[١] .

❐ ففي وقت مبكر من سبعينيات القرن الماضي كتب المغربي (محمد شكري) روايته «الخبز الحافي» سجل فيها المؤلف «سيرته الذاتية»، وتجربته في ممارسة الجنس مع البغايا وغيرهن، وحياة التشرد التي عاشها، وكيف انخرط خلالها في معايشة كل طقوسها ومفردات حياتها اليومية، من جنس وشذوذ ومخدرات وغيرها، والرواية بالمعايير الأدبية ضعيفة فنيًا، ومبلغ القول فيها أنها «رواية ساقطة»، تحكي ذكريات رجل شاذ جنسيًّا؛ ولأنها كانت صادمة لمشاعر المسلمين، رفضت معظم دور النشر العربية نشرها، فيما وجد فيها الغرب (صيدًا ثمينًا)، يمكن توظيفه بوصفها (شهادة إدانة) عربية لما يعتبره الغرب (تقاليد إسلامية)، حيث ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية، فيما تكبد المستشرق الياباني (نوتوهارا)، مشقة السفر من اليابان إلى المغرب، لزيارة (محمد شكري) عام ١٩٩٥، ليعمل على ترجمة الرواية، ويطلب إليه أن يرافقه في زيارة الأماكن التي وصفها في «الخبز الحافي»!! في الوقت ذاته يسارع الإسرائيليون إلى الالتحاق بطابور المهتمين بالرواية ومؤلفها ممثلين في «دار الأندلس» الإسرائيلية التي ترجمتها إلى العبرية[٢] بل إن الجامعة الأمريكية بالقاهرة قبل منع تدريسها إثر احتجاجات طلابية واسعة في العام الدراسي ٩٨/ ٩٩ ـ أدرجتها بين المناهج المقررة على طلابها (مادة الأدب العربي)!

٭ صدام مروع مع الرأي العام:

بيد أن الحداثة كانت بـ «برج عاجيتها»، بعيدة عن أي صدام مباشر مع الرأي العام، ما أتاح لها تداول هذا النوع من الأدب، في دائرة ضيقة (بين

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) موقع الجزيرة نت ـ الثقافة والفن في ٢٨/١/١ ٢٠ .

النخبة الحداثية فقط)، حتى عام ٢٠٠٠ عندما أصدرت وزارة الثقافة المصرية، رواية من هذا النوع وهي «وليمة لأعشاب البحر».

ويعتبر صدور الرواية ـ وبسعر زهيد، وفي أكبر سوق عربي (مصر)، وتتولى السلطات الرسمية (وزارة الثقافة) طبعها ونشرها ـ منعطفًا فاصلاً، في مسيرة الحداثة في العالم العربي.

حتى قبيل هذا الحدث، لم يكد أحد من العامة يعرف شيئًا عن الحداثة، في تجلياتها الفكرية والثقافية والسياسية، كانت هناك مياه كثيرة مرت تحت الجسر، ونعني بها بعض الاشتباكات «العارضة» التي وقعت في الظل، انحسرت بالمصادرة السريعة (مثل الخبز الحافي، وبيضة نعامة في مصر)، و«الرحيل» و«في ليل تأتي العيون» ليلى العثمان، و«عناكب ترثي جرحًا» لعالية شعيب بالكويت، وبعضها خرج إلى العلن، وانتظمت مؤسسات أهلية ورسمية وإعلامية، في الجدل الواسع والعنيف الذي احتدم بشأنها. بيد أنها شكلت وعيًا «أوسع» بالبعد الأكاديمي والمنهجي للحداثة، وكان أبرزها أزمة (نصر حامد أبو زيد)، إذ إن الأخير استخدم «البنيوية الماركسية» في تأويل «النص القرآني»، الأمر الذي أفضى به في النهاية، إلى شكل من أشكال النكوص العقائدي، وإعادة إنتاج المواقف القرشية «الجاهلية» القديمة، من النبوة والوحي، على نحو ما أسلفنا فيما تقدم. هذا «النكوص» سدد (أبو زيد) فاتورته بالكامل من جهة، وشكلت محطة متقدمة، في مشوار الحداثة نحو «مواتها»، المهين والمذل، في بلاد العرب من جهة أخرى. غير أنه من المؤكد، أن أزمة «وليمة لأعشاب البحر» كانت هي المحطة اللاحقة والأخيرة في هذا المشوار.

❑ فإذا كانت الأولى بما خلفته من أدبيات ـ حتى في أشكالها القانونية التي صيغت في صورة مذكرات ادعاء أمام المحاكم، أو حيثيات ما أصدرته

الأخيرة من أحكام بشأن الأزمة ـ قد مثلت موات الحداثة العربية أكاديميًّا، لا سيما بعد ظهور كتابي د عبدالعزيز حمودة: «المرايا المحدبة» و«المرايا المقعرة»، رغم صدورهما في مرحلة متأخرة من الأزمة. فإن الأخيرة (أي رواية وليمة) أشعلت الحرائق، فيما تبقى من «مصداقية» أو «نجومية» لرموز حداثية كبيرة، ظلت ولعدة عقود تمثل «المخزون اللوجستي»، الذي تعهد النشاط الحداثي العربي (السري منه والعلني) بالحماية والدعم (بنوعيه المادي والإعلامي). أي أنها حرمت الحداثيين العرب الأقل والأقصر قامة، من مرجعيات كانت تفتح لها أبواب «أنشطة»، من «النوع» الذي يتحول إلى دولارات وشيكات وحسابات في البنوك من جهة، وتتعهدها بالتلميع الإعلامي الواسع والغير محدود من جهة أخرى: فمن المعروف أن رواية «حيدر حيدر»، كانت من النوع الذي لا يقترب فحسب ـ في توصيفه ـ إلى ما يشبه أفلام «ألبورنو الجنسية»، ولكنها نالت من (القرآن والسنة) بلغة مبتذلة ورخيصة، وبمفردات وخطاب تهكمي ساخر.. ويكفي هنا أن نستعرض خلاصة رأي مجمع البحوث الإسلامية، التابع لمشيخة الأزهر في الرواية، إذ يقول البيان:

ـ إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التي تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما في ذلك ذات اللَّه سبحانه وتعالى والرسول ﷺ والقرآن الكريم واليوم الآخر، والقيم الدينية.

ـ إن الرواية خرجت على الآداب العامة خروجًا فاضحًا وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع واستعمال الألفاظ في الوقوع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء؛ مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها، حفاظًا على الحياء العام الذي انتهكته الرواية إلى آخر ما ورد في التقرير المشهور والمنشور.

ويكتسب ظهور رواية «وليمة»، بعد أزمة أبحاث نصر حامد أبو زيد،

أهميته من دورها في استكمال النصف الآخر من صورة «الحداثة».

فإذا كانت أزمة أبو زيد، قد انتهت بتوثيق تهافت الحداثة «أكاديميًّا»، فإن «وليمة» أماطت الستار عن وجهها «السوقي» والمبتذل، شاءت الأقدار أن تأتي هذه «السوقية»، في المشهد الأخير من مشوار الحداثة العربية نحو نهايتها المخزية، ليظل هذا المشهد عالقًا، في وجدان الأمة ووعيها الجمعي، ولتختم لكل من دافع عن الرواية، وعن مؤلفها أو اعتبرها إبداعًا، بسوء الخاتمة.

ولعل هذه الخاتمة كانت هي الأخطر في مجمل نتائج هذا المشوار، إذ إن أسماء حداثية كبيرة خرجت من هذه المعركة، وقد فقدت سلطتها الأبوية بالكامل، التي كانت تمارسها على السلطات الثقافية الرسمية، ولعدة عقود مضت، وباتت تشبه «خيول الحكومة العجوزة»، ولم يمهلها وزير الثقافة المصري فاروق حسني ـ الذي كاد أن يفقد منصبه الوزاري بسبب الأزمة ـ أن تظل عبئًا عليه وعلى حكومته بعد أن احترقت (تلك الأسماء)، وكادت تحرق النظام السياسي بكامله.

بعد أزمة «وليمة» بدأت ملامح وتضاريس جديدة تتبلور، تشير في تدافعها وتلاحقها، إلى ما يمكن تسميته مرحلة «نهاية الحداثة» في عالمنا العربي وهي مرحلة يمكن الاستدلال على تشكلها بعدة علامات: ففي شهر مارس من عام ٢٠٠٠ أي قبل صدور رواية «وليمة» بنحو شهرين، ألقت سلطات الأمن المصرية، القبض على صلاح الدين محسن، بعد نشره رواية وصف فيها القرآن الكريم بأنه «كتاب الجهل البدوي المقدس»، وجرت محاكمة المؤلف متزامنة مع أجواء أزمة «وليمة»، وفي شهر يوليو من نفس العام، قضت محكمة أمن الدولة، بحبس صلاح الدين محسن «ستة أشهر مع وقف التنفيذ».

❑ وبادر البعض بتفسير هذا الحكم «المخفف» بأنه «انتصار» للحداثة،

و«هزيمة» لأعدائها، وأنه دلالة على قوة الحداثيين وقدرتهم على التأثير، أن الحكم جاء ثمرة خطابهم المدافع عن «حرية» التعبير وعن «الإبداع»، وأن منصة القضاء تأثرت (أو استجابت) لهذا الخطاب الحداثي.

وواقع الحال أن رد الفعل الرسمي من الدولة، لتبرير موقفها من نشر الرواية، كان مرعبًا ومخيفًا ومدعومًا بالمؤسسة الإعلامية الرسمية الضخمة والعاتية، وكانت شهادات الاتهام بـ «الظلامية» جاهزة لكل من هاجم الرواية أو اعتبرها إسفافًا لا إبداعًا.. حتى إن بعض من هاجموا الرواية في مستهل الأزمة، استجابوا للابتزاز الحداثي، وانقلبوا على أدبارهم في منتصف الطريق، خوفًا من أن ينالهم العلمانيون بأذى، وطمعًا في الإنعام الحداثي عليهم بلقب «المفكر المستنير»، وربما قد تأثر الحكم على «صلاح الدين محسن» بهذا المناخ، وبكل تفاصيله التي هدفت إلى ترويع النفوس والأفئدة غير أن هذا المشهد على الجهة الأخرى، كان أشد رعبًا للدولة، فالذي حدث كان أشبه ما يكون بـ «الاستفتاء العفوي» على شرعيتها، أي أن الأزمة وضعت «شرعية السلطة» على محك حقيقي، ونقلتها إلى اختبار بالغ الصعوبة، وأن عليها أن تختار، إما أن تستمد شرعيتها من «الحداثة» بنسختها المعادية للدين وللنسق القيمي العام للمجتمع، وإما أن تستمدها من دين الدولة الرسمي، والحاضن في الوقت ذاته، للمنظومة الأخلاقية والقيمية السائدة.

كانت قضية «صلاح الدين محسن»، هي المفصل الذي حسمت عنده الدولة خياراتها، حيث اعترضت النيابة العامة على الحكم (ستة أشهر مع وقف التنفيذ)، واعتبرته في «غاية الرأفة»، فيما رفض رئيس الوزراء د. عاطف عبيد المصادقة عليه، وقرر إعادة محاكمته، وقالت النيابة إن «كتبه تضمنت ازدراء للإسلام وإثارة للنقمة، ومسًا بالذات الإلهية، وإنه زعم أن

الدين الإسلامي هو السبب في تخلف الدول العربية، ودعا إلى قيام رابطة للملحدين».

وعلى إثره ألقي القبض عليه، وصدر في حقه حكم قضائي، بحبسه ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذ. ومن اللافت أن رد فعل دعاة الحداثة العلمانية على الحكم، كان خافتًا ضعيفًا يكاد لا يسمعه أحد؛ بل إن اتحاد الكتاب المصريين، قرر فصل «الكاتب» من عضويته، وتبرأ «الجميع» منه، رغم أن ما حدث، لو قدر له أن وقع، قبل أزمة «وليمة لأعشاب البحر»، لأقام الحداثيون الدنيا وما أقعدوها.. وهو ما يعني أن ثمة واقعًا جديدًا، أفرزته تلك الأزمة»[1].

✍ وبعد يا أهل الحداثة.. لقد بلغ فسقكم وفجوركم إلى النهاية فعاملكم اللَّه بما تستحقون وأخزاكم في الدنيا قبل الآخرة إن لم تتوبوا.

نعم ملة الإسلام في الكون دوحة   وفي ظلها يغدو الهدى ويُراوِحُ
على كل فرعٍ عندليب مغرّد   وفي كل غصن بلبل الحق صادحُ

*** وبعد دسائسهم ومكايدهم وكتاباتهم ومؤامراتهم وعفنهم يبقى الإسلام:**

* قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]. يئسوا أن يبطلوه، أو يُنقصوه، أو يحرفوه، وقد كتب اللَّه له الكمال وسجّل له البقاء.

فالإسلام روح الحياة، وحياة الروح، وسرّ العالِم وعالم الأسرار، وجمال الدنيا ودنيا الجمال، ونور الطريق، وطريق النور.

---

(١) من مقال «العلمانيون العرب من محنة الحداثة إلى محنة التنوير» لمحمود سلطان (ص١٣٩ ـ ١٤٣) ـ مجلة المنار الجديد العدد ٢٣ يوليو ٢٠٠٣م جمادى ١٤٢٤هـ.

❑ كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمّى بالنهار، جاء الإسلام فوُجِد في العالم ينبوع النور.

ورعشات الضوء من الشمس هي قصة الهداية للكون في كلام من النور، وأشعة الوحي في الإسلام هي قصة الهداية لإنسان الكون في نور من الكلام.

❑ وإذا تعسّف الناس الحياة لا يدرون أين يؤمّون منها، ولا كيف يهتدون فيها فتضطرب الملايين من البشر، يأتي الإسلام نورًا هاديًا من غلط الحياة وتحريف الإنسانية يُصحح ما اعترى هذه الأنفس.

❑ الإسلام أفق وضيء يطهر البشرية من غبش الجاهلية، وأهل الشقاء يفرّون منه إلى موتهم ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**﴾ [المدثر: ٥٠ ـ ٥١].

❑ الحياة في ظل الإسلام نعمة.. نعمة لا يدركها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه، يعيش المرء في ظل الإسلام ينظر من عُلوّ إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة ويعجب.. ما بال هؤلاء الناس؟! ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة، ولا يسمعون النداء العلوي الجميل الجليل؟ النداء الذي يرفع العمر ويباركه.

﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٣].

❑ هذا الإسلام مرتقى عالٍ، ونور وضيء.

ارتضاه اللَّه دينًا لكل أنبيائه وهو أرقى تصور للوجود والحياة، وأقوم منهج للبشرية وهو الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخّاه ويحرص عليه.

❑ لقد التقط الإسلام الناس من سفح الجاهلية ودركها، وسار بهم في

الطريق الصاعد إلى القمة السامقة، وجعلهم ينظرون من علٍ إلى سائر أمم الأرض من حولهم في السفح، في كل جانب من جوانب الحياة، عرفوا السفح وعرفوا القمة، وعرفوا حب اللَّه ورضاه عن هذه الأمة.

❑ الإسلام لا يتولى عنه إلا موكوس منكوس مطموس، شاذ في هذا الوجود الكبير ناشز في هذا الكون الطائع المستسلم المستجيب.

❑ لقد شقيت البشرية في تاريخها كله حين قادها العُمْيُ الذين يلبسون أردية الفلاسفة والمفكرين والمشرعين والسياسيين على مدار القرون، ولم ترتفع إنسانيتها قط إلا في ظل الإسلام.

❑ الإسلام نور في القلب والنفس، نور للمسلم تشرق به كينونته فتشف وتخف وترف، ويشرق به كل شيء أمامه فيتضح ويتكشّف ويستقيم.

❑ جرعة من كأس الإسلام أروت العقل والقلب، جرس سورة الصافات، أذان بدر واليرموك، وسيف صلاح الدين، ونظرة الفضيل، ومفتاح كنوز الدنيا، غيضٌ من فيضه، القادسية وعين جالوت وحطين نفحة من نفحاته، وومضة من أنواره وبركاته.

❑ به صُنع ركب الرجال العظام على مدار التاريخ، فانظر إلى ركب المؤمنين الأبرار كيف شقّوا طريق المجد في علوّ وجمال، وتطلعت إليهم من فتحات الأبواب أسرى القرون والأجيال.

❑ الإسلام هو المفتاح الفذّ لأقفال الحياة.

❑ الإسلام أنفاس الحياة الآخرة، رقة تستروح منه نعيم الجنان، ونور تبصر في مرآة الزمان وجه الأمان، يرف بندى الحياة على زهرة الضمير، ويخلق في أرواحها من معاني العبرة معنى العبير.

❑ الإسلام من السماء، ودين اللَّه في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى

الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، وكذلك تمادى المجرمون في طغيانهم يعمهون، وظل الإسلام يلقف ما يأفكون ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨].

❑ إن الناس في اليوم والغد لن يستجيبوا إلا لنداء الإسلام، ولن يصلحوا إلا به، ولن يتفاعلوا إلا معه.. سيعلو نداء الإسلام ويرتفع ويقوى ويشتد.

✍ ألا بارك اللَّه في الأقلام المتوضئة التي تكتب باسم الإسلام.

ألا بارك اللَّه في الحناجر المؤمنة التي تُطلق نداء الإسلام

والأصوات المباركة التي ترتفع بنداء الإسلام،

والآذان الواعية التي تسمع نداء الإسلام،

والقلوب الحية التي تتفاعل مع نداء الإسلام.

والحياة الكريمة التي تزكو وتطهر بنداء الإسلام.

وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

* * *

فهـرس المراجـع

فهرس المراجع

أ

١ ـ «أباطيل وأسمار» لمحمود محمد شاكر ـ مطبعة المدني.

٢ ـ «أحكام أهل الذمة» ابن القيم.

٣ ـ «أحمد لطفي السيد» لحسين فوزي النجار ـ سلسلة أعلام العرب ـ مصر.

٤ ـ «إحياء النحو» لإبراهيم مصطفى.

٥ ـ «أرجوك خذني من هذا البرميل» لإحسان عبدالقدوس.

٦ ـ «أزمة الحوار الديني» لجمال سلطان ـ دار الصفا.

٧ ـ «أسئلة الشعر» لمنير العكش في مقابلة له مع نزار.

٨ ـ «استيقظوا أو موتوا» لوحيد حامد ـ الهيئة المصرية العامة.

٩ ـ «أسس التقدم عند مفكري الإسلام» للدكتور فهمي جدعان.

١٠ ـ «إسلام آخر زمن» للأستاذ منذر الأسعد ـ دار المعراج.

١١ ـ «أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب» لأنور الجندي ـ دار الفضيلة.

١٢ ـ «أصول الشريعة» لسعيد العشماوي.

١٣ ـ «أعلام وأصحاب أقلام» لمحمد عمارة.

١٤ ـ «افتراءات حول غايات الجهاد» لمحمد نعيم ياسين ـ دار الأرقم ـ الكويت.

١٥ ـ «إقبال الشاعر الثائر» لنجيب الكيلاني.

١٦ ـ «إقبال العرب على دراسات إقبال» للدكتور أحمد مظهر.
١٧ ـ «إقباليات» للمودودي ـ ترتيب سميح اللَّه وخالد همايون.
١٨ ـ «أنا حرة» لإحسان عبدالقدوس.
١٩ ـ «انتصار الحق» للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ المكتبة السلفية.
٢٠ ـ «أهل الفن وتجارة الغرائز» لحلمي القاعود ـ دار الاعتصام.
٢١ ـ «أوراق العمر» للويس عوض ـ مكتبة مدبولي.
٢٢ ـ «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ.
٢٣ ـ «أيبقى السيف الحكم» ترجمة لكتاب «الاختراق» لموشي ديان ـ ١٩٩٠.
٢٤ ـ «آية الجيم» لحسن طلب ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢.
٢٥ ـ «الاتجاهات الفكرية والسياسية والاجتماعية» لعلي الحوافظة.
٢٦ ـ «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» لمحمد محمد حسين.
٢٧ ـ «الإحكام» لابن حزم.
٢٨ ـ «الاستعمار أحقاد وأطماع» للشيخ محمد الغزالي ـ دار الكتب الإسلامية.
٢٩ ـ «الأسس القرآنية للتقدم» لمحمد أحمد خلف اللَّه.
٣٠ ـ «الإسلام ـ الأمس والغد» لمحمد عركون.
٣١ ـ «الإسلام السياسي» لسعيد العشماوي.
٣٢ ـ «الإسلام على مفترق الطرق» محمد أسد ترجمة عمر فروخ.
٣٣ ـ «الإسلام في القرن العشرين» للعقاد.
٣٤ ـ «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبدالرازق.

٣٥ ـ «الإسلام وأوضاعنا السياسية» لعبدالقادر عودة.

٣٦ ـ «الإسلام وقضايا العصر» لمحمد عمارة.

٣٧ ـ «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين.

٣٨ ـ «الإسلام والخلافة» لعلي الخربوطلي.

٣٩ ـ «الإسلام والسلطة الدينية» لمحمد عمارة.

٤٠ ـ «الإسلام والمستقبل» لمحمد عمارة.

٤١ ـ «الأعلام» للزركلي.

٤٢ ـ «الأعمال الشعرية الكاملة» لنزار قباني.

٤٣ ـ «الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوچية الوسطية» لنصر حامد أبو زيد.

٤٤ ـ «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» لعلي بن بخيت الزهراني ـ دار طيبة.

٤٥ ـ «الذين طغوا في البلاد» لمحمد عبدالله السمان ـ الكلمة الطيبة.

﴿ ب ﴾

٤٦ ـ «بطرس بيتر غالي» لأبي إسلام أحمد عبدالله ـ بيت الحكمة.

٤٧ ـ «بطرس غالي والحكومة العالمية» للدكتور نبيل السّمان.

٤٨ ـ «بلا يابوزا» للشيخ محمد الجنبيهي.

٤٩ ـ «بلو تولاند» للويس عوض ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٠ ـ «بينات الحل الإسلامي» للشيخ القرضاوي.

٥١ ـ «البارودي» للسيدة نفوسة زكريا.

٥٢ ـ «البداية والنهاية» لابن كثير.

٥٣ ـ «البلاغة العصرية واللغة العربية» لسلامة موسى.

٥٤ ـ «البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية» لمحمد فريد بك ـ المطبعة الأميرية.

﴿ ت ﴾

٥٥ ـ «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا.

٥٦ ـ «تاريخ التعليم في عصر محمد علي» لأحمد عزت عبدالكريم ـ مكتبة النهضة المصرية.

٥٧ ـ «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر» لعبدالرحمن الرافعي.

٥٨ ـ «تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند» لمسعود علي الندوي.

٥٩ ـ «تاريخ الفكر المصري الحديث» للويس عوض.

٦٠ ـ «تاريخ الوزارات المصرية» للدكتور يونان لبيب.

٦١ ـ «تاريخ نظام التعليم في مصر العربية» لمنير عطا اللّه سليمان ـ مطبعة الأنجلو.

٦٢ ـ «تاريخية الفكر العربي الإسلامي» لمحمد عركون ـ مركز الإنماء القومي ١٩٨٦.

٦٣ ـ «تجديد الفكر الديني في الإسلام» لمحمد إقبال.

٦٤ ـ «تحت راية القرآن» لمصطفى صادق الرافعي.

٦٥ ـ «تحرير المرأة» لقاسم أمين.

٦٦ ـ «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» لرفاعة الطهطاوي.

٦٧ ـ «تذكير الحكام بأيام اللّه» للدكتور جابر الحاج ـ دار الاعتصام.

٦٨ ـ «تراجم مصرية وعربية» للدكتور محمد حسين هيكل.

٦٩ ـ «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا.

٧٠ ـ «تيارات اليقظة العربية» لمحمد عمارة ـ سلسلة الهلال.

٧١ ـ «التاريخ الإسلامي للدولة العربية» لعبدالمنعم ماجد ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧١.

٧٢ ـ «التاريخ الثقافي للتعليم في مصر» د. حسن فقي ـ دار المعارف ـ مصر.

٧٣ ـ «التدين المنقوص» لفهمي هويدي.

٧٤ ـ «التراث والتجديد» لحسن حنفي ـ مكتبة الجديد ـ تونس.

٧٥ ـ «التطور وروح الشريعة» لمحمود الشرقاوي ـ بيروت ـ المكتبة العصرية ١٩٦٥.

﴿ث﴾

٧٦ ـ «ثقافة الضرار» لجمال سلطان ـ دار الوطن.

٧٧ ـ «ثلاث شخصيات في التاريخ (ابن المقفع ـ صلاح الدين ـ قراقوش)» للدكتور عبداللطيف حمزة ـ الهيئة المصرية العامة.

٧٨ ـ «ثورة الإسلام» لأحمد زكي أبو شادي.

٧٩ ـ «الثائر الصامت» لعبدالعزيز علي.

٨٠ ـ «الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا» لعلي محمد محمد الصلابي ـ مكتبة الصحابة ـ الإمارات.

٨١ ـ «الثورة والأدب» للويس عوض ـ دار الكاتب العربي.

﴿ج﴾

٨٢ ـ «جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث» لجمال سلطان ـ دار الاعتصام.

٨٣ ـ «جذور العلمانية» للدكتور أحمد فرج.

٨٤ ـ «جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث» للدكتور عبدالعزيز الدسوقي.

٨٥ ـ «جوانيات الرموز المستعارة لكبار أولاد حارتنا» أو «نقض التاريخ الديني النبوي» للدكتور عبدالعظيم المطعني ـ مكتبة وهبة.

٨٦ ـ «جولة في فكر محمد عركون».

٨٧ ـ «جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.

﴿ح﴾

٨٨ ـ «حاضر العالم الإسلامي» لشكيب أرسلان.

٨٩ ـ «حديث الأربعاء» لطه حسين.

٩٠ ـ «حصوننا مهددة من داخلها» لمحمد محمد حسين.

٩١ ـ «حفني ناصف» لمحمود غنيم ـ سلسلة أعلام العرب.

٩٢ ـ «حقيقة الحجاب وحجية السنة» لمحمد سعيد العشماوي ـ الكتاب الذهبي ـ مؤسسة روز اليوسف.

٩٣ ـ «حوار لا مواجهة» لأحمد كمال أبو المجد.

٩٤ ـ «حول آثار الفكر الإصلاحي» لغازي التوبة.

٩٥ ـ «الحداثة العربية. . المصطلح والمفهوم» للدكتور حلمي القاعود ـ دار الاعتصام.

٩٦ ـ «الحداثة في منظور إيماني» للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي.

٩٧ ـ «الحركات النسائية في الشرق الأوسط وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية» لمحمد فهمي عبدالوهاب ـ دار الاعتصام.

٩٨ ـ «الحزب الوطني المصري» ترجمة فؤاد دوارة ـ الهيئة العامة

للكتاب ١٩٨٣ .

٩٩ ـ «الحملة الفرنسية بين الأسطورة والحقيقة» لليلى عنان ـ دار الهلال .

﴿ خ ﴾

١٠٠ ـ «خرافة الميتافيزيقيا» لعلي باشا مبارك ـ دار الكتب .

١٠١ ـ «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» لسيد قطب ـ دار الشروق ١٩٨٠ .

١٠٢ ـ «خواطر مسلم في المسألة الجنسية» لمحمد جلال كشك ـ مكتبة التراث الإسلامية .

١٠٣ ـ «الخديعة الناصرية» لصافيناز كاظم ـ القارئ العربي .

١٠٤ ـ «الخطاب العربي المعاصر» لمحمد عابد الجابري .

١٠٥ ـ «الخطط التوفيقية» لعلي باشا مبارك ـ دار الكتب .

١٠٦ ـ «الخطوط العريضة» لمحب الدين الخطيب .

١٠٧ ـ «الخيال الشعري عند العرب» لأبي القاسم الشابي .

﴿ د ﴾

١٠٨ ـ «دراسات في حضارة الإسلام» لجب .

١٠٩ ـ «دفاعًا عن الإسلام والحرية» لحلمي القاعود .

١١٠ ـ «دفاعًا عن الإسلام والرموز . . قراءة في الأحداث والرموز» لحلمي القاعود ـ دار الاعتصام .

١١١ ـ «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين ـ طبعة مدبولي .

١١٢ ـ ديوان «أشعار خارجة على القانون» لنزار قباني .

١١٣ ـ ديوان «الأسرار والرموز» لإقبال ـ تعريب الدكتور عزام .

١١٤ ـ ديوان «الرسم بالكلمات» لنزار قباني.

١١٥ ـ ديوان «الرصافي» المكتبة التجارية الكبرى.

١١٦ ـ ديوان «اللّٰه والحق وفلسطين» للدكتور جابر قميحة ـ الدار المصرية اللبنانية.

١١٧ ـ ديوان «إنها الصحوة إنها الصحوة» لمحمود مفلح ـ دار الوفاء.

١١٨ ـ ديوان «جميل صدقي الزهاوي».

١١٩ ـ ديوان «زمان القهر علمني» لفاروق جويدة ـ مكتبة غريب.

١٢٠ ـ ديوان «شموخ في زمن الانكسار» لفاروق جويدة.

١٢١ ـ ديوان «شوقي».

١٢٢ ـ ديوان «في رحاب الأقصى» ليوسف العظم ـ المكتب الإسلامي.

١٢٣ ـ ديوان «قالت لي سمراء» لنزار قباني.

١٢٤ ـ «الديمقراطية أبدًا» لخالد محمد خالد.

﴿ ر ﴾

١٢٥ ـ «رحلة كنغليك إلى الشرق» ترجمة محمود العابدي.

١٢٦ ـ «روائع إقبال» لأبي الحسن الندوي.

١٢٧ ـ «الرباط المقدس» لتوفيق الحكيم.

١٢٨ ـ «الرجل الصنم».

١٢٩ ـ «الروض الباسم» لابن الوزير.

﴿ ز ﴾

١٣٠ ـ «زعماء وفنانون وأدباء» لكامل الشناوي.

١٣١ ـ «زهر البساتين في موقف العلماء الربانيين» لسيد حسين العفاني

ـ دار ماجد عسيري ـ جُدة.

١٣٢ ـ «الزهاوي وديوانه المفقود» لهلال ناجي.

﴿ س ﴾

١٣٣ ـ «سعد زغلول» لمحمد إبراهيم الجزيري.

١٣٤ ـ «سقوط الغلو العلماني» للدكتور محمد عمارة ـ طبعة القاهرة.

١٣٥ ـ «سيرة إقبال» للفاروقي.

١٣٦ ـ «السلام الضائع» لمحمد إبراهيم كمال.

١٣٧ ـ «السيف البتار في نحر الشيطان نزار» لمدوح السهلي الحربي - دار المآثر بالمدنية.

﴿ ش ﴾

١٣٨ ـ «شرح الكوكب المنير» لابن النجار ـ تحقيق محمد الزحيلي ود. نزيه حماد ـ طبع السعودية.

١٣٩ ـ «الشرق الإسلامي في العصر الحديث» لحسين مؤنس ـ مطبعة حجازي.

١٤٠ ـ «الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية» للدكتور محمد عمارة.

١٤١ ـ «الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية» لعمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس.

١٤٢ ـ «الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره» للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي.

١٤٣ ـ «الشيخان» لطه حسين.

﴿ ص ﴾

١٤٤ ـ «صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر فيما بين الحربين العالميتين» للدكتور جمال عبدالحي النجار ـ دار الوفاء.

١٤٥ ـ «الصاعقة الأزهرية لإبادة الخواطر الشيطانية والرد على كتاب (خواطر مسلم في المسألة الجنسية)» للدكتور جمال مصطفى عبدالحميد.

١٤٦ ـ «الصحافة المهاجرة دراسة وتحليل» للدكتور حلمي القاعود ـ دار الاعتصام.

١٤٧ ـ «الصحافة والأقلام المسمومة» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.

١٤٨ ـ «الصواعق» لابن القيم.

﴿ ط ﴾

١٤٩ ـ «طبائع الاستبداد» لعبدالرحمن الكواكبي.

١٥٠ ـ «طه حسين.. حياته وفكره في ميزان الإسلام» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.

١٥١ ـ «طه حسين في ميزان العلماء والأدباء» لمحمود مهدي الاستانبولي.

١٥٢ ـ «الطريق إلى مكة» محمد أسد ـ ترجمة عفيف البعلبكي.

١٥٣ ـ «الطريق إلى نوبل» للدكتور محمد يحيى ومعتز شكري ـ أمة برس للطباعة والنشر.

﴿ ظ ﴾

١٥٤ ـ «ظاهرة اليسار الإسلامي» لمحسن الميلي.

﴿ ع ﴾

١٥٥ ـ «عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام»

للعودة ـ دار طيبة.

١٥٦ ـ «عجائب الآثار» للجبرتي.

١٥٧ ـ «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» لعابد الهاشمي.

١٥٨ ـ «على ضفاف الثقافة.. حوارات حول المستقبل» للدكتور عمرو عبدالسميع ـ مكتبة الأسرة.

١٥٩ ـ «على هامش السيرة» لطه حسين.

١٦٠ ـ «العدالة الاجتماعية» لسيد قطب.

١٦١ ـ «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب» لمحمد حامد الناصر ـ مكتبة الكوثر.

١٦٢ ـ «العصريون.. معتزلة اليوم» ليوسف كمال ـ دار الوفاء ـ المنصورة.

١٦٣ ـ «العقيدة في اللّه» للشيخ عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس.

١٦٤ ـ «العلمانية» لسفر الحولي.

﴿غ﴾

١٦٥ ـ «الغارة على العالم الإسلامي» لشاتليه، لخصها وترجمها محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ـ المطبعة السلفية.

﴿ف﴾

١٦٦ ـ «فجر اليقظة العربية» لمحمد عمارة.

١٦٧ ـ «فقه اللغة» لعلي عبدالواحد وافي.

١٦٨ ـ «فكر إقبال» للدكتور خليفة عبدالحكيم.

١٦٩ ـ «فلسفة إقبال» للدكتور حسون.

١٧٠ ـ «فلسفة إقبال وأسسها» للدكتور عبدالوهاب عزام.

١٧١ ـ «فلسفة النشوء والارتقاء» لشبلي شميل.

١٧٢ ـ «فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني» لبسام العسلي ـ دار الفكر.

١٧٣ ـ «في مهب المعركة» لمالك بن نبي.

١٧٤ ـ «الفتنة الكبرى» لطه حسين.

١٧٥ ـ «الفكرة الأفريقية الأسيوية» لمالك بن نبي.

١٧٦ ـ «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي ـ مكتبة وهبة.

١٧٧ ـ «الفكر الإسلامي دراسة وتقويم» لغازي التوبة.

١٧٨ ـ «الفكر الإسلامي والتطور» للدكتور محمد فتحي عثمان ـ الدار الكويتية ١٩٦٩.

١٧٩ ـ «الفكر الإسلامي والثقافة الغربية المعاصرة» لأنور الجندي.

١٨٠ ـ «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف اللّه.

ق

١٨١ ـ «قاسم أمين» لماهر حسن فهمي ـ سلسلة أعلام العرب.

١٨٢ ـ «قبض الريح» لإبراهيم عبدالقادر المازني.

١٨٣ ـ «قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين. التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري وضرب الاتجاه الإسلامي» د. زكريا سليمان بيومي ـ عالم المعرفة ـ جدة.

١٨٤ ـ «قراءة جديدة في سياسة محمد علي باشا التوسعية» للدكتور سليمان الغنام ـ دار تهامة.

١٨٥ ـ «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر» للدكتور حسن حنفي ـ دار التنوير ـ بيروت.

١٨٦ ـ «القانون المدني» لعبدالرزاق السنهوري.

﴿ ك ﴾

١٨٧ ـ «كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية» لأحمد عرابي الحسيني ـ مطبعة مصر.

١٨٨ ـ «كلمتنا في الرد على (أولاد حارتنا)» للشيخ عبدالحميد كشك ـ المختار الإسلامي.

١٨٩ ـ «كلهم سلمان رشدي» لأحمد الدوسري النجدي ـ مكتبة الروضة.

١٩٠ ـ «الكشف عن حقيقة الصوفية» لمحمود قاسم.

﴿ ل ﴾

١٩١ ـ «لآلئ الشعر أوزان وقافية» للدكتور عدنان النحوي.

١٩٢ ـ «لسان الميزان» لابن حجر.

١٩٣ ـ «لويس عوض.. الأسطورة والحقيقة» لحلمي القاعود ـ دار الاعتصام.

﴿ م ﴾

١٩٤ ـ «مجموع الفتاوى» لابن تيمية.

١٩٥ ـ «محاكمة فكر طه حسين» لأنور الجندي.

١٩٦ ـ «محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل» لأنور الجندي ـ دار الأنصار.

١٩٧ ـ «محمد إقبال فكره الديني والفلسفي» لمحمد العربي بوعزيزي ـ دار الفكر المعاصر ـ لبنان.

١٩٨ ـ «محمد إقبال مفكرًا إسلاميًّا» لمحمد كناني.

١٩٩ ـ «محمد إقبال، موقفه من الحضارة الغربية» لخليل الرحمن عبدالرحمن ـ دار حراء.

٢٠٠ ـ «محمد عبده» لعباس العقاد ـ سلسلة أعلام العرب ـ مصر.

٢٠١ ـ «محمد رسول الحرية» لعبدالرحمن الشرقاوي.

٢٠٢ ـ «محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة» لسليمان الخرابيشي ـ دار الجواب.

٢٠٣ ـ «محمد فريد» لعبدالرحمن الرافعي.

٢٠٤ ـ «مختصر دراسة التارَيخ» لأرنولد توينبي.

٢٠٥ ـ «مدخل إلى فقه اللغة العربية» للويس عوض.

٢٠٦ ـ «مذكرات الإمام محمد عبده» لطاهر الطناحي ـ دار الهلال.

٢٠٧ ـ «مذكرات السلطان عبدالحميد».

٢٠٨ ـ «مذكرات طالب بعثة» للويس عوض ـ الهيئة المصرية العامة.

٢٠٩ ـ «مراة الإسلام» لطه حسين.

٢١٠ ـ مسرحية «الحسين ثائرًا» لعبدالرحمن الشرقاوي.

٢١١ ـ مسرحية «وطني عكا» لعبدالرحمن الشرقاوي.

٢١٢ ـ «مستقبل الثقافة في مصر» لطه حسين.

٢١٣ ـ «مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية» للدكتور محمد عمارة ـ مكتبة الشروق الدولية.

٢١٤ ـ «مصابيح أضاءت لنا الطريق» لصفوت الشوادفي.

٢١٥ ـ «مصر ورسالتها» للدكتور حسين مؤنس.

٢١٦ ـ «معالم الإسلام» لسعيد العشماوي.

٢١٧ ـ «معالم تاريخ الإسلام المعاصر» أنور الجندي ـ دار الاعتصام.

٢١٨ ـ «معالم في الطريق» لسيد قطب.

٢١٩ ـ «معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين» للدكتور إبراهيم عوض ـ مكتبة الفجر الجديد.

٢٢٠ ـ «مفاهيم إسلامية» للمودودي.

٢٢١ ـ «مفهوم النص» لنصر حامد أبو زيد ـ طبعة القاهرة ـ ١٩٩٠.

٢٢٢ ـ «مفهوم تجديد الدين» لبسطامي محمد سعيد ـ دار الدعوة ـ الكويت.

٢٢٣ ـ «مقالات في النقد والأدب» للويس عوض ـ مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٢٤ ـ «مقدمات العلوم والمناهج» لأنور الجندي.

٢٢٥ ـ «مقدمة في الشعر العربي» لأدونيس.

٢٢٦ ـ «مقدمة في فقه اللغة» للويس عوض ـ الهيئة العامة المصرية.

٢٢٧ ـ «ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء» لإسماعيل مظهر.

٢٢٨ ـ «مناهل الأدب العربي» لولي الدين يكن.

٢٢٩ ـ «منهاج الإسلام في الحكم» لمحمد أسد.

٢٣٠ ـ «من هنا نبدأ» لخالد محمد خالد.

٢٣١ ـ «من هنا نعلم» للشيخ محمد الغزالي.

٢٣٢ ـ «مواجهة الإرهاب، قراءات في الأدب المعاصر» للدكتور جابر عصفور ـ مكتبة الأسرة.

٢٣٣ ـ «مواطنون لاذميون» لفهمي هويدي ـ دار الشروق ١٤٠٥ هـ.

٢٣٤ ـ «موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى» للدكتور يوسف القرضاوي ـ مؤسسة الرسالة.

٢٣٥ ـ «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث» لمحمد إسماعيل.

٢٣٦ ـ «ميزان الاعتدال» للذهبي.

٢٣٧ ـ «المجروحين» لابن حبان.

٢٣٨ ـ «المختار من تاريخ الجبرتي» لمحمد كناني.

٢٣٩ ـ «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام» لمحمد محمود الصواف.

٢٤٠ ـ «المدخل للعلوم القانونية» للدكتور توفيق فرج.

٢٤١ ـ «المذاهب الإسلامية» لنجيب الكيلاني.

٢٤٢ ـ «المرأة الجديدة» لقاسم أمين.

٢٤٣ ـ «المرأة في عصر الديمقراطية» لإسماعيل مظهر.

٢٤٤ ـ «المرأة وآراء الفلاسفة» لحسين فوزي.

٢٤٥ ـ «المرأة والدين والأخلاق» للدكتورة نوال السعداوي، والدكتورة هبة رؤوف عزت ـ دار الفكر ـ دمشق ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت.

٢٤٦ ـ «المرشد الأمين» للطهطاوي.

٢٤٧ ـ «المستشرقون» للدكتور عابد السفياني.

٢٤٨ ـ «المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية» لطارق البشري ـ دار الوحدة ـ بيروت ١٩٨٢.

٢٤٩ ـ «المعتزلة وأصول الحكم» لمحمد عمارة ـ سلسلة دار الهلال ـ (العدد ٤٠٠) ١٩٨٤.

٢٥٠ ـ «المعتزلة وأصولهم الخمسة» لعواد المعتق.

٢٥١ ـ «المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة» لأحمد حسين الصاوي ـ دار الفكر ـ القاهرة.

٢٥٢ ـ «الملل والنحل، وذيل الملل والنحل» لمحمد سيد كيلاني ـ مطبوع مع الملل والنحل.

٢٥٣ ـ «المورد العذب» للشيخ الدويش.

ن

٢٥٤ ـ «نائب عزرائيل» ليوسف السباعي.

٢٥٥ ـ «نشوء فكرة اللَّه» لسلامة موسى.

٢٥٦ ـ «نظرات في الدين» لعبداللطيف غزالي.

٢٥٧ ـ «نظرية التطور وأصل الإنسان» لسلامة موسى.

٢٥٨ ـ «نقد الخطاب الديني» لنصر حامد أبو زيد ـ طبعة القاهرة ١٩٩٢.

٢٥٩ ـ «نقد القومية العربية» للشيخ عبدالعزيز بن باز.

٢٦٠ ـ «نهر الذهب في تاريخ حلب» لكامل بن حسين البالي الحلبي الغزي ـ المطبعة المارونية.

٢٦١ ـ «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» للدكتور زكي مبارك ـ دار الجيل.

٢٦٢ ـ «النظريات السياسية في الإسلام» للدكتور محمد ضياء الدين الريس.

٢٦٣ ـ «النقد الذاتي» لخالص جلبي.

٢٦٤ ـ «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» للقاضي ابن شداد ـ

تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال.

و

٢٦٥ ـ «واقعنا المعاصر» لمحمد قطب ـ دار الشروق.

٢٦٦ ـ «وبالحق صدعنا في وجه الطغيان» للشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ دار الاعتصام.

٢٦٧ ـ «وجاء دور المجوس» للغريب.

٢٦٨ ـ «وجهة الإسلام».

٢٦٩ ـ «الورد والهالوك.. شعراء السبعينات في مصر» لحلمي القاعود ـ دار الاعتصام.

٢٧٠ ـ «الوسيط» لعبدالرزاق السنهوري.

٢٧١ ـ «الوعد الحق» لطه حسين.

٢٧٢ ـ «الولاء والبراء» للدكتور محمد سعيد القطحاني ـ دار طيبة.

ي

٢٧٣ ـ «يوميات امرأة لا مبالية» لنزار قباني.

٢٧٤ ـ «اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام» لعبدالسلام بسيوني ـ مكتبة الأقصى ـ قطر.

الدوريات والمقالات والمجلات

٢٧٥ ـ أحمد عبدالمعطي حجازي ـ مقال بعنوان: «سوف أكون صريحًا مع الجميع» الأهرام عدد ١١/ ١٠/ ٢٠٠٠م.

٢٧٦ ـ أحمد عبدالمعطي حجازي ـ أخبار الكتاب عدد ٣٧ سبتمبر ٢٠٠٠.

٢٧٧ ـ جابـر قميحـة ـ مجلة آفاق عربيـة ـ عـدد (٦١٠) ٥ يونية ٢٠٠٣م.

٢٧٨ ـ من حديث أجرته عبلة الرويني مع «حسين سليمان» «مجلة أخبار الأدب» ـ القاهرة ـ عدد ٣٦٦ في ١٦/٧/ ٢٠٠٠م.

٢٧٩ ـ حسن طلب ـ «مجلة إبداع» ـ عدد ١٢ ديسمبر ١٩٩١.

٢٨٠ ـ أحمد طه ـ «مجلة الكرمل» ـ (عدد ٤/ ١٩٨٤) ـ قبرص.

٢٨١ ـ محمد سليمان ـ «مجلة الكرمل» ـ (عدد ٤/ ٣٤٤) ـ قبرص.

٢٨٢ ـ عبدالمنعم رمضان ـ دمي صوت كل الجهات» ـ «مجلة البيان الكويتية» ـ (عدد ٢٣٣ ـ أغسطس ١٩٨٥).

٢٨٣ ـ عبدالمنعم رمضان «أدب ونقد» ـ (عدد ٢٢ ـ يونيو ١٩٨٦).

٢٨٤ ـ عبدالمنعم رمضان «الكرمل» ـ (عدد ٤/ ١٩٨٤)، ٣٣٩.

٢٨٥ ـ عبدالمنعم رمضان «مجلة إبداع» ـ (أكتوبر ١٩٩٢) هيئة الكتاب.

٢٨٦ ـ محمد فريد أبو سعدة ـ «مجلة الثقافة الجديدة» ـ (عدد ٤٩) أكتوبر ١٩٩٢.

٢٨٧ ـ عمارة نجيب ـ «مجلة الدعوة» ـ غرة محرم ١٣٩٧.

٢٨٨ ـ عامر عبدالمنعم جريدة الشعب ـ عدد ١٦/٥/ ٢٠٠٠.

٢٨٩ ـ مقال «مصيبة» لسيد يونس، وعمر عبدالعلي ومنتصر الشاطبي بجريدة الشعب ـ العدد ٣٣١.

٢٩٠ ـ الدكتور عبدالعظيم المطعني ـ ترحيل الإسلام عن مصر ـ جريدة آفاق عربية ـ (العدد ١٧/٦١٦ يوليو ٢٠٠٣م.

٢٩١ ـ الدكتور محمود جامع «واجعلني لسان صدق في العالمين» ـ جريدة آفاق عربية ـ (العدد ٦١٤) ٣ يوليو ٢٠٠٣م.

٢٩٢ ـ الأهرام العربي ـ (العدد ٣٢٩) ـ السبت ١٢ يوليو ٢٠٠٣م حوار مع علي سالم.

٢٩٣ ـ الدكتور سمير سرحان ـ «مجلة القاهرة» ـ (العدد ١٦٩) ٨ يوليو ٢٠٠٣م.

٢٩٤ ـ محمد سعيد العشماوي ـ «مجلة البلاغ» ـ (عدد ٨ صفر ١٤٠٤).

٢٩٥ ـ «موقف القرآن من حجاب المرأة» مقال لحسين أحمد أمين ـ جريدة الأهالي ـ (عدد ٢٨/ ١١/ ١٩٨٤).

٢٩٦ ـ محمد فتحي عثمان «مجلة العرب» ـ (العدد ٢٦٧).

٢٩٧ ـ محمد فتحي عثمان «مجلة المسلم المعاصر» ـ العدد الافتتاحي.

٢٩٨ ـ فهمي هويدي «المسلمون والآخرون» مجلة العربي الكويتية (العدد ٢٦٧) ربيع الأول ١٤٠١.

٢٩٩ ـ أحمد كمال أبو المجد «مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر» مجلة العربي ـ (العدد ٢٢٢) ١٩٧٧.

٣٠٠ ـ محمد جابر الأنصاري «نظرة في الجذور» الدوحة القطرية ـ (العدد ١٠١).

٣٠١ ـ قراءة في فكر مالك بن نبي ـ «مجلة البيان» ـ (العدد ٢٣) جمادى الأولى ١٤١٠ مقال للأستاذ محمد العبدة.

٣٠٢ ـ محمد الغزالي ـ «مجلة آفاق عربية» ـ السنة التاسعة ـ (العدد ٦١٢) ٢٦ يونية ٢٠٠٣م.

٣٠٣ ـ طه حسين «إقبال فرض نفسه على الدنيا والزمان». «مجلة الوعي الباكستانية» (العدد ٣١) مايو ١٩٥٨.

٣٠٤ ـ «مجلة الفتح» ـ (عدد ٩١) ـ ٢١ شوال ١٣٤٦هـ ـ ١٢ إبريل

١٩٢٨م.

٣٠٥ ـ «مجلة الفتح» ـ (عدد ٦٤) ـ ٤ ربيع آخر ـ ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧م.

٣٠٦ ـ المجلة العربية ذو الحجة ١٤١٢هـ.

٣٠٧ ـ محضر الجلسة الرابع والعشرين لمجلس النواب المصري ٢٨ مارس ١٩٣٢م.

٣٠٨ ـ مقال «رحلة قلم.. مع الحق والحقيقة» لكمال السعيد حبيب ـ مجلة المنار الجديد (العدد ١٨) ـ محرم/ ربيع ١٤٢٣هـ ـ إبريل ٢٠٠٢م.

٣٠٩ ـ المجلة العربية (العدد ٣١٥) ـ مقالة بعنوان «زكي مبارك شارك طه حسين التشكيك في القرآن الكريم».

٣١٠ ـ مجلة الرسالة العدد ١٠٩٣.

٣١١ ـ جريدة أخبار اليوم ١٢/٩/ ١٩٩٠.

٣١٢ ـ مجلة حوار البيروتية.

٣١٣ ـ مجلة فصول ١٩٩٢.

٣١٤ ـ الأهرام ٢٠/٤/١٩٧٨، ١٥/٧/١٩٨٩، ٨/٨/١٩٨٩م.

٣١٥ ـ مقال «الدين والتشريع» لمحمد منذور.

٣١٦ ـ مقال «الغاية والدستور والزعيم والسبيل» لجابر قميحة ـ آفاق عربية (العدد ٦١٠).

٣١٧ ـ مجلة الوعي الإسلامي.

٣١٨ ـ مجلة الثقافة (العدد ٧٤ سنة ١٩٧٩).

٣١٩ ـ مجلة المختار الإسلامي ـ (العدد ٢٤٨).

٣٢٠ ـ مقال ظلمات بعضها فوق بعض ـ للدكتور محمد عباس.

٣٢١ ـ مجلة الوطن العربي الأعداد ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠.

٣٢٢ ـ مجلة اليسار الإسلامي ـ العدد الأول.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

* * *